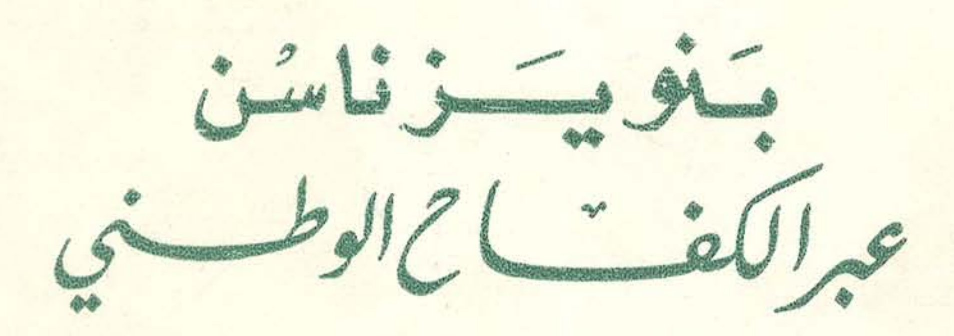
مطبوعات، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (3)



تأليف

قدور بن علي بن البشير اليزناسني
المنيفي الورطاسي الحسني



الرباط - 1396/1976

بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (3)

بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني

تأليف

قدور بن علي بن البشير اليزناسني
العتيقي الورطاسي الحسني
أثابه الله



الرباط - 1396 / 1976

بعض ما قيل في بني يزناسن وأبركان

ايه بركان بالاشاوش ميدي ... واشيدي بذكرهم واعيدي

انت يوم الوفاء خير مريد   أنت يوم الكفاح خير شهيد

موطن النبل كم تعهدت ولدا

قد احالوا الاهوال وردا وشهدا

أنت ماس يزداد في النحر وقدا

أي جيد لم يستعر منك عقدا؟

الورطاسي من قصيدة مأوية



بنو يزناسن   ثغـر من ثغـور المسلميـن

وعصبة تدخر لنصرة الدين

الاستقصـــــاء



جبال بني يزناسن   هي الجبال التي تحمي وجدة

الوزير محمد الحجوي



بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـــــر

بقلم المجاهد الكبير العلامة السيد محمد ابراهيم الكتاني

كان بعض اصدقائنا أيام كفاحنا الوطني الباسل بالمغرب يقول : ان الامة المغربية ـ وان كان لها من تاريخها الوطني أمجاد رائعة ، لا تكاد تشاركها فيها أمة أخرى من الامم ـ فان اروع امجادها الوطنية وأحفلها بمواقف البطولة الخالدة والمعجزات العديمة المثيل ، هي التي قامت بها ايام الحماية الاجنبية البغيضة في مدة تقارب الخمسين سنة !

ذلك ان الامة المغربية ـ التي لم تفقد استقلالها في تاريخها الطويل ـ كانت تعتمد في المحافظة على هذا الاستقلال ، او في بسط نفوذها وتوسعة رقعتها على شجاعة ابنائها وعلى قوتها الحربية في البر والبحر ، ناهيك انها أول أمة اكتشفت البارود !

ولكن الثورة الصناعية في اوربا ، وما رافقها من تطور عميق في المعدات الحربية والتنظيمات العسكرية ، وتكالب دولها المسيحية على احتلال بلاد المسلمين ، كل ذلك ادى الى فقد المغرب أسطوله البحري اولا ، ثم انهزامه في معركتي ايسلي وتطوان ، وما نشأ عنهما من انهيار اقتصاده ، وضياع هيبته ، وتغلغل النفوذ الاجنبي فيه ، وطمع الطامعين فيه ، ثم الاستيلاء على الاقاليم الشاسعة التابعة له في الجنوب ، ثم اقتطاع اجزاء من صلب المغرب في الجنوب والشرق ثم سقوطه اخيرا تحت نير الحكم الاجنبي البغيض .

واذا كان السلطان الحسن الاول رحمه الله قد خاض معارك ديبلوماسية رائعة ، واصلها من بعده الوزير احماد ، فان عيب هذه المعركة البطولية انها كانت تجري في غيبة الشعب الذي لم يكن يعرف عنها شيئا ، باستثناء بعض الفتاوي التي كان السلطان يطلبها من الفقهاء ليستند اليها في رد مطالب المستعمرين ، وقد ساعدت هذه الغيبة الدسائس الاجنبية على التلاعب ببعض المواطنين البسطاء الذين لم يكن الكثيرون منهم يشعرون بخطورة ما يقومون به من اعمال ضد مصلحة البلاد العليا ، نتيجة لضعف الوعي الوطني .

وانهزم المغرب الرسمي امام المناورات والمؤامرات الاجنبية ، وحصل العدو على وثيقة الحماية ، التي استند اليها في احتلال البلاد ـ لاول مرة

في التاريخ ـ واستعباد ابنائها ، واذلال احرارها ، والعمل على تحطيم مقدساتها ومسخ شخصيتها ، ومحو مظاهر حضارتها ، واستغلال خيراتها .

واذا نحن تجاوزنا الحديث عن المقاومة المسلحة التي استمرت ازيد من ربع قرن ـ او ازيد من نصف عهد الاحتلال البغيض ـ وخصوصا حرب التحرير الريفية ، بقيادة بطل الاسلام الخالد محمد بن عبد الكريم الخطابي فان المقاومة السلمية التي قاوم بها المغاربة العدو المحتل لمما يدعو الى الاعجاب والاكبار .

فقد احس المغاربة ـ غداة الاحتلال ـ احساسا عميقا انهم في حاجة أكيدة الى العلم ، ولكنهم لم يجدوا امامهم الا هذه المدارس الاستعمارية التي أسسها المستعمر ليكون فيها شبانا ممسوخين قد انقطعت صلاتهم بأمتهم واقتطعت جذورهم من مجتمعهم ، لانهم لا يكادون يعرفون لغتها ولا دينها ولا أمجادها التاريخية ، وانما يعرفون عنها ـ بدل ذلك كله ـ مجموعة ضخمة من العيوب والنقائص يلصقها بها المستعمر ، كما يعرفون من لغة المستعمر وءادابه وتاريخه وأمجاده المزعومة ، ومحاسنه المدعاة ما يحملهم على احتقار امتهم واعظام عدوها المحتل !

ولكن المغاربة قبلوا التحدي ودفعوا بابنائهم الى هذه المدارس ليتعلموا منها ما ينقصهم من علوم الحياة التي لا غنى عنها .

وقاموا في نفس الوقت بتأسيس مدارس حرة لمزاحمة تلك المدارس الرسمية الاستعمارية ، يتلقى فيها ابناؤهم تعليما عربيا مغربيا وطنيا متطورا، وشعر المستعمر بخطر هذا التعليم الوطني على تعليمه بل وعلى وجود المستعمر نفسه فتصدى لمقاومة هذا التعليم والبطش بالقائمين به بطشا شديدا ، واستمرت هذه المعركة عنيفة طوال عهد الاستعمار كله ...

وقامت الحركة الوطنية تعارض المستعمر وتتحداه ، سلاحها (التضحية)، ليست (التضحية) التي يندفع صاحبها الى القيام بعمل قد يؤدي به الى الموت العاجل ، ولكن (التضحية) الدائمة المستمرة طوال العمر كله ، باعوامه وشهوره واسابيعه وايامه ولياليه وساعاته ودقائقه وثوانيه ولحظاته والتي يلتزمها المرء من تلقاء نفسه راضيا مختارا في صحة وعيه وسلامة ادراكه ، لا يتحمل تبعتها وحده ، ولكن يشاركه في حمل هذه التبعة الضخمة المستمرة زوجه واطفاله وحتى الذين ما يزالون اجنة في بطون امهاتهم منهم !

وقد وفق الله لهذه (التضحية) الدائمة المستمرة الشاملة ثلة من المكافحين الوطنيين الذين نذروا انفسهم (لتحدي) المستعمر ومواجهته بالعداوة والبغضاء ، ولكن احدا من هؤلاء لم يفكر في تسجيل احداث هذه الحياة اليومية بتفاصيلها الدقيقة الى ان وفق الله لذلك صديقنا رفيق الكفاح الاستاذ قدور الورطاسي في كتابه القيم (بنويزناسن عبر الكفاح السياسي) .

وقد تفضل فاطلعني عليه وطلب مني كتابة تصدير له ، فلما قرأته وجدته يقدم نفسه بنفسه ، وكل ما استطيع ان أقوله الان في حقه ما كنت اقوله عنه لطلبة جامعة القرويين العامرة عندما كنت مكلفا بتسيير حلقاتهم السرية اثناء الكفاح الوطني : ان على كل واحد منهم ان يجعل من الاخ الورطاسي قدوة في كفاحه ونشاطه الذي استطاع ان يبث الوعي في بني يزناسن كلها ويجندها في صف واحد لمقاومة المحتل ، وذلك ما تتحدث عنه صفحات هذا الكتاب .

ومما يلاحظه القاريء لمذكرات الاخ الورطاسي اصطباغها بالصبغة الاقليمية حتى انه لما وجد في سوس من يعطف عليه وهو سجين تعجب من ذلك ! ولو لاحظ ان بقية اقاليم المغرب كان بها مكافحون – امثال كفاحه في بني يزناسن – لما صدر منه ما صدر من الاستغراب !

وذكر اتصاله بالبكاي – عندما كان باشا بمدينة صفرو – فأوهمه البكاي ان اتصاله به أول اتصال له بالحركة الوطنية ، وصدقه الاخ الورطاسي في ذلك مع أن مكتب حزب الاستقلال بفاس كان على صلة منظمة بالبكاي قبل ذلك بمدة طويلة وكانت تصله نشرة الحزب الاسبوعية السرية باستمرار بواسطة عضو في المكتب ، ولكن وضعية البكاي الادارية كانت تفرض هذه السرية !

جزى الله الاخ الورطاسي خير الجزاء على كفاحه ايام الكفاح ، وعلى تسجيله لهذه الصفحات التي ادى بها واجبا وطنيا مؤكدا ، ووفق رجال الكفاح الوطني القادرين على تسجيل ذكرياتهم عن مساهمتهم في التضحية و (التحدي) الى تسجيلها انقاذا لها من النسيان ، وحتى تستطيع الأجيال الناشئة والتالية، والدارسون والباحثون التعرف على بعض ما قامت به الامة المغربية المجيدة من كفاح بطولي عظيم المقدار .

ملحوظة :

اشهد الله والملائكة والناس اجمعين انه ما الاقليمية هي التي دفعتني الى الاستغراب مما حدث لي في سوس ، ولكن ذلك كان بدافع اعجابي بـ «الاستقلالية» التي جمعت الشتات ، ووحدت العواطف والمطامح والاهداف والمنطلق والافكار والصفوف بعد ما كانت العنصرية الاقليمية والتخلف قد مزقتا صفوفنا وكلمتنا واستغلها الاستعمار فينفخ فيها من روحه لكي يطيل امد استعبادنا قدر الامكان ، ويشهد الله كم قاسيت من آلام اثناء محاربتي للعتيقية ، والمنفوشية ، والوريمشية ، والخالدية ، و «العربية» .

وللاسف الشديد اقترن تاريخ الاستقلال في اول لحظاته بتاريخ عود عقرب العنصرية الاقليمية واللهجية على يد شياطين الانس، رد الله كيدهم في نحورهم .

واقترن كذلك بعودة جرثومة الزوايا التي طالما اذاقتنا الامرين وتحدتنا كل التحدي بالوقوف ضدنا في عهد الاستعمار ، ومنها من كانت من جنود احتلاله ، فحسبنا الله ونعم الوكيل..

اما اتصالي بالبكاي وما نتج عنه ، فاني اعد ذلك من قبيل الاستدراك من طرف اخينا المجاهد الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني ومن قبيل تصحيح التاريخ . فجزاه الله خير الجزاء ، وشكرا لعواطفه النبيلة .

المؤلف

مقدمة

منذ عدة سنوات وأنا اشعر برغبة ملحة لكتابة شيء عن قبيلة بني يزناسن .

فاسم هذه القبيلة : بني يزناسن ، وطبائعها الخاصة ، ونشأتي فيها مضافة الى نشأة سلسلة من الاجداد بين احضانها ، كان كل ذلك يغريني — من حين لاخر — بكتابة شيء ما عن هذه القبيلة .

وتتعزز هذه العوامل الثلاثية في سويداء نفسي بعاملين اثنين لهما نفس قوة الاعتبار والاهمية .

أولهما ، ان لهذه القبيلة تاريخا حافلا بالبطولة والامجاد الوطنية ومتانة العقيدة الاسلامية التي تتبلور في عدة صور لامعة يكاد يلمسها الضرير ، بله ذوي العيون الحادة النظرات .

وثانيها ، ان هذه القبيلة المجيدة لم يكتب اي شـــيء عــن بطولتها وأمجادها ونسبها ، او على الاقل ، لا نجد مصادر خاصة في المكاتب العمومية تتحدث — موضوعيا — عن خصوص هذه القبيلة بما لها من تاريخ حافل بالامجاد الاسلامية والوطنية ، أو انه كتب عنها القليل او الكثير ، ولكنــه تناولته يد الاهمال والنسيان واستحال وجوده الى حالة العدم .

ومما زاد الطين بلة ، حرص بعض العائلات من هذه القبيلة على عدم السماح لاي أحد في ان يطلع على ما تحتفظ به في خزاناتها من كتب مخطوطة عشعشت فيها الارضة وباضت من طول ما مر عليها من عشرات السنين .

ومبعث هذا الحرص فيما اظن ، أفول شمس الثقافة والعلوم من بين ابناء هذه القبيلة منذ القرن التاسع الهجري حسبما دلتنـــي عليـــه اوليات تنقيباتي الخاصة عن تاريخ هذه القبيلة المختلف الميادين ، المتحد الاهداف.

فتراجم رجال الثقافة والعلم من بني يزناسن يعثر عليها الباحث ما بين القرن السابع والتاسع الهجري .

على انني استطعت — في اوليات ابحاثي الخاصة — ان أجد ذكر بني يزناسن ، وطائفة من احداثها التاريخية ، في عدة مراجع مخطوطة ومطبوعة، حسبما تدل على ذلك اللائحة التي سيجدها القاريء مثبتة في آخر القسم الاول من هذا الكتاب .

ولكن احداثا مبعثرة هنا وهنا عن قبيلة ذات امجاد اسلامية ووطنية لا يمكن للدارس لها ان يستشف صورا واضحة المعالم عن مختلف جوانب هذه القبيلة من جهة ، ولا ان ذلك يليق بمستواها التاريخي من جهة ثانية .

فالانسان الذي قدر له ان يعيش بين ظهران هذه القبيلة المجيدة وقتا مهما من عمره ، ينمو فيه الشعور على مر اللحظات ، بان خصائص هذه القبيلة تختلف اختلافا بينا واضحا عن خصائص غيرها من القبائل والبطون التي يتكون منها الشعب المغربي المجيد . على انني في استطاعتي ان اسجل هنا ـ بكل تأكيد ـ ان مجرد جولة قصيرة في بني يزناسن لمطلق انسان ، بله الانسان المفكر ذا الاحساسات المرهفة ، تغير نظرته العامة الى عموم قبائل وبطون الشعب المغربي ، فيشعر ـ في عمقه ـ أنه ازاء خصائص بعيدة الشبه عن بقية قبائل الشعب المغربي وبطونه .

وكثيرون هم اولئك الذين اعربوا لي ـ بكل صراحة ـ عن مميزات هذه القبيلة وخصائصها وفي مقدمتهم الاستاذ العلامة السيد عبد المجيد الناسي حينما كان قاضيا شرعيا بمدينة ابركان ، والذي أخبرني ـ بانه ينوي تأليف كتاب يدرس فيه هذه القبيلة ، فيبرز عدة صور من جوانبها المختلفة .

ولست ادري الى الان ، ما اذا كان حقق عزمه ام حالت دونه مختلف عوامل الظروف القاهرة .

وعلى أي حال ، فان رغبتي في تأليف كتاب موضوعي عن هذه القبيلة ، اخذت تتقوى وتتمكن من نفسي بالخصوص في سنة 1384 ، و 1964 م يوما عن يوم .

ولا اكتم القارىء الكريم ، ان من طبيعتي اذا الحت علي رغبة من الرغبات ولو كانت تهدف الى اهداف بسيطة ، فان كبح جماحها ومقاومتها ليس من السهل على نفسي .

وتصويرا لحقيقة نفسيتي في العمق ، أني اتصور الرغبات النفسية كالالغام ، فلا استطيع ان أتجاوز الى ازالة اللغم الثاني دون أن ازيل اللغم الاول من طريقي .

كما أنه من طبعي ، ان ادرس كل رغبة ملحة كانت او غير ملحــة فاما أن انجزها ، واما ان الغيها فانا ـ مع رغبات نفسي ـ قاض نزيه ، لا اسمح باهمال الملفات تنخرها الارضة بين رفوف مكتبه والواجب يقضي عليه بدراستها واعمال المتعين فيها اولا فاولا ، مراعاة لمقتضيات الاسبقية، والا اخل بواجبه كقاض طوقته الدولة مسؤولية خطيرة فلم يقم بتأديتها على أحسن الوجوه الممكنة ، فكان وبالاعلى نفسه وعلى دولته . وأعوذ بالله من شر هذه النفسية الضعيفة العزة الانسانية والوطنية والاسلامية ان لم تكن عديمة ذلك اصالة .

فلقد خلقت هكذا ، وليس في امكاني ان اغير من طبعي . اذ ينطبق على نفسيتي ـ تماما ـ قول الشاعر السوري : انور العطار في قصيدته الشهيرة « اورا في الخريف» .

لست استطيع ان اغير طبعي   يخلق الطبع مكرها يوم تخلق

لقد فتحت عيني على هذا الوجود في قرية ورطاس ضاحية ابركان في ثامن عشر شهر ذي القعدة الحرام عام 1332 الموافق 30 شتنبر 1913 م.
فلقي حقق لي والدي حفظه الله انني ولدت في سابع ولادة السيد عبد القادر ابن الحاج احمد اليعقوبي ـ وهو ابن خالتي ـ مسجلا بخط والده رحمه الله كما اثبته قريبا .

وبعدما شب طوقي ، وحفظت كتاب الله ، والتحقت بمختلف المعاهد العلمية ، ثم انغمرت في ميدان الكفاح الوطني ، الا تدعو مقتضيات حياتي في مختلف هذه العهود الى عدة تساؤلات في نفسي :

ما هو وادي ورطاس الذي ابصرت نور الوجود على احد جانبيه الغربي؟

فهل نسبي يتصل ـ حقيقة ـ بالولي الصالح سيدي عبد المومن «أبو قبرين» ؟ ام نسبي يتصل بشخص آخر ؟ ومن تكون هذه القبيلة : ؟ قبيلة بني يزناسن ؟ وما هو الدور او الادوار التي لعبتها في تاريخ الحياة العامة في المغرب ؟

وهل كل من يسكن هذه الجبال المتصلة بجبال الريف يرجع الى اصل واحد ؟ ام أنه لا يدخل تحت اسم بني يزناسن الا البعض ؟ وان البعض الاخر استوطن هذه الجبال والسهول في ازمنة مختلفة بمقتضى عامل الامتزاج القبلي الذي كان نتيجة العقيدة الاسلامية ورسمية اللغة العربية ومشترك الاحداث التاريخية منذ اشراق شمس الدعوة الاسلامية على هذه البلاد في القرن الهجري الاول ؟

ومن هي تلك البطون التي ترجع الى بني يزناسن ؟ والبطون التي لا ترجع اليها ؟

ولماذا تختلف طبائع هذه القبيلة اختلافا واضح المعالم عن بقية قبائل وبطون الشعب المغربي ؟

ومن هو صاحب هذه القبة الجاثمة على ضفة وادي شراعه «بفتح الشين وتشديد الراء» ويدعى ابركان ؟

وهل لهذه القبيلة اشقاء وابناء عمومة في مختلف اقاليم المغرب ؟

وهل سجل التاريخ لهذه القبيلة جهودا انسانية في مختلف ميادين الحياة بين تسجيله لجهود غيرها من القبائل والبطون المغربية ؟

وبالاضافة الى هذه التساؤلات ، قلت في نفسي : لقد عشت كل اطوار تاريخ الحركة الوطنية من عهد الثورة الريفية تحت قيادة البطل المرحوم محمد بن عبد الكريم الى عهد استرجاع استقلال البلاد وقد اسهمت بحظ وافر في ميدان الكفاح السياسي وعلى الخصوص منذ سنة 1936 . وعلى الاخص منذ سنة 1944 م مع اعتبار ما كان لي من مسؤوليات خطيرة ومتعددة في ميدان الكفاح الوطني والسياسي بلغت الى المسؤولية الاولى في جميع اقليم المغرب الشرقي .

فاسهامي في هذا الكفاح الطويل الشاق ، تساعدني على تذكار معظم عناصر التسيير الوطني ومختلف مظاهر نشاطه . فليس من الوفاء لوطني العزيز في شيء ان لا اسلم ذلك الى يد التاريخ الامينة والخالدة في نفس الوقت.

وازاء هذه التساؤلات الباطنية ، شعرت بانني مسؤول امام التاريخ عن الاجابة عنها حسبما تصل اليه طاقتي المتواضعة ، ومسؤول عنها كتابة ، لتطلع الاجيال الصاعدة التي اصبحت — ونحن احياء — تجهل كل الجهل ما قاساه الشعب المغربي عامة من ويلات الاستعمار الفرنسي على الخصوص

بل اني لمست في قعر داري وبين اولادي ظاهرة غريبة ، وهي ان اولادي — يعربون لي عن استغرابهم بانني قضيت زمانا طويلا في الكفاح الوطني ، وانني عانيت من مختلف انواع الشقاء والحرمان والعذاب في سبيل استرجاع حرية البلاد وكرامتها واستقلالها .

فكلما واتتني الفرصة للتحدث اليوم عن هذا العهد ، شعرت شعورا صادقا بانهم ينصتون الى كما لو كنت احكي لهم اساطير لا ظل لها في واقع الحياة آه ما. اقسى الجهل والجحود !!

وغير خاف ان جهل الشعب ، اي شعب ، بتاريخ امجاده الوطنية ، له من الاثر السيء على نفسيانه وتصرفاته ما لا يدخل تحت العد والحصر .

فمقومات الشعب المغربي : الاحداث التاريخية ، الاسلام ، العروبة ، العرش . فاذا جهلت الاجيال الصاعدة شؤون احداثها التاريخية ، وجهلت اسلامها ، وجهلت عروبتها ، وجهلت عرشها ، وما كان لهذه المقومات الاربع من قيم خالدة ، فاية قيمة لهذا الشعب ؟ واية قيمة — بالخصوص — لاجياله الصاعدة ؟

ان اي مغربي لا يمكن ان يعتز بمغربيته الا اذا تعرف على عناصر كيانه وشخصيته ، وحافظ على قيمها .

فلقد عانى الشعب المغربي المجيد صعابا مختلفة في عهد الاستعمار لاقناع الخصوم باننا شعب له عناصره الذاتية ، ومقوماته الشخصية ، وكيانه القائم على الاسس التي يقوم عليها كيان الشعوب ذات التاريخ المجيد.

فالذين عاشوا عهود الكفاح الوطني لا يمكن ان ينسوا تلك الحملات الهوجاء التي كانت تشنها الادارة الاستعمارية على الشعب المغربي عامة، والوطنيين المكافحين خاصة .

فلقد كانت تجند كل وسائل الدعاية والارهاب والضغط لاقناعنا باننا لم نكن في يوم من الايام شعبا له كيانه الخاص بمجموع العناصر الضرورية التي تشهد له بأنه شعب كالشعوب ذات التاريخ والامجاد والمقومات .

فهل من المعقول ان نستمر في جهلنا وتجاهلنا لتاريخنا بعد ان جرعنا الاستعمار كل انواع العذاب وضروب الشقاء ؟

نعم ، في هذا الكتاب المتواضع سيطلع القاريء الكريم على اجوبة مهمة عن كل تلك التساؤلات المشار اليها .

على انني لم افعل – ولم يكن في امكاني – ان آتي باجوبة مدققة على كل تلك التساؤلات . اذ ليس في امكان اي كاتب مهما عظم شأنه ، ان يؤلف كتابا عن قبيلة من القبائل ، يشمل كل جوانب حياتها المختلفة .

ولكن فائدة كتاب من مثل هذا الكتاب في ان مؤلفه ولد ونشأ بين هذه القبيلة ، والشاهد اعدل من الغائب الراوي .

وبمثل هذه المؤلفات يتكامل التاريخ العام للامم والشعوب .

والشعوب حينما تقوم بواجبها حيال تاريخها بهذا الاسلوب التفصيلي علاوة على الاسلوب العام تعفى علماء الاثار من كثير من الجهود التي يبذلونها في سبيل دراسة حضارة من الحضارات .

على ان هذه الدراسات الاثرية لا تبلغ قيمة ادلتها الى مستوى قيمة الادلة التاريخية المحفوظة في اسفار التاريخ المتنوعة الاسلوب والطرق .

وبعد ، فحسب هذا الكتاب في المستقبل – على الاقل – ان يشعر انسان ما بحاجة الى تدوين تاريخنا الوطني العام ، فيجده من بين المراجع التي تساعده بعض الشيء على اداء مهمته كمؤرخ .

وحسب صاحبه ، انه بدافع شعوره بمسؤوليات وطنه العزيز يتقدم اليوم بهذا المؤلف ليسهم في نشاط وطني من هذا النوع .

واذا كنت تحدثت عن نفسي في فرص متعددة في هذا الكتاب ، فليس مقصودا عندي ان أتحدث عنها الا كما اتحدث عن اي مواطن اسهم ببعض طاقاته في الكفاح الوطني .

كما يجب التنبيه الى انني ما قصدت بهذا الكتاب الا تادية واجب وطني ، وانني لم اقصد في أي باب من ابوابه ولا في اي فصل من فصوله، ولا في اي كلمة من كلماته تشويه اية حقيقة او حادثة أو شخص لعامل او عوامل شخصية ، بل انني حينما عزمت على تأليفه جردت نفسي من كل النزعات والاهواء وتناسيت كل ما كان لاي احد معي من سوء تفاهم ، او عداء في نظره . وانما تقمصت روح المؤرخ المتجردة المخلصة لرسالتها بقطع النظر عن أي اعتبار خارج هذه الرسالة .

كما انني لم اتصنع لاختيار كلمة ولا جملة ، بل انني اطلقت العنان لقلمي يكتب حسبما يتفق من الكلمات والجمل .

وقصدي بذلك ان أكون طبيعيا مع كتابي كما انني اعيش طبيعيا مع الناس . فلا اتوارى في كتابي وراء الكلمات البراقة والجمل المرصعة البليغة، بالبحث عن ذلك في مختلف المعجمات ، او استعين بسرقة كلمات غيري وجملهم ، لان هذا من شأنه ايضا ان يدمج شخصيتي في شخصيات غيري، وذلك ما تأباه على عزة نفسي .

ولكنني لا انكر انني تعمدت التقصير في كثير من الجوانب بقصد ان احرك الهمم للولوج معي في هذا الميدان . فكتب متعددة في الموضوع خير من كتاب واحد .

والقصد العام من هذا ان تتضافر الجهود لتدوين تاريخ بني يزناسن من مختلف جوانبه للاسهام في حركة التأليف والنشر الذي تمس اليه حاجيات الشعوب مسا ضروريا بصفة عامة .

ثم انني سوف لا يضيق صدري باي نقد يوجه الى حول موضوع الكتاب او اسلوبه أو طريقة تأليفه . بل انني سارحب كل الترحيب بكل الملاحظات والانتقادات التي توجه ، سواء الى الكتاب ام الى شخصي بالذات ، ومن اي احد كان ، لانني اعد ذلك كله دليلا قاطعا على حيوية المنتقدين والملاحظين ، وان لم تشرف نواياهم .. فالمهم عندي ان يكون هذا الكتاب اول حافز لمثقفينا ببني يزناسن على الخصوص للاسهام في الكتابة عن جانب ، او جوانب من تاريخنا العام او الخاص .

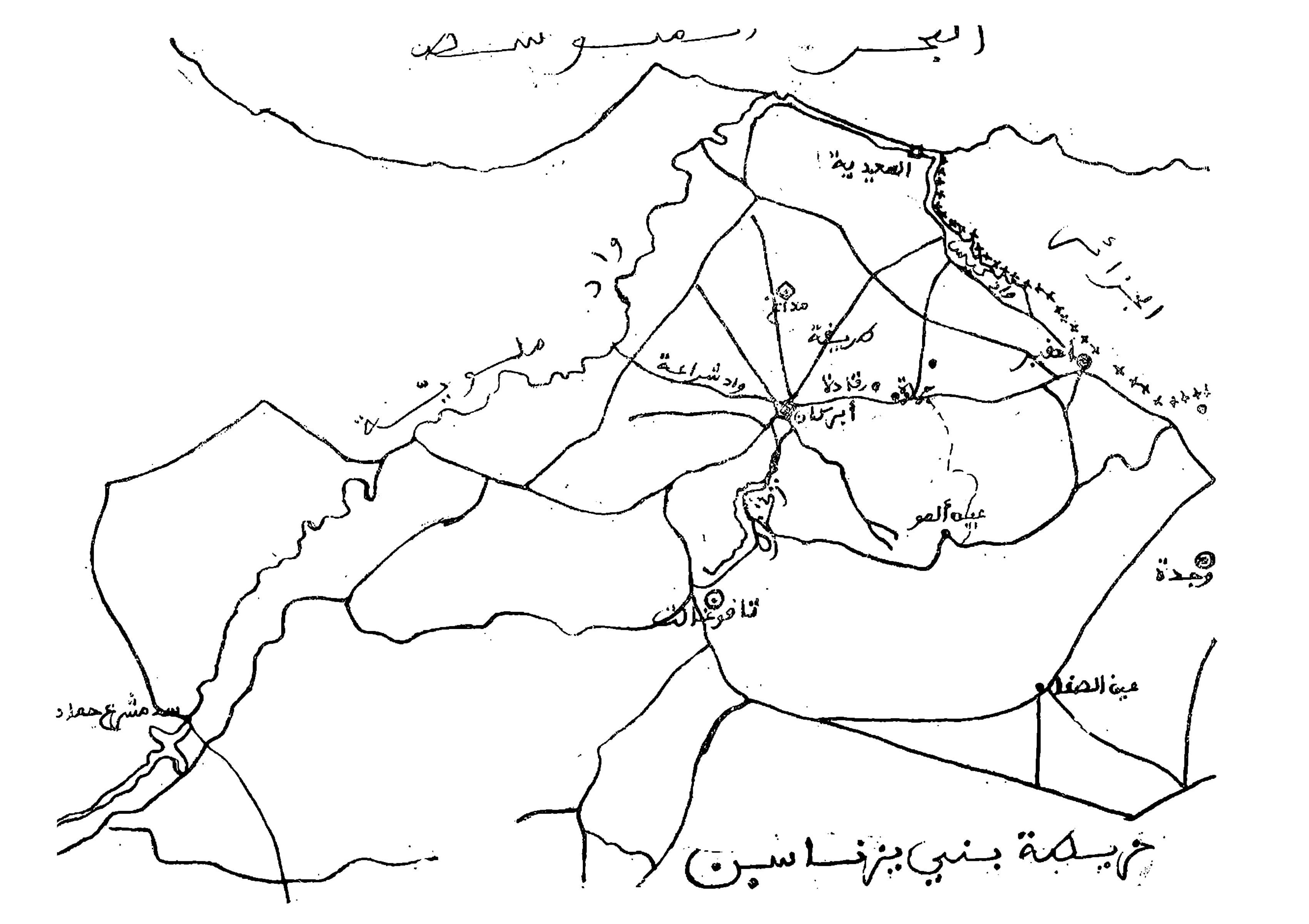
ولا اريد ان اترك القلم جانبا دون ان أتقدم بالثناء على كل الافاضل الذين ساعدوني على معالجة هذا الموضوع بافكارهم وتوجيهاتهم السديدة، وخصوصا منهم صديقي العلامة الاستاذ السيد ابراهيم الكتاني قيم الخزانة العامة بالرباط .

كما اعلن هنا عن عزمي الصارم على شفع الكتاب بكتاب ثان تحت عنوان : الحياة الثقافية ببني يزناسن ، بمجرد التفرغ من طبع هذا الكتاب ان شاء اللـــــــه .

وأسأل الله تبارك وتعالى ان يمدني بتوفيقه ، انه نعم المولى ونعم النصيـــــــر .

الرباط : الاثنين 16 شعبان 1384 (الموافق 21 دجنبر 1964)

قدور بن علي بن البشير الورطاسي الحسني



البحر المتوسط
السعيدية
الجزائر
أحفير
مداغ
ركادة
أبركان
واد شراعة
واد ملوية
تافوغالت
عين الصفا
وجدة
مشرع حماد
خريطة بني يزناسن



قبيلة بني يزناسن
وأدوارها في التاريخ

ابركان

منذ فجر النهضة الوطنية التحريرية في المغرب أخذ بنويزناسن يعرفون بالبركانيين كما يعرفون ببني يزناسن .

ورويدا رويدا اخذت هذه الناحية يغلب عليها اطلاق : ابركان .

فقبل أن تؤسس مدينة ابركان لا تتداول الالسن الا اسم يزناسن . وبعد أن تأسست هذه المدينة في أول عهد الاحتلال الفرنسي على انقاض القرية التاريخية واتسعت دائرة سكانها ودعيت ابركان ، أصبح بنو يزناسن يعرفون ايضا بالبركانيين شيئ افشيئا الى أن غلب اسم : ابركان على بني يزناسن .

فمن هم بنو يزناسن ؟ ومن هو ابركان ؟

أما بنو يزناسن فسيطلع القاريء على اصلهم ونسبهم وكثير من جوانب حياتهم في الباب التالي مباشرة .

وأما أبركان الذي سميت به هذه المدينة فانه :

محمد « فتحا » بن الحسن بن مخلوف الراشدي المشهور بابركان (1)

ونسبته الراشدي ترجعه أولا الى السادة الراشديين الموجودين الآن بقسم بني منقوش بالمحل المعروف بالشلحة : اغزر واشريك — وترجمته بالعربية : واد الشريك « بتشديد الشين » .

كما ترجعه هو والراشديين الموجودين ببني يزناسن الى قبيلة الراشديين بالجزائر المنسوبين الى جبل راشد الشهير بالجزائر .

ونسب سيدي محمد ابركان ، أبو عبد الله ، وصفه الشريف محمد بن علي التلمساني شارح الشفاء بالعالم الحافظ ابي عبد الله بن الشيخ الشهير بالولاية والزهد والعلم ، وله تآليف منها ثلاثة شروح على الشفاء اكبرها في مجلدين سماه : « الغنية » ذكرها التلمساني المذكور في طالعة شرحه وله ايضا تعاليق على رجال ابن الحاجب وغيرها .

قال الونشريسي في وفياته : توفي المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد «فتحا» بن الحسن ابن مخلوف سنة 868 هجرية .

---

1) نيل الابتهاج بتكذيل الديباج لاحمد بابا السوداني المطبوع في فاس صفحة 334

وقال الفقيه العلامة السيد عباس بن ابراهيم المراكشي (2) فيكتابه (3) **الاعلام** ج ع (3) صحيفة 498 وقفت على ثلاثة كتب في مجلد للمحدث الحافظ ابي عبد الله بن الحسن بن مخلوف الراشدي المتوفي سنة 868 هـ. المترجم في **نيل الابتهاج** في تكميل الديباج وهو الشهير بابركان ، أولهما **المشرع المهنا في ضبط مشكل رجال الموطا** . والثاني **الزند الواري في ضبط رجال البخاري** . والثالث **المبهم في ضبط رجال مسلم** .

قلت : لقد شاهدت هذه الكتاب في الخزانة العامة ، وهي مجموعة في مجلد واحد . وتحت رقم 97 حرف « **كاف** » .

وظهر لي من خلال الاطلاع عليها انها بخط المؤلف مترجمنا سيدي محمد ابركان .

ونفس هـذه الترجمة لمترجمنا موجودة في كتاب **البستان** للمؤرخ ابن مريم . وقد اطلعت على هذا الكتاب بالخزانة العامة «قسم الوثائق» .

وعندي ان سيدي محمد ابركان يزناسني ، وذلك بناء على نسبته الى الراشديين ، وعلى وجود الراشديين في بني يزناسن .

فهؤلاء الراشديون الموجودون في بني منقوش يعتبرون يزناسنيين ، ولا أحد يجادل في ذلك .

فاذا كان أصلهم من جبل راشد بالجزائر ، فان هذا الاصل لا يمنع كونهم من بني يزناسن ، فلماذا لا يكون سـيـدي محمد ابركان يزناسني ما دامت عائلته يزناسنية ؟

ولماذا لا يكون احد اجداد هؤلاء الراشديين ، ان لم يكن هو الجد الاول الذي هاجر الى ابركان كما هاجر جد وكوت السيد الحاج لحسن والسيد عبد المومن جد اهل ورطاس ؟

أما ترجمته من جملة علماء تلمسان فلا تتنافى مع يزناسنيته . فتلمسان كانت العاصمة العلمية القريبة من بني يزناسن وخصوصا في عهد ابن مرزوق.

ولا سيما واننا نجد العالم المؤلف السيد احمد بن عبد الله اليزناسني مؤلف شرح التحفة الشهير في عداد علماء تلمسان . ونجد سليمان بن يومين اليزناسني في عداد علماء مكناس . (4)

نعم قد لا يكون من اصل بني يزناسن بالذات طبق الترجمة التي أعطيتها لبني يزناسن في الباب التالي .

---

2) هو والد وزير التربية الوطنية الدكتور يوسف بن العباس الان (1964) والمحامي الاستاذ السيد البشير والنائب البرلماني السيد عباس والثاني والثالث من اصدقائي مخالطة
3) الكتاب مخطوط وموجود بالخزانة العامة (قسم الوثائق) وقد شهدته بنفسي .
4) **اتحاف اعلام الناس** لابن زيدان .

فالسادة الشاميون والعراقيون مثلا في فاس يعتبرون من أهل فاس فلماذا لا يعتبر مترجمنا من بني يزناسن ؟

وهل العائلات التي هاجرت من الاندلس واستوطنت الرباط مثلا لا تعد رباطية ؟

وكيفما كان الامر فان وجود العائلة الراشدية ببني يزناسن قائمة الى الان ، وانتساب سيدي محمد (فتحا) ابركان الى الراشديين يؤيد ما قلناه من أن مترجمنا هو سيدي محمد ابركان الدفين في بني يزناسن والذي توجد قبته في المقبرة قرب المدينة على ضفة وادي شراعة . ويقربها مسجد يعد اول مسجد بمدينة ابركان . (أبركان بالشلحة : هو الاسود).

ومن الواجب على السادة الراشديين أن يبحثوا لجمع جميع المعلومات عن هذا العالم الحافظ والولي الصالح ويعطوه ما يستحقه من العناية ، وذلك بترجمته ترجمة وافية والعمل على نشر مؤلفاته واقامة موسم سنوي يستدعى اليه العلماء من مختلف الجهات لالقاء محاضرات تتناول حياته العلمية والصوفية جزاء لما قدمه للعلم والعمل من خدمات وجهود عظيمة .

ان هذا الواجب مطوق ايضا بكل يزناسني على العموم . وبالطبقة المثقفة على الخصوص .

وها اني قد قمت ببعض الواجب نحو هذه الشخصية العلمية والصوفية على أمل الاستمرار في البحث عنها لجمع معلومات اكثر ان شاء الله .

وأملي أن أكون قد فتحت أول مجال في هذا الصدد ، وفي غيره من المجالات التي يجب الاعتناء بها من تراثنا المجيد الذي نستضيء به في حاضرنا، ونستعين به على مستقبلنا ، وفي الوقت نفسه نقوم ببعض ما يجب علينا نحو أسلافنا الاطهار ، واجدادنا الامجاد والله أسأل التوفيق انه نعم المولى ونعم النصير آمين .

أصل بني يزناسن

ان اطلاق بني يزناسن ـ في بني يزناسن ـ يرادف اطلاق زناتة . فلا فرق بين ان تقول : هذا يزناسني او هذا زناتي . فكلا الاطلاقين في بني يزناسن له نفس المعنى وهو انه غير عربي وغير منتسب لآل البيت .

أما العربي ، واما الشريف ، فلا يطلق على أي منهما لا يزناسني ، ولا زناتي في بني يزناسن .

ويؤخذ من ترادف معنى يزناسني وزناتي في بني يزناسن ، انه ترادف لغوي على معنى اختلاف اللفظين مع اتحاد المعنى والمفهوم .
ولكن الحقيقة أن بني يزناسن ، هم غير زناتة .

فلبني يزناسن نسبهم الخاص ، ولزناتة نسبهم الخاص . وان كلتا القبلتين تجتمعان في اصل واحد . اذا ما ذهبنا على انهما من اصل بربري ، وبناء على انهما من اصل بربري فهما يلتحمان ببنوة العمومة . واذا ما ذهبنا على انهما من اصل عربي فلكل قبيلة اصلها الخاص .

وايضاحا لهذا الاجمال نورد هنا ما حققه المؤرخ الشهير عبد الرحمان ابن خلدون في كتابه العبر عندما تحدث عن كلتا القبيلتين : بني يزناسن ، وزناتة ؛ في ابواب مجلدين من الكتاب المشار اليه : السادس والسابع وسوف لا نلتزم هنا النقل حرفيا ، ولكن بتلخيص وتصرف ليس الا .

بنو يزناسن :
ان ابن خلدون لم يعقد فصلا خاصا ببني يزناسن ، كما عقد بابا خاصا لزناتة ، ولكنه عقد بابا صغيرا في الجزء السادس عن : نفزاوة .

وفي الحديث عن نفزاوة ادرج بني يزناسن كبطن من البطون ، لا كقبيلة من القبائل كما فعل في شان زناتة .

قال ابن خلدون : « ج 6. ص 114 » ما ملخصه :
أصل نفزاوة هكذا ، تطوفت بن نفزاو بن لوا الاكبر ، بن زحيك بن مادغيس الابتر .

وبطون نفزاوة كثيرة : ، منها : غساسة ، ومرنيسة ، وزهيلة ، وسومانة وزانتيمة ، وولهاصة ، ومجرة ، وورسيف (5) ، ولمكالتة .

---

5) من الممكن ان يكون اصل كرسيف ورسيف . فالكاف في كرسيف «حميرية» افلا يكون العرب حولوا ورسيف الى كرسيف . كما حولوا صناكة الى صنهاجة . وجانة الى زناتة ؟

وان لمكالته لها بطون متعددة مثل بني ورييغل ، وكزناية (6) وبني يصلتن ، وبني ديمان ورمحوق وبني يزناسن .

وفي الحديث عن نفزاوة قال عن : **لمكالتة** ــ الذي هو اسم علم : انه عربي من عرب اليمن ، وقد تبناه تطوفت بن نفزاو فنسب اليه . وفي الحقيقة انه عربي يمني لا بربري بتري .

وبناء على هذه الرواية التي رواها ابن خلدون حول لمكالتة ، يكون بنو ورييغل ، وكزناية ، وبنو يصلتن ، وبنو ديمان ، ورمحوق وبنو يزناسن ؤمن انتسب الى لمكالتة من البطون ، من اصل عربي من عرب اليمن . ليسوا برابرة اخوة . غساسة، ومرنيسة (7) وزهيلة ، وسومانة ، وزانتيمة ، وولهاص ومجرة ، ووريسف . واذا لم تصح الرواية ، فبنو يزناسن من اصل بربري واخوة لمن ذكر من غساسة .

وسواء صح ان بني يزناسن من أصل بربري بتري ، أم من اصل عربي يمني فهم من الذين عمروا المغرب منذ الاجيال البعيدة قبل الاسلام .

أما مستوطنهم ، فان ابن خلدون لم يذكر ذلك بالضبط والتدقيق من تعيين الاقليم والتاريخ . فكل ما ثبت عنه في شانهم اي بني يزناسن ، انهم مستوطنو الجبل المطل على وجدة . وهو المستوطن الذي لا يزالون يعمرونه الى الآن .

زنـــاتـــة

أما عن زناتة فقال ما خلاصته :

انهم ابناء جانا ، أو شانا بن يحيى بن صولات بن ورماك بن ضوا بن زحيك بن مادغيس الابتر . وان زحيك هذا كان له اربعة اولاد هم : نفوس ، وأداس ، وضوا ، ولوا .

ومن : لوا هذا كان نفزاو جد نفزاوة الذي منه بطن بني يزناسن على الرأي من أنهم برابرة . فبنو يزناسن وزناتة يجتمعون في : زحيك بن مادغيس

---

6) توجد فرقة من كزناية في قسم بني وريمش وفي جماعة حركات كما تدعى هذه الفرقة أيضا : اخرخشن «بكسر الالف وسكون الراء والخاء وفتح الشين وسكون النون» وهي التي اصهرت الى عمي لاب المرحوم السيد محمد بن البشير من الذين تلقيت عنهم القرآن الكريم كم اتوجد كزناية باقليم تازا .

7) ومن رجال مرنيسة الذين عرفتهم السيد محمد بن عمرو ولد حميدو الملقب بالغريب . وهو من عائلة لها ماض في البطولة والحكم واستشهد بعض ابطالها في الحرب الريفية . والسيد محمد بن عمرو المذكور ابتدأ عمله الاداري كشيخ وخليفة ثم قائد في عهد الاستعمار ، ونفي كقائد ثائر في ازمة العرش ، وفي عهد الاستقلال عين عاملا على وجدة وعمل فيها اربع سنوات ونصفا فهو بهذا النسب من ابناء عمومة بني يزناسن ، فما رأيه ؟

الابتر جد البرابرة الاكبر . وروى ابن خلدون ايضا : ان زناتة قد نسبوا الى عرب فلسطين من قوم جالوت وانه لما تفرق ملك جالوت بعد ان قتله داود، تفرقت قبائل ملكه وكان مادغيس من الذين قصدوا المغرب .

ولهذا النسب اثر في بني يزناسن ، فان أحدهم حينما يريد الحط من قيمة الاخر يقول له : يا الجالوتي ، يا ابن الجالوتي .

وقيل انهم من عمالقة الشام الذين عمروه وحكموه وكانوا قبل امة بني اسرائيل ، وقيل غير ذلك .

وقد فند ابن خلدون ما تحكيه اسطورة سبب تسمية زناتة بهذا الاسم وقال : انها مجرد اسطورة ان يكون معنى تسمية زناتة مأخوذا من لفظه الـدال عـلـى الـزنـى .

لذلك قال : ان زناتة اصلها : جانا ابو الجيل كله . وان العرب اذا ارادوا الجنس في التعميم الحقوا بالاسم المفرد تاء ، فقالوا جانات .
واذا ارادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فقالوا : جاناتن .

وان نطقهم بهذا الجيم ليس من مخرجها ، بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل الى الشين وانهم ابدلوا الجيم زايا محضة لاتصال مخرج الزاي بالسين فصارت : زانات لفظا مفردا وان كانت بصيغة الجمع دالا على الجنس. ثم الحقوا بها هاء النسبة وحذفوا الالف التي بعد الزاي تخفيفا لكثرة دورانه على الالسنة فصار : زناتة . وبهذا التحقيق الذي اورده ابن خلدون يكون ما قيل عن سبب تسمية زناتة، او بني يزناسن من الزنى من قبيل الاساطير ليس الا
وقد اوردت هذا التحقيق هنا عمدا لما يتردد على الالسنة من هذه الاسطورة في بني يزناسن .

ثم انه بايضاح اصل بني يزناسن واصل زناتة ، يتبـيـن ان الاطلاق الترادفي في بني يزناسن أما ان يكون اطلاقا عرفيا نشأ عن التساهل في الاطلاق اللغوي ، واما ان يكون على اعتبار بني يزناسن يجتمعون مع ازناتة في جدهم ابي الجيل كله ، وهو مادغيس.

وعلى اي حال فان هذا الجبل جبل بني يزناسن قد استوطنه بنو يزناسن وزناتة ، وصنهاجة وغيرهم من القبائل والاشراف . ولا يدري بالضبط متى سكنه بنو يزناسن ؟ ولا متى ساكنهم غيرهم . فالاسلام وحد بين الجميع فتساكن الجميع .

وان من جملة زناتة بني بريعلي من بني عتيق . فهؤلاء يرجعون الى مغراوة الذين كان لهم سلطان بتلمسان كما ان بني يعلى الساكنين في اجرادة والراجعين لقبيلة الزكارة الكبرى هم اخوة بني بويعلى العتيقيين .

ومن الراجعين الى صنهاجة البرنوصيين وهم بنو منقوش ، او بعض بني منقوش . وكذلك من جملة الصنهاجيين بطن بني حماد الكائن ببني عتيق . فهؤلاء الحماديون الموجودون قرب تافوغالت يرجعون الى بني حماد الذين ملكوا المغرب الاوسط ولا تزال قلعة بني حماد « بالجزائر » شاهدة بذلك (8).

كما يوجد في بني وريمش أهل الوادي الذين هم في الحقيقة من بني عابد الوادي الذين ملكوا تلمسان .

فبنو بويعلي ببني عتيق ، وأهل الوادي ببني وريمش من قبيلة زناتة ملوك تلمسان . وبنو حماد من بني عتيق وبنو منقوش أو بعضهم هم من صنهاجة ملوك المغرب الاوسط .

أما تسمية الجميع ببني يزناسن ، فهي اما ناشئة عن كونهم اصلاء هذا الجبل ، واما من باب التغليب ترجيحا للاصل .

وهذا ما امكنني أن أثبته هنا عن اصل بني يزناسن وزناتة .

أقسام بني يزناسن

القسم الاول : قسم بني وريمش

يقع قسم بني وريمش في الناحية المجاورة لقبائل كبدانة والريف ، ومعظم سكان بني وريمش من العيون ، اي عيون سيدي ملوك جنوبا الى اولاد بوخريص على حدود ملوية شمالا .

ولا توجد اية مدينة صغيرة في جهتهم ، أما تافوغالت فهي واقعة في أراضي بني عتيق القسم الثاني شرقي بنى وريمش . وكذلك قرية سيدى بوهرية ، فهى فى اراضي بني عتيق ، ولا يوجد في بني وريمش الا سوق واحد اسبوعي بسيط بالمكان المسمى : تانزارت (بتشديد الزاي) وقسم بني وريمش أعظم باقي الاقسام سكانا .

---

8) بنو حماد في بني عتيق بطن ذو فاقة يسكن في شعاب الجبل وقننه وأوديته وسفوحه . ووراء هذه الفاقة لطافة ودماء ابية تشهد بقدم المجد واصالته . ووجودهم بهذه المواقع الوعرة تدل على عمق الانزواء الرهيب عقب تصدع ملكهم وتشتت بطونهم وقبائلهم في اقاليم المغرب الكبير .

واذا تصفحت وجوه بني حماد هؤلاء تتراءى لك مسحة من الحزن العميق اعتقد انهم هم انفسهم لا يعللونها ولكنه حزن تلقائي ناتج عن الشعور بآثار تلك الامجاد العريقة التي طوتها الايام فاصبحت مجرد اسطورة .

فمتى يا ترى تتقدم ايد ملائكية للكشف عن مواهب هذا البطن الحمادي ويستفيد منه الشعب المغربي الذي يفتقر في عهد بناء الاستقلال الى مثل هاته المواهب المدفونة في قبر البؤس والشقاء ومنزوية بين سفوح الجبال وشعبها وقننها كانها لم تكن شيئا مذكورا في التاريخ ؟

واعظم بطونهم بنو بوعبد السيد . واولاد علي الشاب . ورسلان. وتاكمة. وبنو محيو المجاورون لقصبة عيون سيدي ملوك . وفي قسم بني وريمش تقع اراضي اكليم الموزعة على صغار الفلاحين عقب اعلان الاستقلال (؟!)

وتمر قناة سد مشرع حمادي على اراضيهم اولا ، ثم تنساب الى سهول تريفة ثانيا .

ومن سوء الحظ ان الماء قليل بقسم بني وريمش فالعيون قليلة لا تكفي الا للشرب وغرس طائفة قليلة من الاشجار ، وخصوصا ناحية اولاد علي الشاب التي تمر بها قناة سد مشرع حمادي ، فطائفة كبرى من هذه القبيلة تستورد المياه على بعد خمسة عشر كيلو مطرا .

واراضي بني وريمش أيضا أقل خصبا باستثناء ما لهم م ناراضي في بسيط انكاد .

أما اولاد علي الشاب ، وبنو بوعبد السيد فكانوا قلما ساعدهم الحظ في بعض مواسم الحرث والصيف .

والامل الآن معقود على قناتي سد مشرع حمادي ، وسد مشرع كليلة ، والحقيقة ان سد مشرع حمادي وسد مشرع اكليلة هما العلاج الوحيد لقبيلتي اولاد علي الشاب وقبيلة بني بوعبد السيد ، فهما كانا احوج قبائل بني يزناسن باجمعهم الى الماء للشرب اولا ، والسقي ثانيا . (1)

البيوتات

وأشهر بيوتات بني وريمش في الحكم قديما : أولاد البشير وسيأتي ذكرهم مفصلا . والحروديون (بتشديد الراء والياء) من بني بوعبد السيد . فهاتان العائلتان هما اللتان كانتا ينقاد لهما بنو وريمش وان كان بيت اولاد الديتين شهرة في الحكم كما سيأتي ذلك ان شاء الله .

لماذا سمو بني وريمش

أما سبب تسميتهم بيني وريمش فقد بحثت عنه كثيرا فلم اعثرله على أثر .

---

1) من الالطاف الخفية الالهية انه حينما شرع في بناء سد مشرع حمادي ما بين العيون وناوريرت كان رئيس مراقبة دائرة بركان السيد رامونا يقول للاستقلاليين : ان فرنسا تهيئ لبني يزناسن سد مشروع حمادي . وستعطيكم الماء لسقي اراضيكم . وماذا سيعطيكم قدور الورطاسي الذي يقلق راحتكم بالحديث عن الاستقلال ؟

وقد شاء الله ان اعين قائدا رئيس دائرة بني يزناسن في ثاني عشر شتنبر 1956 . وأن اكون الذي اهيئ تصميم توزيع اراضي اكليم وادشن اطلاق ماء سد مشرع حمادي .

وبذلك تكون الاقدار الالهية قد استهزأت باستهزاء رامونة ، والله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون .

وفي صيف 1384 ـ الموافق 1964 سالت الفاضل السيد القائد الدخسي ابن علي «الهواري» الذي شارف عمره القرن أو يزيد عليه بقليل ، فأجابنى بانه لا يعلم علة هذه التسمية ، فمنذ كان وهو يعرف أن هذا القسم يدعى بني وريمش ليس الا .

وفي هذا القسم يسكن الشرفاء الادريسيون : اولاد سيدي علي وسعيد باوموت واولاد سيدي سعيد العرعار وهو والد الاول . واولاد سيدي موسى المدعون باولاد معبروة ، واولاد فسير . واولاد عطية ، واهل ورين «بضم الواو» وبنو وال . والتميميون في قرى رسلان وبني نوكة ، والد اوديؤن في بني نوكة ايضا ، والشقارنة في نفس الجهة .

وهؤلاء الشرفاء الادريسيون يقيمون مواسم دورية ترحما على جدودهم الاعلون . فيطعمون الطعام مئات الناس وهذه المواسم نقية طاهرة من كل رجس من عمل الشيطان فالقراء يتلون كتاب الله جماعات جماعات ، والصلوات تقام جماعة كامل يوم او أيام المواسم ويستدعون اليها الناس من مختلف الجهات ، ويخصون الضيوف البارزين بارقى انواع المأكولات ، وان هؤلاء الشرفاء الادريسيين يحتفظون كلهم «بظهائر» شريفة لمختلف الملوك العلويين للتوقير والاحترام . ويزيد اولاد سيدي علي بن سعيد واولاد سيدي سعيد على ذلك باحتفاظهم بسلسلة النسب : «الشجرة» .

وان «الشلحة» القريبة من اللهجة الريفية هي المستعملة داخل الاسرة وخارجها في بني وريمش سواء منهم آل البيت او غيرهم .

ومع هذا فهم يتكلمون العربية الدارجة بالطبع . ولكنها ثقيلة الاستعمال في بعض الجهات من بني وريمش .

وبنو وريمش مرنون لبقون في معاملتهم ، ذووا بشر ومرح وملاطفة عدا بعض البطون منهم وهي قليلة .

وتروقك من بني وريمش شجاعتهم الهادئة وكرمهم النادر .

ومن بالغ كرمهم ـ على قلة ذات اليد ـ وهذا هو موضع العجب ـ انني ـ أثناء حملة الانتخابات البرلمانية سنة 1963 ـ زرت احدى قراهم باولاد علي الشباب . ولشد ما عجبت بتقديم «المشوي» من رب عائلة فقير. ولما اظهرت اشفاقي من خالص القلب عليه قال مبتسما : انني اعد هذا اليوم يوما عظيما ، هذا اليوم الذي نمارس فيه سيادتنا الشعبية وزاد قائلا : نحن هنا بعداء عن ابركان ، ومهملون كل الاهمال من طرف الادارة ، ويكفيك أننا نستورد الماء على بعد خمسة عشر كيلومترا ومع ذلك فالذي يهمنا أولا وقبل كل شيء اننا تحررنا من الاستعمار وأصبحنا نمارس حقوقنا

الشعبية في السيادة وسنصوت معك سواء انجحوك ام لم ينجحوك وسواء دافعت عنا أم لم تدافع عنا ، فنحن لنا فيك ثقة لماضيك وكفاءتك وانتسابك لآل البيت ، فلتكن عند هذا الثقة او لا تكون فالامر امرك وأمر ضميرك ، ويكفينا انك كنت من الاولين الذين دافعوا عن حريتنا واسترجاع استقلالنا .

الحقيقي ان هذا المشهد كان مؤثرا جدا لم اتمالك ازاءه من ذرف الدموع وقد بكى كل من حضر معنا .

فانصرفت من هذا المنزل النبيل وأنا اقول : يكفي أن اسمع هذه الجملة الرقيقة المؤثرة من هؤلاء الطيبين من اولاد علي الشباب . وسواء انجحوني (أي الادارة) ام لا . فانني سأحتفظ بذكرى هذه اللحظات الخالدة التي قضيتها بين هؤلاء الطيبين أبقاهم الله ذخرا للاسلام .

هذا وان الانسان ليمتلىء قلبه سرورا وغبطة ومرحا حينما يزور الرسلانيين من بني وريمش لما يلاقيه منهم من اللطافة واللباقة وحسن الضيافة والترحاب .

وبمختصر القول ، فان قسم بني وريمش على الجملة – ذكي ولطيف وكريم جدا .

فهنيئا لبني وريمش بهذه الاخلاق الفاضلة التي لم تنل منها تطورات الاحداث .

القسم الثاني : قسم بني عتيق

والقسم الثاني من قبيلة بني يزناسن هو قسم بني عتيق شرقي بني وريمش ويبتدىء جنوبا من بني موسى الساكنين بسفوح الجبال المواجهة لبسيط انكاد السفلى الى سيدي المخفي الى سهل السليمانية بتريفة شمالا.

وفي بني عتيق توجد قرية سيدي بوهرية ببني موسى وهي قرية صغيرة ذات متاجر قليلة وقد بنى فيها حديثا مسجد لاقامة صلاة الجمعة ، وقد القيت فيها درسا في تفسير قوله تعالى : **(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** اثناء حملة الانتخابات البرلمانية سنة 1963م . وتوجد قرية تافوغالت ، وهي الان عبارة عن ملحقة ادارية واقعة على مرتفع رائع وتنبع فيها مياه عذبة حلوة باردة ، وماؤها يشبه ماء افران وفيها منازل عديدة ومتاجر كافية ويعمر سوقها يوم الاربعاء من كل أسبوع .

ولجمال طقسها وهوائها العليل تغص في الصيف بمختلف المخيمات ، وللاسف الشديد أن هذه القرية تافوغالت التي احدثها الفرنسيون في اوائل

الاحتلال ، لم تنل اي اعتناء من طرف مصلحة السياحة فلا يوجد فيها أي نزل ، او أي مطعم ، فضلا عن وجود مباني لمصلحة السكنى والتعمير .

ولو اعتنى بهذه القرية من مصلحة السياحه لكانت تسابق اقران في جمالها واستقبال الرواد من السواح القريبين والبعيدين ولدرت خيرات كثيرة على تلك الناحية اجمالا ، ولم تكن قرية تافوغالت اسوا حظا فحسب من هذه الناحية السياحية ولكن وزارة الصحة لم تستغل هذا المناخ الطيب لانشاء مستشفي للامراض التي يصلح هذا المناخ والماء العذب والهواء العليل لمعالجتها .

وفي الوقت نفسه ، فان هذا المناخ الجميل يدعو مصلحة الشبيبة والرياضة الى استغلاله لفائدة تربية الشباب المهمل كل الاهمال في هذه الجهة .

وفي بني عتيق يقع جبل فوغال او المو (2) الذي ينبع الماء منه في كل جهة من بين الصخور وتحت ظلال الاشجار الوريفة .

وهذا الجبل ، جبل فوغال قريب من فرقة بني بويعلي من بني عتيق طبعا.
وهذه القرية من بني بويعلي سوف تبقى في ضيق العيش واهمال ابنائها ثقافة وصحة الى ان تتنبه مصالح السياحة والشبيبة والصحة للقيام بمشروع مشترك في جبل فوغال .

فلو ان هذه المصالح اعتنت بمناخ هذا الجبل لكان له مستقبل واي مستقبل على بني بويعلي اولا وشؤون السياحة والشبيبة والصحة ثانيا .

فالمناخ ، مناخ فوغال أجدر بكل عناية واحق بكل استفادة فموقع بني بويعلي الجبلي قد حرم سكانه من الاستفادة من عهد الاستقلال .

فهذه الفرقة في حاجة اكيدة الى الالتفات اليها اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا فهم بعيدون عن كل «مدينة» وحتى ذلك التافه من انتاجهم لا يستطيعون تصريفه في الاسواق البعيدة عنهم ، ولا يجدون اين يثقفون ابنائهم ، او يداوون مرضاهم ، فكانما يعيشون في جزيرة مقطوعة الاوصال واني اعتقد ان أحداث مستشفى كبير لمختلف الامراض ، ومساكن لمصلحة الشباب ، وفندق للسواح في جبل فوغال الجميل مما يساعد على تحرير بني بويعلي مما يقاسونه من ضيق العيش واهمال ابنائهم وصحتهم .

لان احداث هذه المرافق سيستلزم احداث اوراش للطرقات ، وتلك المرافق وهذه الاوراش ستنعش حالة بني بويعلي ويستفيدون منها استفادة

2) بفتح الالف المهموزة وسكون اللام وضم الميم مع واو غير متحركة : المو .

مهمة جدا ، كما ستستفيد الدولة من ارباح هذه المرافق وما ينشأ بعدها من مصالح .

واذا أهمل استغلال جبل فوغال فان بني بويعلي مئالهم الهجرة النهائية من مساكنهم الامر الذي سيكونون به عالة على مختلف المدن والقرى من جهة ، والذي سيحرم الدولة من مواهبهم في الاستفادة من هذا المناخ الجميل ثانية .

وشأنهم في ذلك هو شأن بني عامر واولاد علي بن ياسين المجاورين لنافوغالت . فالاعتناء من تلك المصالح أيضا بقرية تافوغالت سيرفع من مستوى حياة بني عامر واولاد علي بن ياسين الذين يقاسون ءالام العيش في تلك الاراضي الجبلية الوعرة .

وفي قسم بني عتيق مدينة ابركان التي احدثها الفرنسيون ايضا فور أحتلالهم للمغرب ـ كما سلف القول ـ

ومدينة أبركان ذات مركز مستقل ويسكنها قرابة ثلاثين الفا من مختلف أقسام قبيلة بني يزناسن الان .

ويظهر أنه آن الوقت ليتحول مركزها المستقل الى بلدية ، ومدينة ابركان جميلة بضواحيها الفيحاء المزدانة بالحدائق المختلفة الاشجار ، وهي في حاجة أكيدة الى تنسيق بناياتها المتطورة باستمرار وشوارعها المهملة باستمرار .

والعلاج الاول لها ان يتحول مركزها الى بلدية فيتعاون باشاها ومجلس بلديتها للرفع من قيمة هذه المدينة الجميلة .

فبقاؤها مركزا مستقلا يستلزم بقاء قائد عليها وعلى ضواحيها من القرى والمداشير .

اذ أن قيادة ابركان الان قد تزيد على سبعين الفا من السكان ، فالحاجة الملحة تستدعي فصل مدينة ابركان عن القيادة وتعيين باشا لهذه المدينة ، حتى تتجه الجهود وتنحصر في اصلاحها اصلاحا يلائم قيمتها بصفتها مركز دائرة بني يزناسن ذات الاهمية الكبرى وفي بني عتيق توجد العائلة الكبرى التي كان لها شأن واي شأن في حكم بني يزناسن ، وهي عائلة اولاد الهيبل .

فلقد كان منها اربعةعشر قائدا ، وابرزهم في الماضي القائد بولنوار وابرزهم في العهد الحديث السيد البكاي الذي كان قائدا ببني ادرار حوالي 1941 ، ثم عين باشا لمدينة صفرو ـ ثم رئيسا للحكومة الاولى والثانية في أول اعلان الاستقلال ، ثم وزيرا للداخلية الى أن توفي وهو وزير الداخلية ودفن بابركان بمقبرة كدية مولاي الطيب .

وفي بني عتيق يوجد الشرفاء الادريسيون : الحافيون ، والسغروشنيون وأولاد مولاي احمد بن العياشي ، والورطاسيون (3) ، وآل تيزي ازمور والصبانيون ، ولكل هؤلاء الشرفاء مواسم نقية طاهرة في كل سنة .

ويمتاز بنو عتيق – على الاجمال بحدة الطبع وسرعة الغضب والتصلب لنظرياتهم ومن ناحية الكرم فهم كغيرهم من بني يزناسن لا يقفون عند حد معلوم وعلي الاخص منهم شرفاء اولاد مولاي احمد ، والشرفاء الحافيون وعائلة اولاد الهيبل فيما يخص الكرم الحاتمي .

ويجمع اولاد الهيبل الى خصلة الكرم خصلة البطولة التي لا تقف عند حد غير أن بطولتهم تحتاج الى خبرة دقيقة لاستغلالها للصالح العام .

وقسم بني عتيق المجاور لسهول تريفة ارقى مستوى من الناحية الاقتصادية والناحية الاجتماعية من القسم المتغلغل في شعاف الجبال والموالي لبسيط انكاد .

لان الطبيعة قد منحت ذلك القسم من خيراتها ما لم تمنحه لهذا القسم .

فهنا العيون المتدفقة العذبة والحدائق ذات الفواكه المختلفة الطعم والمناظر الطبيعية الاخاذة .

الى جانب ذلك فان قربهم من مدينة ابركان سهل لهم تنويع موارد العيش ، وكلما تطورت اساليب العيش في بني يزناسن الا وكان الساكنون بابركان والمجاورون لها اسرع تطورا وأكثر استفادة .

لا يعلم احد لماذا اطلق على هذا القسم بنو عتيق . (4)

أما لهجتهم فكلهجة بني وريمش الشلحة ، وتستعمل في جميع مرافق الحياة الا اذا دعت الضرورة للتحدث بالعربية الدارجة وحينئذ يستعملون الدارجة ، ومعظمهم يتحدثون بها في بطيء وثقل .

وان اقدر البطون على التحدث باللغة العربية الدارجة في بني عتيق لهم شرفاء أولاد مولاي اجمد بن العياشي .

---

3) ومن علماء ورطاس الفقيه القاضي السيد محمد بن الطيب وولده السيد محمد والسيد محمد بن عبد الله والسيد عبد السلام العمراوي وكلهم احياء الان ، ومن علماء اولاد مولاي احمد المغفور له السيد مولاي الطيب القاضي ، ومن علماء الحافيين المرحوم السيد محمد ابن عبد الله القاضي ولهؤلاء الشرفاء خدمة للعلم والعمل به وقد تعرفت على احكام بعض قضاتهم القدامى فرأيت من واسع الاطلاع على الفروع والاصول وقواعد اللغة العربية ما كان بحق موضع اعجاب واكبار . ومن شخصياتهم صديقي السيد محمد ابن عبد الله رئيس الديوان بعمالة تطوان وغيره من ذوي الذكاء والمرح والنكتة الحلوة .

4) عثرت بعد تحريره على ان عتيق اسم لشريف من بني ادريس كان ذا شخصية مهمة فنسبو اليه ، كما نسب بنو يزناسن الى ابركان وان لم يكونوا من بينه صلبا ، والله اعلم.

فهؤلاء الشرفاء من اقدر بني عتيق على التحدث بالعربية ، وارقاهم من الناحية الاجتماعية .

وقد اكرمهم الله بماء عين بوربح المتدفقة باستمرار فانشأوا لهم حدائق غناء من البرتقال ومختلف الاشجار علي ضفاف وادي زكزل ، ذي الجمال الساحر الاخاذ . فلطفت طبائعهم كما لطف واديهم .

فشرفاء اولاد مولاي أحمد حسان الوجوه انيقو الملابس ، رقيقو العيش كريمو الموائد .

وقد كان زوارهم قديما لا يصدقون انه يوجد من سكان الجبال من هم على هذا المستوى المعنوي اللطيف ، والمظهر المادي الانيق . وفي وادي زكزل هذا قلت يوم كنت مبعدا بقلعة مكونة بأقليم ورزازات في عهد ابعاد محمد الخامس هذه الابيات الاتية :

أين واد بزكزل في انسكاب : مستمر مروض في شعاب (5)
راضعا من اثداءعين كعاب : حضن سفح مفياظل غاب
افعوان مجرف كل صخرة
كلما جن من دعابة مطرة
وهو صب مــعــفر كل فترة
راحما روضة تغازل صدره
حينما يبسط الظلام جناحه : ويواري عن العيون صباحه
ثم تغدو الزهور تكسو صفاحه : وسناء النجوم يغلي وشاحه
هات لي من لجين خمره جرعة
تخب من قلبي المعذب لوعة
اضرمتها بين الجوانح «قلعة»
كان فيها الى المكارم جوعة

---

5) واد زكزل واد جميل قد غرست حدائق البرتقال على ضفتيه وبنيت المنازل بين هذه الحدائق الغناء وتخترقه طريق معبدة تصل بين ابركان وتافوغالت تتهادى السيارة فيها بين منعرجات تهادى الظباء بين الواحات . طورا تتسلق عقبة ، وآخر تقطع جسرا وثالثا بين قرية لطيفة . ورابعا تحت ظلال وريفة .

يقطع الانسان هذه الطريق وهو يستنشق روائح مختلف الازهار ، ويطرب من تراتيل مختلف الطيور الشادية على اغصان البرتقال .

ويزيد الوادي بهجة وروعة في الليالي المقمرة بانسكاب خيوط القمر الفضية على الازهار وتراجيع خرير الماء ونقيق الضفادع ، والانسان لا يملك نفسه في الليالي المقمرة الا ان يوقف سيارته للتملي من هذا الجمال الطبيعي الفنان .

وبجنوب ابركان تقع بحيرة «ولوت» (6) بفتح الواو وتشديد اللام وسكون التاء» المحاطة بالحدائق الغناء تبعد عن ابركان بثلاث كيلو مترات .

والتي قلت فيها من نفس القصيدة المأوية الابيات التالية :

أين ولوت من مسارح طرفي : وهي خرسى كم من معالم تخفى
ماؤها العذب طلسم السحر يشفي : ذاك سر ما خط فيه بحرف
وشجير الصفصاف يرسل ظله
مثل صب يذري الدموع مدلة
وهو عاد يمتص بالرغم قبلة
غير مبد لحوبه المرعلة !

وبحيرة «ولوت» هذه من ابدع البحيرات الصغيرات تسقى حدائق غناء من البرتقال على مرتفع يكون شبه بحيرة كبيرة

وفي هذه الحدائق ونظائرها المحيطة بابركان احاطة السوار بالمعصم قلت ايضا :

أين بركان من مجال خيالي : أين مني مرابع بالتلال
أين مني خمائل البرتقال : أين تلك الزهور مثل اللئال
طالما الهمت خيالي شعرا
وافاضت على المشاعر عطرا
وأحالت مدامع السر سكري
هل حمام يزف لي اليوم بشرى ؟
أين مني زلالها بمجار : عازفات على القلوب جوار
راقصات على الضفاف عوار : طامحات الى اللقاء حرار
وغصين التفاح ينثر زهرة
فوق سطح الزلال يقتل خمره
مثل نقل ملطف منه جمره
وهو طاف عليه يمرح عبره .
أين مني حدائق في رباها : مائدات الغصون عطر جناها
غنجات تناجي صبا سباها : او ظباء من صائديها علاهي

---

6) عين ولوت ، عبارة عن بحيرة صغيرة ومن مائها تتغذى الحدائق الجميلة . وبجوارها قرية تيزي يخلف . التي يسكنها السادة «لفوارط» ذوو الوطنية التي لا تزعزعها الاحداث والاطماع . وبمقربة منهم توجد قبة الولي السيد عبد المومن جد آل ورطاس . وفي عهد الكفاح المسلح الجزائري كان جيش التحرير الجزائري يحتل منزلا واسعا هناك ، وغربي هذه البحيرة توجد قرية تزغين التي يسكنها السادة التغاسروتيون التي ترجع اليها عائلة السادة : اولاد الهبيل . وكم كان لسكان تزغين من نشاط وطني عظيم .

وطيور من فوقها تنعلى
وهي نشوى بذي الزهور تملى
تخذتها لدى العشى مصلى
ترسل الشدو مكرما يتقلى

فالحقيقة أن بني عتيق المصاقيين لسهول تريفة قد حبتهم الطبيعة بخيراتها وجمالها فاضافوا اليها مواهبهم الخلاقة فازدوج السحر فيها سحر الطبيعة ، وسحر المواهب فكان هذا القسم الشمالي من بني عتيق جبلا وسهلا آية في الجمال وفي سحر الجمال وذلك فضل الله يوتيه من يشاء.

القسم الثالث : قسم بني منقوش

ويمتد هذا القسم جنوبا من اراضي الابصارة الواقعة على حدود قبيلة الامهاية (7) الشمالية وينتهي شمالا الى حدود اراضي عرب سهل تريفة وبقبيلة الاعثامنة .

ولا تقع في اراضيهم أية مدينة . فمدينة ابركان كما قلت سابقا واقعة في اراضي بني عتيق .

أما قرية عين الصفاء (8) فهي عبارة عن سوق اسبوعي ذات متاجر دائمة قليلة .

وكما هو الشأن في بني عتيق ، فان بني منقوش المواجهين لسهول تريفة ينعمون بمعطيات الطبيعة الساحرة الى جانب ما استفادوه من خيرات الارض المتدفقة بماء العيون في كل جهة .

وان معظم جناتهم وحدائقهم الغناء تتلالا زهورها في الجبال فوق الربى وبطون الاودية أو تتخلل قراهم ذات الصنع الانيق. وأول قرية من قراهم المجاورة لبني عتيق قرية اجدير الساحرة (9) من بني وكلان ، «بفتح الواو وتسكين الكاف» .

---

7) الامهيا جدهم يقال له : امهايا . ومستوطنهم الاول المغرب الاوسط قرب قلعة بني حماد ، وهم الان ببسيط أنكاد وجنوب وجدة . ويرجعون الى اولاد الزبير بن امهايا من بطون عياض العربية . «كتاب العبر لابن خلدون ج 6 صحيفة 34» .

8) كانت عين الصفا بمثابة «دار الندوة» لبني يزناسن فيها كانت تتخذ القرارات التي يلتزم بنو يزناسن بتنفيذها مهما كان الامر . وخصوصا منذ عهد الاسلام ، وعلى الاخص يوم ان اصبحت تلمسان تستقل مرة عن المغرب الاقصى وتنضم اليه مرة أخرى .

9) وفي اجدير توجد قبة سيدي علي البكاي جد البكاويين . والبكاويون من بني وكيل الادارسة نسبة الى سيدي «علي البكاي» لتقواه ، وهو ابن اخي السيد رابح .

فهذه القرية الجميلة قد جمعت الى سحر طبيعتها وعذب ماء عيونها المتدفقة من شقوق الجبال وصخورها ، جمعت الى هذا السحر الطبيعي سحر المواهب الخلابة التي احالت الاودية والربى الى حدائق غناء .

وتقع كذلك فيها قرى اولاد بنيعقوب وأكدال ، وكدفان ، وكلها تتجارى في السحر والجمال . وفي ذلك قلت :

أين كدفان أين وادي الزهور : أين وكلان اين نبل الشعور
موطن العز والاباة النسور : أين مني عنادل في الوكور
كلما هاجت بالاريج صباحا
أو هجيرا ، او بكرة او رواحا
غمرت افقه المدار صداحا
فتحيل النفوس رغما فراحى

وفي بني منقوش تجثم ايضا قرى وادي الشريك ، هذه القرى الجميلة والمغمورة في نفس الوقت بالحدائق المتزاحمة .

وفي قرى وادي الشريك قلت :

أين واد الشريك اين رواه : ملهم الشعر والفنون ذاره
مشرفات علىالسهول قراه : أي زور جفاه حين رءاه
قف تلفت الى خمائل «طرشة»
وحمام يزين بالزهر عشه
وحسان الطيور تخدم عرشه
يغسل الانس عن فؤادك وحشه

وفي سهل بني منقوش تقع قصبة عين الركادة التي أعاد بناءها المولى اسماعيل العلوي ، (10) ومن عجيب عين الركادة ان ماءها تارة يغور ، وتارة يفور وقد ينزل المطر وهي غاضبة ، وقد تشتد الحرارة فتتدفق تدفقا عجيبا. وفيها قلت :

أين مني ركادة في غيابي : وطلول دوارس من حقاب
ومياه دفاقة من خوابى : تلك عين تثير — دوما — عجابي
ان تراضت طمت في غير ملال
أو اشاحت تمردت في دلال

---

10) وذلك في عام 1090 هجرية . وفي نفس التاريخ كانت قصبات بوغربية والسعيدية وتاوريرت والعيون . وكان العامل على اقليم وجدة أبو البقاء العياشي الزراري .

وفي نفس هذا التاريخ نفي المولى اسماعيل من الحوز الى وجدة عرب زرارة والشبانات قوم كروم الحاج لما كانوا عليه من الظلم والفساد في الحوز . الإستقصاء . ج 7 ص 61 . ولم يبق من هذه القصبات الا الاطلال .

كعشيق مدلل لا يبالـــي
اسلا الحب ام غدا غير سال
حينما تومض المروج وهيجا : وتعج النفوس منها عجيجا
وترود الرعاة ظلا بهيجا : ويعاني السقاة امرا مريجا
مل اليها تر العصير الحالا
وظباء قد احتركن جمالا
عزة النفس اكسبتها جمالا
سوف نبقى مدى الحياة مثالا

لمـاذا سمـوا بنـي منقـوش

ان هذا الاسم : او هذه النسبة تدل على ان بني منقوش ليسوا من قبيلة ازناتة . اذ ان منقوش هـذا من اعـلـى الـجـدود الصنهاجيـيـن ، ومـن اعظـم قوادهـم بلكيـن المنقوشـي ومـن المعلـوم تاريخيـا ان صنهاجـة المنقوشييـن كانـوا يعيشـون في صحـراء سجلماسـة وقد تغلبوا على المغرب الاوسط ، وكان بينهم وبين امراء زناتة حروب ذكرها ابن خلدون في كتابه العبر بكثير من التفاصيل . فاذا كان بنو منقوش يرجعون حقا الى هذا الجد الاعلى لصنهاجة المنقوشيين ، فانهم ليسوا من ازناتة في شيء (II) .

والرأي ـ عندي ـ اما أن تكون هذه الجهة التي يسكنونها كانت موطنا لبني منقوش اثناء حروبهم مع امراء زناتة ثم رحلوا عنها او طردوا منها واسترجعتها ازنانة فبقيت هذه الجهة محتفظة بإسم بني منقوش .

وأما ان يكون بنو منقوش الحقيقيون قلة ، والاغلبية اما من ازناتة او غيرها .

ومن الدلائل المستانس بها في هذا الموضوع ان هذه الجهة تدعى بجبل بنـي منقوش ..

وهذا الاطلاق قد يفيد ان سكانها من بني منقوش ، وقد يفيد ان سكانها القدماء كانوا من بني منقوش .

وعلى أي الفروض ، فان هذه الجهة المنقوشية لا يسكنها فقط بنو يزناسن وازناتة وبنو منقوش ، بل هناك بطون في هذه الجهة لا يمكن ان ترجع ولا لاحدى القبائل الثلاثة .

فبطن بنـي مريصن يتحدثون بالعربية فقط ، وكذلك بعض العائلات من قبيلة الابصارة ، لا يعرفون الشلحة اليزناسنية اصلا .

---

11) وقد سبق لي ان حققت ذلك ازاء فصل : اصل بني يزناسن فتذكر

وفي لهجتهم «قلقلة العرب» لارطانة للشلحة فيها . فهؤلاء ـ قطعا ـ وأمثالهم كثيرون من بطون قسم بني منقوش ليسوا لا من بني منقوش الصنهاجيين ، ولا من ازناتة ولا من اليزناسنيين .

اذن : فاما ان تكون هذه التسمية تسمية استصحاب : أي اعتبارا بعهد تغلب بني منقوش علي هذه الجهة اثناء حروبهم مع ازناتة فبقيت هذه التسمية مسترسلة .

واما أن هذه القسم فيه بنو منقوش وازناتة وبنو يزناسن وغيرهم من البطون العربية فاطلق اسم بني منقوش عن طريق التغليب .

وبهذه المناسبة يمكننا ان نؤكد ـ بهذه الفروض والادلة ان جميع أقسام بني يزناسن لا يسكنها بنو زيناسن اصلا فقط .

وانما كان هذا الاطلاق باعتبار أن السكان الاولين هم بنو يزناسن كما هو الشأن في مجموع القبائل التي يتألف منها الشعب المغربي ، فليس هناك اقليم او دائرة او مدينة يسكنها اهلها الاصليون فقط .

فعناصر الامة التاريخية والدينية والمصالح المشتركة قد وحدت بين القبائل والمدن واحتفظت كل قبيلة باسم خاص باعتبار الاصل ، او التغليب، او بعامل تطور الاسماء للمدن والقبائل .

البيوتات

ومن بيوتات بني منقوش البارزة : «الاكرارجة» من بطن اصلانن «بفتح الصاد وتشديد اللام وفتح النون الاولى وتسكين الثانية» .

فمن عائلة «الاكرارجة» كانت طائفة من قواد بني منقوش . وثانية البيوتات : بيت اولاد أشن «بضم الالف وتشديد الشين» واشن في الشلحة معناه الذئب .

ولعل هذا اللقب الذي اطلق على هذه العائلة اريد به الذكاء الذي كان يتصف به كبراؤهم وقوادهم .

فنحن ـ في بني يزناسن نلقب الانسان بالذئب لكثرة حيله . وهذا البيت من قبيلة الابصارة ، وكان فيه قواد كبار قبل الاحتلال الاجنبي .

ميزتهم

وبنو منقوش على جهة الاجمال ـ انيقو الملبس رقيقو العيش . لطيفون مهذبون ، صبورون على نيل حقوقهم . واسعو الافق والصدور ، متسامحون ، لا يحقدون ، منبسطو الوجوه لا تفارقهم الابتسامة المشرقة ، جوادون .

وفي احدى قراهم : اجداين نبغ ابطال في الحروب ، اعرف منهم المرحوم السيد وعلي «بسكون العين» الذي عمر طويلا ، ومنهم القائد البشير اليجدايني الذي كان احد أبطال بني منقوش .

أما كرمهم فحدث عن البحر ولا حرج . بالاضافة الى الذكاء المتقد وسرعة البديهة . فالمنقوشي اذا لم تبادر باخذه اخذك بلطفه ولباقته .

شـــــر فـــــا ؤ هـــــم

أما شرفاء بني منقوش الادريسيون الذين يسكنون في هذا القسم الثالث من قبيلة بني يزناسن ، فهم اولاد سيدي علي البكاى ، وأولاد بنيعقوب ، وآل وكوت ، ولحسينيون والرمضانيون والوليون في ناحية عين الصفاء . واولاد الطاهر كذلك . اي كلاهما في ناحية عين الصفا .

وقد اشتهر منهم في القضاء : اولاد بنيعقوب (12) وهم كثر ، واولاد سيدي رمضان وهم قل .

وشرفاء بني منقوش كذلك يقيمون مواسم ازاء قباب اجدادهم على ما هو معروف في شرفاء بني وريمش وبني عتيق .

واذا كان بنو منقوش ايضا يتحدثون «الشلحة» فان العربية تحتل مكانا واسعا فيهم .

فمن بطون بني منقوش ، او على الاصح ، فمن البطون الذين يسكنون بقسم بني منقوش من لا يعرف الشلحة اصلا (13) ولا يتحدثون الا بالعربية اما الذين يستعملون منهم الشلحة فانهم كذلك يتحدثون العربية الدارجة طبعا .

أما فيما يخص لهجة الشرفاء منهم . فان اولاد بنيعقوب ، والرمضانيين يستعملون خصوصا العربية فيما بينهم ، ولا يتحدثون بالشلحة الابثقل ولضرورة ملحة ، على عكس شرفاء بني وريمش وبني عتيق فانهم كلهم يتحدثون ، «رسميا» بالشلحة عدا الشرفاء الاحمديين من بني عتيق الذين يستعملون العربية «رسميا» ولا يتحدثون الشلحة الا لضرورة مع الغير .

---

12) ان اولاد بنيعقوب هم اخوالي واخوال ابي . فوالدتي حلومة «بتشديد اللام» بنت السيد علي القاضي بن السيد بنعبد الله القاضي . بن السيد المختار القاضي بن الحاج علي ابن محمد بن يعقوب صاحب القبة الملاصقة لمسجد الخميس وجدتي لاب حليمة ابنت بنعبد الله المذكور ، ولاولاد بنيعقوب شهرة معروفة في القضاء منذ القدم . وهم يحتفظون باربعة عشر ظهيرا للتوقير من مختلف ملوك المغرب .

ومن احفاد جدي لام السيد علي المذكور ، الدكاترة الاخوة الثلاثة : احمد - محمد . بنعبد الله ابناء الخال لاب ، السيد ج محمد بن علي جد اولادي لامهم ، فزوجتي بنت الحاج محمد المذكور .

13) وذلك في قبيلة بني خلوف «بفتح الخاء وتشديد اللام» وتقدر عائلات بني خلوف بعين الصفا بالف وخمسمائة عائلة . ثلثاها يتكلم العربية فقط .

وقد اشتهر بنو خلوف بمستوى ملحوظ في الرقي الاجتماعي . وقد حاز قصب السبق في ذلك اولاد منصر «بفتح الميم وسكون النون» وبنو مريصن . واولاد جابر . واولاد بنعزة .

القسم الرابع :

هو قسم بني خالد على حدود غرب القطر الجزائري

وتمتد اراضيه من اولاد الزعيم ، وعلى 17 كيلو مترات من وجدة جنوبا الى حدود المحل المسمى «بالضريوة» بتشديد الضاد ، واراضي غرب تريفة شمالا .

وفي هذا القسم تقع مدينة احفير التي يبلغ سكانها قرابة خمسة عشر الفا . كما تقع قرية بني ادرار «بسكون الدال» بالموضع المسمى «بالديوانة».

اما احفير فله مركز مستقل ، واما «الديوانة» فذات جماعة قروية وهذا القسم ينقسم الى قسمين ، فالسكان الواقعون منه في بسيط انكاد الشرقي او ما بين «الكربوص» ونصب 17 كيلو مترات على وجدة ، يتحدث معظمه بالعربية فقط . واقليته تتحدث بالشلحة .

وهذا القسم يعتمد في عيشه على الفلاحة ، وفي شربه على ماء الابار ، ولذلك فهو عبارة عن صحراء تقريبا باستثناء شجر اللوز والزيتون المغروسة على تلال الجبل باراضي اولاد الزعيم ، ومن اجل حرمان هذا الجزء من بني خالد من ماء العيون فلا حدائق ولا بساتين ، فاهله في ضيق من العيش كلما تخلف المطر ، والمطر في بني يزناسن كالذهب الاسود .

وسوف يظل هذا القسم من بني خالد منحطا فى مستوى العيش حتى يبحث له عن علاج هذه الحالة .

والعلاج عندي يكون بامرين اثنين مزدوجين .

اولا ان يبني لهم سد على وادي صفرو الذي يغمر سهولهم ويعقب ضحايا في المنازل والاموال والارواح حالما ينزل المطر غزيرا ، وان المحل المسمى «بماجن بختة» لهو صالح لهذا السد .

وكيفما كانت اهلية هذا السد فانها غير كافية لقلة نزول المطر من جهة ، ولكونه سيكون سدا صغيرا بطبيعة الحال ، لا يكفي لسقي جميع سهول هذا القسم .

ولذلك يتحتم حفر الابار العميقة ونصب آلات اخراج الماء الكبيرة وبغير هذين العلاجين سيبقى هذا القسم فقيرا الى ابعد حدود الفقر .

وهناك علاج آخر له اهميته ، فقرية الديوانة ذات الجماعة القروية يجب ان تحول الى مركز مستقل وان كانت مواردها غير كافية لهذا التحويل، ونظرا الى انها قريبة من الحدود الجزائرية فيجب على الحكومة مساعدتها بقدر مهم من المال لتتمكن من توسيع نشاطها ، فمن المعروف — دوليا — ان القرى المجاورة للحدود تعتني الحكومات بها اعتناء خاصا لانها وجه البلاد،

ومن الضروري ان يكون هذا الوجه مشرقا ، ولا يتأتي هذا الاشراق والحالة على ما وصفنا من سوء الحال .

ولا ينبغي ان يقتصر على تحويل هذه الجماعة القروية الى مركز مستقل تساعده الدولة فقط ولكن يجب انشاء قرية نموذجية باولاد الطاهر والعرعارة ، المجاورين مباشرة للحدود الجزائرية فاولاد الطاهر والعرعارة أحوج ما يكون الى انشاء قرية نموذجية لتطوير حالتهم تطويرا يلائم عهد الاستقلال من جهة ، ولانهم ايضا جزء مهم من وجه البلاد ، ولانهم ـ كما سيأتي ـ أول المقاومين وأول الضحايا في عهد الاحتلال الفرنسي ، والمقاومين الاشداء في عهد الثورة المسلحة 20 غشت 1953 ولانهم كانوا من الملاجيء الرئيسية لجيش التحرير الجزائري وقد صب عليهم الجيش الفرنسي من الرصاص والقنابل ما ادوا ثمنه غاليا .

ومن العار ، واي عار على الدولة ان لا تلتفت الى هذه الجهة فترفع من مستوى حياتها . على ان الامر لا يقتصر عل هذا النوع من المساعدة فقط ، فالضرورة تستدعي مشروعا كبيرا تتوحد فيه جهود جميع الوزارات لانشاء هذه القرية النموذجية متوفرة على مختلف المرافق الحيوية .

وعندي ان هذه القرية النموذجية المقترح انشاؤها باولاد الطاهر والعرعارة تفوق في الاهمية قرية «الديوانة» ببني ادرار ، وعلى اي حال ، فهذه مجرد اقتراحات والمحقق ان هذا القسم من بني خالد المسمى بني ادرار في حاجة أكيدة الى مساعدات ذات مفعول قوي للرفع من مستويات حياته .

وسوف يعيش في ضيق الى ان يتحقق اصلاح جذري ان شاء الله .

أما القسم الثاني من بني خالد فيمتد من ربوة «الكربوص» الى حدود اراضي عرب تريفة .

وهذا القسم يتمتع كثيرا من جمال الطبيعة ومعطياتها ، فالحدائق والحقول الخضراء منبثقة في معظمه فاينما وليت وجهك تجد العيون الصخرية تتدفق بالماء الزلال وخصوصا في قرى أغبال .

ولكن في هذا القسم أيضا قرى تقاسي من ضيق العيش ما لا يصدقه العقل في عهد الاستقلال ومن ذلك قرى بني بوعمالة .

كما أن قرى حبان « بتشديد الباء » وتينسان « بكسر النون » تقاسي من ويلات الحياة ما الله به عليم . على ان حبان عتيقية اضيفت اداريا الى بني خالد .

اذكر انني حينما أسندت الى وزارة الداخلية القيادة العليا ببني يزناسن بتاريخ 12 شتنبر 1956 ، كان موظفو مصلحة الغابة يرالون رفع شكاويهم الى من سكان تنسان من كثرة اضرارهم بالغابة المجاورة لهم ، وان كل اجراء لم يجد فيهم ،، ففضلت أن أقوم بجولة هناك .

وحينما بينت لهم في جمع كبير عواقب الاضرار بالغابة وضربت ايضا على الوتر الوطني الحساس أجابوني بانهم مقتنعون بكل ما قلت لهم ، ولكن من أين يعيشون ؟ ثم اخذوا يصفون لي حالتهم التي اسالت دموعي .

ومع ذلك فقد قلت لهم ـ عاطفيا ـ يجب أن تقدروا عواقب الاضرار بالغابة ولم تكن ظروفي ولا ظروف الحكومة تساعد يومئذ على التفكير في دراسة اي مشروع ولو بسيط لفائدة هذه القرى البئيسة ، اذ انني حينما توليت هذا المنصب وجدت ادارات القيادات الاربع وجميع فروع الوزارات هناك يسير شؤونها الفرنسيون فكنت اصرف جهودي لتعويضهم بمغاربة .

يضاف الى هذه الجهود ، الجهود التي كنت ابذلها بمساعدة القواد والاعوان لفائدة استقرار الامن ، حيث كانت طوائف مهمة من جيش التحرير المغربي والفداء تحتفظ باسلحة مهمة كما كان الشان في جميع أقاليم البلاد علي الرغم من النداءات الحكومية المتكررة .

واشق من هذا وذاك ، وجود جيش التحرير الجزائري بجميع جهات دائرة ابركان الى جانب وجود ثلاثة آلاف من الجيش الفرنسي علي رأسه الكورونيل بنيشو . فحوادث الحدود المتوالية واحداث الجزائريين فيما بينهم من جهة ، وفيما بينهم وبين السكان ورجال السلطة من جهة اخرى ، حصرت جهودي في العمل على المحافظة على أمن الدائرة واستقرارها ، وكل ما استطعت ان أقوم به لصالح سكان قرية تينسان ، ان أصدر الامر للقائد لمساعدتهم بمواد التعاون الوطني بصفة خاصة ففعل .

وان كانوا ـ شكر الله لهم وطنيتهم الصادقة ـ قد واعدوني بان يبذلوا جهودا مشتركة للتعاون مع موظفي مصلحة الغابة حتى يكف الناس عن الاضرار بها حتى وان لم اوف بالتزامي باعانتهم ولكنني وفيت ووفوا ،ولهم مني الآن صادق الشكر .

على ان ما وصفت به حالة سكان تينسان ـ من سوء الحال ـ لا يبلغ بعض ما قاساه ـ ولا يزال يقاسيه ـ سكان قريتي حبان ، واولاد الرامي (13م)

فبؤس هؤلاء يفوق حد الوصف ، فهم يعيشون في شعاب الاودية وقنن الجبال لا يضفرون ببلغة من العيش الا بشق الانفس .

وقد كانوا فيما قبل عهد الاستقلال يتوجهون الى القطر الجزائري للشغل، أو الى فرنسا ، وفي عهد الكفاح الجزائري سدت عليهم جميع الابواب وضاقت بهم مسالك العيش فقاسوا ـ ولا يزالون يقاسون من مختلف الآلام ما تنفطر منه الاكباد وتتصدع له القلوب .

---

13 م هذه القرى تعد من بني عتيق تبليا ومن بني خالد اداريا .

ان سكان اولاد الرامي وحبان لا زرع لهم ولا ضرع ، وانما هم يعيشون تقريبا عيشة الكهوف ، فهؤلاء لا عيشة لهم الا أن يستنزلوا من تلك الجبال وتعطى لهم اراضي لاستغلالها .

وكذلك الشان في معظم اهل تينسان وما شابههم من سكان القرى الاخرى التي يخيم عليها ظلام البؤس والشقاء .

أما سكان تلال الجبال باغبال « بتسكين الغين » فيجب العمل على اقامة سدود صغيرة هناك ليتجمع فيها ماء سيول الامطار لاستصلاح حالتهم والرفع من مستوى حياتهم على الرغم من وجود حدائق لهم ، ولكنها لا تكفي لحاجيات تطورات الحياة .

وهذا القسم من بني خالد الواقع من « الكربوص » فاسفل في اتجاه مدينة أحفير يستعمل الشلحة « رسميا » ويتحدث بالعربية ، وأقلية منه تستعمل اللغة العربية .

وقد سبق لي تقريبا ان قلت أن قسم ما وراء « الكربوص » جنوبا يتحدث بالعربية ومعظم هذا القسم عرب . ويكفي أن تجد من بينه عرب السقاينة المشهورين بعروبتهم .

آل البيت :

وفي قسم بني خالد باجمعهم يوجد شرفاء أولاد سيدي عبد الله بن عزة نسبة الى أمه عزة » واولاد سيدي المختار بوتشيش القادريون « نسبة الى المولى عبد القادر الجيلالي » ، وهناك اولاد ابن العالم — وهؤلاء أقل شهرة بهذا النسب .

غير ان المغفور له السيد محمد « فتحا » ابن العالم كان يردف امضاءه « بالحسنى » حينما كان متوليا خطة القضاء بابركان (14) .

وقد اشتهر اولاد ابن العالم بالذكاء والنبقة وتولى خطط العدالة والقضاء واقبالهم على العلم .

---

14 من بيت اولاد بن العالم : الفقيه القاضي السيد محمد فتحا بن العالم . درس في مازونة الفقه ثم درس بقية العلوم على الفقيه السيد العربي السنوسي . وكان آية في الذكاء ، مارس خطة العدالة بالعيون ثم القضاء فيها . وفي سنة 1930 تولى قضاء ابركان ، وهو اول من عمل على بناء المسجد الجامع . واول من احتفل رسميا بعيد المولد في ابركان ثم نقل الى وجدة كقاضي القضاة ثم الى الاستيناف الشرعي بالرباط . ثم كان اول عامل على وجدة عقب الاستقلال وتوفي في حادثة سيارة ودفن بالرباط وقد كان اخوه قاضي احفير الفقيه السيد المنور عالما ، كما كان ابن عمته القاضي السيد المامون عالما ، وبطبيعة الحال انني أعرف ابنه السيد محمد الذي كان عاملا على اقليم الحسيمة 60 ، 61 ، 62 ، 19 م ثم عاملا بالداخلية ونائب كاتب الدولة بالداخلية .

كما يتقبل اولاد بوتشيش القادريون كذلك على العلم .

أما اولاد سيدي عبد الله بن عزة فقد اشتهروا كذلك بالذكاء وعرفوا أكثر بزاويتهم التي كان من اشهر رجالها الحاج محمد الهبري الكبير .

ميزتهم

وسكان قسم بني خالد ، على الاجمال معروفون بالذكاء والكرم ، وقد نبغ فيهم ابطال في الحروب فيما قبل الاحتلال الاجنبي للبلاد . ومن اعظمهم شهرة السيد محمد المجدوب العزاوي وذلك بقطع النظر عن كيفية استعمال تلك البطولة .

غير أن قساوة طبيعة مواقع مساكنهم جعلتهم أقل ثراء من باقي اقسام بني يزناسن الثلاثة . وان كانت الطبيعة لم تجافهم مجافة كلية . ولكن قلتهم في الثراء لم تقعد بهم عن مجاراة اساليب الحياة المتطورة .

عرب تريفة

ان عرب تريفة لا يطلق عليهم بنو يزناسن . والتحدث عنهم هنا من باب اتمام الحديث عن سكان دائرة ابركان .

لان عرب تريفة ، من الناحية الادارية ، يدخلون في حساب دائرة ابركان ، او دائرة بني يزناسن ، وأهم بطون هذه القبائل : الاعثامنة واولاد الصغير ، واولاد منصور ، وهوارة .

وتبتديء أراضيهم جنوبا على حدود أراضي بني خالد ، وبني منقوش وبنى عتيق وتنتهى بحدود البحر الابيض المتوسط لمصب ملوية .

وان ورود اسم : هوارة ، من بين هذه الاسماء العربية لمن شانه ان يلفت الانظار .

فهؤلاء المواطنون الذين نطلق عليهم اسم هوارة — هم عرب ولا يوجد من بين اسماء البطون العربية الت التحقت بالمغرب اسم هوارة . اذ ان هذا الامم يطلق في التاريخ القديم على احدى القبائل البربرية . وهو معروف مشهور لا يحتاج الى اقامة الادلة .

ويكفي أن يطلقه ابن خلدون على احدى القبائل البربرية العظيمة .

وغير معقول — أصلا — أن يكون هؤلاء العرب من اصل هوارة البربرية ثم تعربوا من بعد .

فالقوم يتحدثون بعربية صرفة لا اثر فيها للبربرية ابدا . شأنهم في ذلك شان عرب تريفة .

كما ان تقاليدهم جزء من تقاليد جيرانهم الاعثامنة ، واولاد الصغير ، و اولاد منصور . فقد كان الكل الى عهد قريب يسكنون الخيام ويقومون بتربية المواشي . ويهتمون بتربية الخيول .

وان احدهم على قلة ذات يده لا بد ان يمتلك فرسا . كما انهم يابون سكنى الجبال اذ يفضلون السهول ذات الآفاق الواسعة .

ولعمري أن هذه الطبائع لطبائع عربية صرفة ولا يستثني منها عرب هــوارة .

كما ان « هوارة » هاته عليها طابع العروبة العام الذي هو التسامح وعدم الاحتفاظ بالاحقاد والضغائن .

وهذا الطبع وحده يكفي لان يكونوا عربا أصلاء لا عربا مستعربين من أصل البربرية .

نعم لقد بحثت طويلا بين اسماء القبائل العربية وبطونها التي وردت على المغرب في العهود المختلفة ، فما وجدت لذلك اثرا .

وقد سالت هذه السنة 1964. القائد ـ سابقا ـ السيد الدخيسي لبن علي الهواري عن ذلك فاجابني بانه منذ كان وهو يعرف. أن قبيلته هاته تدعى هوارة ، وهذا الشيخ يبلغ من العمر قرنا أو يزيد وهو يتحدث اليك الآن كما يتحدث كل رجل في مستوى عمره العادي ، او في ريعان الشباب .

ولاغريب في الامر ان لهم اخوانا واقرباء بهذا الاسم بدائرة «جرسيف» كما ان هذا الاسم ايضا يطلق على قبيلة باقليم اكادير بالموضع المسمى 44.

وأستطيع ـ جازما ـ أن أقول : ان اطلاق هذا الاسم عليهم هنا غير صحيح .

والظاهر عندي في تعليل هذا الاطلاق ، ان طائفة من هوارة البربرية كانت تسكن هذه الارض التي يسكنها الآن عرب « هوارة » فرحلت عنها أو طردت منها ، ولما استوطنها هؤلاء العرب أطلق عليهم عرب هوارة مجازا من باب اطلاق المحل وارادة الحال فيكون من باب الاستعمارة التصريحية او من باب المجاز المرسل حسبما قيل في مثال قوله تعالى واسئل القرية التي كنا فيها ولكن هذا الاطلاق قديم وقديم جدا .

فلقد قرأت ـ ولكن نسيت اين قرات ـ ان أحد أبطال هوارة هذه يدعى: أمليل ـ هو الذي انشأ مدينة مليلية نسبة اليه **15**

---

15 ذكر ابن خلدون : ان مليلية بطن من بطون هوارة .

والخلاصة ان اطلاق اسم هوارة على هؤلاء العرب اطلاق يرجع الى عهد بعيد ، ولا اتخيل ابدا ان هذا الاسم من بين الاسماء المطلقة على احدى القبائل أو البطون العربية التي هاجرت الى المغرب فاستوطنته (16).

وكم ارجو من صميم القلب أن يفيدني بمعلومات في هذا الموضوع من قدر له الاطلاع على هذا الكتاب من ذوي الخبرة الواسعة في التاريخ .

على أن ابن خلدون روى أن هوارة تعربت في لغتها وتقاليدها حتى صارت لا يفرق بينها وبين العرب في شيء وانه كان لهم ملك بطرابلس وآخر ملوكهم محمد بن خطاب بن يصلتن في النسب البربري .

آل البيت

وفي هذا القسم من عرب تريفة يسكن الشرفاء الوكيليون وبطن من بطون أولاد البكاي الذين يوجد جدهم باجدير ببني وكلان قسم من بني منقوش جنوب ابركان ، والشرفاء القادريون (17) .

ميزتهم

ان طابعهم الخاص يكاد يكون داخلا في الطابع العام لبني يزناسن ، جودا وشجاعة .

قرية مداغ

وفي هذا القسم توجد «مداغ» بفتح الميم وتسكين الغين المعجمة ، وهي قرية صغيرة لا تزال في طور التكوين احدثت عقب الحرب العالمية الثانية .
وليس فيها الآن غير مقاه ومتاجر بسيطة وقليلة ومكتب لادارة الداخلية، ومكاتب لمصلحة الري ومدرسة فلاحية داخلية صغيرة .

وهذا القسم العربي من دائرة ابركان عبارة عن حقول وحدائق يقبض بعضها برقبات البعض الآخر .

ولقد كانت موارد عيش هؤلاء العرب لا تتجاوز الفلاحة وتربية المواشي.
ولكنه حينما وزعت أراضي جماعية هناك على هوارة واولاد الصغير (18)

---

16) وهذا رأي الاستاذ بن تاويت الطنجي رحمه الله في كثير من القبائل ، اذ يرى ان كثيرا من البطون والقبائل قد عفى اثرها ، او انتقلت من مستوطنها وسمي خلفها باسمها .

17) وهؤلاء القادريون اصلهم من شرفاء بني خالد القسم الرابع الشرقي لبني يزناسن .

18) لا توجد بتريفة ارض جماعية الا هذه الاراضي الواقعة بهوارة واولاد الصغير ولعله مما يدل على ان هذه الارض كانت لهوارة البربرية ثم اقتطعت لهؤلاء العرب وبقي «اسم» هوارة مالكي الارض مطلقا على العرب خلفهم في الارض ، هذا واني لا زلت اعتقد ان هذا الاسم هوارة بربري وان ساكني هذه الارض ليسوا برابرة واكنهم عرب ، واكبر اية عندي واعمقها ان الحقد لا يستقر بقلوبهم ، وتلك هي ميزة العرب كما يقول ابن خلدون نفسه ، وانظر كتاب العبر لابن خلدون ج 6 صحيفة 139 وصحيفة 102 وصحيفة 116 لتتوسع في عروبة هوارة او بربريتها

منذ ربع قرن تقريبا احدث مكتب للري للاشراف على تسيير هذه الاراضي الموزعة ، فاخذ مكتب الري يبحث عن الماء في باطن الارض فوجده على بضعة أمتار فاستغل بواسطة الآلة استثمار هذه الاراضي .

ومنذ ذلك العهد اخذ سكان هذا القسم يحفرون الآبار ويستغلون ماءها لتربية الاشجار وزرع البقول والخضر فاتسعت دائرة هذه الاعمال الزراعية العظمى فاصبحت هذه الجهة عبارة عن سلسلة جنات وحدائق ، وان حدائق « مداغ » وضواحيها لمضرب الامثال لمظاهر نشاط الفلاحين والعملة في مجموع دائرة ابركان .

ولقد اصبح من المتداول المسلم به في جميع القطر ان بني يزناسن قد ضربوا الرقم القياسي في الحيوية والنشاط في الميدان الزراعي ، كما تلاحظ نفس الحيوية في الميدان التجاري ، وسنفصل ذلك فيما بعد :

ومن كماليات الحديث عن « مداغ » أسجل هنا قطعة شعرية قلتها فيها وهي هذه :

أين مني « مداغها » بحقوله ... ومغان منثورة في سهوله
ناعمات بسروه وظلاله ... منذفات بحسنه وذبوله

وأثير مؤانس حجراته
سافر الغنج مرسلا نغماته
هكذا يقضي مدمنا سهراته
مرهف النغم منعشا عائلاته

أين مني بثارة وسوانه . . وهي جذلى مغمورة بحنانه
جنت الارض من مدى ثوابه كل شبر حديقه في أمانه

وعسيف مباكر كل جنة
كل سرب مزاول ثم فنة
رافعا صوته يرجع لحنه
وهو ناس بشغلة اي محنة

أمسيات قضيتها غافيات .. راقصات في حقله سابحات
طافحات بسمرها منعشات .. ذكريات على المدى خالدات

كلما طافت بالخيال رؤاها
وشجون الحياة تدمي هواها
عللتني بغفوة من جناها
عل نفسي يؤوب بعض هداها

البيوتات :

ومن أشهر بيوتات هؤلاء العرب بيت الشيخ محمد بن سليمان ، وبيت محمد الحبيب ، وبيت أولاد أحمد الهواري ، وبيت اولاد المختار أكراد وبيت أولاد القائد بنعيسى المنصوري .

واشهرهم بطولة وجودا بيت اولاد علي الهواري ، وفي مقدمتهم الشيخ المسن الوقور القائد الدخيسي الذي ضرب الرقم القياسي في البطولة والكرم وقوة الذاكرة .

فالرجل يبلغ الآن قرنا او يزيد من عمره . ويتحدث اليك عن عهد السلطان مولاي الحسن بكل تفصيل ودقة كما يتحدث عن الاحداث اليومية ولم تنل الايام من طلاقة لسانه ، وهدوئه وكرمه على رغم قساوة الاحداث التي عاشها مدة قرن كامل ويزيد ...

والحقيقة ان كرمه يعد من النوادر التي تستحق أن تضم في تاليف خاص ويذاع — خصوصا — بين شبابنا المعاصر الذي يضرب معظمهم الرقم القياسي في البخل (19).

ومن حسن حظ هذه العائلة وجود السيد بنعامر ابن أخ السيد الدخيسي المذكور على مثل هذه الصفة من الكرم الذي لا تصدقه تقاليد حياتنا .

كبدانة

وتتميما للكلام عن بني يزناسن أسجل هنا بطنا من بطون غير اليزناسنيين التي استوطنت دائرة ابركان ، ألا وهو بطن «الزخانين» من قبيلة كبدانة الواقعة وراء نهر ملوية في الجهة المجاورة لابركان .

يسكن الزخنيون من كبدانة على حدود أراضي هوارة واولاد بوخريص جنوبا الى مشرع قرباشة شمالا .

وقد تغلبت طبائع البركانيين على هذا البطن من كبدانة فصاروا لا يفترقون عنهم في شيء .

---

19) اذكر جيدا انني زرته في امسية من امسيات رمضان — وهو قائد — ، فلما سالت عنه قيل انه مع الضيوف ، فدخلت عليه وقد اذن اذان المغرب فوجدته يناول ضيوفه «الحريرة» بيده ، أتدرون من هم ضيوفه ؟؟ ان ضيوفه «حصادون» كانوا يشتغلون بالحصاد في احدى المزارع لغيره ، ولما انهوا عملهم وقبضوا اجرتهم من غيره ، التقى بهم اثناء احدى جولاته فاقسم عليهم ان يتناولوا الطعام عنده اي طعام الفطور والعشاء ، وقد كانوا مئاتين ، فاعطي اوامره قبل اذان المغرب بقليل ، فهيء لهم طعام الفطور والعشاء ، اما أنا فلم يمض وقت قصير على تناولي الفطور حتى قدم الي «مشويا» وانواعا أخرى من الطعام ، وتلك هي سنته منذ كان الى الان .

البيوتات

واشهر بيوتاتهم بيت السيد بوعنان « بكسر العين المهملة » .
فلقد اشتهر هذا البيت بالبطولة والجود وسرعة البديهة وحدة الذكاء .

هذه هي قبيلة بني يزناسن ، او هؤلاء هم مواطنو دائرة ابركان وهذه بعض المعلومات للتعريف بهم في هذا الباب وما ياتي منه .

وإذا كنت قد اضفت الى التعريف باصلهم حسب المستطاع ، معلومات تتعلق ببعض موار دعيشهم وشيء من حالتهم الاجتماعية ، وكان علي أن أفرد كل حديث في فصل خاص ـ فقصدي من ذلك أن أذكر ـ الى ذلك ـ ما من شانه أنيزيد في التعريف بهم .

والحقيقة ان جميع الابواب والفصول الآتية تساعد على توسيع التعريف بهم ان شاء الله .

السعيدية

وفي هذا القسم العربي من دائرة ابركان يقع مصطاف السعيدية البديع.

ومصطاف السعيدية هذا ينقسم مالى قسمين : القصبة ، وهي عبارة عن سور مربع قديم محيط بمنازل متواضعة تسكنها طائفة من المعوزين ، وخارج السور توجد مقاهي « بدائية » وطائفة من المتاجر .

وعلى شاطيء وادي كيس الفاصل بين الحدود المغربية والجزائرية يوجد محل السوق الاسبوعي المقام في كل الاحد للخضر واللحم والفواكه وقياطين العطارة تظلله أشجار الصفصاف المطاولة لعنان السماء .

وعلى مقربة منه يقع مكتب الامن االحلي .

ويقابله مكتب للجمرك المغربي ، وعلى جانب هذا المكتب مقهى عصري لـطـيـف .

والقسم الثاني ملاصق له يضم قرية عصرية بديعة أحدثها الفرنسيون في أول عهد الاحتلال وهي تشتمل على طائفة من المقاهي الجميلة ذات الاسلوب الحديث ، وعلى نزل صغير فقط . ومتاجر للبقالين . كما توجد فيها ثلاثة مطاعم ومقاهي وعلى الشاطيء للمبردات ...

ولهذه القرية بقسميها مركز مستقل احدث سنة 1957 . عل ىالرغم من ضعف مواردها لان سكانها لا يصلون الى الالف نسمة ، ولكن الدولة تساعد

هذا المركز المستقل نظرا لاهمية القرية من ناحية الاصطياف من جهة ، ولانها مقابلة لقرية ميناء ساي (20) الصغير بالتراب الجزائري من جهة ثانية .
ولها لجنة تشكل كل سنة مهمتها اقامة الحفلات والسهرات في كل ثلاثة اشهر العطلة الصيفية ، ويشارك في هذه الحفلات والسهرات المتنوعة عدة أجواق موسيقية : عربية وأوربية .

فما بين التاسعة والعاشرة تقام هذه السهرات في محل خاص معد لذلك تصدح فيها انغام الموسيقى وتلتف الساق بالساق ؟؟؟

وفي عهد الحماية كان الرقص هنا « حراما » على المغاربة .

وفي مكان هذه السهرات مقهى للمبردات .

نعم قد تقام حفلات ايضا قبل الغروب ، كما تقام سهرات وحفلات على الشاطيء بمقهى جميل هناك .

وفي هذه القرية يجد الانسان جميع ما يحتاج اليه من انواع الاغذية والاشربة .

والصعوبة للسائح تنحصر في عدم وجود الفنادق للمبيت .

وهناك بنايات مختلفة لجميع الوزارات بما فيها مصلحة الشبيبة والرياضة .

وتقام مخيمات للاطفال والشباب طوال الثلاثة اشهر : يوليوز : غشت. شتانبر .

ويستقبل هذا المصطاف مئات الزوار ، ومعظمهم من النواحي القريبة الذين يمكنهم أن يظلوا في المصطاف ويرجعوا الى منازلهم .

أما الزوار البعداء فقليلون ، والمشكلة مشكلة المبيت .

وفي مساء السبت وصباح الاحد من كل اسبوع الصيف يتصاعد عدد الزوار وشاطيء السعيدية يمتد ستة عشر كيلو مترا . وكله صالح . مائة في المائة — للعوم .

وعلى هذا الشاطيء الطويل تزدحم مئات الخيام والمظلات الجميلة .

وغربي السعيدية يقع مصب نهر ملوية على بعد بضعة كيلو مترات .

---

20) ساي اسم احد الفرنسيين الذين دخلوا المغرب منذ اول عهد الاحتلال ، وهو الذي أشرف على بناء قرية : ميناء ساي ، المصاقبة للسعيدية في التراب الجزائري الان .

وقد تعرفت على هذا الفرنسي في منزل ج محمد المنصوري حيث تناولنا طعام الغذاء جميعا وذلك في سنة 1948 حسبما اذكر ، وكان طاعنا في السن ، ويرافقه أولاده واحفاده ، ومع ذلك فقد كان يحتفظ بحيويته .

وفي معرض حديث سياسي عابر تأسف ساي «بسكون الياء» على سيرة الفرنسيين بالمغرب وتمنى ان يفسح الجو للاخوة الانسانية !

وتبعد السعيدية عن وجدة بـ 60 كيلو مترا ، عن طريق احفير ، الذي هو بعيد عنها بـ 23 كيلو متر ، وعن إبركان بـ 24 « الطريق الرئيسي » وبما يقارب 35 كيلومتر عن طريق مداغ ـ مصب نهر ملوية .

ويمكن للزائر اذا خرج من ابركان أن يتجول بين حدائق مداغ كما شاء بفضل شبكة الطرقات التي تتخلله . ثم يقصد السعيدية من اي طريق شاء . فالكل يفضي الى «روما» .

وحينما يخرج الزائر من ابركان ، ومن احفير يمر بطرق كلها ظليلة بالاشجار .

أما حينما يقترب من السعيدية فتواجهه غابات من الاشجار تملأ صدره سرورا وانشراحا . ومصطاف « السعيدية » هو المصطاف البحري الوحيد الواقع على البحر الابيض المتوسط ، ولن يجاريه في ذلك لا الناضور ولا مليلية بعد رجوعها الى المغرب ، اذ ان الطبيعة قد منحت شاطئها من الممكنات ما لا تستطيع يد بشرية أن تمنحه للناظور ومليلية .

على أنه ـ لو قدر ذلك ، لكانت السعيدية كما قيل :

« ليس التكحل في العينين كالكحل » .

ونظرا لهذا الوضع الطبيعي الجميل الذي منحته الطبيعة لمصطاف السعيدية . فان الحكومة مدعوة لاقامة المرافق الضرورية ـ وخصوصا الفنادق ، كما تجب دراسة توسيعها بالبنايات الكبيرة ، وذلك باهتمام مصلحة السكنى والتعمير من جهة ، ومساعدة الراغبين في تشييد المنازل هناك بالسلف الضروري من جهة اخرى ،

وان الاهتمام بهذا المصطاف يحوله الى مدينة بلدية عظيمة الاهمية .

والامر لا يخص وزارة دون وزارة ، فعلى الحكومة باجمعها ـ والشعب معها ـ أن يهتموا بهذا المصطاف الجميل .

ومن أهم المشاريع التي تحيل هذا المصطاف الى مدينة عظيمة ذات أهمية اقتصادية عظمى انشاء ميناء فيها .

وان كان هذا الميناء ليس من السهل انشاؤه حيث أن عملية ازالة الرمال أولا ، والبناء ثانيا ، سيكلف الدولة عشرات الملايير ،

ولكن تجب اولا اقامة ميناء صغير ثم تطويره حسب الظروف الملائمة ، ويجب ان يعلم سلفا أن سهول تريفة التي يسقي جزء مهم منها سد مشرع حمادي . ويسقي الباقي بماء مشرع كليلة . ان هذه السهول ستتحول في السنين المقبلة القليلة الى جنات تجري من تحتها الانهار ، وحقول لغرس مختلف المنتوجات .

وهذا يستدعي ـ بالضرورة ـ شيئين اثنين :
أولا : اقامة مصانع للتصبير ، وثانيا اقامة ميناء للتصدير .

وا نالسعيدية اصلح لانشاء المرفقين الضروريين ؛
فتطور الزراعة في المستقبل القريب بهذه الناحية سيجعل من ابركان « كلفورنيا » الثانية .

ولكن اين مصير هذه المنتوجات المختلفة ، ان لم تكن هناك معامل للتصبير ، وميناء للتصدير ؟

ان هذه الناحية كانت ولا تزال ـ تصدر منتوجاتها الى الخارج بواسطة الموانيء الجزائرية ووهران في المقدمة ثم الغزوات .

ولكن من يضمن لنا صلاحية كل الظروف لاستعمال هذه الموانيء ؟

ثم لماذا نهمل الاستفادة من مواقعنا البحرية ثم نلجأ الى غيرها ؟

وقد يقال في هذا الصدد ، ان ميناء الحسيمة الصغير يمكن ان يوسع ويستعمل لهذا الغرض وذلك ريثما ينشأ «ميناء الناظور» وترجع مليلية الى ظل السيادة الوطنية .

ولكن ميناء الحسيمة يبعد عن ابركان بما يقارب الثلاثمائة كيلومتر . ويبعد الناظور بـ 83 كيلومتر ـ وتبعد مليلية بـ 100 .

أما السعيدية فانها في النهاية الشمالية لسهول تريفة .

فلماذا يعدل عن انشاء ميناء في السعيدية الى هذه الموانيء ؟ على اننا اذا فرضنا ان ميناء الحسيمة سيوسع ، وسينشأ ميناء بالناظور ، فان مزارع الريف وقبائل كبدانة بالناظور ستسقى القريب من ما مشرع حمادي وسد مشرع أكليلة ، ومحصولات هذه المزارع والحقول ستصدر عبر طريق ميناء الحسيمة والناظور .

أما ميناء مليلية ، « احيني يا عمري » فمتى ؟ ومتى ؟ والى حد الأن لم يفكر تفكيرا جديا في ارجاعه .

والخلاصة ، ان الفلاحين بسهول ابركان يعانون الامرين في الاستفادة من محصولاتهم من ناحية التصدير بما يلاقونه من صعوبات عادية وما ينشأ عن الظروف السياسية مع الجزائر من صعوبات استثنائية .

ولا أعتقد أن هذه الصعوبات ستزال عما قريب ، فالوضعان السياسي، والاقتصادي مختلفان في القطرين .

والقطران كقطرين مختلفين ناميين حديثي العهد باسترجاع السيادة الوطنية ، ليس من السهل تسوية مشاكلهما ، أو تقريبهما في المستقبل القريب.

وفي الوقت نفسه فان سد مشرع حمادي قد شرع في الاستفادة منه منذ أواخر 1956 وفي السنوات المقبلة القليلة سيشرع في الاستفادة من سد مشرع كليلة .

والعلاج الطبيعي لحل مشكلة منتوجا تابركان ، اقامة معامل للتصبير، وبناء ميناء السعيدية للتصدير .

ان سهول تريفة تتطور بسرعة مدهشة ، ومشاكل منتوجاتها تزداد صعوبة وتعقدا على مر الايام والصمت العميق الذي يخيم على المسؤولين لا يزيد الامر الا استفحالا وخطورة .

انه ليس من الصعب انشاء السدود ، ولكن المهم ان يستفيد الشعب من هذه السدود .

فالبركانيون منهمكون بكل جهودهم ومواهبهم لخدمة هذه السهول ولكن ما مصير المحصولات ؟

انه اذا لم يقع التعجيل باقامة مصانع هنا للتصبير وانشاء ميناء السعيدية للتصدير فان مئال فلاحي ابركان الافلاس والبؤس .

وتخفيفا عن القاريء من وطأة نوع هذا الحديث عليه اختم الكلام بمقطوعة شعرية في السعيدية :

اين مني مناظر بالسعيدة ـ كعبة الفن والجمال العتيدة
ذي «فيلات» بين الرمال مشيدة ـ وغروس ظليلة مستزيدة
وهي فرعاء في الفضاء شريدة
هدلت فرعها لكل قعيدة
قد تغلت(21) منذ الحقاب البعيدة
وتغالت (22)، أم تضم وليدة
اين شطئانها تموج بخود ـ وهي ميدي باعين جد سود
سافرات باطيب النشر جود ـ يتمايسن من نسائم رود
واذا هاجت الشواطيء وهجا
سرن توا الى السباحة فوجا
يتبارين من يغالب موجا
ويحيل التيار متنا وسرجا !

---

21) تطيبت
22) تغالي الشجر : التف وعظم .

أين مني خيامها في بـطاح ـ جاثمات مشروعة بـرمـاح
وصحون أقداحها في كفاح ـ مع غوان مطـتـاحة وتلاح
كلما عدن من مطارح لجـة
وتعالت من سورة النشولجة
وتنقـلـن من اطايـب عجة
ما احيلاها اذ تهيأ فرجة !
أين مني ذكاؤها في محار ... من ضباب مموه ببخار
وخضم مقيد في وقـار ... في ذهول بسـحـرها في دوار
لست تدري أحجمها في سماء
أم تراها طريحـة فـوق ماء
ثم تبدو سليبـة مـن فـراء
ترسل النور مشرقا من علاء
أين مني ذكاؤها في اصيل .. مع نسـيـم مـعـطر وعليـل
وخليل يسير جنب خليل ... شاكيا هجره بطرف كليل
وهي شعشاء من عناء مسير
خانها الصبر في وداع مريـر
تتلظـى علـى حواشي سرير
في وشاح مورس من عـبـير
عندما يقنص النهار الغروبا ... ويجد الظلام يغشى الدروبا
وتشع الانوار تحيي القلوبا ... وتكاد النفوس تبغي الوثوبا
أمتع النفس من مشاهد رقص
في عراص شجيرة شبه قفص
أو فراقص جميلة ذات خمص
ان تكن جاذتلمن بلطف وقمص
هكذا تمرح الحياة مصيفا ... في ملاه ، وقد تجيـز خريفـا
وتلاقي ـ بعد الغياب ـ أليفا : باليف ، كم ذا يكون لطيفا
كل عام حجيجها في مـزيـد
يتـملـون مـن جمال فريد
قد سبتهم بكل لطف عتـيـد
وهـي سكرى بمغرم مستزيد

يا ترى هل تجود لي بوصال ... ملحقات ايامه بالليالي ؟
فأجوس الدروب دون عقال ... وادير الحياة كيف حلا لي
وأغني من الطبيعة حسا
كلما جهزت لذا الحج عرسا
فيجاري النظيم ليلى وقيسا
ويجاري النثير زارا ـ وقسا

ان هذه القطعة والقطع التي قبلها من قصيدة ماوية نظمتها في معقل قلعة مكونة سنة 1955 اثناء ابعادي من ابركان في 17 غشت 1952 .

وعوض أن أثبتها هنا متابعة رأيت أن أذكر كل قطعة بمناسبة التحدث عن الجهة التي نظمتها فيها .

ولقد ختمتها بالقطعة التالية :

ايه بركان بالاشاوس ميدي .. واشيدي بذكرهم واعيدي
انت بيوم الوفاء خير مريد أنت يوم الكفاح خير شهيد
موطن النبل كم تعهدت ولدا
قد احالوا الاهوال وردا وشهدا
أنت ماس يزداد في النحر وقدا
أي جيد لم يستعر منك عقدا؟
ان يكونوا قد ارجفوا بفراق .. ليس يرجى وراءه من تلاق
فاذكرينا باننا في رفاق ... نستلذ الحياة وسط حقاق (23)
هكذا نعبر الحياة عظاما
وخطوب تمتص منا عظاما
سوف نحيا مدى الحياة كراما
أو نناجي بذي الصحار يالحماما

وعلى المطلع ان يتذكر انني لم اقصد الشعر حينما نظمت هذه القصيدة ولكن طول حياتي بمختلف المنافي السحيقة شوقني الى مسقط راسي فسجلت عواطفي كيفما اتفق لي ليس الا .

أخص طبائع بني يزناسن

(1) الغيرة (2) الاباء (3) الخجل (4) احترام الكلمة (5) سرعة الغضب (6) حدة الذكاء (7) الدأب علي العمل (8) صعوبة الانقياد (9) مقاومة الظلم (10) الاريحية .

الغيرة

يمتاز بنو يزناسن علي الاطلاق بقوة الغيرة على حريمهم وممتلكاتهم . والغيرة على الحريم أقوى وأشد . فقد يتسامح اليزناسني في كل شيء الا فيما تقتضيه الغيرة على الحريم .

23) المقصود بالحقاق بكسر الحاء : الزنازين .

ولقد ضربوا الرقم القياسي في غيرتهم على النساء بادق تعبير ، وان أقل اشاعة واتفهها تؤدي الى سقوط الارواح .

وكم من آلاف الجزئيات من هذا النوع ادت الى القبور او السجون .

واليزناسني لا يغار — فقط — على زوجه وبناته واخواته — بل حتى على القريبات من عمومة وخئولة ومصاهرة .

وفي معظم الاحيان يغار حتى على عموم سكان قريته ، أو حريم اصدقائه بنفس الغيرة على من ينتسب الى عائلته

وبهذه الغيرة المفرطة قلما تسمع بقضية سفاح بين يزناسني ويزناسنية، واذا شاع شيء من ذلك ، فالمصير حادثة خطيرة ان لم تؤد الى ازهاق الارواح، فالى نتيجة خطيرة .

ولا وجود في بني يزناسن لمن يسمين : بالشيخات — كما هو الشأن في بعض القبائل ، فولائم بني يزناسن ، وان كان يجتمع فيها النساء للغناء في صفين متقابلين ، ويرقص الرجال ازاءهما في صفين متقابلين ايضا وفي ايديهم (مكاحل) البارود ، فانه بمجرد انقضاء ايام العرس ترجع كل فتاة وسيدة الى منزلها ، لان النساء في بني يزناسن لا يحترفن غناء ولا رقصا الى غاية هذا العهد 1964 م.

والعادة ان كل مدشر تقوم نساؤه وفتياته فيه بمهمة الغناء وقلما تغني المراة في عرس خارج مدشرها .

ومن التقاليد ان تسدل المغنيات الخمار على وجوههن في حالة الغناء ونادرا ما تغني النساء دون خمار ، وان كانت اليزناسنية بما في ذلك الشريفة — تنتقل بين منازل مدشرها وفي حقولها وحدائقها دون حجاب .

والى جانب هذا وذلك ، لا ترى اليزناسنية ، سيدة او فتاة غضاضة في التحدث مع ابناء جيرانها كانوا من اقربائها او من غير أقربائها . كما لا يرى الاباء والاقارب غضاضة ايضا في هذه الاحاديث العابرة البريئة .

والخلاصة ان عدم احتراف النساء بالغناء والرقص كان منشؤه الغيرة وكان من نتيجة ذلك عدم شيوع السفاح .

ونظرا الى أن قواد بني يزناسن قبل الاستقلال وبعده ببضع سنوات كانوا يغارون كبني يزناسن ، فان غيرتهم المشتركة جعلتهم في مقدمة الرافعين لراية الغيرة .

ومن أعظم الخصال التي يتمتع بها هؤلاء القواد ، انه لم يعرف عن واحد منهم ولا جزئية واحدة فيما يتعلق بالسفاح . وقد كانوا هم المدافعين الاولين عن اي رجل انتهكت حرمة قريبة له ، فالحكم كان قاسيا وشديدا على كل من ضبط معتديا على حرم أي أحد .

وكما كان قوادنا لا يتساهلون فيما يتعلق بالـغـيرة ، كانوا كذلك لا يتساهلون في جرائم الخمر والسرقة .

وبهذه المناسبة نسجل لقوادنا بمداد الفخر انه لم يعرف عن أحد منهم شرب الخمر بل ولا التدخين .

فلقد يقع ان يكون القائد في صباه يدخن ، ولكنه بمجرد ما يتولى خطة القيادة يصبح رجلا وقورا . ولم يعرف التدخين الا عن قائد واحد في أواخر عهد الحماية . وكان يتستر به فلا يدخن الا أمام خاصة قليلة من حاشيته .

ولقد حاول بعض المراقبين أن يسن سنة « احواش » في بني يزناسـن ولكن قوادنا حالوا دون ذلك.

غير انه يقع ان يحضر مراقبون في بعض الاعراس ، فيشاركوا بعـض اللحظات في الاستماع الى أغاني النساء ومشاهدة رقص الرجال .

وبهذه الغيرة المشتركة بين القواد وبين بني يزناسن استطاعت هذه الناحية أن تحتفظ بشرف نسائها .

وللاسف الشديد ان عهد الاستقلال الذي نشأ عنه اختلاط بني يزناسن بغيرهم أخذت هذه الغيرة المقدسة تتعرض لامتحانات شاقة .

كما كان « للمدرسة » نصيبها في خلع براقع المروءة والحياء عن وجوه الفتيان والفتيات .

ولا يقل عامل دخول الفتيات الى سلك الوظائف خطورة في هذا الميدان، فاذا كان الاستعمار قد رحل عنا دون رجعة ، فقد خلف فينا من تقاليده العفنة ما نحن في حاجة الى كفاح مر وطويل جدا للقضاء عليها .

والمعتقد أن هذه التقاليد الاوربية لا تقف عند حد حتى يؤدي الشعب المغربي — على العموم ثمنها غاليا ، وغاليا جدا ،

وان معالجة هذا المرض الذي نشأت عنه امراض شتى وصلت الى غاية المس بعموم الاخلاق ، وخاصة منها العقيدة الاسلامية المقدسة تفـتقـر الى دراسات عميقة ، وتصميمات واسعة وجهود مشتركة ، ولله عاقبة الامور .

الابـــاء

للبزناسني او البركاني نفس ابية لا ترضى الحياة الذليلة ويصدق عليه تماما قول القائل :

« اذا سقط الذباب على طـعـام ... رفعت يدي ونفســـي تشتهـيه »

فاليزناسني يفضل أن يقضي جوعا وعريا وعطشا على ان ينال شيئا يحس فيه برائحة الاهانة .

واذا وقع ان حدث شيء من ذلك فمرده الى ما ينطوي عليه اليزناسني من حسن القصد والنية .

فقد يقع أن تشاهده في حالة بؤس فتكرمه . ولكن حذار ان تمن عليه والا رفض اكرامك بكل اباء .

ولا يعترض على هذه الخلة الحميدة ببعض الجزئيات ، فان ذلك من باب تصحيح القاعدة كما يقولون .

فوجود بعض الاراذل في جهة من الجهات دليل على نبل عموم أهلها . وتفاديا للاطالة علينا ان ندلل هنا على ذلك ببعض الجزئيات .

« الـخـجـل »

أول ما يقابلك اليزناسني ، أو البركاني تشعر بانه خجول ، وخجل اليزناسني أو البركاني مجاوز للحد ، فاذا راعيت مقتضيات خجله فستفارقه وأنت تعتقد أنه اخجل من العذراء . « يا حسرتاه » يوم كانت العذراء يضرب المثل بها في الحياة .

واذا حاولت استغلال خجله باهانته وشعر بهذا الاستغلال ، فانه لا يلبث أن يقف منك احد الموقفين لا ثالث لهما .

فاما الاسراع الى مفارقتك ، ولا تعرف متى يزول عنه غضبه ، او يفارقك الى الابد لحادثة بسيطة من هذا النوع .

واما ان ينقلب ذلك الرجل الخجول الوديع الى وحش شرس لا يقف غضبه عند حد .

وفي بعض الاحوال يختزن غضبه الى أن تحين الفرصة للانتقام وقد اشتهر بنو عتيق بهذه الصفة على الخصوص .

فهدوؤهم ازاء اهانة ما ، يرجع الى ان الفرصة غير مواتية ، وقد تحين الفرصة وينتقم بدون ان تشعر فورا بذلك .

احـتـرام الكلمـة

واعني باحترام الكلمة : الوفاء ، فاليزناسني ، او البركاني – على العموم اشد وفاء لعهده حتى مع أبسط الناس . وخصوصا مع غير اليزناسني ، او البركاني ، فان له غيرة على قبيلته أن يقال أن فيها خافري الذمم والعهود .

أما اذا احس بالمراوغة فلا تسأل عن مدى مقدرته على التلونات وخصوصا منهم الذين يمارسون الشؤون التجارية .

سرعـة الغضـب

واليزناسني او البركاني ، سريع الغضب ، وقد يغضب لاتفه الاشياء ، ويؤدي به غضبه الى نتائج لا نسبة بينها وبين موجب الغضب ، ولكنه يتراجع بسرعة حالما تراجعه في موجب الغضب واحرى اذا اعتذرت له .

حـدة الذكـاء

واليزناسني ، وا البركاني حاد الذكاء ، وذكاؤه خفي لا يكاد يعطيه مظهره ، فقد يبدو لك لاول مرة انه بسيط وانه فاقد الشعور أو قليله ، ولكنه في الواقع يرسم عنك صورة مكبرة في لحظات معدودة .

وقد يتظاهر بالبلادة اذا كان ذلك في مصلحة له . ولا يلبث – اذا ما أتيحت له الفرصة ان يكشف لك القناع عن محاولتك مخادعته .

الـدأب على العمـل

واليزناسني ، او البركاني عامل نشيط لا يمل من مواصلة العمل ليل نهار . وموهوب في أعماله ، فاقل معلومات ، أو أقل دربة تكفيه لان يمارس الاعمال الهامة .

وقد برزت مواهبه وظهرت مواصلته للعمل خصوصا في الميدان الزراعي. فعلاوة على مواهبه الفطرية ونشاطه الفطري ايضا ، فان قلة ما بقى تحت ملكه من الاراضي التي اغتصبها المعمرون الذين بلغوا في حدود 1947 – 135 معمرا بابركان – ان ذلك حفزه على استغلال تلك البقية أقصى ما يمكن الاستغلال ان يكون .

وقد استفاد اقصى الاستفادة من أساليب الزراعة العصرية التي استعملها المعمرون وفاقهم بكثير .

ولقد اشتهر اليزناسني ، او البركاني بهذا النشاط الزراعي ايما اشتهار في مجموع أقاليم البلاد .

فاينما حل اليزناسني يجد شهرته في العمل الزراعي قد سبقته .

وبفضل هذا النشاط الزراعي استحالت سهول تريفة على الخصوص الى حقول فيحاء وحدائق غناء . 24

وينتج اليزناسنيون أو البركانيون معظم انواع الحوامض والفواكه والخضراوات .

وقد نبغ منهم الكثيرون في اصدار ذلك الى الخارج .

ومما يبشر بمستقبلهم في هذا الميدان انهم اخذوا يتخلون شيئا فشيئا عن الانانية الفردية اذ اخذوا يتعاونون في ميداني الزراعة والتجارة . كما أسسوا لهم تامونيات سيكون لها مفعولها الزاهر .

وقد ساعدهم نشاطهم في الميدانين : الزراعي والتجاري أن يقلبوا حالتهم الاجتماية راسا على عقب .

اذ أخذوا يشيدون المباني العصرية على انقاض تلك المباني التقليدية ويعتنون كل الاعتناء بتثقيف ابنائهم ثقافة عالية .

فمن بني يزناسن ، أطباء ومهندسون مختلفون ، ومحامون يتضاعف عددهم بسرعة واضحة على مر السنين .

وسوف لا تمر سنون قلائل حتى تبرز منهم نخبة كثيرة في العلوم والقانون والآدبا ومختلف الفنون .

ومن المؤسف ان تزايد السكان بارتفاع نسبة المواليد مع ضيق رقعة أراضيهم دفعت كثيرا من شبابهم الى العمل خارج المغرب وان كان سيفيدهم خبرة ودربة .

صعوبة انقيادهم

اشتهر بنو يزناسن ، او البركانيون بطبيعة صعوبة الانقياد والطاعة . وانهم ـ دائما ـ ثائرون على الاوضاع كيفما كانت هذه الاوضاع ، وانهم يثورون لذات الثورة ، اي انهم يثورون لغير هدف . ومعنى هذا ان من طبعهم العناد لاجل العناد . والحقيقة ان هذا خطأ ما بعده من خطأ .

فاليزناسيون ، او البركانيون يبغضون الانانية والظلم والاهانة من اعماقهم، شانهم في ذلك شان جميع افراد الشعب المغربي .

ولكن يتميزون عن غيرهم بمقاومة كل انانية وظلم واهانة وينوعون أساليب مقاومتهم لذلك حتى ينتصروا على الانانيين والظالمين والساخرين .

---

24) وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1944 انتقلت من بني يزناسن عدة عائلات الى مختلف اقاليم البلاد بحثا عن الارض لاستغلالها حيث ضاقت عن عملهم ونشاطهم اراضي ابركان ، وقد استقر ما يزيد على 500 عائلة بالقصيبة «بالتصغير» اقليم بني ملال كما استقرت عدة عائلات بسيدي سليمان وخصوصا اولاد بوعبد السيد .

ومقاومتهم ذلك تتنوع الى نوعين ، نوع سلبي ، ونوع ايجابي ، فهم يرفضون كل تعاون مع الانانيين والظالمين والساخرين ، ويقاطعونهم كل المقاطعة ، ويضحون من أجل ذلك بكل مصالحهم ، ولا يقيمون وزنا لما عسى ان يترتب عن ذلك من عواقب وتضحيات بالمصالح الخاصة .

والى جانب هذه المقاومة السلبية التي سندلل عليها فيما بعد بعدد من الامثلة الواضحة يقاومون ذلك باسلوب ايجابي فعال .

وابرز وسائلهم في هذه المقاومة ، الاسلوب الواضح الصريح . فهم لا يرهبون أن يواجهوا الاناني او الظالم ، او الساخر ، بموقفهم الصريح ضد الانانية والظلم والسخرية .

انني لا زلت اذكر جيدا ان احد رؤساء دائرة ابركان الفرنسيين قال لاحد الاستقلاليين : هل انت تفهم معني الاستقلال ؟ ففهم هذا الاستقلالي من رئيس الدائرة أنه يسخر من بساطته وأميته فاجابه – ساخرا : نعم اني افهم الاستقلال كامل الفهم . ان معنى الاستقلال ان تفارق انت هذا الكرسي ، واجلس عليه أنا !؟

وعلى الرغم من قساوة اسلوب الجواب ضبط المراقب أعصابه وساله مرة ثانية ، هل انت يا موسى بن رياح تستطيع ان تجلس مكاني هذا وتستطيع أن تضطلع بما اضطلع به من مهام عظيمة تحتاج الى ثقافة وخبرة؟

فابتسم موسى بن رياح واجابه : لا تتخيل ان قصدي ان تقوم أنت م . رامونة واجلس انا : موسى بن رياح . لا .. وانما ضربت لك مثالا بهذه الجزئية فقط . والافاني أقصد – وانت تعلم ما اقصد ، ان يسلم الفرنسيون حكم البلاد لاهل البلاد . وحينما يحدث ذلك ، فانه ليس من شانك ان تعرف هل أنا الذي سأجلس مكانك او غيري . فهذا شأن الشعب المغربي ، وشأن جلالة الملك محمد الخامس نصره الله .

وزاد موسى قائلا انا أعلم أنني أمي بسيط ، ولا استحق أن أدير شؤون بلادي ثم اننا اذ نريد استرجاع سيادتنا نريد ان لا يحكمنا الاميون البسيطون مثلي ، كما هو اسلوب الاستعمار في اسناد الامور الى مواطنينا الاميين بل يتولى أمورنا ذو الخبرة والكفاءة والنزاهة .

ولقد اعجب المراقب ومساعدوه وقائد البلد من هذا الجواب العميق الصريح الواضح البين . وهذا الموقف الوطني الصادق ايما اعجاب فابتسموا جميعا ثم حكم على موسى بن رياح بـ 15 يوما .

فابتسم موسى وقال تعليقا على هذا الحكم : ان اقسى من هذا الحكم لا يؤثر اصلا على عقيدتي التي شرحتها لكم . ففي سبيل استرجاع سيادة

البلاد سأتحمل كل تضحية الى نهاية الحياة .

وفي هذه الظروف كان على رأس الاقامة العامة الجنرال جوان . وهذا مجرد مثال من آلاف الامثلة ، سياتي ذكر بعضها فيما بعد لما تتوفر عليه نفسية البركاني من شجاعة في المقاومة لاية انانية ، او ظلم او سخرية .

واليزناسني ، او البركاني اطوع انقيادا اذا انصفه الناس .
ومن مميزاته انه يحب ويحترم في وقت واحد الانسان المنصف القوي :

فعلى الرغم من استحسانه للطافة الانسان « اي الحاكم » فانه يحتقر الضعيف الى حد الميع ، فهو يحب ويحترم كل منصف قوي .

اذكر انه لما كنت رئيس دائرة بني يزناسن سنتي 1956 — و 1957 — و 1958 ، عين السيد بنجلون المعروف بـ بنجلون الصغير حاكما مفوضا في ابركان سنة 1957 .

وذات مساء زارني في مكتبي فدخل علي وهو يضحك ملء شدقيه فسألته عن ذلك فقال لي :

لقد اصدرت هذا الصباح 32 حكما . 29 — من القضايا من 32 اقر أصحابها اقرارا واضحا . فلقد كنت اسأل المتهم : هل ضربت هذا ؟ فيجيب : نعم ! وانت هل بذمتك كذا لفلان ؟ نعم ؟ ولكن انت لم ضربت هذا ؟ لانه اراد أن يهينني فضربته. وانت لم لم تؤد ما بذمتك ؟ لقد كنت عازما على الاداء واكن رب الدين اخذ يمن علي ويسخر مني ! قال لي السيد بنجلون : وهكذا لم تدم الجلسة الا ساعة وما يقاربها .

وعلق على ذلك بقوله : اني لاعجب من هذه الصراحة وهذه الشجاعة اللتين تطبعان نفسية البركاني . فانه لا يرهب ان يقول انه ضرب فلانا ، ويقولها أمام الحاكم !

ثم قال لي : واعجب من هذا انني دعوت المضروب الى الصلح مع الضارب فقبل . فسألت المضروب كيف تقبل الصلح وأنت مضـــزوب ؟ فأجابني بانني انا الاخر حاولت أن اضربه ولكنه كان قويا مني فلنصطلح الان . وسوف تاتي الفرصة للاخذ بالثار . وطلب مني ان لا اعاقب الضارب ، بل طلب ان اطلق سراحه !

ان هذا الطابع الذي يطبع البركانيين — يقول السيد بنجلون : أغرب ما عرف في الشعب المغربي ولذلك يقول السيد بنجلون — لم أكن قاسيا في أحكامي ، لاني اقدر هذه البطولة في هؤلاء البركانيين . على انهم — أي المتحاكمين — يحكمون انفسهم بانفسهم .

فلقد كان رب الدين يعترف بانه اساء الى المدين ويطلب له اجلا ان أراد لاداء الدين . فلم يكن مني الا أن سايرتهم على اسلوبهم .

وزاد السيد بنجلون قائلا : ان ما يقال عن بني يزناسن من أنهم صعبو الانقياد غير صحيح . بل انهم اطوع الناس للانقياد اذا فهموا الحقيقة واذا احترمت كرامتهم وهذه هي شأن الرجولة الحق ولا عيب عليهم في هذا . بل انه يعد من مفاخرهم .

وقد كان السيد بنجلون هذا محترما في ابركان ، نظرا لخبرته وقوته ، الصفتان اللتان يحبب الحكام في بني يزناسن .

والخلاصة : ان البشرية كلها تابى الانقياد للظلم والانانية وغيرهما من عوامل الاذلال .

ولكن ميزة اليزناسني ، او البركاني عن غيره ، مقاومة عوامل الاذلال .

وهذه المقاومة الطبيعية هي التي يصفونها ظلما ، بصفة العناد في بني يزناسن .

ومن اعجب طبائعهم انه اذا كان هناك حاكم ضعيف الارادة ـ فانهم لا يقاومونه ويزهدون حتى في مصالحهم . وتجدهم يتحدثون عنه بسخرية ومرارة سخريةلانه ضعيف الارادة، ومرارة لانهم غير راضين بان يحكمهم هذاالصنف من الحكام . فيلجئون الى الله ليعوضه لهم بمن هو احزم واقوى .

والمقاومة الوحيدة التي يستعملونها من هذا النوع من الحكام : الاحتقار والسخرية الامر الذي الجأ كثيرا من المراقبين قبل الاستقلال الى تقديم طلب انتقالهم بدافع السخرية المستمرة من طرف البركانيين .

الأريحيه

واليزناسنيون ، او البركانيون ، ـ بصفة عامة ـ اريحيون يكرمون لذات الكرم . والذين لا يكرمون لذات الكرم ، يكرمون لنفي عار البخل عنهم . وتزاهم مع غيرهم أكرم واريح .

واكرامهم لغيرهم بلغ حدا دفع بالمغفور له السيد محمد «فتحا» بن العالم الى أن يقول فيهم قولته الشهيرة عندنا : ان بني يزناسن كخبز السوق لا يأكله الا البراني .

وهذه القولة صحيحة الى حد بعيد . ولكن اساسها الاستنكاف من ان يقول فيهم الغير انهم بخلاء .

حول الزاويا

لقد حفزني الى الحديث عن الزوايا ما لعبته من ادوار ذات اثر مختلف في بني يزناسن اثناء عهد الكفاح الوطني السياسي وساكتفي هنا بتقديمها والتعريف بها فقط .

اما الادوار التي قامت بها في العهد المشار اليه فموضع الحديث عنها ياتي اثناء الحديث عن الدور الخطير الذي لعبته الوطنية في بني يزناسن في السلم والكفاح المسلح .

الزواية الدرقاوية

مؤسس هذا الزاوية الشيخ الحاج محمد الهبري العزاوي ، نسبة الى السيد عبد الله بن عزة دفين قسم بني خالد .

وقد تقدم القول ان السيد عبد اله بن عزة من آل البيت الادريسي وينقل الرواة ان الحاج محمد الهبري المذكور (أخذ السر) عن زاوية «كركر» بفتح الكافين وسكون الرائين» التي كان يرأسها مولاي العربي الدرقاوي .

وهذه الزاوية واقعة في المنطقة الريفية قريبة من قبيلة تمسمان وفي ملحقة اعزيب ميذر . اقليم الناظور .

ويوجد محل هذه الزاوية الهبرية بالمحل المسمى : «الضريوة» بتشديد الضاء غير المشالة وكسر الراء وفتح الواو» .

والضريوة من مشمولات ملحقة احفير . وهي على الحدود المغربية الجزائرية وقريبة من مصطاف السعيدية وانشاء هذه الزاوية على ما ياتي من الوصف ، لا يرجع الى عهد بعيد بل يرجع الى ما قبل الاحتلال الفرنسي للمغرب ببضع سنوات .

فالشرفاء اولاد سيدي عبد الله بن عزة كانوا معروفين بالبطولة وقيادة القبائل قيادة سياسية وعلى الخصوص منهم فرقة اولاد المجدوب .

ولكن الحاج محمد الهبري هذا يحكي عنه انه لما حفظ القرآن وشب كان يمارس الاوراد والاذكار الى جانب الاوراد الخاصة بتسخير الجن .

ويحكي عنه ايضا أنه بلغ في ذلك مستوى ملحوظا .

وقد ظهر له اثناء هذه الحياة في عالم الاوراد والجنون ، ان ينقطع الى العبادة وممارسة تعاليم التصوف فرحل الى زاوية «كركر» المذكورة ، وأخذ «السر» عن رئيسها . وان هذا الاخير امره بانشاء زاوية في بني يزناسن وفتح أبواب الاسرار في وجوه المريدين .

وعملا بهذا «الامر الاجباري» انشأ له زاوية الضريوة (ودعيت بزاوية الهبري ، او الزاوية الدرقاوية .

ولقد وقع اقبال عظيم على هذه الزاوية حتى ان الاغلبية الساحقة من من بني يزناسن مرتبطة بزاوية الهبري وأكثر البطون اقبالا عليها : التاكميون والورطاسيون ، وبنو وشكراد ، والجواهرة وبنو بودملي ، وبنو مؤسى ،

ولا يخلو دوار من دواوير بني يزناسن من تلامذة هذه الزاوية .

ومن ميزات هذه الزاوية عن غيرها من الزوايا استعمال الطبول اثناء رقصاتهم «الحضرة» مع اناشيد وجدانية في قالب الشعر العربي .

والميزة الثانية : الخلوة . والخلوة عبارة عن طنب المريد من الشيخ ذكر اسم الله الاعظم : «الله» والانقطاع الى ذلك في مكان قرب الزاوية . وهذا المكان عبارة عن محل ازاء شجرة من سدر عادية يلازم المريد بها ليل نهار يردد ذكر : الله .. الله الا في اوقات الصلوات والفترات التي يتناول طعاما متواضعا بسيطا كما وكيفا .

ولا يكاد يمر اسبوع على هذه العملية في الغالب حتى يأخذ المريد في كلام غير عادي . ويعيش عيشة اضطراب فاقدا اتزانه العقلي . فلا يمشي الا مضطربا ، ولا يأكل الا مضطربا ، وقليلا ما يأكل ولا ينام الا قليلا في احلام مزعجة ، ويتنقل من مكان الى مكان بدون هدف ، وفي معظم الاحيان لا يعرف حتى اقاربه ، ويقفز لكل صوت ويرقص في أي مكان كان . واذا ذكر اسم الله ، أخذ في ترديده ما شاء الله . ولا يقوم بشوؤنه العادية

وقد تطول مدة هذه الحالة عدة شهور ، وان كان اهله يزورونه «الشيخ» من مرة لاخرى (25) .

وكم من هؤلاء المريدين الذين يدخلون هذه الخلوة قد فقدوا حياتهم العادية نهائيا وكم منهم من اثر ذلك على صحته فعاش معلولا الى النهاية ، وكثيرا ما تكون قريبة منه .

والقصد من هذه «الخولة» في نظر الزاوية هو العمل على التخلية لحط الذنوب بما ينقطع اليه المريد من العبادة والزهد في الدنيا ، ثم مشاهدة الانوار الالهية والرؤى السعيدة وهو ما يسمى بالتحلية . «بالحاء المهملة»

ومن تقاليد هذه الزاوية ان يتناول المريد أي مريد وأي زائر من المريدين طعام الشعير فحسب . الا بعض الاشخاص الممتازين . ومن شعارها عدم تناول شرب البن . وان لا يوضع الكأس ، كأس الشاي على غير المائدة او شيء يقوم مقامها .

وعادة ان الشاي الذي يتناوله المريدون في الزاوية يكون من حسابهم الخاص .

وعادة ان المريدين يجلسون على خصوص الحصر .

---

25 أعرف من هذا النوع استاذي المرحوم السيد علي بن محمد بن طالب الورطاسي الطاهري والفقيه المرحوم السيد محمد بن رابح من ابناء عمومتي ، والسيد عمرو المعروف : «بازكاغ» العمراوي الورطاسي . ويكثر هذا النوع في تاكمة من بني وريمش وبني وشكراد وبني بويعلي وبني موسى من بني عتيق وفي القرى المجاورة لزاوية الهبري من العرب وخصوصا أهل الدشيرة ويجب التنبيه الى ان «الخلوة» صارت في خبر كان منذ اتسعت دائرة الحركة الاستقلالية بتقديم وثيقتها بتاريخ 11 يناير 1944 .

ومن حين لاخر يخرج عليهم «الشيخ» مرتديا ثيابا صوفية متواضعة جدا . ويجلس على الارض عارية من أي فراش ، وان كان لا بد من الفراش فالحصير ليس الا . ويفتتح حديثه مع المريدين بقول الله تعالى :
« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » .

وذلك اشارة الى ان الانسان يجب ان لا يستنكف من الجلوس على الارض لانه منها واليها . وحديث الشيخ بسيط في حد ذاته يتلخص في بعض العظات العمومية تتخللها اشارات ورموز . يختلف المريدون في تفسيرها .
ولم يكن ذا بال ما كانت تأخذه الزاوية من الاموال من المريدين . فقد كان ذلك بسيطا .

لان الزاوية لم تكن تحتاج الا الى نفقات بسيطة ، ومنذ انشئت هذه الزاوية الى الان لم يظهر عليها بذخ ولا ثراء .
وكل ما في الامر ان بعض اولاد الزاوية اخذوا يفلحون الارض ويعيشون عيشة عادية ليس الا .

الزاوية البوتشيشية

يرجع انشاء هذه الزاوية الى السيد المختار بوتشيش القادري . او على الاقل فانه اول من اشتهر بهذه الزاوية .
وكان مقره ومقرها أيضا بفرقة «تغجيرت» بفتح التاء والغين المعجمة وتشديد الجيم المكسورة وسكون الراء والتاء» .
وتقع هذه القرية بالقسم الشرقي الرابع لقبيلة بني يزناسن ، وهو قسم بني خالد .
وقد كانت في العهد الاول مقتصرة على تذكير العامة وتلقين بعض الاوراد والتزام بعض العبادات .
ويتصل سندها بالمولى عبد القادر الجيلالي «بالعراق» .
وقد انشئت في عهد المولى عبد الرحمن العولي في العقود الاولي من القرن الثالث عشر الهجري وللسيد المختار بوتشيش هذا دور في عهد قيام الحاج عبد القادر الجزائري سياتي ذكره في مناسبته . وقد اطلق عليه لقب بوتشيش . لكون طعامه الذي كان يناوله المريدين يتكون من : «التشيشة» . والتشيشة ـ طعام من الشعير . وهذا النوع من : التشيشة معروف الى حد الان يعرض للبيع في متاجر البقالين : «البلبولة»
وعقب وفاة السيد المختار هذا انتقلت رئاسة الزاوية الى الشيخ السيد المكي . وقد ادركت هذا الشيخ الوقور الذي كان محبا للعلم وأهله . ومن محبته للعلم انه طلبه وهو متقدم في السن . وانه استقدم الفقيه العلامة السيد أبا الشتاء الجامعي الشهير أطال الله حياته لتلقين العلم له ولاتباعه وعموم اقاربه .

ومن هؤلاء البوتشيشيين القادريين الذين هاجروا لاجل العلم الى فاس ، السيد نور الدين بن ادريس . والسيد عبد المالك وقد عرفت السيد نور الدين في فاس فقيها يتعاطى خطة العدالة فعرفته تقيا ورعا نزيها اطال الله حياته .

ويرجع تعرفي عليه الى شهر شوال عام 1351 هجرية في فاس ولا يزال الى حد الان يتمتع بصفة التقوى ومحبة العلم .

أما السيد عبد المالك فرجل لطيف أنيق اخذ من الثقافة قسطا لا باس به . وكان عهدي به انه رئيس محكمة اقليمية . وكان له دور مشرق اثناء ثورة الملك والشعب في غشت 1953 .

نعم ان هذه الزاوية اختلف ابناؤها في الاخير فانقسمت على نفسها الى قسمين ومع هذا فمريدوها قليلون بالنسبة الى مريدي زاوية الشيخ الحاج محمد الهبري ..

زاوية محمد بن الحاج العزاوي

السيد محمد بن الحاج العزاوي من ذرية سيدي عبد الله بن عزة الانف الذكر كان رجلا يحفظ كتاب الله ويتقنه جيدا ، واشتهر اثناء حفظه للقرآن الكريم بالعزلة عن الطلبة وممارسة الاوراد «والحكمة» وتسخير الجان .

ولم يلبث ان ادعى «المشيخة» واخذ يلقن الاوراد للناس ويرجع «قيام» السيد محمد بن الحاج بهذه الزاوية الى عهد قريب جدا أي قبل الحرب العالمية الثانية بقليل من السنوات .

وقد تعرفت عليه واتصلت به وتحادثت معه . وهو رجل انيق في ملبسه نظيف كانه عروس ، وله ناموس ياخذ بمجامع قلوب العامة . واما الخاصة فانه لا يؤثر عليهم لبساطة احاديثه من جهة ، ولكونه كان يتحرى في القول امام الخاصة لما وهبه الله من ذكاء مفرط من جهة ثانية .

ومع مواهبه الفطرية لم تعمر زاويته طويلا فقد انقرضت بموته .

فـــــــروع

والى جانب هذه الزوايا الثلاث الاصيلة اي التي اسسها اصحابها في بني يزناسن وهم من بني يزناسن . او من شرفائهم بصحيح التعبير .

توجد في بني يزناسن عدة فروع لمختلف الزوايا .

1) التيجانيون . ومركزهم في فاس .

2) الطيبون نسبة الى مولاي الطيب الوزاني الشهير ومركزهم في وزان .

ـ قام بشؤون هذا الفرع من اولاد سيدي رمضان . السيد الطيب مفتاح . ثم ابنه السيد عمر . وقد توفي كل منهما .

3) الزيانيون ومركزهم في القنادسة .
4) الموساويون ، ومركزهم ما بين توات وبشار .
5) السليمانيون ، ومركزهم بندرومة ، بالجزائر وهذه الزاوية قد انفرضت نهائيا ثم فروع ضعيفة قليلة الاهمية .

ملـــحـــوظـــة

الذي يظهر من البحث الجاري حول : الزوايا وفروعها انها ترجع كلها الى عهد قريب .
اذ أنه لم يسمع ابدا بأنه كانت هنا في بني يزناسن زوايا قبل هذه التي اشرت اليها .
فبنو يزناسن كان معروفين من الناحية الدينية بحفظ كتاب اللـــه وانتشاره بينهم بصفة واسعة ، وحفظه في سن مبكرة .
ولم يكن حفظه خاصا بئال البيت . وان كانوا في مقدمة من يحفظونه .
اذ أن ءال البيت كان لهم دور خطير وساطي في الحروب القبلية والثورات المتنوعة الاهداف .
وقد استمر حفظ كتاب الله في بني يزناسن الى ان اخذت المدارس تنشأ في هذه الدوائر فأخذ يقل شيئا فشيئا .
ويظهر انه سوف لا يمر زمن قليل حتى يضمحل حفاظه نهائيا الا اذا تدارك الله كتابه الكريم بتوفيق الشعب والحكومة الى انشاء معاهد لتلقينه وحفظه وارساء القواعد العملية بمستقبل حفاظه .

الآثـــــار

لا توجد اثار مهمة في دائرة بني يزناسن .
فعلى الرغم مما يقال ان بعض سكان جبال بني يزناسن هاجروا اليها من الاندلس فلا توجد ادلة مادية على هذه الهجرة .
اذ أن الاندلسيون كانوا في مجموعهم ذوي حضارة بارزة ، فلو كان صحيحا ما يقال من هجرة بعضهم الى هذا الناحية فلزاما ان يكون لهم اثر حضاري فيها .
وفي مقدمة هذه الاثار ان ينشئوا لهم مدنا او قرى حضرية هنا وهناك . شأنهم في ذلك شأن مهاجرهم في مختلف الاقاليم المغربية .
لذلك لا توجد اية مدينة قديمة العهد في هذه الناحية فكل المدن الموجودة هنا . ابركان ، واحفير ، والسعيدية ، وتافوغالت كل هذه المدن او هذه القرى الصغيرة قد انشأها الفرنسيون . والظاهر ان هذه الجهة كانت فقط ممرا للاندلسيين اثناء هجرتهم ، لقربها من ميناء مليلية .

واذا تخلف احد في هذه الناحية فمن اولئك الزهاد الذين آثروا الانقطاع الى العبادة والاقتيات بما يتدفق من العيش .

ومن هذا النوع يقال عن سيدي الحاج الحسن جد آل وكوت . وسيدي عبد المومن جد ءال ورطاس . من انهما من مهاجري الاندلس .

وعلى ذكر ورطاس اذكر ان هذه الوادي الذي يسكنه الشرفاء الورطاسيون يوجد له سمى بالاندلس كما توجد عائلة اسبانية اندلسية تلقب بـ : ورطاس ولا تزال عائلة منها في ابركان .

فمن الممكن ان يكون السكان الاولون لهذا الوادي . أو هذا المسيل علي الصحيح قد استقر فيه بعض الاندلسيين وقتا قصيرا ثم رحلوا عنه وانهم الذين اطلقوا عليه اسم واد ورطاس كتسلية عن واد ورطاس الموجود بالاندلس .

واذا قلت انهم رحلوا عنه . فانه لا يمكن ان يكونوا قد استقروا فيه طويلا ولا يكون لاستقرارهم اثر حضاري

فقرية واد ورطاس لا اثر فيها لذلك .

نعم توجد اطلال بقصبة الركادة شرقي ابركان على بعد ثمان كيلو مترات .

وقصبة بوغريبة غربي ابركان 25 كيلو مترا . وقصبة السعيدية 25 كيلو مترا شمالا . .

وهذه القصبات كانت من انشاء او اعادة المولى اسماعيل لتكون معسكرات لجيشه .

نعم ان في بني يزناسن قضية تستحق كل الاهتمام . الا وهي انه في قرية تاكمة في الجبل توجد اطلال لقصر ابن مشعل اليهودي الذي قتله المولى الرشيد ولا يزال يدعى بخربة اليهودي . والذي دفن فيه المولى محمد بن المولى الشريف بن علي العلوي الذي قتل باول رصاصة انطلقت يوم التقاء المولى الرشيد به في بسيط انكاد القريب من جبال بني يزناسن . وذلك حسبما يظهر لي من المراجع التي رجعت اليها .

ان هذا المولى الكريم دفين بني يزناسن يجب البحث عن قبره واشهاره فلقد قام رضي الله عنه بجهود عظيمة لجمع كلمة الشعب التي سرى اليها الانحلال في اواخر عهد الشرفاء السعديين .

فما كان لهذا الرجل العظيم ان يطمس قبره هناك ويداس بالارجل فواجب الوفاء لعظمائنا يقضي باجراء بحث عاجل عن هذا القبر وبنائه .

بنو يزناسن منذ نشأة الدولة العلوية الى عهد الاحتلال الفرنسي

1) مع المولى محمد بن الشريف .
2) بيعتهم للمولى الرشيد .
3) سوء التفاهم مع المولى اسماعيل .
4) ومع المولى عبد الرحمن بما في ذلك كارثة اسلي .
5) ومع الحاج عبد القادر الجزائري .
6) في عهد المولى الحسن الاول .

من المعلوم أن المؤسس الاول العملي للدولة العلوية الشريفة كان هو المولى محمد بتفح الميم بن المولى الشريف .

وكانت بيعته في منتهى النصف الاول من القرن الحادي عشر الهجري .. ومن المعلوم ايضا أن هذه الدولة تأسست على انقاض الدولة السعدية الشريفة.

ففي أواخر عهدها استقل السيد العياشي بسلا وما جاورها . واستقل رئيس الزاوية الدلائية بفاس ومكناسة والغرب . واستقل ابو حسون بسوس.

اما بنو يزناسن فقد قرروا على ضوء احداث اواخر عهد الدولة السعدية ان ينضموا الى السلطة التركية في القطر الجزائري .

وأما اهل وجدة فمنهم من كان منضما ايضا الى السلطة التركية ، ومنهم من بقي في فترة حكم السلاطين ، ولقد كان طبيعيا ان يقف بنو يزناسن هذا الموقف بانضمامهم الى السلطة التركية في نظري .

وهذا الموقف كان اوفق لنفسية بني يزناسن اذ ذاك .

اذ أن توفرهم في مجموعهم على الانفة والبطولة كان من شأنه ان لا يستطيع احد منهم ان يتامر عليهم منهم ، وهم من هم في الاباء والبطولة .

واذا قدر لهم ان اتفقوا على احد منهم ليؤمروه في تلك الفترة ، فقد يصعب عليهم ان ينحوه متى استقرت الاوضاع في مجموع البلاد .

ثم ان ما اشتهروا به من التدين يمنعهم من اقامة امير خاص بهم ، وهم يعلمون انه لا بد ان تجتمع الكلمة على عائلة لتحكم البلاد ، ولذلك ، فلا معنى لاقامة امير خاص بهم ، كما انهم ـ بشهرتهم بوطنيتهم الصادقة ـ لا يمكن ان يفكروا في العمل على توسيع دائرة انحلال الدولة ، فالواجب أن ينتظروا استقرار الامر في مجموع البلاد ، وفي انتظار ذلك ، يجب الانضمام الى السلطة التركية التي كانت تدعى لنفسها وراثة الخلافة الاسلامية .

والخلاصة انه ربما كانوا مدفوعين بعاملين اثنين .

العامل الاول عامل روحي ، فلم يروا من الخير لهم بعد ان قرروا عدم اقامة امير عليهم أن يبقوا بدون رجوع الى سلطان .

فالمثل العام السائر في بني يزناسن يقول : مخزن جائر ، ولا قبيلة فاسدة ، والعامل الثاني ، هو العامل الاقتصادي .

فالوضع في جميع اقليم البلاد كما أشرت اليه سابقا يجعل بني يزناسن في حصار تام من الناحية الاقتصادية . ومنتوجاتهم الخاصة لا تفي بضروريات حياتهم ، وعلاوة على ان المطر في بني يزناسن قلما ينزل واذا نزل لا ينزل بانتظام وفي فصوله الخاصة ، اذن ، فمن اين لهم بضروريات الحياة ؟

فسكان وجدة منقسمون على انفسهم ، واهل تازا قائمون بانفسهم وفاس ومكناسة تحت سلطة الدلائيين وسلا وما جاورها تحت سلطة العياشيين ، وسوس تحت سلطة الحسونيين ، وأهل تابوعصامت تارة مع الدلائيين وأخرى مع الحسونيين ، والعلويون يترقبون الفرص للانقضاض على الجميع .

اذن ، فاليزناسنيون في حصار روحي ومادي فلا مفر لهم من اقرار وضعية موقتة لهم .

والحل الطبيعي ان ينضموا الى السلطة التي تحكم جيرانهم الجزائريين الا وهي السلطة التركية .

والسلطة التركية سلطة اسلامية شرعية فلا غضاضة اصلا في الانضمام تحت لوائها .

على ان حياتهم اصبحت في حصار تستدعى قيام غارات متبادلة بينهم وبين السلطة التركية المجاورة .

وما لهم ولهذا الغارات مع سلطة اسلامية قارة تذهب الارواح والاموال ضحيتها ؟

اذن فالسياسة الرشيدة هي اقرار الانضمام اليها بصفة سلمية تدعو الى احترامهم لدى السلطة التركية ، وتحل عنهم الحصار الاقتصادي . ريثما تتكشف الاجواء السياسية .

مع المولى محمد بن الشريف

بعد ان بوع المولى محمد بفتح الميم الشريف في منتهى النصف الاول من القرن الحادي عشر .

وبعد الحروب التي خاضها مع الحسونيين والدلائيين واهل تازا ، قصد الى المغرب الشرقي واجتمعت عليه كلمة اهل وجدة قسرا او عن طواعية ولكن بني يزناسن لم يبايعوه ولم يفدوا عليه ليدخلوا في طاعته .

فلقد قابلوه بحذر فاستمروا في ولائهم للسلطة التركية ، على الرغم من الغارات التي قام بها المولى محمد على تلمسان وما جاورها من المغرب الاوسط ، الامر الذي اهتزت له السلطة التركية .

ولقد اغتاض المولى محمد من موقف بني يزناسن منه دون سائر سكان المغرب الشرقي الذين ناصروه او دخلوا طاعته كرها ، فاغار عليهم اغارات ـ بمساعدة عرب انجاد وقتلهم واستلب اموالهم .

ومع ذلك فانهم لم يتزحزحوا عن قرارهم .

وكان هذا الموقف منهم موقف الرشد والنضج ، اذ ان السلطة التركية لم تلبث ان جيشت الجيوش وتحركت الى قتال المولى محمد . ولكن المولى محمد فارق المغرب الشرقي قافلا الى سجلماسة .

فماذا كان يكون مصير بني يزناسن لو انهم شايعوا المولى محمد ونكثوا عهد السلطة التركية ؟

حقا أنه كان من الوطنية ان ينضم بنو يزناسن الى المولى محمد وهو مغربي كبير . وشريف اصيل وبطل عظيم ، ولكن المولى محمد لم يقم حين مقدمه الى المغرب الشرقي باقامة وضع اداري قار يضمن استقرار البلاد وحمايتها واستيناف حياتها العادية في ظل نظام قار .

ذلقد اكتفى رضي الله عنه بشن غارات على مختلف القبائل ، فتارة على المغرب ، وتارة على أهل تلمسان وما جاورها ، وتارة على بني واسين «بتشديد السين المكسورة» وبني يسنوس ، وتارة على بني يزناسن ، وتارة على الزكارة .

وهكذا أقام بالمغرب الشرقي مدة قضاها في القيام بمختلف الغارات على مختلف الجهات .

ثم انتقل الي سجلماسة وفرق العرب الذين كانوا حوله ووعدهم الى الربيع المقبل من غير ان يقر عليهم عاملا يقوم بتسيير شؤونهم ، ووضع غير مستقر كهذا ، يحمل بني يزناسن على تمديد قرار الانضمام المشار اليه ، وكذلك كان [1]

المولى الرشيد بتافوغالت

من المعلوم ان المولى محمد بن الشريف بن علي «المثلث» القائم الان بتكوين الدولة العلوية . قام على اثر اعتقال والده من طرف ابي حسون .

وبمجرد ما توفي المولى الشريف قرر المولى الرشيد الخروج على أخيه المولى محمد (فتحا) والاضطلاع بتكوين الدولة العلوية .

---

1) على انني رايت لكثيرين من المؤرخين المغاربة الذين تحدثوا عن المغرب الشرقي بان السلطة المركزية كثيرا ما تكون اسمية على هذا الاقليم . وانها تتقوى وتضعف طبق تقلبات الظروف وشخصيات المسؤولين .

والمولى الرشيد في البطولة والشجاعة نظير اخيه المولى محمد .
فهما في ذلك كفرسي رهان .
واتجه المولى الرشيد الى المغرب الشرقي وانتهى المطاف به الى تافوغالت ، وتافوغالت قرية واقعة بين قسمي بن وريمش وبني عتيق من الاقسام الاربعة لقبيلة بني يزناسن .
ولقد استقبله بنو يزناسن هناك احر استقبال واكرمه .
وفي قرية تاكمة من بني رويمش ، قرب تافوغالت ببضعة كيلو مترات كان يجثم قصر المرابي اليهودي ابن مشعل .
وكان هذا اليهودي من اكبر الاغنياء وله نفوذ مالي على بني يزناسن ولقد انتهز هؤلاء هذه الفرصة فقبلوا اشارة المولى الرشيد بقتله واستصفاء امواله للاستعانة بها على تكوين الدولة العلوية .
ثم ان المولى الرشيد اعتقل ولد اليهودي المذكور ولما جاءت امه تطلبه ماطلها الى ان دلته على بقية اموال زوجها وكانت اموالا كثيرة .

مقتل المولى محمد ببسيط أنكاد

وبمجرد ما بلغ خبر وجود المولى الرشيد ببني يزناسن الى المولى محمد توجه هذا الاخير في جيش عظيم الى بني يزناسن قصد العمل على ابعاد المولى الرشيد عما ندب اليه نفسه من القيام بمهمة تكوين هذه الدولة .
فلقد التقى الجمعان في بسيط انكاد . وقتل المولى محمد باول رصاصة خرجت من صفوف جيش المولى الرشيد .
ويقول الزياني في كتابه المخطوط ، والناصري في الاستقصاء ان المولى الرشيد اسف اسفا عظيما لمقتل اخيه المولى محمد ، وانه هو الذي تولى تجهيزه ودفنه ، وكان دفنه بقصر اليهودي ابن مشعل 2
واذا كان صاحب الاستقصاء قد تردد او شك هل ان ابن مشعل كان في تازا ، او في بني يزناسن فانه قد حكى بصفة قطعية ، كما حكى ذلك السيد الزياني ، ان مقتل المولى محمد كان في بسيط انكاد .
فالاقرب الى العقل ان يكون المولى محمد مدفونا في بني يزناسن وفي قصر اليهودي ابن مشعل بقرية تاكمة القريبة من تافوغالت .
ومن المستبعد ان يكون مقتل المولى محمد في بسيط انكاد ثم يحمله اخوه الى تازا ليدفنه هناك على رواية ان ابن مشعل كان في تازا وبهذه المناسبة ايضا أكرر ندائي الخالص الى البحث عن قبر المولى محمد هنا

---

2) ونقل الى الاستاذ السيد ميمون الفسيري اشاعة مفادها : ان قبر المولى محمد موجود ببطن اولاد علي الشباب وبنيت عليها قبة ولكن يسمى دفينها بسيدي بوزيد وان القبة بنيت على شكل القباب الموجودة في ناس كقبة مولاي ادريس ولكنني لا اعرف ان المولى محمد يسمى بوزيد اللهم الا أن تكون كنيته «بوزيد» .

فمن الظلم لهذا البطل العظيم ان يظل قبره مطموسا الى الابد ، وانه لمن المؤسف له أن يعتاد الشعب المغربي نسيان او تجاهل عظمائه الذين كافحوا في سبيل توحيد كلمته واعلاء شأنه وفرض شخصيته في الداخل والخارج

ان جميع الامم والشعوب المتحضرة تعتني كل الاعتناء بقادتها وعظمائها بل وتهتم ايضا بمطلق معالم حضارتها ، ولكن الشعب المغربي على العكس من ذلك ـ وهو لا يقل حضارة عن غيره فالواجب ان يهتم الاهتمام الواجب بقادته وعظمائه ومعالم حضارته .

اذ أنه سرعان ما ينسى او يتجاهل من اسدوا اليه الخير وكانوا من اسس امجاده وعظمته .

اليس من المخجل ان يدفن عظيم كالمولى محمد هذا في بني يزناسن ويبقى قبره مطموسا الى الابد ؟ وهو الذي بذل اقصى الجهود في تكوين هذه الدولة وانقاذها من ظلمات الفوضى والاضطراب والانقسامات التي سادت في اواخر عهد الدولة السعدية ؟

حقا ، ان ذلك لمخجل جدا .

واذا كان البحث عن عين القبر قد تعترضه صعوبات لطول العهد فالمقترح ان يعاد بناء موضع قصر ابن مشعل على انقاضه التي لا تزال موجودة وتدعى بخربة اليهودي ، وذلك في شكل مسجد لاقامة صلاة الجمعة ويدعى بمسجد المولى محمد بن الشريف .

واعتقد ان بني يزناسن باجمعهم يساهمون مساهمة فعالة في اكتتاب يفتح لهذا الغرض ، وعلى اي حال فسواء اعتنى بهذا القبر على هذا الشكل المقترح ، او على أي شكل آخر فان روح المولى محمد الشريف لتنادينا صباح مساء بالقيام بواجبنا نحو جثمانه الكريم .

والواجب يفرض علينا ان نلبي النداء ...

موالاة بني يزناسن للسلطة التركية

يستنتج مما حكاه صاحب الاستقصاء ان المولى الرشيد اكتفى باخذ البيعة من سكان المغرب الشرقي ، وفرق عليهم الاموال .

ولكنه لم يعمد الى اقامة وضع اداري مستقر يشرف عليه عامل لتسييره ، وهو نفس الوضع الذي كان في المغرب الشرقي عهد استيلاء اخيه عليه المولى محمد ثم انتقاله الى سجلماسة دون ان ينظم شؤون الاقليم تنظيما اداريا .

يظهر ان هذين الوضعين في المغرب الشرقي اللذين خلفهما المولى محمد اولا ، والمولى الرشيد ثانيا ، كان لهما اثرهما الفعال في قلوب بني يزناسن .

فعلى الرغم من تأييدهم لبيعة المولى الرشيد فانهم قابلوا هذا الوضع بحذر ويقظة ، كما قابلوا وضع اخيه المولى محمد من قبل .

ولذلك فقد اكتفوا بموقف المؤازرة في الظاهر ريثما يستقر الوضع ويقررون الموقف النهائي .

ويستنتج ايضا من الاستقصاء ، ان المولى الرشيد لم يستصحب معه شخصيات من المغرب الشرقي الى داخل المملكة ليكونوا من جملة حاشيته .

فالظاهر انه لم تكن هناك رغبة مشتركة في هذا الاستصحاب . فالمولى الرشيد اكتفى باخذ البيعة وسكان المغرب الشرقي اكتفوا بظاهر الموافقة، مع ان الامر كان يقضي باحد امرين او هما معا فيما يظهر .

فاما ان يترك على المغرب الشرقي عاملا حازما لضبط شؤون هذا الاقليم ، وأما ان يستدرج المولى الرشيد طائفة من قادة المغرب الشرقي وفي مقدمتهم بنو يزناسن ليكونوا من حاشيته ، او يقوم بالامرين معا ، ومن شأن هذا الاجراء ان يضمن استمرار التعلق بالمولى الرشيد دون حذر وتحفظ.

ولكن المولى الرشيد اكتفى باخذ البيعة وقفل لاتمام الامر في مجموع المملكة .

وهذا ما حدا ببني يزناسن الى تقرير استمرار موالاتهم للسلطة التركية ، وهو قرار له مبرراته .

وخصوصا اذا لاحظنا ان المولى الرشيد كان عليه ان ينحي الدلائيين من فاس ، والشبيانيين من مراكش والحسونيين من سوس .

وهذه العمليات الخطيرة ليس من السهل التكهن بنتائجها ؟

وهذا ما حملهم على التمسك بدعوة الاتراك . ومن‌الانصاف ان لا يواخذوا بهذا التمسك الذي اداهم اليه اجتهادهم على ضوء الاحداث .

ايقاع المولى اسماعيل ببني يزناسن

ولما توفي المولى الرشيد في سنة اثنين وثمانين والف هجرية كما ذكر ذلك صاحب الاستقصاء انعقدت البيعة للمولى اسماعيل .

وعلى الرغم من انعقاد هذه البيعة فقد استمر بنو يزناسن في التمسك بدعوة الاتراك .

وزاد تمسكهم بها قيام المولى ابي العباس احمد بن محرز بن الشريف، وهو ابن اخ المولى اسماعيل في مراكش عقب وفاة المولى الرشيد ، ثم انتقاض اهل فاس على المولى اسماعيل وقتلهم القائد زيدان ، واعلانهم لدعوة ابن محرز المذكور ، ثم انتقاض البربر شيعة الدلائيين والتفافهم على

أحمد بن عبد الله منهم ، ثم ثورة اخوته الثلاثة ، المولى اكران ، والمولى هاشم والمولى احمد .

فهذه الاحداث كان من شأنها ان تزيد في تقوية قرارهم بموالاة الاتراك . وذلك على الرغم من مقدم المولى اسماعيل الى المغرب الشرقي مرة الى انكاد حيث قام بعملية تاديبية بين العرب هناك ، واخرى توغل فيها الى تخوم المغرب الاوسط واعقبت هذه الغارات الاخيرة صلحا بينه وبين الاتراك.

ويقول صاحب الاستقصاء انه في سنة تسعين والف امر المولى اسماعيل بنقل عرب زرارة والشبانات من الحوز الى وجدة لما كانوا عليه من الظلم والفساد وولى عليهم ابا البقاء العياشي بن الزويعر الزراري وتقدم اليه في التضييق على بني يزناسن . اذ كانوا يومئذ منحرفين عن الدولة ومتمسكين بدعوة الترك . انتهى كلام صاحب الاستقصاء بتصرف .

ثم انه بأمر من المولى اسماعيل قام القائد العياشي ببناء القلاع الاتية :
قلعة الركادة ، وقلعة السعيدية ، وقلعة بوغريبة ، وقلعة العيون وقد اشرت الى بعضها في فصل الاثار المتقدم الذكر .

وفي سنة احدى وتسعين والف هـ اوقع المولى اسماعيل بنى يزناسن ايقاعه الشهير .

واعتقد ـ بناء على دراستي العميقة لنفسية بني يزناسن ان هذا الايقاع لم يكن السبب المباشر في قطعهم دعوة الترك نهائيا .

ولكن العامل الحقيقي يرجع الى ان بني يزناسن شعروا شعورا صادقا بأن المولى اسماعيل لا يكتفي بمجرد اخذ البيعة له وشن الغارات ، بل انه الى جانب ذلك اقام عاملا في وجدة هو السيد العياشي ، وبنى القلاع الضرورية في نفس بني يزناسن للمحافظة على الامن .

فوجود وسائل الحماية والامن في نفس قبائل بني يزناسن ، ووجود عامل حازم يشرف على ضبط الامور ، ان هذين العاملين الحساسين هما ـ في الحقيقة اللذان حملا بني يزناسن على العدول عن قرارهم الاول بالتمسك بدعوة الاتراك .

وهناك عامل ثالث لا بد من الاشارة اليه هنا . وهو ان المولى اسماعيل حينما توغل في المغرب الاوسط طلب منه الاتراك ان يرجع الى حدود اجداده وسلوك السعديين بالخصوص من قبله ففعل .

وأن هذا الالتماس التركي من المولى اسماعيل قد دل على ان الاتراك اصبحوا يقدرون نفوذ المولى اسماعيل على المغرب الاقصى وهذا من شأنه ان يقطع اي طمع من جانب الاتراك في الاستيلاء على اقليم وجدة المجاورة

للقطر الجزائري بما في ذلك بنو يزناسن ، اذن ، فبنو يزناسن اصبحوا في مامن من غارات الاتراك من جهة ولهم قلاع تحميهم من جهة ثانية ، ولهم قائد عام يصرف شؤونهم من جهة ثالثة . فلم يبق هناك داع للتمسك بالدعوة

ومن أجل ذلك لم يعلم عنهم اي انتقاض منذ هذه الظروف التي حللناها

والخلاصة ان بني يزناسن جديون حينما يشعرون بالجدية التي توفر لها الوسائل الضرورية .

ومن مفاخرهم انهم كانوا يكتفون بموالاة الاتراك ولا يثورون على ملوكهم كما كان الشأن في كثير من القبائل .

وبهذه المناسبة اؤكد هنا : ان بني يزناسن من اشد الناس تمسكا بمبادئهم اذا ما كانت هناك «جدية» أما اذا شعروا بضعف ، وشعروا بتلاعب فانهم يرفضون كل ضعف وكل تلاعب .

واذا قدر لهم في يوم من الايام ان انساقوا ، او انساق بعضهم على الصحيح وراء تيار غير جدي ، فان ذوي النوايا الطيبة لا يلبثون ان يرجعوا الى الصواب فلا يغترن احد ببعض مظاهر مواقفهم غير الجدية .

فحينما يشعرون بالتلاعب والمخادعة يتحولون الى اعداء الداء لكل من تلاعب بهم او خدعهم فالجد عندهم جد ، والهزل هزل ، فلا يخلطن احد عليهم هذا بهذا ، والا فمئاله الفشل الذريع .

بنو يزناسن في عهد المولى عبد الرحمن

1) ولاية السيد محمد بن الطيب ابن عم المولى عبد الرحمن على وجدة .
2) ولاية ادريس الجراري على وجدة .
3) زيارة المولى عبد الرحمن لوجدة .
4) بنو يزناسن وكارثة اسلي
5) كفاحهم مع الحاج عبد القادر .

كانت بيعة المولى عبد الرحمن بن هشام يوم وفاة عمه المولى سليمان، وذلك في السادس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألـــف .

ولم تمر ثمان سنوات على بيعته حتى استولى الفرنسيون على الجزائر أي في عام 1246 هـ .

واثناء هذه الظروف ، كان اقليم المغرب الشرقي يعيش في اضطرابات وفتن ، يقول بعض المؤرخين : ان ذلك راجع الى عوامل العنصرية البربرية والعربية ، وقد لا يخلو هذا القول من الصحة .

فالعنصرية السلالية اذا خمد أوارها في يوم اضطرم من جديد في اعوام،

كان ذلك – ولا يزال من العوامل التي تمزق وحدة الامم والشعوب وتفرق كلمتها . وتجعلها عرضة لكل سالب وناهب .

غير انني اعتقد ان هذه الفتن والاضطرابات التي كان يعج بها اقليم المغرب الشرقي لم تكن فقط نتيجة الخلافات الشخصية ، او النزعات السلالية

فلزاما ان يكون ثمة اولا عامل خلو ادارة الاقليم من شخصية حازمة تعرف كيف تسوس هذا الاقليم ذا التقاليد الخاصة ، وذلك بمزج الملاطفة والليونة بالشدة والصرامة من جهة ، والاستقامة في شؤون الدين والدنيا من جهة ثانية .

فاقليم المغرب الشرقي لا يساس فحسب بالليونة لان اي اقليم كيفما ارتفع مستوى اخلاقه لا يخلو من مردة على النظام والقانون .

وهؤلاء المردة لا يجدي اللين في ردهم الى الجادة والصواب ، بل لا بد من استعمال شيء غير قليل من القساوة والحزم مع انصافهم ان كانوا لهم حقوق على الدولة ، اما ذوو الاخلاق الفاضلة – وما اكثرهم في المغرب الشرقي فيجب ان يساسوا باللين والاحترام ، الامر الذي يجعلهم عدة قوية في جانب المسؤولين عن هذا الاقليم .

والى جانب هذا اعتقد ان هناك عاملا رابعا كان له اثر في تلك الاضطرابات ذلك أن وضعية الاتراك في هذه الظروف قد تغيرت عن وضعيتها فيما قبل في الجزائر .

فالمعروف أن والي الجزائر التركي احمد باشا ، كان قد حاول الاستبداد بامر الجزائر عن الخلافة العثمانية التي كان على راسها السلطان محمود العثماني ، وقد بلغ الخلاف بين الوالي احمد باشا ، والسلطان محمود درجة ما يحكي عن ان الفرنسيين حينما اشتكوا بتصرفات احمد باشا الى السلطان محمود ، قال لهم : شأنكم واياه !

ومن البديهي ان يكون في الجزائر وفي هذه الظروف – من يناصر احمد باشا في استبداده او محاولة استبداده بامر الجزائر ، ومن يخالفه في ذلك بالتعلق بالسلطة المركزية ، الامر الذي تنشأ عنه – بالطبع فتن واضطرابات وهذه الاضطرابات لا بد ان تصيب بشراراتها الاقاليم المجاورة على الحدود المغربية الجزائرية وفي مقدمتها المغرب الشرقي .

على انه لا يستبعد ان يكون هناك «طابور خامس» للفرنسيين كان يعمل عمله لاضرام نار الفتن بواسطة عملاء من الداخل او الخارج .

ولهذا قرر المولى عبد الرحمن رمي اقليم وجدة بابن عمه فيما يظهر .

المولى محمد بن الطيب

غير ان ولاية المولى محمد بن الطيب على اقليم وجدة لم تكن لتاتي

بالنتيجة المرجوة لها باخماد نار الفتن والقضاء على هذه الاضطرابات .

فالمولى محمد بن الطيب قد عرف اثناء ولايته على تامسنا ودكالة بالقساوة التي لا حد لها .

فالنتيجة كانت منتظرة سلفا من ولايته على اقليم وجدة ، فعلى الرغم من صرامته وقساوته فانه لم يستطع ان يقوم بمهمته من اخماد نار الفتن والاضطرابات وارجاع الامن الى نصابه ، فرجع عن وجدة بدون طائل على حد تعبير صاحب الاستقصاء .

فاقليم المغرب الشرقي ــ كما قلت ــ سابقا ــ لا يساس فقط بعامل القسوة ولا سيما اذا بلغت هذه القسوة ما وصف به الشريف المولى محمد ابن الطيب .

ولاية ادريس الجراري على اقليم وجدة

لقد فشل المولى محمد بن الطيب في مهمته باقليم وجدة فأخذ المولى عبد الرحمن ، يعيد النظر فيما يجب ان يتحلى به من الاوصاف من يكلف بمهمة ادارة اقليم المغرب الشرقي .

وبعد دراسة عميقة لطبائع سكان المغرب الشرقي تبين له ان سكان هذا الاقليم ذوو نفوس ابية لا ينقادون الا للاباة ذوي العقول الراجحة والدراية والسياسة وصيانة كرامتهم فندب لهذا الامر رجلا يتوفر على هذه الاوصاف التي كانت من نصيب السيد الجراري .

زيارة المولى عبد الرحمن لاقليم وجدة

وبعد ولاية السيد الجراري على اقليم وجدة وارجاع الامن الى نصابه قام المولى عبد الرحمن بزيارة تفقدية لاقليم وجدة ، وذلك في سنة 1243 هـ وقضى هناك عيد الفطر السعيد وكان في مقدمة الوافدين عليه للتهنئة في هذا العيد ، وفود بني يزناسن ، فرحب بهم واكرم وفادتهم .

ونظرا لآثار الجدب الذي كانوا يقاسونه في ذلك العام واعدهم بزيارة مقبلة .

الامير الحاج عبد القادر الجزائري وبني يزناسن

في عام 1246 هـ استولى الفرنسيون على وهران من القطر الجزائري وقد خف اهل تلمسان الى المولى عبد الرحمن ملتمسين منه قبول بيعتهم له والانضمام الى المملكة المغربية ، فقبل ذلك منهم وولى عليهم ابن عمه المولى عليا بن المولى سليمان واوصى المولى عبد الرحمن عامل اقليم وجدة السيد ادريس الجراري بمؤازرة المولى علي .

ومن جملة ما قاله المولى عبد الرحمن في هذه الوصاية . قال صاحب الاستقصاء :

«ورشح ابن عمه المولى عليا للخلافة عليهم لما يعلم من عقله ودرايته وسياسته ، وانه ذو نفس ابية لكون تلك النواحي لا يصلح لها الا من اتصف بهذه الاوصاف وكما رشحه مولانا للخلافة عليهم ، اي على أهل تلمسان رشحه ليكون واسطة بينهم وبينه لكون الاوصاف المذكورة موجودة فيه .

غير ان عهد خلافة ابن عمه المولى علي لم يطل فلقد ظهرت الخيانة في بعض القبائل واضطربت الاحوال ، فسحب المولى عبد الرحمن ابن عمه علي وتركهم لتخاذلهم وخيانتهم موفرا قوته للدفاع عن المملكة المغربية .

وبين موجة هذه الاضطرابات في اقليم تلمسان وضواحيها قام الامير الحاج عبد القادر الجزائري بمهمة الدفاع عن الجزائر .

ولما ظهر منه ما ظهر من نشاط للدفاع عن دار الاسلام اخذ المولى عبد الرحمن يمده بمختلف المعونات على يد الامين الحاج الطالب بنجلون الفاسي وغيره .

ولكن الفرنسيين على الرغم من ذلك استولوا على جميع القطر الجزائري وحينذاك كان الحاج عبد القادر يلجأ تارة الى بني يزناسن ، وتارة الى الريف ، وتارة الى الصحراء .

وقد كان من نتائج لجوئه الى بني يزناسن ان أخذ الفرنسيون يهجمون على بني يزناسن لما كانوا يساعدون به الحاج عبد القادر من ذخيرة ورجال، ولان بني يزناسن كانوا اقسى المحاربين مع الحاج عبد القادر ضد الفرنسيين وقد بلغ من حقد الفرنسيين عليهم ان توغلوا — في بعض غاراتهم على بني يزناسن الى قرية تافوغالت ، اي 44 كيلو متر على الحدود المغربية الجزائرية

غير ان بني يزناسن كانوا ينسحبون الى داخل التراب المغربي للتغرير بالجيوش الفنسية وحينما وصلت الى تافوغالت انقضوا عليها من كل حدب وصوب حتى لم ينج منهم الا القليل .

ولا تزال مقبرة للضباط الفرنسيين الذي سقطوا في بني يزناسن موجودة في تافوغالت بالمحل المدعو : «القبوز» بفتح القاف وتشديد الباء

ولم تكن هذه هي المجزرة الاولى في صفوف الجيوش الفرنسية اثناء غاراتها على بني يزناسن فقد لقيت الجيوش الفرنسية نفس المصير في كل غارة كانت تشنها على بني يزناسن . لما كانوا يقومون به من صدق المقاومة مع الحاج عبد القادر الجزائري .

ولقد توالت غارات بني يزناسن عليهم الى أن اضطروا الى رفع شكواهم الى المولى عبد الرحمن .

ولقد اشار الامير شكيب ارسلان رحمه الله الى هذا الكفاح اليزناسني الذي بلغ من شهرته ان طارت احداثه الى الشرق العربي والى العالم الاسلامي، الامر الذي حدا بالامير شكيب ارسلان الى أن يسجل ذلك ـ بمزيد من الاهتمام ـ في حاشيته على كتاب حاضر العالم الاسلامي .

بنو يزناسن وكارثة اسلي

لقد جنت القيادة الفرنسية العسكرية جنونها بما الحقه بها سكان اقليم المغرب الشرقي على العموم وبنو يزناسن على الخصوص من خسائر في الاموال والارواح .

ولما أعياها الامر في اسكات رصاص بني يزناسن اخذت تشن الغارات على عرب وجدة ، وحينئذ اضطر المولى عبد الرحمن الى تنبيه الفرنسيين الى خطورة هذا الاعتداء ، فتعللوا بما يقوم به هو من مساعدات للحاج عبد القادر وما يقوم به بنو يزناسن من غارات متوالية عليهم لا تذر ولا تبقى .

ولما لم يجد التنبيه في عزم المولى عبد الرحمن على القيام بعملية تأديبية لهؤلاء الفرنسيين المعتدين ، استنفر القبائل للجهاد . ويقول صاحب الاستقصاء ان الجيش المغربي الذي تجمع بوادي اسلي (3) كان فرسانه يبلغون ثلاثين ألف فارس، ونصفهم من بنى يزناسن ، مع اعتبار زيادة مثل نصف كل جيش من الراجلين ، ومجموع الجيش كان يتكون من 60 ألف مقاتل ...

كما يقول المصدر ان الحاج عبد القادر كان حاضرا ولكن لم يشارك في القتال ، بل انتبذ جهة بخمسمائة فارس كانوا صحبته ، وكأن لسان حاله يقول: لم آمر بها ولم تسوئني .

نعم : على الرغم من هذا الجيش العتيد فان العاقبة كانت على المسلمين نظرا لضعف القيادة الحربية ، وعدم مقابلة هذه الوقعة بما تستحقه من الحزم والصرامة ، فهلك المئات من الجيوش المغربية واضطربت صفوفهم الى غير ذلك من الاحوال السيئة التي حكاها المؤرخون لهذه الكارثة العظمى .

فكان ما كان مما لست اذكره ، فظن شرا ولا تسأل عن الخبر .

وعقب هذه الكارثة اخذ الغرور يتعاظم في نفس الحاج عبد القادر فاضمر الانقضاض على المغرب فأرسل طائفة من ابطاله الى المولى عبد الرحمن في صفة «هاربين» فانزلهم المولى عبد الرحمن على وادي سبو وحين استقر بهم المقام التحق الحاج عبد القادر بهم . ولكن المولى عبد الرحمن قد فطن للخديعة فكانت بينه وبين الحاج عبد القادر وقعة التسول ، التي افشلت «طابوره الخامس» فطار الى سلوان الذي يبعد عن الناضور بتسع كيلو مترات فلاحقته الجيوش المغربية ، فتظاهر بأنه لا يد له في حوادث التسول ولكن : عاد الى محاولة ثانية ، اذ جهز طائفة من ابطال فرسانه وأمرهم بمفاجاة

---

3) واد اسلي شمال وجدة في طريق وجدة بركان على بعد ثلاث كيلو مترات .

جيش السلطان فكانت حوادث دامية بسلوان ، وبمشرع الرحائل على وادي ملوية الفاصل بين قبائل بني يزناسن وكبدانة .

ولقد استنجد الحاج عبد القادر بني يزناسن ، ومن علي رأسهم الشيخ الشهير السيد المختار بوتشيش صاحب الزاوية القادريه الذي تقدم ذكره في شرفاء بني خالد .

ولكن بني يزناسن هذه المرة ـ بما فيهم الشيخ البوتشيشي ـ لم يلبوا نداءه ولا انجدوه بل انهم تنكروا له بمقدار ما كانوا يؤازرونه ،

وكان من المنتظر من بني يزناسن ، ومن الشيخ البوتشيشي ، ان لا يتنكروا له فحسب . بل كان من المنتظر ان يطردوه شر طردة .

ولكن بني يزناسن الذين يقدرون الضيوف تقديرا بلغ حد الافراط ، اكتفوا باهماله وتركوه لشأنه حتى لا يقال عنهم انهم يسيئون الى ضيوفهم وأن تجاوز هؤلاء الضيوف حدود اللياقة التي تجب على الضيوف مراعاتها .

فالحاج عبد القادر عفا الله عنه ، لزم خطة «الحياد» في كارثة اسلي ، مع انه كان يجب ان يكون في مقدمة المحاربين في الحرب التي ادت الى هذه الكارثة .

فهذه الحرب كانت نتيجة امداد المولى عبد الرحمن له بالرجال والمال والسلاح ، ونتيجة على الخصوص للمشاركه الفعالة التي قام بها بنو يزناسن في سبيل نصرته .

بل انه كان يجب عليه ان يشارك ولو لاجل استمالة بني يزناسن اليه ، او رد بعض صنيعهم معه ولا سيما وبنو يزناسن ملجؤه حينما لا يكون له ملجأ ، ودرعه حينما لا يكون له درع ، ونصيره حينما لا يكون له نصير ، كان في الباطن يتمنى ان يحدث ما احدث ، وكانما كان له ثار ينتظر اخذه ، فاين هو الاباء يا سيدي ج عبد القادر ؟

ولم يقتصر السيد الحاج عبد القادر على هذا الموقف التاريخي الذي كان لطخة في جبين «كفاحه» . ولكنه تحطب للاستيلاء على المغرب ، واقتطاع المغرب الشرقي منه على الاقل . فكانت مؤامراته الفاشلة التي خاضها في قبائل التسول ، ومشرع بورحايل من مصب ملوية أي في قلب دار بني يزناسن الذين كانوا بالامس القريب قلاعه المنيعة ، ودروعه الحصينة !

ابعد هذا كله تتقدم يا سيدي الحاج عبد القادر لطلب النجدة والنصرة من بني يزناسن ؟ ومن الشيخ البوتشيشي ليمدك بتلامذته ؟

انه لتفكير عجيب ان يطلب الحاج عبد القادر مثل هذه النصرة من اناس خذلهم وخذل مليكهم وخفر ذمتهم ، وخفر ذمة مليكهم ، وتنكر لكل

جميل لم ينقطع عنه مدة سبعة عشر عاما !!

فهل كان الحاج عبد القادر يود من بني يزناسن أن ينقضوا عهد مليكهم العظيم الذي ضرب الرقم القياسي في الشهامة والعدل والتقوى والحنو الابوي على رعيته ؟

وهل خيل اليه ان بني يزناسن الذين اضطرتهم ظروف قاهرة لموالاة الاتراك موقتا ، لذهم سيدخلون تحت طاعته ؟

انه لا قياس مع وجود الفارق يا سيدي الحاج عبد القادر ؟

فبنو يزناسن احرص الاقاليم على مراعاة مقتضيات العهود ، واحب الاقاليم لترابهم ، ويستهينون بكل شيء ، الا بعهودهم ومحبتهم لوطنهم وملوكهم ومقتضيات دينهم الحنيف .

وأن الذين يحترمون حتى الضيف الغادر ، لا يتصور منهم ان ينكثوا عهودهم لوطنهم ومليكهم .

ولكن سيئات «القادة» كحسناتهم ، فالحاج عبد القادر وان اشتهر بالدهاء والشجاعة وسرعة الخاطر كبابه عقله كبوة لم يكن على وجهها غبار . واذا أراد الله أمرا هيأ له اسبابه . فقد كان مقدرا ان يتم احتلال الجزائر ، وكان لهذا القدر اثره على تفكير الحاج عبد القادر الذي شاخ قبل أوانــه .

واغرب من هذا وأعجب ، ذلكم التحامل الغريب من ولده الامير محمد في كتابه تحفة الزائر ، في مئاثر الامير الحاج عبد القادر بالجزائر ، على الشيخ البوتشيشي لان هذا الشيخ رضي الله عنه لم ينجد الحاج عبد القادر بتلامذته .

فماذا كان الامير محمد صاحب التحفة يريد من الشيخ المختار هذا الرجل التقي الصالح ان يفعله غير ما فعل مع الحاج عبد القادر ؟

هل كان يريد منه ان يخذل وطنه ودينه ومليكه في سبيل نصرة رجل خفر عهود المولى عبد الرحمن وتنكر لمعوناته وجميله !

بل ان الحاج عبد القادر ابى الا أن يثير حربا مخزية في قلب دار بني يزناسن ، اي فيمشرع بورحائل ! ويستشهد في هذه الحرب بعض ابطال بني يزناسن الذين كانوا بالامس القريب قلاعة المنيعة ودروعه الواقية ! لا ... والف لا . ايها الامير صاحب تحفة الزائر .

ان بني يزناسن قد بلغوا من اخلاصهم لدينهم ووطنهم ومليكهم مستوى لا يمكن معه التغرير والخداع .

التاريخ يعيد نفسه

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فان اخواننا الجزائريين عفا الله عنهم قد اعادوا نفس التاريخ اثناء حروبهم التاريخية .

فعلى الرغم مما اسدى اليهم المغرب ، وملك المغرب محمد الخامس قدس الله روحه ، وما امدهم به من معونة معنوية ومادية بنو يزناسن على الخصوص فانهم كانوا ــ وهم ــ في عقر ديارنا ــ لا يتورعون عن الاعتداءات علي بني يزناسن خاصة وعلى المغاربه بصفة عامة ، بل كانوا يعتدون حتى على رجال السلطة .

فحينما اسندت الى رئاسة دائرة بني يزناسن من 12 ــ شتنبر 1956 ، الي ثاني أكتوبر 1958 شاهدت العجب من شذوذ وتصرفات الاخوان الجزائريين في هذه الدائرة .

فلقد كانت حوادث الاعتداءات على كرامة الاهالي وحرمة سلطة الدولة تأخذ معظم الاوقات مني .

ولقد اضطروني مرارا الى القاء طائفة منهم في السجن ، وما كان لي أن افعل غير ذلك .

والغريب في الامر أنني حينما كنت اذكرهم بوجوب احترام السلطه التي تحميهم وبحقوق ضيافة الشعب المغربي ، كانوا يجيبونني : بانهم يمتثلون لاوامر «الجبهة» ليس الا ، وانهم لا يقيمون اي وزن لاية سلطة ! بل انهم لا يعرفون ان هنا سلطة .

وازاء هذا التحدي البليد كنت اضطر للالقاء بهم في السجن مدة لم تتجاوز اقصاها الشهر : فيتوسط اعضاء الجبهة ويتظاهرون بتبرئهم من تلك التحديات فاطلق سراحهم . ومع ذلك لا يلبثون ان يعودوا الى تحدياتهم .

وذلك كان شأنهم ايضا حينما نقلت من ابركان الى رئاسة دائرة احواز وجدة من ثاني اكتوبر 1958 الى 30 غشت 1960 .

ومما يستوجب التسجيل هنا ــ مع كامل الاسف ــ انه حتى السيدات الجزائريات لم يقصرن في مجموعهن عن مثل هذه التحديات ، فالسيدة الجزائرية لا تذكر المغاربه او المغرب الا مقرونا بسلسلة من السباب والشتائم .

وقد يعجب الانسان من هذه المواقف الغريبة من اخواننا الجزائريين ــ وهم في عقر ديارنا ونحن نساعدهم ملكا وحكومة وشعبا علي تحريرهم من نير الاستعمار ولو لا مساعدتنا لامتدت الحرب عدة عقود بلا طائل .

فماذا كان يفعل الجزائريون لو اننا اغلقنا الحدود في وجوههم وطردناهم من ديارنا وقطعنا عنهم كل معونة ؟؟؟

كان قادتهم ـ بدون شك ـ لا يفعلون اكثر ما فعل الحاج عبد القادر من الاستسلام الى الفرنسيين ، ولكن المغرب : ملكا وحكومة وشعبا ، سما ـ وما كان له غير السمو ـ فتم تحرير الجزائريين .

وبهذه المناسبة نسجل هنا ايضا ـ مع كامل الاسف ان اخواننا الجزائريين بعد ان تم تحررهم بالمساعدة المغربية الاساسية ما لبثوا ان شنوها حربا على حدودنا . وحاولوا ان يقتطعوا اجزاء من اراضينا .

ولكن هيهات ، فلقد تلقوا بهذا الاعتداء السافر دروسا «ممتعة» لن ينسوا مفعولها ابدا الابدين .

وخلاصة القول ان الحاج عبد القادر لم يوفقه الله الى الدفاع عن الجزائر فاستسلم الى الفرنسيين بعد ان تحقق من اخطائه التي كان لا بد ان تأتي بهذه النتيجة المؤسفة .

كما ان الامير محمد كان مخطئا ـ سامحه الله ـ في تحامله على الشيخ البوتشيشي رضي الله عنه .

ولقد انتهزت هذه الفرصة للرد على هذه التحامل الذي كان يحز في نفسي منذ ان اطلعت عليه حوالي سنة 1936 م

فحينما اطلعت على ذلك ، واطلعت على ما كتبه الامير شكيب ارسلان عن كفاح بني يزناسن ضد الفرنسيين واطلعت على الحقيقة من كثير من رواة اخبار الحاج عبد القادر ببني يزناسن ، من حينذاك ، وأنا عاقد العزم على ان ارد الحقائق الى نصابها متى حانت الفرصة لذلك . وها انا قد فعلت من اجل الحقيقة والوقائع ليس الا .

سامح الله الحاج عبد القادر . وسامح ولده الامير صاحب التحفة ، وسامح اخواننا الجزائريين ووفقهم الى طريق الرشد والصواب .

بنو يزناسن في عهد المولى الحسن الاول

حدثت في عهد المولى الحسن الاول حادثتان مهمتان في اقليم المغرب الشرقي هما اللتان ساتناول الحديث عنهما وتحليلهما على ضوء النفسية اليزناسنية .

والحادثتان ذكرهما صاحب الاستقصاء . وقد لفت نظري جوانب منهما الامر الذي دفعني الى الكتابة والتعليق عليهما .

بويع المولى الحسن الاول ـ كما هو معلوم في سابع وعشري رجب 1290. ووقع الاحتفال ببيعته في مدينة مراكش .

وأثناء مقامه في فاس بعد بيعته ، قال صاحب الاستقصاء ، نبغ نابغ باعمال وجدة يقال له : أبو عزة الهبري من هبرة بطن من سويد وسويد من عرب مالك بن زغبة الهلاليين .

وكان هذا الرجل فيما زعموا يخط في الرمل ، ويتعاطى بعض السحريات فتبعه بعض الاوباش الذين لا شغل لهم من أطراف الايالة الى أن قال : ونهض السلطان في منتصف رجب عام 1291 ، من فاس للقضاء عليه ، وبعد حوادث دامية القي القبض على الهبري في تاوريرت . والذين ألقوا عليه القبض هم جماعة من بني كلال وقدموه الى السلطان ثم القي في سجن فاس . انتهى كلامه بتلخيص وتصرف . والمقصود من ذكر هذه الحادثة والتعليق عليها هو الشبه الواقع بين هذا الثائر العربي من وجدة وبين الهبري العزاوي صاحب الزاوية الدرقاوية في المحل المسمى الضريوة ببني يزناسن .

فأحد رؤساء هذه الزاوية يدعى الهبري ، والثائر يدعى الهبري نسبة الى هبرة قبيلة من عرب وجدة . والثائر كان يخطط في الرمل ويشتغل بالسحر وهاتان الصفتان تحكي أيضا عن أحد رؤساء الزاوية المذكورة ، وهو الشيخ الهبري العـــزاوي .

فهل أبو عزة الثائر هو الهبري الصوفي ؟

لا... ان الهبري الصوفي من ذرية سيدي عبد الله بن عزة نسبة الى أمه عزة ، وهو من آل البيت ودفين بني خالد القسم الرابع الشرقي من قبيلة بني يزناسن الكبرى .

وأبو عزة الثائر هلالي لا ينتسب لآل البيت . ويظهر من سكوت صاحب الاستقصاء عنه في سجن فاس أنه مات في هذا السجن . لانه من المحقق ان المولى الحسن لما جيء له بهذا الثائر عفا عنه من ناحية اقامة القصاص عليه بالقتل بعد أن أظهر توبته ولكن لا يمكن أن يلقي به في الســجـن ثم يطلق سراحه . فيكفي هذا الثائر الفتان أن يقع العفو عنه من ناحية القتل ولكن يستبعد في هذه الظروف أن يطلق سراحه .

لذلك فان اتفاق اشتغال ابي عزة الثائر بتخطيط الرمل والسحر مع ما يقال من اشتغال احد رؤساء زاوية سيدي عبد الله بن عزة بذلك، والاتفاق في اسم الهبري أو النسبة اليه لا يستدل بذلك على أن هذا الاتفاق يجعل الثائر وسيدي عبد الله بن عزة أو أحد اولاده هو... هو.. لا.. بل انه غيره .

لذلك فالياء في كلمة الهبري العزاوي للعلة ، والياء في الهبري الثائـــر للنسب.

ولا سيما اذا لاحظنا أن بني يزناسن يسمون : بالهبري ، لان اسـم الهبري من الاعلام المستعملة عندنا .

على انني لم اكتف بهذا التحليل فاتصلت بالسيد محسن أحمد من حفدة سيدي عبد الله ابن عزة فادلى الي بسلسلة نسب سيدي عبد الله بن عزة الى الحسن بن علي رضي الله عنهما .

والخلاصة انني لا اعلم اي قائم على أي سلطان بالدعوة لنفسه من بني يزناسن ، على الرغم من دراستي لهذا الموضوع ولذلك صححت الوضع هنا حتى تبقى صحيفة بني يزناسن نقية بيضاء لا تدنسها سيئة من هذا النوع كما يشهد بذلك واقع تاريخ بني يزناسن .

لانه ـ وكما سيعلم المطلع من بعد ، قد اظهر بنو يزناسن ـ اثناء الكفاح الوطني الطويل من صدق الوطنية ما يشهد لهم بعراقتها وما يرفعهم عن مستوى كثير من أقاليم المغرب .

وما ذلك الا لما يتوفرون عليه من تقدير العهود بصفة خارقة للعادة منذ الاجيال الغابرة .

وان تعلقهم بالوحدة المغربية هذا التعلق دفعهم دائما وابدا الى التعلق برمز هذه الوحدة وعناصرها الاساسية الى النهاية . وذلك التقدير للعهود ، وهذا التعلق بالوحدة كان منشأهما عناصر الاباء والعزة والكرم التي عرف بها بنو يزناسن على مر الاجيال .

ولذلك شق علي ان أهضم ظاهر الاحداث السابقة ، فانطلقت لتحليلها والتعليق عليها بما يلائم الطبيعة اليزناسنية من اباء وعزة وكرم .

فقد عرفت كثيرا من ضعفاء الاخلاق حاولوا ان يستغلوا بني يزناسن ويغرروا بهم فضربوا على اوتار الاباء والعزة والكرم واستدرجوا طائفة منهم ، ولكن الى دون الغاية المتوخاة .

فاليزناسني ابي ، عزيز النفس ، كريم ، ولكنه ذكي ، لا يغرر به طويلا ولا عبرة بمواقف بعض الطفيليات التي لا تتلاءم وعراقة العزة والوفاء .

قصة الحاج محمد بن البشير بن مسعود اليزناسني

في أوائل عهد المولى الحسن الاول

قبل أن أحلل العوامل التي دفعت بالحاج محمد بن البشير بن مسعود اليزناسني الى القيام بما قيل عنه استبدادا او انحرافا ، أقدمه للقارىء بمعلومات مختصرة ، ثم اروي ما قاله صاحب الاستقصاء اولا ، وما حكاه عنه صاحب « اتحاف اعلام الناس » ثانيا . حتى يتمكن المطلع من الوقوف على النصوص التاريخية اولا ، ثم على التحليل والمقارنة بين ذلك ثانيا .

الحاج محمد بن البشير بن مسعود اليزناسني

الحاج محمد بن البشير بن مسعود الوريمشي البخريضي اليزناسني. من قسم بني وريمش من القبيلة الكبرى لبني يزناسن .

وفرقته الكبيرة تدعى اولاد بوخريص . والعائلة الصغيرة تدعى اولاد البشير أمسعود .

ولا تزال بقية القصر الذي كان يسكنه موجودة الى غايته . وذلك بالموضع المسمى « برديل » بفتح الباء وسكون الراء .

وبرديل هذا واقع على سفح جبل هناك مغروس باشجار التين والزيتون ما بين فرقة المزارعة وقرية تافوغالت .

ومن اولاد الحاج محمد بن البشير المذكور ولده الحا جمحمد الصغير . ومن ولد هذا الاخير الحاج محمد المنصوري الذي سيأتي الحديث عنه في القسم الثاني من هذا الكتاب . ومن احفاده الخليفة السيد البشير بن الطاهر ابن الحاج محمد بن البشير المذكور .

وقد كان الحا جمحمد بن البشير احد الابطال العظام لا في بني وريمش ولكنه في مجموع اقليم المغرب الشرقي ، خبرة بالحرب ، ونجدة عجيبة . ومتانة في الخلق والخلق . وبعد نظر ، وسعة صدر . بالاضافة الى تعففه عن أموال الناس فضلا عن أعراضهم .

ولم يكن من السهل أن يتزعم بني يزناسن اولا ، واقليم المغرب الشرقي ثانيا ، لولا انه كان يتوفر على صفات الرجولة بمختصر القول ، وقد ورث عنه أبناؤه وحفدته هذه الرجولة الى الآن .

على ان فرقة اولاد البشير أمسعود من ابرز العائلات على العموم في بني يزناسن ، والى جانب هذا وذاك ، كان الحاج محمد بن البشير معروفا بشدة تعلقه بشؤون دينه .

ولم يعرف عنه انه استغنى بزعامته باستغلال نفوذها . فقد مات رحمه الله ولم يخلف شيئا يذكر وراءه من الاموال والعقار والانعام .

بل حتى « قصره » كان متوضعا لا يلوح بما تلوح به القصور من آيات الثراء والنعمة .

على أنه يجب التنبيه الى انه ليس ممكنا أبدا ان يتزعم اي إنسان بني يزناسن ويصل الى هذه الزعامة دون أن يكون له مساعدون ينظر اليهم الزعيم نظرة الاخوة والمساواة والاحترام وهؤلاء المساعدون يحصون عليه كل شاذة

وفاذة . ويواجهونه صراحة بكل اخطائه ، ويطالبونه بايضاح كل تصرف منه والى ذلك يضفون عليه من التقدير الشيء الكثير .

اذ انهم لا يومنون حتى يفهموا . واذا فهموا آمنوا . واذا امنوا استماتوا في سبيل ايمانهم وعقيدتهم . نعم دون تفهمهم لحقيقة الهدف كم يعيشون في حيرة وبلبلة . ومن نعم الله عليهم انهم لا يبرحون يبحثون ويدرسون ويستنتجون الى أن يصلوا الى الحقيقة .

والى هذا القدر يجب الوقوف .

ولنثبت هنا ما قاله صاحب الاستقصاء في قصة الحاج محمد بن البشير المذكور .

قال بعد أن حكى وصول المولى الحسن الاول الى قصبة سلوان : وأقام فيها سنة عيد الفطر عام 1291 : وكان المشهد رائعا فاهدى الحاج محمد بن البشير هدية كبيرة وولاه السلطان على تلك القبيلة من بني يزناسن وغيرها وقفل اعزه الله راجعا .

هذا نص م ارواه عن قضية توليته باختصار وتصرف .

أما ما رواه عن « استبداده » بالامر وانحرافه فهذا نصه :

وفي مدة مقام السلطان ايده الله في فاس « بعد رجوعه من سلوان بلغه عن ولد البشير بن مسعود بعض الاستبداد فاقتضى نظر السلطان أعزه الله ، أن يبعث من قبله عاملا لجباية تلك النواحي ، فعقد لاخيه « علي » ، على جيش واضاف اليه القائد أبا زيد عبد الرحمان بن الشليح الزراري بمنزلة الوزير والظهير ، وبعثهما الى ناحية وجدة ، وكان ابن الشليح المذكور يومئذ يتولى عمالة تازة وكان أهل وجدة وأعمالها يكرهون ولاية ولد البشير عليهم ويحبون ولاية ابن الشليح اذ كان له ذكر وصيت في تلك الناحية ، وربما كاتبه عرب انكاد وكاتبهم ؟

ولما أحس ولد البشير بذلك انصبغت العداوة بينه وبين ابن الشليح فلم يكن الا كلا ولا ، حتى وجه السلطان ايده الله ابن الشليح المذكور واليا على وجدة واعمالها ، وجابيا لاموالها وناظرا في شؤونها وأحوالها ، فقامت قيامة ولد البشير ، وعلم انه لا يصفو له عيش معه فعزم على أن يطرده عن تلك البلاد ويرده من حيث جاء .

وكان ولد البشير هذا حسن الطاعة للسلطان ، الا انه انفسد أمره بما ذكرناه .

ولما قرب ابن الشلح من ارضه خرج اليه في خيله ورجله ولما التقت مقدمة الجيش بهم انتشبت الحرب بينهم وقامت الفتنة على ساق .

وكان غرض ولد البشير ان يضم اليه أخ السلطان وجيشه ويقوم بخدمتهم ويطرد عدوه فقط ، فلم يستقم له ذلك . وكان رايه هذا خطأ ، اذ ليست هذه بطاعة كما لا يخفى .

ثم انهزم الجيش ، وعمدت بنو يزناسن والعرب الى المحلة فانتهبوها وعاد عبد الرحمان الشليح الى السلطان اعزه الله وهو بفاس فاخبره الخبر .

وبأثر ذلك كتب ابن البشير الى السلطان يتنصل من امر ابن الشليح ومحلته وانه لا زال على الطاعة لم يبدل ولم يغير ، وانما الذي انتهب المحلة هم السفهاء من غير اذن لهم ولا موافقة على ذلك . وحتى الآن ، فكل ما ضاع من تلك المحلة يؤديه باكثر منه ، فطوى له السلطان ايده الله عليها وأرجأ أمره الى وقت آخر . انتهى بتصرف في الجملة .

بنو يزناسن ثغر من ثغور المسلمين وعصبة تدخر لنصرة الدين

وبعد ان روى ما قام به السلطان من أعمال في أقاليم اخرى عاد يتمم الحديث عن الحاج محمد بن البشير فقال :

ثم توجه السلطان نصره الله الى نواحي وجدة فانتهى اليها في اوائل شعبان من سنة 1293 فتلقاه بنو يزناسن خاضعين تائبين فعفا عنهم **لكونهم ثغرا من ثغور المسلمين ، وعصبة تدخر لنصرة الدين** الا أنه عزل عنهم ولد البشير وبعثه مسجونا الى فاس ، وولى عليهم قوادا منهم من أهل الحزم والنجدة (4) ووظف عليهم قدرا صالحا من المال فشرعوا في دفعه في الحال والتزموا برد ما تعلق بذمتهم من المظالم وصلحت احوالهم واستقام امر تلك الناحية .

وذكر صاحب اتحاف اعلام الناس المؤرخ السيد عبد الرحمن بن زيدان العلوي قصة الحاج محمد البشير فقال :

ونهض صاحب الترجمة من تازا «المولى الحسن الاول» ووجهته القبائل الريفية وجعل طريقه على عين زورة ، ولما وصل لقصبة سلوان ادركه عيد الفطر ، فاقام بها سنة عيد الفطر ووجه على عامل وجدة القائد قدور حيطوط الجامعي وأمره بتامين الحاج محمد بن البشير أمسعود اليزناسني ويصاحبه معه فوردوا عليه بالقصبة المذكورة ولما مثلا بين يديه عزل حيطوط المذكور عن عمالة وجدة وولى مكانه ولد البشير أمسعود حيث رأى ان اطفاء نيران تلك النواحي لا يتم الا بذلك . الى أن قال بتصرف : واثر ذلك «أي بأثر رجوع السلطان الىفاس ، والقيام بتعبيئات في سلك العمال» عقد لاخيه المولى علي ، على محلة لا يستهان بها ووجهه لاستخلاص المرتب على القبائل الريفية والقبائل القاطنة بنواحي تازا وجدة ، واسند قيادة تلك المحلة لباشا تازا

---

4) وولى على بني يزناسن القائد بولنور الهبيل كما سياتي الحديث عنه .

القائد عبد الرحمن الزراري ، فاستاء جل القبائل ، وبالاخـص المجاورة لوجدة وأنف عاملها ابن البشير من الرضوخ لاوامره ، فكانت المحلة كلما اشرفت على قبيلة اشترط اهلها عدم دخول الرئيس المذكور لترابهم والتزامهم بالقيام بواجب المحلة ومقابلة أخ السلطان المولى علي المذكور بما يليق به من الحفاوة والاجلال والخضوع والطاعة لاوامره .

وقد كان ابن البشير تجمهر مع عدة قبائل وصمم على العصيان وشق عصا الطاعة انفة من رئاسة عامل تازا المذكور على المحلة دونه ، اذ قد كانت بينهما المنافسة والعداوة والبغضاء بالغة منتهاها ، يطمع كل واحد منهما في ضم حكومة الاخر لحكومته ، ويرى كل انه الاحق والاولى بالتفرد بالرئاسة ، ولما سارت المحلة على طريق أنكاد قاصدة وجدة قام في وجهها ابن البشير المذكور في جموعه ذات العدة والعدد وناوشها القتال فرعبت ورات انه لا طاقة لها بمقاومة تلك الاحزاب ، وانه لا انجح لها من الرجوع الى فاس فرجعت في أواخر شعبان (1291) والسلطان المترجم في نزهـــة شعبانة بدار دبيبغ ، وقص عليه القصص أخوه المولى على فاسرها في نفسه.

ثم استأنف المؤلف حديثه عن ظروف عزل الحاج محمد بن البشير فقال : ثم نهض المترجم «أ ي المولى الحسن» قاصدا الظفر بابن البشير اصل البلاء كله ، ومر في طريقه على عين زورة من قبيلة المطالسة .

ولما خيم بقصبة سلوان ودع صدر الوزراء ابا العلاء ادريس بن الطيب بوعشرين وتصدر في محله أبو عمران موسى بن احمد ، ثم واصل السير الى أن بلغ وادي ملوية فاقام هناك للاستراحة والاستطلاع على احوال واخبار تلك الانحاء (5) .

ومن هناك وجه بعض الساسة نسخة من دلائل الخيرات وسبحته للشريف السيد عبد الجليل الوزاني موهما له انهما للسلطان ، وانه هو الذي امر بتوجيههم االيه ليوجه بهما لابن البشير تامينا له وبأمره بالقدوم عليه والتوجه في معيته للحضرة السلطانية ، فوجه الشريف المذكور بهما لابن البشير واكد عليه في القدوم لديه والتوجه في خفارته لصاحب الترجمة مولاي الحسن فورد عليه ، وفي معيته جملة صالحة من الاشراف العلماء وسراة القوم ، من بينهم صهره ولد رمضان الذي كان اتخذه امينا كبيرا بوجدة في جيش لا يحصى كثرة ، ولما وصلوا الى المحلة السلطانية بوادي ملوية رحب بهم السلطان واظهر لهم مزيد الاعتناء والاعتبار وبالغ في اكرامهم .

وأنزل ابن البشير وصهره عند رئيس مشوره القائد محمد بن يعيش .
وبعد ان اطمأنوا القي القبض عليهما وصفدهما بالاغلال ووجههما

---

5) حدثني الرواة ان هذه الاستراحة كانت في زايو .

لسجن فاس صحبة القائد الشافعي المسكيني واخوانه وصاحب مكحلته القائد الجلاني بن بوعزة النجاري والقائد ابن ابراهيم الشركي وأكد عليهم بالاخذ بالاحوط في سفرهم بهما .

ولمزيد الحزم أمر القائد الشافعي أن ينظم كل من القائد المحجوب والقائد ابراهيم مع المقبوضين في السلسلة كل ليلة الى أن يحلوا بفاس ، وأوصاهم اذا طرأ عليهم مشوش يبادر كل واحد منهما بقتل صاحبه الذي يليه من المصفدين ولم يزالوا يواصلون السير ليلهم بالنهار الى أن بلغوا للحضرة الفاسية ، الى أن قال : ولما اتصل بالمترجم وصول السجينين بمحروسة فاس نهض من امسون (6) ووجهته وجدة لتسكين بقية الروعة ، وذلك بعد أن عين لكل قبيلة من القبائل التي جاءت مع ولد البشير المذكور عاملا . الى ان قال ولما بلغ وجدة ولى عليها القائد بوشتى بن البغدادي الجامعي . انتهى المقصود منه .

تلك هي قصة الحاج محمد بن البشير بن مسعود اليزناسني كما رواها صاحب الاستقصاء وصاحب اتحاف أعلام الناس .

وكما ذكر صاحب اتحاف اعلام الناس ايضا أن المولى الحسن عزل ابن الشليح وتاريخ عزله كان قبل عزل الحاج محمد بن البشير كما استنتجت ذلك من خلال سرد الاحداث .

والمستفاد من قصة الحاج محمد بن البشير على حسب الروايتين المذكورتين ، ان الحاج محمد بن البشير لم يكن يقصد الى الخروج عن طاعة السلطان . ولكن العداوة الشخصية التي كانت بينه وبين الشليح حالت دون التفكير في اتخاذ قرار يحول دون اظهاره بمظهر الشاق لعصا السلطان ، وان كان في داخله يضمر كل طاعة للسلطان . ولذلك قام بمختلف المحاولات للاعراب عن صدق نيته ، ولكن السلطان ما كان ليغفر له ذلك المظهر الشائن فعزله ، ولو ان السلطان عزل الشليح قبل ذلك ، ويظهر ان السلطان قد اطلع على حقيقة دسائس الشليح فبادر بعزله قبل عزل الحاج محمد بن البشير ، وانه لولا ذلك المظهر من الحاج محمد ابن البشير لكان في اسمى درجة عند السلطان لما كان عليه الحاج محمد بن البشير من اخلاص لدينه ووطنه وملكه .

ولكنها النزاعات البشرية التي لا يسلم منها احد طغت فكان ما كان .

غير أن التحقيق الذي يساير الفكرة التي بني عليها هذا الكتاب من اعطاء نظرة صدق وطنية بني يزناسن على مر الاجيال والعصور ، لم تختلف وقصة الحاج محمد بن البشير .

---

6) ولعله من «سلوان» لان تعيين قائد على كل قبيلة كان اثناء القاء القبض على الحاج محمد البشير فلا يعقل ان يعينهم وهو في « مسون » ما بين تازا وكرسيف ، فالعادة التي كانت متبعة ان لا يخرج السلطان من اقليم حتى يتمم اشغاله هناك . وامسون من اقليم تازا اما سلوان وان كان من اقليم الناضور فهو مجاور لبني يزناسن من اقليم وجدة . على ان القائد الدخيسي حقق لي ذلك . «المؤلف»

فالحاج محمد بن البشير لم يكن يقصد بعمله ذلك شق العصا ولكن اجتهاده في التفكير الشخصي ، او تأثره بآراء حاشيته ، او احدهما ، او هما معا هو الذي أملى عليه ذلك الموقف بكل اسف ولا سيما اذا اعتبرنا أن الحاج محمد بن البشير كان بعيدا عن العاصمة عكس الشأن في الشليح ، وبعده يحول دون الاتصال بالسلطان وشرح موقفه قبل وقوع الحادثة بمكائد الشليح، فالشليح استغل قربه من السلطان فاخذ يدبر المكائد للحاج محمد بن البشير في حين أن هذا الاخير لم يكن في استطاعته ان يرد الاشياء الى نصابها . فاملت عليه اعصابه ، او أعصاب حاشيته ذلكم الموقف المؤسف .

غير ان الله سبحانه انتقم من ابن الشليح قبل تاريخ عزل الحاج محمد بن البشير .

ولم يكن المولى الحسن الاول ، لتخفي عليه بساطة الحاج محمد بن البشير ومكائد ابن الشليح . ولكن مظاهر التصرفات من الحاج محمد بن البشير استوجبت ذلكم المصير . اذ الحزم يقتضي ذلك . فليس من المعقول أن يظهر عامل من العمال بمظهر شق العصا وإن كانت نيته حسنة ويستمر في مزاولة مسؤوليته ، ولا سيما والبلاد كانت تتمخض عن مولود « شقي »، ألا وهو الاستعمار ، فلولا شخصية المولى الحسن التاريخية العظيمة لوقع الاحتلال في هذا العهد . وليت الحاج محمد بن البشير كان ينظر « حينما شق العصا» نظرة بعيدة الى ماجريات الاحداث ، ولو فعل لكان لذلك اثر كبير على سير الاحداث .

فالفرنسيون كانوا ينظرون الى الحدود الشرقية على العموم واليزناسنية على الخصوص نظرة رعب بوجود أمثال الحاج محمد بن البشير رحمه الله .

تحويـل السلطة من بني وريمش الى بني عتيق

وهنا يجب التنبيه الى أن روايتي عن تحويل السلطة من بني وريمش الى بني عتيق ترجع الى الشيخ الفاضل القائد سابقا السيد الدخيسي بـن على « الهواري » الذي يبلغ من العمر ما يقرب من المائة سنة او تزيد بقليل . ولا يزال يحتفظ بقوة ذاكرته . وكان يحدثني عن مختلف الحوادث باسلوب رزين وفي حالة كانه يعيش الآن تلك الاحداث .

وقد روى لي السيد الدخيسي المذكور وهو من قواد مولاي الحسن رضي الله عنه انه حينما عزل الحاج محمد بن البشير اعتقل وارسل الى سجـن فاس ، كان حاضرا في هذه الحادثة وأن المولى الحسن ولى القائد السيد بولنوار الهبيل قائدا كبيرا على بني يزناسن ، وان كان لكل قبيلة منهم قائد ولكن السلطة العليا للقائد بولنوار اهبيل .

وان القائد بولنوار المذكور كان اول ما فعل أن القى القبض على اشياع

الحاج محمد بن البشير من مختلف القبائل أو أقسام قبيلة بني يزناسن ، وكذلك من قبائل عرب تريفة وارسلهم الى سجن عيون سيدي ملوك .

وأصبحت الكلمة النافذة للقائد بولنوار يتصرف كيف يشاء فبعد أن كانت السلطة العليا لبني يزناسن في بني وريمش . وبيد الحاج محمد بن البشير تحولت الى بني عتيق وفي يد القائد بولنوار المذكور . ثم قال : كان للحاج محمد بن البشير المذكور ولد يسمى محمد ايضا ويعرف بالصغير وكان من جملة من التحق بوالده الى سجن فاس ، وانه لما قضى مدة في السجن استطاع أن يفر منه ويرجع الى بلده ، وكان محل سكناه بتريفة بالمحل المسمى الحمري ، الذي يسكنه الان اولاد بوخريص من عائلة الحاج محمد الكبير .

وانه لما رجع الى منزله ، رجع منهوك القوى ، وقرر ان يعتزل كل عمل سياسي .

هكذا صرح الحاج محمد بن الحاج محمد بن البشير الصغير للذين وفدوا عليه من مختلف رؤساء القبائل اليزناسنية والعربية ، ومن الوافدين عليه للسلام : القائد الدخيسي المذكور .

ولكن هذا الاخير قال له : كيف يمكن أن تعتـزل الميدان السياسي واصدقاؤكم واصدقاء والدكم في ظلمات السجون ؟

ان هذا الموقف السلبي لا نوافقك عليه ، وقد وافق على راي القائد الدخيسي كل من حضر من رؤساء القبائل في هذا الظرف .

فطلب منهم الحاج محمد الصغير ان يمهلوه للتفكير في الامر ، ثم وافقهم على القيام بالعمل الذي صمموا عليه .

وكان الذي صمموا عليه ، هو محاربة القائد بولنوار وازالته عن القيادة العليا لبني يزناسن .

ولما وصل الخبر الى القائد بولنوار استدعى بعض من حضر هـذا الاجتماع السياسي ومن جملتهم القائد الدخيسي وعاتبهم على زيارتهم للحاج محمد الصغير بعد رجوعه من سجن فاس ولم يكن يعلم ما اتفقوا عليه من محاربته — ولكنهم تظاهروا له بانهم قد وفدوا على الحاج محمد الصغير لمجرد السلام عليه وليس في ذلك من عيب .

ولم يمض وقت طويل حتى علم القائد بولنوار بان جيوشا جرارة ترابط أمام منزل الحاج محمد الصغير بالمحل المسمى ، الحمري وانها مصممة العزم على محاربته .

وحينذاك جهز جيشا لمقاتلتهم ، ونزل عن قريته تغاسروت بالجبل قاصدا

الحرب مع الحاج محمد الصغير فالتقى الجيشان قرب ابركان ازاء قبة سيدي المخفي .

وكان القائد بولنوار ـ لشجاعته النادرة ـ يتقدم جيشه ولكن سقط قتيلا باول رصاصة خرجت من جيش الحاج محمد الصغير ، فارتبكت حال جيش القائد بولنوار وسرى اليه الانحلال فسقط عدة من القتلى والجرحى في الميدان .

وحينما بلغ نبأ هذه الحادثة الى المولى الحسن سلم ظهير التولية على بني يزناسن للحاج محمد الصغير ابن الحاج محمد بن البشير بن مسعود اليزناسني .

وبذلك رجعت السلطة العليا في بني يزناسن الى بني وريمش من بني عتيق مرة ثانية .

وكان أول ما فعله اصحاب الحاج محمد الصغير بعد انتصاره على القائد بولنوار وقتله ، أن اتجهوا الى عيون سيدي ملوك وأطلقوا سراح أصدقائهم .

غير أنه من الملاحظ ان ما رواه لي القائد الدخيسي في هذا الموضوع ، أنه هل يعقل أن يفر الحاج محمد الصغير هذا من السجن ثم يقوم بهذه المعركة مع القائد بولنوار التي ادت بقتله ، ثم لا تحرك السلطة العليا ساكنا ؟! بل أن السلطان بعد ذلك يسلم للحاج محمد الصغير ظهير التولية على بني يزناسـن !؟

الواقع ان هذا شيء غير عادي .

ولكن القائد الدخيسي معروف بصدق روايته وقوة ذاكرته .

اذن ، كيف يمكن الجمع بين صدق روايته وقوة ذاكرته من جهة ، وبين ما لا يمكن عادة من جهة ثانية ؟

ولاجل الوصول الى حقيقة الامر والواقع اخذت في مدارسة الموضوع مع بعض الناس الذين يمكن أن اجد لديهم معلومات تلقي ضوءا على الحقيقة .

فاخبرت مع بعض الذين يهتمون بهذه الاحداث ، ان الحاج محمـد الصغير لم يفر من سجن فاس كما اشيع في ذلك العهد ، اذ انه لا يمكن ان يفر من سجن يتوفر على جميع الاحتياطات الضرورية ، ولا سيما والحاج محمد الصغير لم يكن من المعتقلين العاديين حتى يمكن أن يفلت اثناء قيامه مثلا ببعض الخدمات خارج السجن .

وعلى الرغم من ذلك ، فالمشاع أن المولى الحسن بلغه ان القائد بولنوار قد قام بانتقامات شخصية وظهر عليه كثير من الاستبداد في القبيلة ، فاخذ يدرس الحلول الناجعة .

وبينما هو كذلك ، اذ قال له احد مستشاريه : يا مولاي، ان الحديد لا يفله الا الحديد ، ان مولاي يعلم العداوة العميقة التي بين اولاد البشير وبين أولاد الهبيل وفي السجن بفاس الحاج محمد الصغير ابن الحاج محمد الكبير فلماذا لا يطلق مولاي سراحه وهو يفهم كيف يعالج الموضوع بدافع ما بينه وبين اولاد الهبيل من عداوة يعلمها مولاي ؟ وان الحاج محمد الصغير نسخة من والده الحاج محمد بن مسعود في البطولة والمغامرة في سبيل المجد كما أنه لا يخاف عليه من شق عصا الطاعة على مولاي بعد انتصاره .

لان ما ظهر من شق عصا الطاعة من والده لم يكن مقصودا وانما كان بدافع نزوة العداوة والمنافسة بينه وبين الشليح .

وزاد المستشار قائلا للمولى الحسن : نعم يجب ان يشاع على انه فر فقط ، لا انه اطلق سراحه فاستحسن المولى الحسن رأيه فتغوفل عمدا عن الحاج محمد الصغير فكان ما كان من « فراره » .

قلت للراوي : ولكن اذا كان الحاج محمد الصغير في حالة فرار هل كان من المعقول ان لا يلقى القائد بولنوار القبض عليه لمجرد وصوله الى بني يزناسن ؟

فابتسم الراوي وقال : انك تقيس أحداث الماضي بمقاييس العهد الحاضر . انه ليس من السهولة ان يعمد القائد بولنوار الى اعتقال الحاج محمد الصغير بمجرد وصوله الى المنزل ، ولو تحقق بفراره فهناك آلاف الاشياع وعشرات الابطال ان هؤلاء الاشياع يحولون دون عملية الاعتقال ، وان القوة كانت عماد الحياة في ذلك العهد ، وهي هي ... اساس الحكم . فما دامت الاحداث ستكون لعوامل شخصية والسلطة العليا ستربح من ورائها فما ضر السلطة العليا ان تتغافل في انتظار النتيجة التي تجب مراعاتها لتقرير الوضع الضروري . انتهى كلام الراوي بتصرف . وهذا ما استطعت أن أصل اليه في هذا الموضوع ، وعلى الرغم من ذلك ، فان الحقيقة لا تكمل في نظري الا اذا تذكرنا أن السلطة المركزية كانت اسمية فقط على هذا الاقليم . وقد اكد هذا الوضع الاسمي السيد الحجوي في مذكراته الخطية (7) .

من هم اولاد الهبيل ؟

حينما يمر الانسان على قرية تافوغالت في اتجاهه الى مدينة ابركان : لا يكاد يقطع مسافة كيلومترين حتى يجد مفترق طريقين معبدين الى ابركان.

---

7) توجد هذه المذكرة الخطية بالخزانة العامة قسم الوثائق ، وقد اطلعت عليها بنفسي « المؤلف » وهناك رواية تقول : انه لما القي القبض على الحاج محمد الكبير فر ابنه الصغير الى تلمسان ، وبعد ثلاث سنوات رجع الى ابركان على اثر مكاتبات بينه وبين القائد بولنوار يحثه فيها على الرجوع على ذمته وانه لما رجع القي عليه القبض وارسل الى فاس فنفي هنالك سنة كاملة اطلق سراحه بعدها ، فحدث ما حكيناه عنه وعن القائد بولنوار ، اذن ان الحاج محمد الصغير لم يسجن مع والده وهذه هي الحقيقة التي رواها لي القائد المنصوري ابن الحاج الصغير .

فالذي يواجهه يفضي به الى عقبة الولي سيدي عبد الله بقرية تاكمة ، ثم الى ابركان . والذي عن يمينه يفضي به ـ على مسافة خمس كيلومترات ـ الى قرية تغاسروت « بسكون التاء » ثم وا دزكزل . ثم تقربوصت ثـم تازغين ، ثم ابركان .

وفي قرية تغاسروت يجثم قصر عائلة اولاد الهبيل .

وفرقتهم الكبرى تسمى باولاد الحاج .

وتحت اسم اولاد الحاج عائلات الغرارفة ، والنانوتيون ، والخياريون. واشطوين « بشد الطاء وفتح الياء » واعلاين واقداين ، الساكنون بتاقربوصت» بفتح القاف وسكون الراء » والزراولة . وهي عائلة اولاد الهبيل .

والهبيل : لقب فقط سري اليهم بعادة طبيعة الالقاب وليس في اطلاقه عليهم من عيب يشمئزون به ، بل انهم يفتخرون بهذا اللقب .

وافتخارهم به يدل على انه كان احدهم احمق « تفسير الهبيل » اما في الشجاعة او في الكرم او بهما معا ، وان كانت الشجاعة والكرم متلازمين في أغلب الاشخاص .

واولاد الهبيل ـ والحق يقال ـ أهل شجاعة وكرم لا يجارون فيهما الا حينما تحول الاقدار دون ذلك .

فلقد تعرفت على الكثير منهم فرأيت من شجاعتهم وكرمهم وحتى من أطفالهم ما كان ما يقضي به الانسان العجب العجاب .

ومنذ الاجيال البعيدة والعلاقة متينة ما بين اولاد الهبيل والشرفاء الورطاسيين .

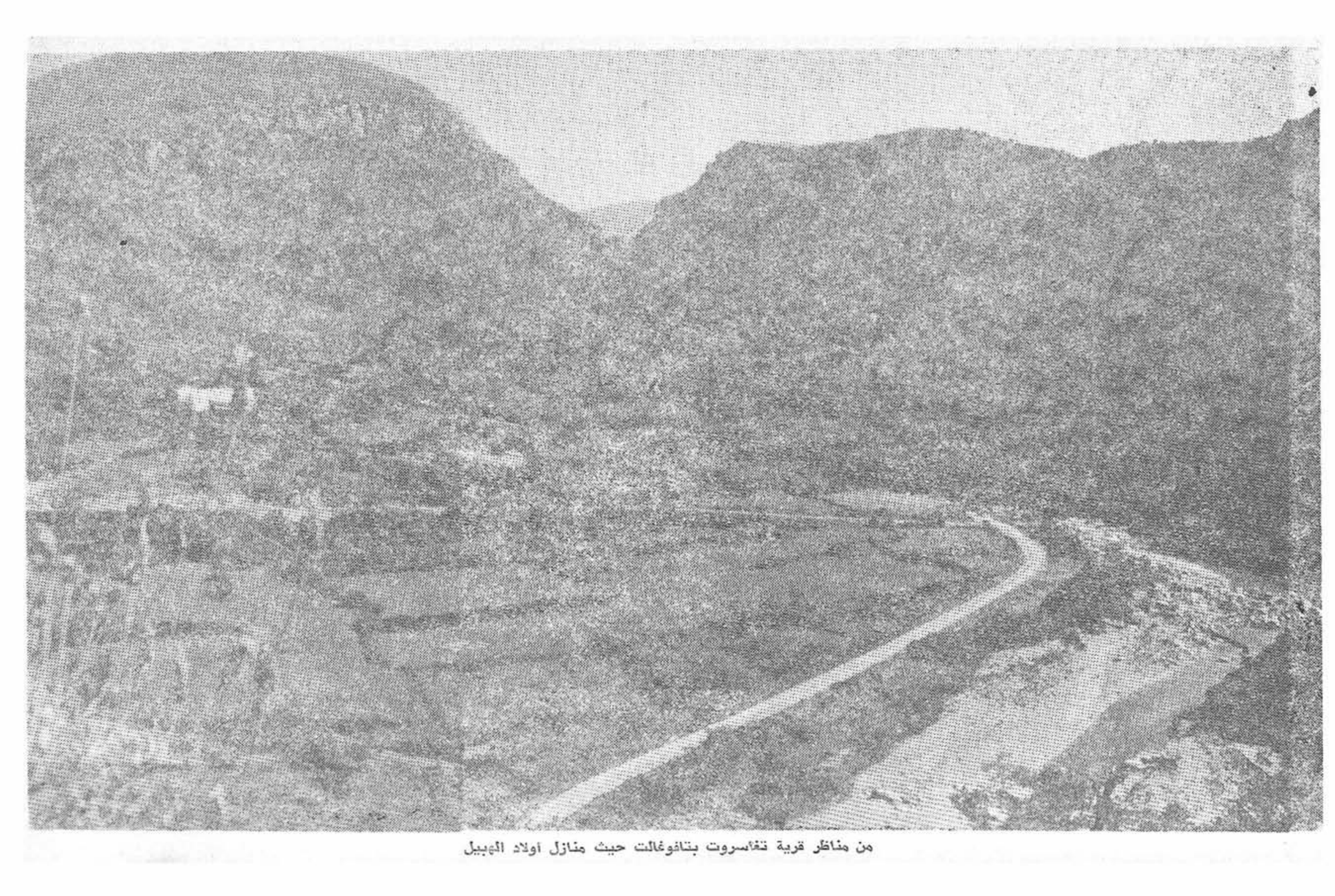
فاولاد الهبيل يكرمون الشرفاء الورطاسيين ويبرون بهم ويحمونهم من كل عاديات الدهر .

والشرفاء الورطاسيين يغارون كل الغيرة على اولاد الهبيل واذا ما حاق مكروه باولاد الهبيل التجأوا الى شرفاء ورطاس وحلوا بين ظهر انهم معززين مكرمين .

وفي حال التجائهم الى الشرفاء الورطاسيين فانه لا يمكن بحال لاي أحد كان ان يقوم باية عملية تمس جانبا من جوانبهم ، لان الشرفاء ، كل الشرفاء في بني يزناسن لهم حرمة ووقار واحترام بحكم الظهائر الشريفة التي بايديهم ، وبحكم انهم آل البيت .

وقد جرت العادة ان يستكتب قواد اولاد الهبيل من الشرفاء الحافيين المشهورين منذ القدم بالعلم ، وحدة الذكاء ، وقوة الذاكرة ، ولطف النكتة ، وطلاقة الجبين ، ومرونة المعاشرة ولين الحديث وطيب الانس .

واشتهر منهم في القضاء والفتيا فقهاء اجلاء لهم باع في العلوم العقلية والنقلية .



من مناظر قرية تغاسروت بتافوغالت حيث منازل أولاد الهبيل

وقد انجبت عائلة اولا دالهبيل عدة شخصيات لعبت ادوارا مهمة في ميدان الحكم بهذه الناحية وغيرها ، اذكر منهم هنا ، القائد بولنوار خصيم الحاج محمد بن البشير الذي تقدم الحديث عنه قريبا ، والذي كان البطل المبرز في عائلة اولاد الهبيل . والقائد مبارك والد البكاي ، والقائد محمد فتحا والقائد عبد القادر ، والقائد ميمون ، والقائد سعيد ، والقائد محمد بن ميـمـون . والبكاي الذي ساتحدث عنه فيما بعد في القسم الثاني من هذا الكتاب .

لماذا سمي مكان منازلهم تغاسروت ؟

تتظافر الرواية على انه وقع أن طرأت على بني عتيق في بني يزناسن طبعا من العائلات ما لا يذكر الرواة اصلها ، وانها كانت في المحل المسمى اليوم بتزغين قرب ابركان .

وكانت هذه الطائفة المشار اليها قد بلغت من الاباحية حدا اخذ يهدد اخلاق بني يزناسن المتينة بالخطر المحقق ، وان كل محاولة معهم للكف عن هذه الاخلاق السيئة كانت غير ذات جدوى . ولما وصل الحال الى هذا الحد من التحدي للدين الاسلامي والاخلاق الفاضلة عقد كبار بني عتيق مؤتمرا سريا اتفقوا فيه على تشتيت شمل هذه الطائفة الفاسدة .

ويتلخص القرار المتخذ في استدعاء كبار تلك الطائفة الفاسدة الى مأدبة عشاء على شرفهم .

ولما دخلوا الى المنزل الذي كان معدا لذلك ورحب بهم اي ترحيب حتى اطمأن بهم المقام عزل سلاحهم عنهم ثم قتلوا وذبحوا باجمعهم .

ولما بلغ الخبر الى عائلاتهم استفسروا بعض الرجال عن غيمة الخبر فاكدوا لهم ما وقع من المذبحة وقالوا لهم : «غا ، اسروث» بفتح الالف وسكون السين والثاء المثلثة .

ومعنى هذه الكلمة البربرية بالعربية : واصلوا بكاءكم يعني على موتاكم المذبوحين » وانه لم يطلع فجر ذلك اليوم حتى لم يبق منهم في تزغين اي احد .

أما من اي اصل هم ؟ومتى قدموا ؟ وما هو منهبهم ؟ والى اين فرت بقيتهم ؟ فلا نجد لهذه الاسئلة اجوبة .

وعلى أي حال فكلمة «غا اسروث» . او تغاسروث ، معناها : واصلوا البكاء . سواء قصدت هذه القصة ام لم تقصد . ويجب التذكير هنا بان الاسماء لا تعلل اي لا تشترط فيها علة التسمية . وان كنا نجد العلة في بعض الاسماء والاعلام ولكن دون أن تكون ضرورية ».

وبالاضافة الى هذه القصة أو الاسطورة ، فان تلك الطائفة الفاسدة كانت تدعى : بالرسميين « بضم الراء » وما يزال بنو يزناسن يطلقون على الرجل

الفاقد المروءة رسمي « بضم الراء » كما أن هناك رواية تقول ان الباقية من تلك الطائفة الاباحية قد اتجهت الى احدى الجبال الجنوبية من عيون سيدي ملوك . ويقول بعض الرواة انها جبال الزكارة .

وبمناسبة الحديث عن عائلة اولاد الهبيل نسجل هنا أن جميع اولائك القواد الذين ذكرتهم والذين لم اذكرهم لم يخلفوا لا عقارا ولا مالا ، باستثناء القائد محمد بن ميمون الذي لا يزال حيا فله من العقار ما لا قيمة له نسبيا ، او الرئيس البكاي الذي خلف هو الآخر أملاكا غير ذات اهمية كبرى اذا قارناه بغيره ممن ولوا الحكم عشرين سنة .

وهذا بالنسبة لثراء القواد قبل الاستقلال في غير اقليم المغرب الشرقي .

وهذا ما يدل على أن قواد بني يزناسن فيما سبق لم يكونوا يجرون وراء الحكم للاثراء ، وانما هي البطولة تفضي الى الحكم بكيفية طبيعية ليس الا .

واعود فاكرر القول بانه ليس في المستطاع أن يثرى قواد اقليم المغرب الشرقي على العموم وبنو يزناسن على الخصوص ـ على حسب السكان .

فهؤلاء السكان ابعد المواطنين عن تذليل المسالك في وجه طغيان رجال الحكم .

موقف بني يزناسن من ابي حمارة الروكي وابي حصيرة عبد القادر العتيكي اليزناسني

انقل خلاصة قصة هذين الثائرين من كتاب : اتحاف اعـــلام الناس للمؤرخ الشهير الشريف ابن زيدان ج ل فاقول :

يرجع اصل ابي حمارة الى مدشر اولاد يوسف بجبل زرهون واسمه الجيلاني . ولقبه الروكي . وهو غير الروكي السفياني . دخل الجزائر متقشفا متصوفا (يدعو الى الله) واتصل بابي محمد عبد القادر ابن عدة (8) احد شيوخ الطريقة ثمة وذلك بمدينة غليزان قرب مستغانم فبث فيه هذا الشيخ من التعاليم ما صيره متأهلا لا يقاد نار الفتنة بالاراضي المغربية . وذلك عام تسعة عشر وثلاثمائة والف هـ .

وفي عام 1320 دخل وجدة على الصفة المذكورة ، وتردد بين قبائل انكاد فقط ثم رحل الى طنجة فباء تدجيله بالخسران من ذوي العقول الراجحة وتبعه بعض الاوغاد .

وفي عام 1321 دخل «فاس» فخرج منها خائفا يترقب ، إلى الحياينة

---

8) كان الجزائريون الى ثورتهم عام 1954 يقيمون اعظم موسم ازاء ضريح الشيخ عبد القادر بن عدة . وكان الفرنسيون يشجعون على توسيع دائرته بكل ما يمكن من التشجيع لانه كان يمثل اشنع تمثيل بالخلق الاسلامي وايعاز عبد القادر بن عدة لابي حمارة باثارة القلاقل في المغرب المستقل حينذاك يدل على انه كان صنيع الفرنسيين ومن اجل ذلك كانوا يشجعون على توسيع دائرة موسمه «وفاء له حتى بعد وفاته» من جهة, ومحاربة القيم الاسلامية ثانية .

ملحوظة : لا يظهر من خلال التاريخ القديم والحديث ان مغاربة كانوا ضدا على الجزائر, وعلى العكس فكم من جزائريين سخروا ضد المغرب ! المؤلف

راكبا حماره ، فوجد من بسطائهم من اتبعه ونقل اقواله الكاذبة ضد الدولة ونشرها في الافاق فانخدع لها ضعاف الايمان واصحاب المطامع ثم انتقل الى جبال غياثة ونزل على اهل الطاهر منهم . وصار يدعي انه هو المولى محمد نجل السلطان المولى الحسن وصنو السلطان المولى عبد العزيز ، وانه انما يتستر باسم غيره خوفا على نفسه ممن استولى على ملك والده واستبد به واستعبد الرعية ، وزعم ان العدل لا يقوم الا على يده . وهناك اهدى له فرس وتبعه جمع غفير من غوغاء الناس الذين وافقوا على الثورة ضد المولى عبد العزيز وبايعوه على ذلك .

وقامت هناك في اقليم تازا معارك بينه وبين القوة الشرعية ولكنها لم تات عليه بل انه هزم قوة المخزن ثم حمل عليه في معارك اخرى فانهزم . وطار الى الشراردة وشراكه فانهزم ايضا ثم وقعت معارك بينه وبين المخزن في تازا «قاعد امارته» فانهزم وطار الى وجدة فاحتلها بدون قتال في ربيع النبوي عام واحد وعشرين وثلاثمائة والف حيث ان عاملها كان ملتجئا بمغنية مع مولاي عرفة .

وذلك أنه لما ظهر امر ابي حصيرة عبد القادر العتيكي اليزناسني الذي ثار بالمقام ــ محل بالظهراء وزعم انه المولى عبد العزيز السلطان هرب من لندره وحج وجاء يعين اخاه مولاي محمد «ابا حمارة» عقد السلطان المذكور لعمه مولاي عرفة على شرذمة واعطاه مالا ووجهه لتجهيز جيش من العرب وبربر بني يزناسن محافظة على وجدة من أبي حصيرة المذكور .

ولما اجتمع الجيش توجه عامل وجدة احمد بن كروم المكناسي به الى «برديل» بفتح الباء وسكون الراء» قرب دار الحاج محمد بن البشير امسعود المتقدم الذكر وبمجرد ما اقبل عليه ابو حصيرة انهزم ورجع الى وجدة فحمل منها ما يعز عليه والتجأ لمغنية ومعه مولاي عرفة فاقبل ابو حمارة من الريف واحتل وجدة من أبي حصيرة وبويع له بها وخطب به على مساجدها باسم مولاي محمد وهيأ بها لوازم الامارة .

وبينما هو يهيء اسباب الانقلاب الى المغرب اذ وصلت لحدود وجدة عن طريق الجزائر هيأة من كومة المخزن مؤلفة من الحاجب احمد الركينة بصفته رئيسا وعبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي بصفة كونه قائدا معينا ومستشارا فنزلوا بمغنية وجعلوا يخابرون رؤساء القبائل واعيانها ويجبذون لهم الرجوع عن غيهم وبسبب ما نثروه من الدراهم والدنانير امكنهم استجلاب رؤساء قبائل انكاد وارجاعهم لطاعة السلطان واستبرؤا من أبي حمارة واسترجعوا مدينة وجدة .

ثم ان ابا حمارة يئس من المغرب الشرقي وطار الى تازا ، وبعد معارك بهذا الاقليم قفل راجعا الى وجدة ونزل بقبيلة بني بوزكو فرقة من زناتة بملحقه عيون سيدي ملوك» حيث «اكرمه» البطل الشهير حمادة البوزكاوي .

ولقد طلب القائد حمادة البوزكاوي هذا من – ابي حمادة – ان يتزوج من ابنته فاجابه لذلك واقترح عليه ان يوجه اليه القواد والوزراء لمصاحبة العروس ، فوجه الثائر من اعيان حزبه الخاسر نحو السبعين .

ولما دخلوا دار القائد حمادة المذكور هش وبش وبالغ في الاكرام وبسط الموائد وعدد الاطعمة فأكلوا وشربوا وانبسطوا ثم عرض عليهم دخول الحمام وانه هيأه لهم فتجردوا من سلاحهم ودخلوا الحمام فاستحال حماما «بكسر الحاء» فكانوا طعمة لحد سيفه ثم ملحق السيد حمادة من ليلته في اهله واولاده بمدينة وجدة ودخل في عموم المحلة المخزنية .

ثم أن الثائر لما بلغه خبر مذبحة دار البوزكاوي قصد اليها فعاث وفسد ثم نزل على وجدة ونشب القتال بينه وبين المحلة التي بها وكانت الحرب سجالا ودامت متواصلة بقية السنة 1322 هجرية وجزءا من سنة 1323 هـ .

ثم رجع الثائر لقصبة سلوان وخرجت المحال من وجدة وذهبت للمحل المعروف بالجزائر قرب مليلية «بل الى الناضور اقرب» ثم رجع ابو حمارة لبلاد الريف مكسور الجناح ثم لنواحي تازا وفاس وفي اولاد الحاج بالحياينة كانت نهايته بالقبض عليه ثم قتله .

هذه خلاصة ما ورد في كتاب : اتحاف اعلام الناس ، وقد حدثني القائد الدخيسي «بن علي الهواري» عن ابي حمارة بما يقضى منه الانسان العجب العجاب .

نعم، قال السيد الحجوي : والحقيقة ان القضاء النهائي على ابي حمارة كان نقصة عجيبة ، ذلك انه بعد معركة ماجن بخته توجه الى عجرود ، اي السعيدية فاعترضته فرقة من جيش المخزن فنصب لها كمينا . وكان من نتائج هذا الكمين ان قتل ما يقرب من خمسمائة ، واسر مأتين من الفرقة المخزنية .

وقد نشط ابو حمارة لهذا الانتصار المفاجيء وحاول ان يستغله اقصى استغلال فاحتز كثيرا من رؤوس القتلى واوثق الاساري المذكورين وكتب الى غياثة كتابا يقول لهم فيه : لقد نصرني الله نصرا عظيما بالمغرب الشرقي وذلك بالقضاء على ابطال هذه الناحية وقواد المخزن . وها تصلكم رؤوسهم واسراهم لتتيقنوا مما أقول . فعليكم ان تفدوا علي الى وجدة التي لا يمكن لي ان احتفل بالنصر فيها الا بحضوركم . والى جانب هذا ارسل اموالا لتفرق عليهم وجند طائفة من ابطاله ليذهبوا الى غياثة بالرؤس والاساري والكتاب والاموال .

قال السيد الحجوي : ولما انفصلت من عجرود شرذمة من خيله في اتجاه غياثة بما ذكر ووصلت الى بني وريمش بالمحل المسمى بالحمري بسيط تريفة ، وكان بنو وريمش اصدقاء السلطان وعلى رأسهم الحاج محمد

الصغير بن الحاج محمد الكبير بن البشير أمسعود وابناء عمه الحاج مبارك (9) ومحمد بن محمد الوريمشي (10) قام رجل يدعى عيسى لبلا «بفتح اللامين وسكون الباء» (11) قال السيد الحجوي وقد لقبناه فيما بعد : بعيسى المومن .

قام عيسى المومن رحمه الله فصاح في بني وريمش — وهو متقلد بندقيته — يا بني وريمش ، أتمر طائفة من اشياع بو حمارة الثائر ضد السلطان مرفوقة برؤوس الشهداء والاساري المجاهدين والغنائم التي اخذت منهم وانتم نائمون ؟ هذا عسكر السلطان اخذوه اساري يمر بكم ولا تفكونه ؟ وهذه رؤوس اخوانكم كيف تكون عاقبتكم ؟ ثم سدد بندقيته الى فارس من الثوار فارداه قتيلا وفر الاخرون وتركوا الرؤوس والاساري والغنائم فقام بنو وريمش واطلقوا الاساري في الحين واطعموهم وعتقوا ارواحهم وعالجوا من استحق العلاج ودفنوا الرؤوس وكانت شيئا كثيرا وفرقوا بينهم المال والاسلحة وأخذ عيسى المومن سلب القتيل . ثم ركب هو وفرسان من قومه وجاءوا بالاسارى من الغد الى وجدة .

قال السيد الحجوي : ولما وصلنا الخبر طرنا فرحا وطربا ، وزال هذا كل نكد وخرجنا للقائهم فكسونا الاساري وعالجناهم واكرمناهم كل الاكرام الى أن قال : ثم اقمنا افراحا لبني وريمش الذين قاموا بهذه البطولة وخلعنا عليهم واجزناهم وعرف لهم السلطان هذه المزية العظيمة .
أما الثائر ، فقد اصبح ينكث في الارض ولم يبق له ريب في الاستيلاء على وجدة مرة أخرى لان سورهامتين .

ويعني السيد الحجوي بالسور : جبال بني يزناسن حيث يقول : ان جبال بني يزناسن هي سور وجدة ثم يقول : ان هذه المزية الوريميشية دلتنا في ذلك الوقت الحرج على ان بني يزناسن باجمعهم معنا ، وانهم صادقون في هذه المعية ، ولذلك لم يبق امل للثائر في المغرب الشرقي .

قال السيد الحجوي : وفي ثاني محرم 1322 ، وفد تجيش بنو يزناسن للاجهاز على الثائر الذي رغم النكبة المشار اليها حاصر وجدة من جديد . وقد جاء بنو يزناسن الى وجدة يشاركون في فك الحصار عليها من الثائر ابي حمارة الذي طردوه من ارضهم ولكنهم رجعوا الى جبالهم بعد عشرين يوما لما لاحظوه من التلاعب في القيادة . انتهى المقصود منه بتصرف كما قلت
فابوا حمارة ، كان من الشجاعة بالمستوى النادر الوجود الى سرعة الخاطر ، وقوة التجلد ، وعجيب المغامرات ، ثم سرعة التنقل من حيث لا يعلم ....

---

9) ادركت من اولاد الحاج مبارك هذا السيدين عبد السلام والمصطفى ، (المؤلف) .
10) لعله الذي يطلق عليه في بني يزناسن : محمد بن السي محند بالنون .
11) ادركت عيسى لبلا هذا مقوس الظهر يتكيء على عصا وعلى الرغم من تعمير لم تتخل عنه شجاعته

فقد كان يقاتل نهاره في جهة من الجهات ، ولا يلبث ان يضرم نار الفتنة والحرب في جهة اخرى نائية عن تلك .

وذكر لي القائد الدخيسي ان الوقعة الفاصلة التي شردته من اقليم وجدة وايسته من كل نتيجة ، هي وقعة «ماجن بختة» التي استمات فيها بنو يزناسن وعرب تريفة استماتة لم يعهد لها مثيل وكانت هذه الوقعة بتاريخ 23 شوال 1322 حسبما ذكره السيد الحجوي في مذكرته .

فلقد كانوا يحملون عليه وعلى اشياعه حملات هوجاء حتى ليعتقد المشاهد ان كل حملة ستأتي عليه وعلى اشياعه ولكن «المغامر» كان يظهر استماتة لا نظير لها .

ومع ذلك لم تفده فرعونيته امام حشود بني يزناسن وعرب تريفة التي كانت تنقض عليه انقضاض النسور والاسود الموتورة حتى بقيت اشلاء اشياعه متناثرة متراكمة بعضها على بعض .

ولما شاهد حديدية هذه العزائم المضطرمة اضطر لمغادرة ميدان المعركة وفر معه من بقي من اشياعه والموت يلاحقهم من ورائهم .

قلت للقائد الدخيسي : هل كان بنو يزناسن وحدهم في الميدان في هذه المعركة الفاصلة ؟ قال لا ، ولكنهم الاغلبية الساحقة التي عليها مدار القتال .

ثم قلت له : واين تقع ماجن بختة ؟ قال : في نهاية مساكن اولاد الزعيم بقيادة بني ادرار وعلى مقربة من بني مريصن ثم سألته هل كان معه من بني يزناسن عدد مهم منهم ؟ فقال : عدد قليل لا اهمية له كما وكيفا . ولكنني وقفت على مذكرة للسيد محمد بن الحسن الحجوي بالخزانة العامة فنقلت منها ما يلي بتصرف :

حول ابي حمارة وابي حصيرة

لقد علم من خلاصة قصة هذين الثائرين التي نقلت معظمها من كتاب : اتحاف اعلام الناس وقليلها من روايتي عن القائد الدخيسي ومخطوط الحجوي ان ابا حمارة لم يجد له مكانا ذا أثر في بني يزناسن كما وجده في غيره من القبائل من معونة ومناصرة .

فقد كانت اغلبيتهم الساحقة ضدا عليه ومنازلته في المعارك على العموم، وفي المعركة الفاصلة بماجن بختة على الخصوص .

ومرجع ذلك الى خطتهم التي خطوها لانفسهم من الدفاع عن وحدة المغرب والتعلق بالسلطة المركزية وان كانت هذه السلطة اسمية في بعض الظروف ، والعلة فيها لا فيهم .

ولو كان على اقليم وجدة عامل يزناسني لما استطاع بوحمارة ان يطأه فضلا عن ان يحتله وينهبه ويجعل من عاصمته وجدة قاعدته الثانية بعد ان فر من قاعدته الاولى : تازا .

فبنو يزناسن وان كانوا ذوي غيرة جبارة على عموم وطنهم فهم على اقليمهم اغير بصفة خاصة ، وخصوصا لو كان احد البطلين العظيمين : الحاج محمد بن البشير او القائد بولنوار على رأس عمالة هذا الاقليم ، فما كان لابي حمارة ان يطمع في أي جزء من تراب المغرب الشرقي . وهذا بالاضافة الى بطولة بطل ابن بوزكو القائد حمادة الشهير .

ولكنها الاقدار شاءت ان لا يكون ذلك فشبت نار الحرب هناك قرابة سنة وسقط في ميدان الشرف والبطولة ابناء بررة من بني يزناسن وعرب تريفة رحمهم الله ورضي عنهم .

أما فيما يتعلق بثورة ابي حصيرة العتيكي او العتيقي فان هذا الثائر كان يعرف حق المعرفة انه لا يستطيع ان يثور ضد السلطة الشرعية بين قبائل بني يزناسن ، لما كان يتحققه من اخلاصهم للسلطة الشرعية كل الاخلاص ولذلك اختار ان يكون محل ثورته بعيدا عنهم بصحراء المغرب الشرقي بالمحل المسمى ، بالمقام ـ بالضهراء حيث مضارب عرب المغرب الشرقي .

ولم يستطع ايضا أن يثور ببني بوزكو الزنانتيين اخوة بني يزناسن لان العلة هي هي .

ومع اختياره الثورة بين عرب الاقليم فان هؤلاء العرب تخلوا عنه الامر الذي حمله على الذهاب الى لندرة ؟! ثم الى البقاع المقدسة ثم الرجوع الى وجدة كما سبق ذكره .

وقد كان يئس كل اليأس من أية نتيجة لولا ظهور ابي حمارة في المغرب (12) ويدل لجوؤه الى برديل على تخيله من أن بني يزناسن ربما ناصروه ولكن هيهات فقد باء بالفشل ، كما يدل التجاؤه الى لندرة على أنه ربما كان صنيعا للانجليز حينما كان الانجليز ينافسون فرنسا على المغرب فلو كان صنيعا لفرنسا لطار اليها اولا ثم الى الحجاز ثانيا .

على أن أبا حصيرة ـ بعد فشله في وقعة برديل ، لجأ الى «مغنية» اي الى فرنسا وهذا يدل على أنه كان يلعب على الحبلين ـ او أن انجلترا وفرنسا كانتا متفقتين على ايقاد الفتنة في المغرب اولا ثم النظر في النتيجة ثانيا ، وهذا عندي ارجع الرأيين او التفسيرين .

بنو يزناسن والاحتلال الفرنسي .

لقد احتلت فرنسا القطر الجزائري الشقيق سنة 1830 ميلادية . ولكن

---

12) روى لي والدي ان والده سيدي البشير رحمه الله والفقيه السيد محمد بن يوسف الطاهري الورطاسي ـ وكانا من أولياء الله ـ كانا من رافعي راية الدعوة للمولى عبد العزيز وضد ابي حمارة . واذا شاء احد استغاظتها مدح ابا حمارة ، وحينذاك تثور ثائرتها رحمهما الله . قلت : اني احمد الله واشكره على ان كنتّ حفيدا لسيدي البشير ومخلصا مثله لعقيدتي الوطنية العتيقة الصميمة لا يساومني فيها احد كما كان جدي البشير لا يساوم في عقيدته حتى في حالة الهزل ـ المؤلف ـ

احتلالها الكامل للقطر لم يتم الا بعد 17 سنة ، أي في سنة 1847 .

ذلك انها اصطدمت أول احتلالها للجزائر بقيام الحاج عبد القادر بن محيي الدين الجزائري للدفاع عن حوزة الجزائر .

وما كان للحاج عبد القادر هذا أن يحارب فرنسا طوال السبع عشر سنة 17 ، لولا أن امده المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي بالمال والعدة والرجال .

وقد كان ابرز القبائل التي كافحت جنبا لجنب مع الحاج عبد القادر ، قبيلة بني يزناسن الكبرى .

فلقد اقضت هذه القبيلة مضاجع الفرنسيين لما كانت تنزله بفرنسا من خسائر فادحة في الاموال والعتاد والرجال على الحدود وداخل القطر مع الحاج عبد القادر . فموقعها الجغرافي الذي جعلها مجاورة للقطر الشقيق ، وعزة نفوس رجالها التي كانت ولا تزال ، مضرب الامثال .

ان هذين العاملين كان لهما اثر على وضع فرنسا المستعمرة بالجزائر

ولقد جن جنون فرنسا بمقاومة اليزناسنيين لها مقاومة لم تجد لها نظيرا حتى في نفس القطر الجزائري المحتل .

وكان من نتيجة ما لحقها من اضرار من طرف بني يزناسن ان رفعت شكواها المرة تلو المرة الى المولى عبد الرحمن .

وشاءت ان ترهب بني يزناسن بصفة غير مباشرة فهجمت على وجدة واحتلتها ولكن هذه العملية لم يكن لها أي اثر على عزمات ابطال بني يزناسن، ولذلك قامت بهجومات عنيفة عليهم انفسهم .

فما كان من بني يزناسن أمام هذه الهجومات العنيفة الا أن استدرجوا الجيوش الفرنسية الى أبركان ، ثم الى تافوغالت ، وحين ذلك انقضوا عليها بهجومات لا اتخيل ان فرنسا ستنسى ما ذاقت بها من محن وآلام ، حيث سقط من ابنائها هناك العدد الكثير ، ولا تزال مقبرة «القبوز» بتشديد الباء في تافوغالت شاهدة على ذلك .

وازاء هذه البطولة التي قابل بها بنو يزناسن هجومات الجيوش الفرنسية في عهد الحاج عبد القادر اضطروا الى الهروب من بني يزناسن ، لا الى الانسحاب .

وليس ما اسجله هنا من باب اطلاق الكلام على عواهنه .

فلقد اشار صاحب الاستقصاء عند الحديث عن هذه الظروف الى ما يقضي منه الانسان العجب العجاب ولعل المستطلع يكفيه أن يفهم اكثر مما اسجله هنا عن بني يزناسن ما قاله صاحب الاستقصاء عنهم حينما كان يروي قصة الحاج محمد بن البشير بن امسعود اليزناسني في عهد المولى الحسن الاول فلقد قال عنهم : ثغر من ثغور المسلمين ، وعصبة تدخر لنصرة الدين ،

فلقد راجعت الكتاب المشار اليه عدة مرات فما رأيت صاحبه اطلق مثل هذا الوصف على قبيلة من قبائل المغرب ومدنه وقراه .

وتزداد اهمية هذا الوصف اذا اعتبرنا ان صاحب الاستقصاء خلع عليهم هذا الوصف في ظروف خاصة كان من شأنها ان تستوجب العقاب من المولى الحسن الاول ـ ولكنه بدل ذلك قال صاحب الاستقصاء : فعفا عنهم السلطان مولاي الحسن لانهم ثغر من ثغور المسلمين الخ ....

نعم ، ان فرنسا ، كما قلت سابقا احتلت القطر الجزائري سنة 1930 واحتلت وجدة الاحتلال النهائي في سنة 1907 . واحتلت بني يزناسن في 25 مارس سنة 1908 .

فلماذا وقفت فرنسا علي حدود القطر الجزائري سبعا وسبعين سنة قبل ان تهجم على وجدة وتحتلها ؟

ولماذا احتلت وجدة سنة 1907 ؟ وبني يزناسن في سنة 1908 ؟

من المعقول ان يجاب ، بأن فرنسا كانت تحسب الف حساب للبطولة المغربية على العموم . ولكن الم يكن حسابها دقيقا ازاء بطولة بني يزناسن على الخصوص ؟

ان سكان الحدود عنوان عناصر القوى او الضعف التي يمكن ان يتوفر عليها عموم البلاد . فاذا كان هؤلاء السكان الواقعون على الحدود يتوفرون على البطولة والعزمات الاسلامية للمقاومة الصادقة على الرغم مما يقاسونه من حوادث الحدود ، فان العدو يرهب الهجوم على البلاد أو تقل اطماعه على الاقل ، أما اذا كانوا جبناء ضعيفي الايمان بقيمهم الوطنية ، فان ذلك مما يغريه بالانقضاض على البلاد .

وفرنسا المستعمرة لم تقف على اعتاب البلاد المغربية 76 سنة تعففا أو خجلا من الشعب المغربي فعلى الرغم مما آلت اليه وضعية المغرب عقب وفاة المولى الحسن من فتن واضطرابات لم تستطع ان تجهز على المغرب الا بعد ان توفرت كل العناصر الرئيسية للاحتلال .

لانها كانت تعلم علم اليقين : ان الشعب المغربي على العموم يتوفر على كل مقومات الدولة والشعب وذلك من شأنه ان يساعد المغاربة على صد كل هجوم اجنبي مهما كان . ولا سيما وقد شاهدت بعينها ولمست بيدها ما اذاقها بنو يزناسن من ويلات وشقاء أثناء أوائل احتلالها للجزائر في حروبها مع عبد القادر .

ولم تستطع من عهد مولاي عبد الرحمن ان تقيم لها عملاء في بني يزناسن يقومون لها باضطرابات داخلية لتمهد ليوم الاحتلال .

وسواء كان ابو حصيرة العتيقي المتقدم الذكر من صنائع فرنسا او صنائع الانجليز — ان لم يكن قيامه على سوء تدبر للعواقب وسوء فهم لنفسية سكان المغرب الشرقي — ، فان مثل هذا العتيقي برهن لها على أن بني يزناسن لا يمكن ان يتحولوا الى عملاء لها . وليس العتيقي الا من الشواذ ، والشاذ لا أثر له على القاعدة . ولا سيما اذا لاحظنا ان «حملة الحمايات» في المغرب لم يتأثر بها ولا يزناسني واحد فلا أحد من بني يزناسن احتمى باجنبي للتنصل من المواطنة المغربية التي يقدسها بنو يزناسن أخلد تقديس .

واذا كانت فرنسا قد احتلت عاصمة المغرب الشرقي وجدة في سنة 1907 — أي في السنة التي احتلت فيها الدار البيضاء ، فانها لم تستطع ان تحتل بني يزناسن إلا في سنة 1908 . وذلك لما لاقته من اعنف المقاومة في هذه الجهة التي تستحق بحق ما قاله عنها السيد الناصري سابقا من أنها ثغر من ثغور المسلمين ، وعصبة تدخر لنصرة الدين .

واثناء هذه السنة ، شهدت قبيلة بني يزناسن اعنف المعارك بينها وبين الجيوش الفرنسية فكانت معركة : «أذراع اللوز» بقبيلة أولاد الزعيم «قيادة أحفير» الان ولا سيما القتال المحتدم بالمحل المسمى : «تمطمات» بفتح التاء الاولى والميمين وسكون الطاء والتاء الاخيرة .

وفي هذا المحل استشهد البطل احمد البرحيلي «من قسم بني منقوش» وابن عمه البطل محمد بن رمضان والبطل رمضان الكاضي الزعيمي ، هذا البطل الذي حقق لي احد الرواة انه ربط نفسه مع ثلاثة اولاده مع شجرة سدرة وصاروا يقاتلون الى أن استشهدوا كلهم في سبيل الذود عن حوزة الوطن من طغيان الجيوش الفرنسية المتوحشة ، ومن احفاد الكاضي هذا محمد بن لكحل الملقب بالمحطحل . والشيخ محمد الذي اصيب بجروح في رجله فمات منها بعد ، وقد استمات بنو يزناسن ايما استماتة اثناء هذه المعركة وفنى فيها خلق كثير من الجانبين ، ولا يزال هنالك قرب تمطمات محل يدعى ب : «دار العظام» لما تراكم عليه من جثث الشهداء ، وقد عمدت الجيوش الفرنسية الى تحطيم المساجد ، ولكن هدفها الذي يرمي الى اضعاف عزمات المجاهدين كان عكسيا اذ أن المجاهدين حينما رأوا مساجد الله تهدم وتحطم اضطرمت نيرات الحمية الدينية في نفوسهم فاقبلوا على العدو يقاتلون بعزة عربية اسلامية متينة يتجرعون كؤوس الموت في ابتسامات مشرقة .

الامر الذي أطار عقول النساء وقلوبهن فاشتركن في القتال بصفة تبعث على الاعجاب ، ومن جملة من استشهد منهن البطلة : عطوانة العزاوية زوجة عبد القادر العزاوي . كما استشهد في معركة تمطمات ايضا ، البطل

أحمد بن عبد الله من أولاد بوجمعة التحاته من اولاد الزعيم ، ومن احفاده الاحياء محمد بن الرقيق وعمرو محمد بن عبد الله .

واستشهد ايضا الشريف السيد مولاي عبد الرحمن بن الحاج محمد العزاوي ــ ومن أحفاده الاحياء احمد بن الحسين ومحمد بن سي محمد واستشهد من غير هؤلاء الكثيرون من الابطال رحمهم الله .

أما معارك احفير فقد كان يقودها في المقدمة البطل القائد بلحسن البنهاري ، والبطل السيد ابن عبد الله المجدوب العزاوي ، وكان هذان البطلان يتقدمان الى الاعداء للفتك بهم كما يتقدم الكئيب الى نزهة رائقة للتسلية عن نفسه .

وروي لي والدي انه شارك بنفسه في معارك احفير على الرغم من أنه كان مريضا بالحمى ولكن النفير العام الذي أعلنه قادة بني يزناسن استنهض الهمم واوقد نيران الحمية حتى كان المرضى يفارقون فراشهم لاجل الجهاد في سبيل الله فتلاحمت الابطال على أعتاب البلاد بأحفير حيث الموضع الواقع على وادي كيس الفاصل بين التراب المغربي والجزائري حينذاك ، واخذوا يستشهدون في سبيل الله والوطن والعرش .

وازاء هذا كان الحاج محمد الهبري صاحب زاوية درقاوة يذكر نفوس مريديه للدفاع عن حوزة الوطن فكانت تربيته الصوفية وتشجيعاته المتواصلة تفعل في النفوس فعلها العميق .

ولكن القيادة العسكرية الفرنسية الغازية اخذت ترمي بالفياليق اثر الفياليق لساحة الوغي فانهزم المجاهدون اثابهم الله امام هذه القوى المتكابة في حين انهم كانوا لا يملكون السلاح المتوازي وانما يملكون قوة الايمان بمحبة وطنهم ودينهم فاستسلموا لارادة الله .

أما البطلان : بلحسن ، والمجدوب فقد هاجرا الى المنطقة الشمالية بإقليم الناضور فاكرمت ضيافتهما اسبانيا بتعيينهما قائدين هناك على بعض قبائل الاقليم ، اي على قبائل كبدانة ولا يزال احد ابناء السيد عبد الله المجدوب حيا وهو القبطان المجدوب الذي يوجد حاليا بملحقة زايوا .

وعندما أتمت الجيوش الغازية الفرنسية احتلالها لبني يزناسن اخذت في نهب اموالهم واراضيهم وابعاد قادتهم والالقاء بهم في غيابات السجون . كما عمدت الى تمزيق وحدتهم بتعين قائد على كل بطن من بطونهم في حين ان نسماته لا تتجاوز الف رجل، واذكت بينهم اسباب العداوة والبغضاء ــ ففي عرب اتريفة مثلا . عينت على اولاد منصور قائدا . هو القائد بنعيسى . وعلى العثامنة القائد الحبيب . وعلى اولاد الصغير القائد محمد بن الهواري

وعلى هوارة القائد الدخيسي وعلى دوار من كبدانة القائد بوعنان . وهكذا فتكت مع جميع بطون دائرة بني يزناسن .

وقد سألت احد رواة هذه الانباء عن سبب نهوض بني يزناسن لرد الغزاة واستسلام عرب وجدة أمام جيوش الاحتلال فأجابني :

حينما عزمت الجيوش الفرنسية على احتلال المغرب الشرقي انعقد مجلسان للعلماء مجلس لعلماء وجدة وآخر لعلماء بني يزناسن .

أما مجلس علماء وجدة فقد قرر الدعوة الى الاستسلام نظرا الى أنه لا يمكن مقاومة هذه الجيوش الفاتحة بعد ما احتلت البيضاء ، ولانه لم يرد أمر بالقتال من السلطان فكان لهذا القرار ما كان من الاستسلام .

وأما علماء بني يزناسن فقد قرروا النفير الى الجهاد ، وان مقاتلة العدو والمهاجم لا ينتظر فيها ورود أمر السلطان ، فسكوت السلطان دليل على أنه يريد من رعاياه قتال العدو ما امكن ، اذن فسكوته امر بالقتال ولهذا قرروا الجهاد في سبيل الله والوطن .

وعلى أي حال ، فاني اعتقد أن ما قام به بنو يزناسن من صد العدو حتى ولو لم يات بالنتيجة العامة فانه كان له اثره البليغ فيما بعد كما سياتي الحديث عنه في القسم الثاني من هذا الكتاب .

وعلى الرغم من فرض الحماية في 30 مارس 1912 فان الادارة الفرنسية واصلت مضايقتها لبني يزناسن وتشريدها لابطال الكفاح الوطني .

ففي سنة 1916 نفت الشيخ الحاج محمد الهبري العزاوي الى القطر الجزائري وقضى هناك سنتين كاملتين الى سنة 1918 حيث ردته الى مسقط رأسه ، لان هذا الشيخ كان من أشد المقاومين للاحتلال الفرنسي . ولقد حاولت الادارة الفرنسية ان تستصنعه فابت عليه عزته وكرامته ان يكون من صنائعها ففضل التشريد على البقاء في مسقط رأسه صنيعا لها . وهكذا المؤمنون الصادقون أثابهم الله وجزاهم خير الجزاء ، كما نفي السيد محمد بن احمد بن الحاج العزاوي الى سنة 1932 . ويقول السيد محمد ابن الحسن الحجوي في مذكرته المخطوطة المشار اليها سابقا وقد كان شاهد عيان بوجدة ، قلت يقول :

انه في رابع عشر صفر الخير 1325 ، موافق 1907 ، احتلت الجيوش الفرنسية وجدة ، عاصمة المغرب الشرقي ، وان الذي كان عاملا على وجدة في هذا الظرف المؤلم هو السيد بنكروم . وان مساعده العسكري هو السيد ابن عبد الصادق الريفي ، ولم يكن هذا الاخير – يقول السيد الحجوي – حاضرا وجدة يوم الاحتلال . ولكنه كان يتردد بين وجدة والسعيدية ، أو

عجرود وجزيرة « مرسيكا » بفتح الميم وسكون الراء ، على مقربة من الناضور اثناء قتاله لابي حمارة .

قال السيد الحجوي : ونظرا للخلل الواقع في ميدان تسيير الشؤون الدنية والعسكرية في المغرب الشرقي ، ونظرا لاحتلال وجدة من الجيوش الفرنسية ثار بنو يزناسن واجتمعت كلمتهم على «مبايعة» الشيخ السيد المختار البوتشيشي القادري « من بني خالد » ونصروه سلطانا عليهم وبايعوه على الجهاد ليطرد فرنسا من وجدة ، وجاء الجنرال البيوطي واحتل بني يزناسن في شهر ذي الحجة عام 1325 . انتهى كلام الحجوي بتصرف .

قلت من المحقق ان السيد الحجوي قد غلط في تاريخ احتلال بني يزناسن وهو عام 1325 ، وان بني يزناسن ثاروا وبايعوا السيد البوتشيشي ، ثم قال : ان الجنرال البيوطي احتل بن يزناسن في شهر ذي الحجة عام 1325 .

فاحتلال وجدة كان قبل بني يزناسن باعترافه وبشهادة المصادر التاريخية الاخرى ، ومذكرته الخطية لاحتلال بني يزناسن تدل أن بني يزناسن احتلت قبل وجدة .

والتحقيق هو أن بني يزناسن لم يحتلوا الا بعد سنة من احتلال وجدة ، اي في سنة 1908 . وان شهر ذي الحجة الذي ذكره الحجوي كان من عام 1326 ، لا من عام 1325 .

نعم لعل ما قاله السيد الحجوي من باب سبق القلم ، والا فلا أظن أن له غرضا في تشويه الحقائق .

ولما وقفت على ما قاله السيد الحجوي من أن بني يزناسن بايعوا السيد البوتشيشي « سلطانا » لم أهضم ما ذكره السيد الحجوي من هذه « السلطنة » ولذلك قررت الاستمرار في البحث عنها وتبين لي بعد التحقيق ان هذه السلطنة لا اثر لها أصلا . وان بني يزناسن حينما رأوا احتلال وجدة ، التجأوا الى الشيخ السيد المختار البوتشيشي ـ بصفته من آل البيت من الذين وهبوا أنفسهم للتربية الدينية ليكون على رأس المجاهدين حتى يطرد الفرنسيين من وجدة وترجع عاصمتهم الشرقية الى حاضرة الوطن ، وان السيد المختار هذا قبل منهم ذلك واستنفر الناس وجند الجنود وعين كل بطل من ابطال بني يزناسن قائدا على فرقة ، واخذ يجاهد في سبيل الله من أجل الجهاد فقط من دون أن تكون له نية في السلطنة ولا أن يكون كبار بني يزناسن تحدثوا معه حولها ، هذا هو التحقيق وهذا هو واقع الامر . وقد روى لي والدي أطال الله حياته كما روى له غيره انه لما احتل الفرنسيون وجدة ثار بنو يزناسن ضد هذا الاحتلال الاجنبي واجمع رأيهم على انتداب

السيد المختار المذكور لرئاسة قيادة المجاهدين . ولعل بني يزناسن كانوا يعتقدون أن احتلال وجدة هو من جملة ما كانت فرنسا تقوم به من هجومات على المغرب الشرقي ثم ترجع الى الجزائر ، فاراد بنو يزناسن طرد جيوشها من وجدة كما طردوهم من بني يزناسن اثناء حرب الحاج عبد القادر ، وهكذا استمر بنو يزناسن يقاتلون الجيوش الفرنسية في مختلف جهات الحدود . وأثناء ذلك اخذت فرنسا تتصل سريا ببعض الاوباش الذين لا تخلو منهم ناحية او جهة ، بينما كانت فرنسا تجهز على بقية اجزاء الوطن العزيز في مختلف الجهات ، علاوة على قيام المولى عبد الحفيظ على أخيه المولى عبد العزيز لاسباب لا تعنينا الان ..

وبذلك اخذت الحالة تضطرب في بني يزناسن وقل السلاح والزاد . كل هذا والجيوش الفرنسية تقذف التراب المغربي من التراب الجزائري من المحل المسمى : المناصب ، وتصل القذائف الى المحل المسمى : حجرة الحلوف فضاقت الحال بالمجاهدين ، وتشاوروا في الامر وقر رأيهم اخيرا على عقد مؤتمر تحت رئاسة السيد المختار البوتشيشي .

قال والدي أطال الله حياته ، ولقد كنت حاضرا هذا المؤتمر بنفسي ، وكان انعقاده بمنزل السيد المختار المذكور ببني خالد بالمحل المدعو : (أغبال) بفتح الالف وسكون الغين المعجمة وقد حضره من بني عتيق القائد امبارك الهبيل والد السيد البكاي ، والقائد محمد امقعد الراس . ومن بني وريمش محمد بن سي محمد . والحاج مبارك الرسلاني الوريمشي . ومن بني خالد القائد قدور بن سعيد البوعمالي بشد الميم ومحمد بن لحسن الخالدي الغجيرتي بفتح الغين المعجمة وتشديد الجيم مع كسرها وغير هؤلاء من قواد بني يزناسن وكبارهم .

وبعد ان التأم الجمع تكلموا بالتناوب مع السيد المختار وذكروه بالمسؤولية التي حملوه اياها . ثم ان السيد المختار قال لهم : انكم تعرفون مقدار تطورات الظروف من احتلال فرنسا لمعظم أجزاء المغرب ثم اتصال بعض الاوباش منا بالفرنسيين ، ثم عدم وجود الزاد من مال وسلاح فماذا يمكننا أن نعمل ؟ ولذلك – يقول السيد المختار – : لم يبق لي أمل في نتائج الاستمرار في الجهاد واعلن لكم أنني من الآن لست مسؤولا عن العمليات الحربية ،

قال والدي أطال الله حياته : ولما سمع أعضاء المؤتمر تصريح السيد المختار الواضح نهضوا واتفقوا جميعا على الاستمرار في الدفاع عن أراضيهم ومقاتلة العدو الى آخر نفس ثم نادوا في الناس بالنفير العام وواصلوا الكفاح الى أن غلبوا على امرهم والامر لله الواحد القهار .

خاتمة هذا القسم

لقد وقع الاعلان عن صك الحماية في 30 مارس 1912 . واحتلت قبيلة بني يزناسن بأكملها واخذ الفرنسيون يبذلون الجهاد لاخماد جذوة النعرة الوطنية واضعاف العقيدة الدينية أو تكييفها على الصحيح واحياء التعصب القبلي باذكاء نار الفتنة في القلوب . والعمل على عزل بني يزناسن عن بقية اجزاء التراب المغربي عزلا يجعلهم ينظرون الى غيرهم من ابناء وطنهم نظرة احتقار واستهزاء أو حذر مفرط على الاصح .

فلقد اخذت دعايات مختلفة تروج في مختلف الاوساط ، المقصود منها القضاء على الحماس الديني والوطني ، فمن هـذه الدعايات : انه يجـب الاستسلام لما قضاه رجال البلد ويقصدون بهم الاموات ، بحيث أن أولياء الله قضوا « بدخول » النصاري لحكمة يعلمونها وانهم متى علموا ان لا فائدة في وجودهم بالمغرب أخرجوهم « اي بالبركة » . وان فلانا الذي اصيب بالمرض الفلاني كان يعارض في الاحتلال الفرنسي ، ومعارضة الاحتلال الفرنسي معناه : معارضة أولياء الله ومعارضة اولياء الله هي التي تسببت له في مرضه العضال .. ومنها : انه لا معنى لمعارضة الفرنسيين في احتلال المغرب ما دام السلطان قد تعاقد معهم رسميا ورضي باحتلالهم . فمعارضة الفرنسييـــن معارضة للسلطان ومعارضة السلطان هي معارضة الله الذي ينوب عنه السلطان ، وهذا منا فـللعقيدة الاسلامية .!. ومنها ان المغاربة قد باعوا البلاد للفرنسيين واخذوا اموالا طائلة عن ذلك فلا معنى لاي عمل بدون جدوى .

ومنها أن المغاربة لا يجوز الاتصال بهم ولا معاشرتهم لانهم باعوا وطنهم والذي يبيع وطنه لا تجوز مخالطته ، ويقصدون بالمغاربة ما وراء تازا غربا !

وهكذا اخذت مختلف الدعايات المتناقضة تسمم الافكار وتبلبلها حتى لا تبقى أية معارضة للاحتلال الفرنسي من جهة ولا يفكر في الاتصال ببقية ابناء الوطن في غير اقليم وجدة من جهة ثانية . والى جانب هذا وذاك ، اخذت الادارة الفرنسية تبعث دفائن الخصومات في مختلف العائلات وخصوصا بين عائلة أولاد الحاج محمد بن انبشير اومسعود وعائلة أولاد الهبيل .
الهبيـــل .

ولكن هل قضى الفرنسيون على الروح الوطنية والعقيدة الدينية في بني يزناسن ؟

يمكنني أن أجيب بكل صراحة ووضوح أن هذه الدعاية قد نجحت فــي ثلاثة جوانب مهمة من الجوانب التي كانوا يتهاوون عليها بمعاولهم ليحطموها؛ ولكن نجاحهم لم يكن نهائيا ، وانما كان مسكنا ليس الا ، ولكـنـــه كـــان مسكنا خطيرا .

1 : الجانب الاول العنصرية القبلية ، فلقد كان «للوريمشية» و «العتيقية» و « المنقوشية » و « الخالدية » و « العربية » أثر وأي أثر في مختلف ميادين الحياة . فكل عنصر يستنقص الاخر ويحتقره بدافع العنصرية القبيلة . والكل ـ الا من رحم ربك ـ كان لا يثق بالاخر الا بمقدار ، فلقد استبدت النعرة القبلية ايما استبداد بالافكار وتسربت في بعض النقط الى أعماق القلوب اذ كان من الصعب على العتيقي مثلا أن يمتلك أرضا ببني منقوش أو العكس . وكذلك الشان في الزواج وكم ذهبت من أرواح في سبيل العنصرية التي اخذت أدواؤها تستفحل حتى ما بين مدشر ومدشر من نفس القبيلة أي أحد أقسام القبيلة الكبرى ببني يزناسن .

غير أن الروح الوطنية لا تلبث أن تحمل الاوفياء لوطنيتهم عليا لتدخل لاصلاح ذات البين .

2 : الجانب الثاني افشاء الاتكال او التوكل الخالي من العمل الضروري للتوكل ، وذلك بالزهد في الدنيا ويتمثل ذلك في مظاهر اثنين :

أ ـ : التعلق بالزوايا وطلب الجنة عن خصوص طريق الاوراد والاذكار

ب ـ بيع الاراضي للمعمرين أو تسليمها لهم بدون ثمن أو بابخس الاثمان وتارة تغصب منهم بطرق مختلفة كما هو الشأن في غير بني يزناسن .

ومن الدعايات التي كان يذيعها العملاء : على الانسان ان يبيع أرضه باي ثمن ، فقريبا سيعمل « أولياء الله على أخراج الفرنسيين من الوطن وترجع اليه ارضه بعد ان يكون قد فاز بثمنها .

وهكذا اخذت اراضي بني يزناسن على الرغم مما قاسوه في الجملة من سجن وآلام واتعاب .

3 : الجانب الثالث : قطع كل صلة ثقافية ما بين بني يزناسن والعواصم العلمية ، وخصوصا عاصمة تلمسان وعاصمة فاس ، ولا سيما هذه الاخيرة .

اذ من المعلوم ان طلبة بني يزناسن كانوا يرحلون في الغالب لطلب العلم الى هاتين العاصمتين . ومن نبغاء بني يزناسن الذين درسوا بتلمسان العلامة الشهير المعروف باليزناسني ونسبه : أحمد بن عبد الله اليزناسني العبد الوادي ، صاحب كتاب المعاصم في شرح تحفة ابن عاصم . وقد اطلعت على هذا التأليف بنفسي في الخزانة العامة قسم الوثائق ازاء رقم 1393 وابراهيم ابن محمد بن ابراهيم بن عبد الله اليزناسني ، قاضي الجماعة بفاس المتوفي بها سنة 794 هـ. وابو زيد عبد الرحمان بن محمد اليزناسني ، مؤلف كتاب الجواهر ، والمدفون بفاس ايضا ، وغير هؤلاء العلماء اليزناسنيين الاجلاء كثيرون كما ترجم احمد بابا السوداني في كتابه البستان لكثير من علماء بني

يزناسن وهو كتاب مطبوع بالمطبعة الفاسية وتوجد نسخة منه بالخزانة العامة قسم الوثائق .

والعلامة الولي الصالح سيدي احمد بن رحو اليزناسني الذي كانت له مدرسة ببني يزناسن يفد عليها الطلاب من مختلف الجهات لدراسة مختلف العلوم . وعلى الرغم من اني لم اقف على تاريخ وفاته فانني اعلم ويعلم كل بني يزناسني : ان سيدي أحمد بن رحو مدفون ببني منقوش بفرقة بني عبد الله « تباكروت » وله قبة قائمة الى الان يفد الناس عليها من كل حدب وصوب للزيارة والتبرك والترحم ، ولعل سيدي أحمد بن رحو كان من جيل القرن التاسع الهجري لان جدي السادس لاب المسمى : عمرو كان من تلامذته ولعله من الصدف الغريبة ان اعثر على ترجمة كثيرين من علماء بني يزناسن وتكون تواريخهم ما بين القرن الثامن والتاسع الهجريين .

الامر الذي يظهر ان هذه الحقبة كانت بالنسبة لبني يزناسن حقبة اقبال على العلم والتعليم ، كما انني لاحظت من خلال تراجمهم انهم كلهم من العلماء والحفاظ والزاهدين في الدنيا بالانقطاع الى نشر العلم والعبادة . وأنهم بلغوا المراتب العليا في التقوى والولاية والصلاح .

ولا انسى بهذه المناسبة ان أسجل هنا ما حكاه لي الاستاذ السيد محمد ابن سودة ، مؤلف دليل المؤرخ انه كان يملك حاشية على القرافي لعالم ورطاسي . وان هذه الحشاية كان استعارها منه مولاي عبد الله الفضيلي ولم يردها له ، ووعدني باعارتها لى اذا رجعت اليه .

وان اذكر هنا ان العالم البحاثة السيد عبد القادر زمامة أطال الله حياته قد اكتشف وجود حي في فاس على مقربة من قبة سيدي احمد الشاوي يدعى حي بنى يزناسن ومسجدا يطلق عليه مسجد بني يزناسن . ولعل أبحاثه المواصلة ستظهرها على ما كان لبني يزناسن من مختلف الصلات بفاس وخصوصا صلة العلم . واننا لنرجو للاستاذ الباحث كل توفيق في جهوده العلمية . ويوم تساعدني الظروف ساحقق أمنيتي الغالية بجمع كتاب يتعلق بما يمكنني أن أحصل عليه من تراجم علماء بني يزناسن . ولنعد الآن الى موضوعنا ألا وهو أن الفرنسيين استطاعوا بمختلف دعايتهم أن يوقفوا الحركة العلمية ببني يزناسن وان لم تطل مدة الايقاف . فما كادت سنة 1930 تحل حتى كانت فاس تعج بطلبة بني يزناسن . واخذوا يتزايدون الى أن بلغوا رقما قياسيا ... أما ما عدا هذه الجوانب الثلاثة فان الفرنسيين على الرغم من وسائلهم الجهنمية فان بني يزناسن احتفظوا بطابعهم الديني والاخلاقي الى حد بعيد .

فلقد احتفظوا بمساجدهم وحافظوا عليها وزادوا من عددها يعمرونها في كل الاوقات لاداء واجباتهم الدينية وازاء كل مسجد كتاب يحفظ فيه ابناؤهم كتاب الله عن ظهر قلب . وفي كثير من المساجد تجد « الطلبة المسافرين » لاتقان حفظ كتاب الله وفي البعض منها تلقى دروس علمية وان لم تكن دروسا عالية . وقد رحل كثير منهم الى الجزائر كتلمسان وبلعباس وزاوية الهامل . ومازونة ورجعوا الى وطنهم يدرسون ويفتون العامة في شؤون دينهم وتقلد بعضهم خطة القضاء ومارس البعض الآخر خطة العدالة .

اذكر منهم محمد فتحا بن العالم (13) وشقيقه السيد المنور ، والسيد عمرو بن العالم ، والسيد عبد المالك بن العالم ، والسيد المامون بن العالم والسيد العربي البوحميدي ، والسيد محمد بن ابراهيم البوعمالي ، والفقيه محمد اليعكوبي ، والسيد محمد بن صالح ... وفي مقدمة الجميع استاذي السيد بنسعيد بنعبد الرحمن البوشاني ، والسيد محمد بن الحاج العربي والسيد المولود بن احمد والكل من بني خالد والسيد ادريس بن المكي الرمضاني ، والسيد احميدة الرمضاني والسيد محمد بن البشير البكاوي ، واستاذي السيد علي بن العروسي ، والسيد محمد بن احمد اليعقوبي ، والسيد محمد بن الحاج أحمد اليعقوبي والسيد محمد البوثواري، وغيرهم ٥. والكل من بني منقوش ... والسيد محمد بن الطيب الورطاسي ، والسيد مولاي الطيب الاحمدي المعروف بالقاضي ، والسيد مولاى اليمانى الاحمدي والسيد محمد بن العربى الاحمدى ، والسيد علي العياشي الموساوي الذي قضى شهيدا بالحرب الريفية ، وكان هذا العالم عارفا بالله بطلا مجاهدا .. وغيرهم . والكل من بني عتيق .

والسيد محمد بن الطاهر الداودي ، واستاذي السيد عبد السلام البقال الحركاتي وغيرهما من قبيلة بني وريمش ... وهذه الطبقة تعد من طبقة الفقهاء الذين درسوا ما قبل سنة 1930 م. مع تفاوت في معلوماتهم والى جانب هذه الحياة العلمية كان بنو يزناسن ينظمون في صيف كل سنة مهرجانات علمية اما بمسجد المنزل ببني عبد الله « ببني منقوش » واما بمسجد مولاي ادريس بني بويعلة « ببني عتيق » ويستدعون اليها جلة العلماء من وجدة وعلى رأسهم العالم الحافظ قاضي القضاة المغفور له استاذي السيد الحاج العربي ، وتبقى تلك المهرجانات مسترسلة ما يقرب من شهر ويحضرها من مختلف الطبقات

---

13) ان جد اولاد بن العالم هو العالم العلامة السيد عبد القادر بن محمد بن أحمد بن مريم المدفون بقرية بوزلاي قرب مسجد تانوت وقد رحل الى القاهرة لطلب العلم ومكث هناك 18 عاما ثم رجع لنشر العلم ببني ادرار بقيادة احنير وقد كان قاضيا في عهد المولى الحسن الاول واستقال عقب الاحتلال الفرنسي وان آلعشماوي الكبير اثبت نسبه في آل البيت الادريسي كما ذكر لي ان من علماء بني خالد السيد سليمان العودي من فرقة العيدان الشهيرة وكان قاضيا في عهد المولى الحسن الاول والعالم السيد علي البنهاري «المؤلف» عن السيد عبد القادر بن العالم كاتب الضبط بالمحكمة الشرعية بوجدة .

من بني يزناسن ، ويلقي مختلف العلماء دروسا مختلفة في الفقه والحديث والتفسير . وتقام مناظرات علمية يحتد فيها الجدل ويشتد الصراع والعامة تستفيد من كل ذلك ، حتى اذا اشرفت المهرجانات على النهاية « تصالح » العلماء ووزعت عليهم الهدايا ورجع كل الى عمله العادي .

وأكرر مرة ثانية ما قلته سابقا من أن الفرنسيين لم يوفقوا نسبيا الا في تلك الجوانب الثلاثة حسبما فصلته هنا .

أما ما عدا ذلك فان بني يزناسن احتفظوا بعدائهم الصريح الواضح للغزاة الفرنسيين ، ويكفي ان عدد الملتحقين بالجيش الفرنسي منهم يعد على رؤوس الاصابع ، فقد كانوا ـ يرون ـ وحتى عامتهم : ان الالتحاق بالجيش الفرنسي والخدمة مع الادارة الفرنسية مخالفان للدين الاسلامي ، ومنهم من مات ولم ير وجه فرنسي أبدا . اذكر على سبيل المثال السيد محمد ابن رمضان الوكوتي الحيبوي ، ومن اغرب ما عرف عن السيد محمد بن رمضان المذكور انه وقع له اعتداء على بقرة فاستدعي للمراقبة الفرنسية للحضور في الجلسة التي ستثار فيها قضيته « فامتنع من ذلك واشهد على نفسه أنه برأ المتهم .

وقد لزم منزله لتعليم كتاب الله والقيام بانواع العبادات الى أن توفي رحمه الله ولم يروجها لاي فرنسي وكم حاول الفرنسيين أن ينزلوه من منزله بالجبل فامتنع ، واخيرا تركه الفرنسيون وشانه ، وعلى الرغم من ان هذه الجزئية ربما ظهرت بسيطة ولكنها تمثل عداء بني يزناسن العميق لغزاة الفرنسيين ، وكانت من المشاعل الوطنية التي ايقظت الحماس الوطني فيما بعد ، فرحم الله تلك الروح الطيبة واسكنها فسيح جنانه .

ثم ان الفرنسيين حاولوا خلق « احواش » وعادة « الشيخات » في بني يزناسن ـ فكانوا يطلبون الى القواد استدعاء النساء للغناء في المهرجانات التي كانوا يقيمونها بمناسبات مختلفة ، ولكن القواد كنوا يتعللون بان بني يزناسن من أشد المغاربة غيرة على النساء » . وحتى لو حاول القواد ذلك فلا تكون لمحاولتهم أي نتيجة ، على أن القواد انفسهم ما هم الا من بني يزناسن ، ومن أشدهم غيرة على النساء . وبالاضافة الى هذا وذاك ، فان الحرب الريفية « 1922 » و «1923» كان تبالنسبة ابني يزناسن اخوة الريفيين المباشرين بمثابة بعث جديد لليقظة الوطنية .

فلقد كان بنو يزناسن يتتبعون سير المعارك بكل عناية واهتمام ، ويقومون بالدعاية للالتحاق بالمجاهدين الريفيين ونصرتهم بكل انواع المساعدات المادية والمعنوية انني اتذكر جيدا هذه الحرب الريفية . اذ كنت اذاك اقرأ القرآن بمسجد ورطاس الاكبر على ابن عمي الولي اصالح الفقيه السيد التهامي بن قدور ، وكنت على وشك حفظ سور البقرة والنساء والعقود اعني الحفظ المتقن . والا فقد سبق لي ان كنت احفظ نصف القرآن .

وحينما يرجع احد الورطاسيين من سوق الثلاثاء بابركان في المساء يامرنا الفقيه المذكور بالسكوت ويساله عن سير المعارك الريفية ، فاذا اخبره بانتصارات الريفية ضحك ضحكة عريضة ثم قال لنا : اذهبوا الى حال سبيلكم فاذا انتصر الريفيون فان الاسلام بخير ، والا ، فاقرأوا . . اولا تقرأون . ثم يقول : فماذا ينفعنا هذا القرآن اذا غلب الريفيون على امرهم ؟

أما اذا قيل للسيد التهامي المذكور أن الاسبان قد انتصروا فيقطب بين حاجبيه وتتغير سحنته ويعلوا وجهه سواد الغضب ولا يشعر الا وهو ينزل علينا بعصاه ثم لا يلبث أن يقول لصاحبه : من أين لك بهذه الاخبار ؟ لعلك اتصلت بمن لا ضمير لهم ، أو بخونة ؟ فاذا اصر صاحبه على تأكيد الخبر المسيء ثار في وجهه وامره بالانصراف وقد بلغ رحمه الله من شدة محبته للريفيين مستوى الافراط حتى ان الناس كانوا يخشون من نقل أي خبر سيء يتعلق بالريفيين .

ومن أجل هذه الروح الوطنية التي بعثتها من جديد الحرب الريفية في بني يزناسن التحق عدد كبير منهم بالمجاهدين . ولولا خوف الخروج عن صلب الموضوع لتوسعت في هذه النقطة ولكني مع ذلك لا يمكنني الا ان أسجل هنا بمداد الفخر والاعجاب التحاق المولى الصالح والعلامة العارف بالله السيد علي العياشي العتيقي الموساوي بالمجاهدين الريفيين ، فلقد تخلى رحمه الله ورضي عنه عن كل ما كان يزاوله من تدريس وتربية صوفية وانقطع الى الجهاد في سبيل الله ونصرة المسلمين وما زال يجاهد في سبيل الله الى أن اصيب بشظية من قنبلة طائرة اسبانية فالتحق بالرفيق الاعلى في دمائه العطرة الزكية .

على أن الفرنسيين في بني يزناسن كانوا يراقبونهم اشد المراقبة ويحصون عليهم الانفاس ، ويتفقدون القرى والمداشر حتى لا يلتحق اي أحد بالمجاهدين الريفيين ، ومع ذلك فقد تسرب العدد العديد منهم الى الريف

وحينما قرر الفرنسيون التعاون مع الاسبان ضد البطل محمد بن عبد الكريم احتاطوا في ان لا يجندوا من بني يزناسن في حربهم مع الريف . ولكنهم عادوا فكونوا منهم طائفة من الجنود اجباريا — حتى لا يشعروا بني يزناسن بنواياهم ؛ غير ان الفرنسيين بعد تكوين تلك الطائفة وتجهيزها أخذوا يتماطلون في ارسالها . وان كانوا قد قرروا ان لا تشارك في المعارك ، وانما تشارك في بعض الجوانب الاخرى الثانوية وتكون بعيدة عن المعارك .

وما زالوا يماطلون الى أن انتهت الحرب بينهم وبين البطل محمد بن عبد الكريم فارجع بنو يزناسن الى اهليهم من غير أن يشاركوا في اي قتال وأذكر جيدا انه راجت اشاعات يوم ان توجهت تلك الطائفة من اليزناسنيين الى الريف ، ان كثيرا منها سينضم الى المجاهدين . واعتقد جازما أن

ذلك كان حقا وليس باشاعة فقط ، اذ أن الحماس للريفيين كان قد بلغ المستوى الاقصى في اوساط بني يزناسن . وحسب هذا الحماس أن نكون نــحــن اطفال الكتاتيب نهتف دائما بالانتصار للريفيين وان يدعو الايمة في كل صلاة بنصرة المجاهدين الريفيين .

فرحم الله شهداءنا وبوأهم مقاعد صدق في اعلى عليين امين .

مراجع هذا القسم

1 ـ : **كتاب العبر** — ابن خلدون

2 ـ : **الاستقصاء** — الناصري

3 ـ : **تاريخ المغرب** (مخطوط) — الزياني

4 ـ : **مذكرات مخطوطة** — الحجوي

5 ـ : **الشجرة الزكية في طبقات المالكية** — محمد بن مخلوف

6 ـ : **نيل الابتهاج** — أحمد بابا السوداني

7 ـ : **اتحاف أعلام الناس** — ابن زيدان

8 ـ : **نزهة الحادي** — اليفراني

9 ـ : **تحفة الزائر** — الامير محمد بن ج عبد القادر الجزائري

10 ـ : **حاشية حاضر العالم الاسلامي** — الامير شكيب ارسلان

11 ـ : **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** — علال الفاسي



من الكفاح السياسي و المسلح

إلى رجوع محمد الخامس من منفاه إلى أرض الوطن

و إعلان استقلال البلاد

16 مـــايــــــو 1930

كلما ذكر هذا التاريخ قفزت الى الذاكرة تفاصيل اعظم نكبة نكبت بها ارض الوطن .

ففي نفس هذا التاريخ بالضبط اعلن الغزاة عن الظهير البربري المشؤوم الذي يحول ثلاث ارباع من ارض الوطن الاسلامي الى الخضوع للقوانين العرفية والفرنسية ، ويجردها من اللغة العربية كلغة رسمية ، ويقفل ابواب المحاكم الشرعية لتحل محلها «المحاكم العرفية» وتنشأ غرفة بربريـــة بالعاصمة لتكون المرجع العالي المشرف على تلك المحاكم العرفية المنشأة في مناطق الظهير البربري المذكور ، فعملا بقاعدة فرق تسد ، عمد الغزاة الفرنسيون الى تقسيم المغرب الى مناطق متنوعة .

فلقد اقتطعوا شماله وسلموه لاسبانيا ترضية لها ، واقتطعوا طنجة ، وجعلوها منطقة دولية ، واقتطعوا مناطق للحكم العسكري يشرف عليها ضباط عسكريون ، ومناطق للحكم المدني يباشر شؤونها مراقبون وليس «للحكام المغاربة» الا الاسم والتنفيذ ، وانتزعوا من المحاكم الشرعية في المناطق المدنية جل اختصاصاتها واسندوها الى القواد ظاهريا والى المراقبين باطنيا .

واخيرا استصدروا الظهير البربري المشار اليه .

ولا يعنينا ان نتحدث عما كان لهذا الظهير المشؤوم من وقع في عموم البلاد وعموم العالم العربي والاسلامي فذلك ما تكفل به غيري من الذين اعتنوا بهذه النكبة ايما اعتناء .

والذي يعنيني هنا بالذات هو ما كان له من وقع في بني يزناسن ، وما كان له من نتائج ، وقبل ان احلل ذلك اريد ان ارجع قليلا الى الوراء لالقاء نظرة عابرة على الحالة السياسية ببني يزناسن .

فبعد ان قضى الفرنسيون على الحرب الريفية واعتقلوا بطلها محمد ابن عبد الكريم اخذوا في نشر دعاية مسمومة في بني يزناسن لتجميد الوعي الوطني وتقييد الفكر بتضليلات متناقضة ، والنقطة الحساسة التي كانوا يوجهون اليها عنايتهم في بني يزناسن . تتخلص في الدعايات المتناقضة حول السلطة الشرعية العليا للبلاد .

فمرة يذيعون بواسطة ابواقهم : ان فرنسا هي صاحبة الامر والنهي والتشريع والتنفيذ في المغرب ، وليس لاحد معها حل ولا عقد ، وان السلطان مولاي يوسف مجرد مامور ليس الا ، اذن ، فعلى المغاربة ان يركزوا افكارهم في سلطة فرنسا فقط .

ومرة يذيعون : ان هذه الاوامر التي يقومون بتنفيذها ليست الا من سلطان المغرب ، اذن فعلى المغاربة ان يخضعوا لاوامر السلطان .

ومرة يوعزون الى ابواقهم بالعمل مع فرنسا بكل اخلاص ، وذلك بالانخراط في سلك الوظائف «الثانوية طبعا» . واخرى بمقاطعة الوظائف لانهم «نصارى» ولا تحل اخذ اجرة من النصارى «ولا يجوز التعاون معهم» .

وهكذا ، وبمثل هذه الدعايات المتناقضة المضللة صاروا يخدعون الافكار ويبلبلونها ويجمدون طاقة الوعي الوطني الحق .

وكان من نتيجة ذلك ان أخذ اليأس يدب في بعض الناس من وجود او رجوع القيمة للسلطة الشرعية العليا في البلاد ، وانه ليس لهم سلطان ، وان سلطانهم الحالي مجرد «موظف» عند فرنسا !

غير انه ازاء هذه الدعايات المسمومة اخذ بعض الناس في بني يزناسن يطالعون بعض الصحف والمجلات الشرقية .

بل اخذت الافكار التحررية تنتشر في مختلف الاوساط ، ولكنها بمقدار ، وبكيفية سرية ، وان كانت التعاليق عليها والزيادة فيها اخذت تتسع دائرتها.

ومع ذلك ، فانها من الناحية العملية لم تكن ذات بال مهم ، ولكنها كانت نواة عامل بعث سياسي على الاقل وقد اشتهر بقراءة هذه الصحف والمجلات السادة : القائد الحاج محمد المنصوري ، والفقيه القاضى سابقا السيد محمد ابن الطيب الورطاسي ، والتاجر الفقيه السيد مولاي بنسعيد الاحمدي وغيرهم

وكان عامل جدة هذه الافكار التحررية هو الباعث اولا على اذاعتها اكثر من اعتناقها والعمل بها .

والمعتقد ان لا عيب في هذا العامل لان ذلك من سنن التطور والنمو ، والبعث والنشور ، فالافكار تقطع الى نضجها مراحل مختلفة ، ولا عليها ان تتعثر اثناء المسير ، فانها لا تلبث «اذا كانت حقا» ان تتطور الى مستواها الملائم لها .

نعم ، حين توفي المولى يوسف في سنة 1927 م ، عم بني يزناسن استياء عميق على الرغم مما كان قد داخلهم من اليأس في نفوذه .

وخصوصا الاشاعة التي راجت في ذلك الوقت من ان المولى يوسف مات مسموما ، لانه لم يوافق على اعطاء اراضي المغاربة للمعمرين (1) .

واذكر انني كنت في هذا التاريخ قد حفظت كتاب الله العزيز سنتين

---

1) ومن العجيب في الامر انه في سنة 1927 اصدر الظهير الذي يخول للادارة الفرنسية حق انتزاع اراضي المغاربة واعطائها للمعمرين لمصلحة الاستعمار والذي يتمم ظهير سنة 1914

أو ثلاثا ، وانني كنت أعد اثني عشر ربيعا من عـمـري (1) وان والدي كان اذ ذاك تاجرا بالمتجر الذي يحتله الان (64) في ملك شقرون الاسرائلي بشارع الجزائر .

وفي صباح يوم الثلاثاء ـ وهو يوم سوق ابركان ـ ولا يزال الى الان ، بينما كنت مع والدي في متجره وخارج الحاجز الخشبي ، اذ دخل علينا احد المعمرين لا اذكر اسمه الان ، واذكر انه كان مسنا طويل القامة نحيف الجسم ، وكان يعمل بالضيعة التي يعمل فيها عملة من شرفاء آل تيزي ازمور المعروفين باقشيرات .

دخل هذا المعمر علينا وقال لوالدي بعد التحية .

«اعظم الله اجرك يا السي علي في السلطان مولاي يوسف ، ومبروك عليكم السلطان الجديد سيدي محمد» .

فرد عليه والدي بقوله : «بارك الله فيك يا مسيو .. ولكن نحن لا سلطان لنا سواء الميت ام الذي خلفه ، ففرنسا هي التي تحكم البلاد والسلام» .

كان هذا الرد من والدي على جهة التعمية والخوف من ان يبلغ عنه ذلك المعمر ما عسى ان يقوله ، وان كان في باطنه يضمر كل الحب للسلطان وقد رأيت دموعا حائرة في عينيه ، ثم اردف والدي قوله متسائلا في الظاهر ومستطلعا في الباطن ، ماذا عسى ان ينفعنا هذا السلطان الجديد وهو لا يزال صغيرا وتحت وصية المقري ، وفرنسا فوق الجميع ؟

فسكت المعمر قليلا ريثما التقط انفاسه ثم قال :

«ان فرنسا يا السي علي «مخلوعة» أي قلقة من خطاب العرش الذي القاه السلطان الجديد سيدي محمد ابن يوسف ، فلقد قال بعض الكلمات قامت لها فرنسا وقعدت ، والصحف تتحدث كثيرا عن خطاب العرش الاول» .

«وزاد قائلا : اما المعمرون هنا في بني يزناسن ، فقد اصبحوا يفكرون في بيع اراضيهم والرجوع الى فرنسا ، فان الكلمة تقال اليوم من سلطان شاب لا بد ان تنفذ غدا ، ونحن لا نعلم ما هو هذا الغد ومتى يكون ؟؟» .

فالحقيقة انه لم يبق لنا مقام في المغرب وانا ـ يقول المعمر ـ رجل مسن ولي اولاد في فرنسا فلا يضرني ان التحق باولادي ، وسالتحق بهم في القريب ان شاء الله (2) .

فقال له والدي : وماذا قال السلطان الجديد ؟ .

«فاجابه المعمر قال : انه سيعمل على خدمة بلاده وامته وقال غير ذلك ، فـاذا كان السلطان الجديد يعرف أن له بلدا وان له أمة ، فانه لا يلبث غدا ان يطرد فرنسا منها ما دامت البلاد بلاده والامة امته ، ان من يقول هذه الكلمة وهو لا يزال صغيرا فماذا يفعل اذا كان كبيرا ؟

1) ذكر لي والدي انني من مواليد سنة 1915 ، ويقرب من التحقيق انني من مواليد اواخر سنة 1913

2) وفعلا قد التحق باولاده بعد شهور قليلة .

انه في السنوات القلائل سيتحرر من وصيئ المقري ويصبح بتحرره منها وجها لوجه مع فرنسا ، على كل حال يا السي علي ، «تبقى على خير يا المغرب» .

أجل ، لا يزال هذا الحديث يرن في فكري وقلبي وكانني اسمعه الان ، غير انني لم اتذوقه الا بعد حين .

ويتبين من خلال هذا الحديث كيف ان الادارة الفرنسية كانت تقلل من شأن السلطة الشرعية العليا للبلاد في النفوس ، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تنظر الى الشعب المغربي بغاية اليقظة والحذر وتعمل كل ما في وسعها لخنق الافكار الحرة والتعبير الحر كيفما كان المعبر عنه .

وعلى أي حال فقد كان لاعتلاء المولى محمد الخامس للعرش ولخطابه الاول ، وما كان من روجان الصحف والمجلات الشرقية اثر لا باس به في اعادة بعض الامال الى النفوس في ان تحرر يوما ما من نير الاستعمار .

وما كادت سنة 1930 . 16 مايو تحل ، ويعلن عن الظهير البربري ، حتى تزعزعت ارجاء الافئدة في بني يزناسن واخذ الناس يذرفون الدموع ويقيمون النوافل ويتلون كتاب الله ويرددون مختلف الاذكار ويسبحون ويحوقلون من جراء هذه المصيبة العظمى التي حلت باخوانهم في الاطلس ، ويتوقع ان تشملهم .

وازاء هذا أخذ الناس يروون — على ما في رواياتهم من خلط وتناقض — ما قامت به اسبانيا حيال اجدادهم الذين هاجروا من الاندلس والذين اعتقلوا وصودرت اموالهم والذين احرقوا والذين شردوا ، ..

انكر هذا جيدا لانني في نفس السنة التحقت بالمعهد العلمي بوجدة ، وضاعف من اثر النكبة في بني يزناسن ان معظمهم يتحدث بالشلحة وان هذه الشلحة هي التي ادت الى هذه المصيبة ، وشاع فيهم ان بني يزناسن من المناطق التي سيشملها الظهير البربري ، وان المحاكم الشرعية ستقفل وان القضاة سيطردون ، وأن المسائد والمساجد ايضا ستقفل فلا مصلى في المسجد ولا طفل في المسيد .

والعجيب في الامر انه كان هنا في بني يزناسن سخط عام على القضاة والمحاكم الشرعية ، ومع ذلك فان الناس نسوا استياءهم وسخطهم واخذوا يتعلقون بالمحاكم الشرعية ويهددون بالقيام برد الفعل اذا ما اغلقت المحاكم ابوابها وطرد منها قضاتها .

وازاء هذا الاستياء العام حيال الظهير البربري تبلبلت الادارة الفرنسية وساورها قلق عظيم وخشيت ان يكون هنا رد فعل لا تعرف عواقبه .

ولذلك استدعت القواد وكبار بني يزناسن واخبرتهم بان الظهير البربري ليس فيه ما يضاد الاسلام والمسلمين ولكن بعض القبائل طلبت ان تتحاكم الى اعرافها بسبب ما ارتكبته القضاة عندها من جور وظلم ، وان فرنسا لبت هذا الطلب باتفاق مع السلطان !

ومع هذا فان الظهير المذكور لا يشمل منطقة بني يزناسن ، فليطمئن بنو يزناسن فان المحاكم الشرعية ستستمر كما كانت ، وسوف لا يغلق مسجد ولا مسيد ولا يقع اي شيء مما يتخوفون منه ، واذا كانت هــــذه التصريحات من الادارة الفرنسية قد خففت شيئا من وقع النكبة محليا فانها لم تستطع ان تزيل ما بالقلوب من تخوف على المستقبل القريب ، ومن آلام من اجل نكبة اخواننا البرابر بالاطلس .

وقد اخذ الناس يرددون القول المأثور : اليوم الثور الابيض ، وغدا الثور الاسود ، فما دامت فرنسا قد اقتطعت ثلاثة ارباع المغرب بالظهير البربري فماذا يحول دون اتمام البقية غدا ؟

وازاء هذا التأثر المعنوي او السلبي ، فماذا كان في الميدان الايجابي ؟

انني لا اعلم ان احدا من بنـ يزناسن قام باحتجاج الى الدوائر العليا بالرباط ضد الظهير البربري ، وانما قاموا باتصالات في هذا الشأن بقوادهم واستفسروهم واعربوا لهم عن استيائهم ، غير انني اعلم يقينا ان السيد بومدين بن محمد بن بومدين اليعقوبي ، اليزناسني من مواليد وجدة ارسل ببرقية احتجاج الى الدوائر العليا ، وحوكم بشهر سجنا قضاه في سجن وجدة .

مسجد جامع ومعهد علي بابركان

ان بني يزناسن لم يقفوا عند حد التأثر بالظهير البربري فحسب ، ولكنهم اخذوا يرسلون اولادهم الطلاب الى معهد وجدة .

هذا المعهد الذي وان كان مفتوحا في وجه الطلبة من قبل ، ولكنه من سنة 1930 م تضاعف الاقبال عليه من بني يزناسن .

فعلى الرغم من قلة بيوت ايواء الطلبة كان يضم اربعين طالبا يزناسنيا زيادة على العدد العديد من الطلبة الذين سكنوا في المساجد بوجدة، والذين كانوا يستوطنون المدينة .

وقد تعددت حلقات الدروس وتنوعت المقروءات واقبل الطلبة على العلم بكل لهف وشغف .

ولم يلبث هؤلاء الطلبة ان شعروا بان هذا المعهد لا يروى ما بهم من نهم الى مختلف العلوم فاخذوا يشدون الرحال الى جامعة القرويين التي كانت محط رحال طلبة بني يزناسن الزاهرة (I) .

وفي نفس بني يزناسن شاءت الاقدار الالهية ان ينقل في نفس السنة الفقيه العالم السيد محمد فتحا بن العالم الخالدي اليزناسني الى قضاء ابركان من قضاء عيون سيدي ملوك ، ما بين تاوريرت ووجدة .

وكان هذا القاضي علاوة على الذكاء الذي اشتهرت به عائلته من انبغ علماء بني يزناسن واقواهم شعورا ، وابعدهم نظرا ، واقدرهم تكيفا مع الظروف .

ولم يكد يستقر به المقام بابركان حتى قام اولا بجهود تذكر فتشكر في سبيل تنظيم هذه المحكمة تنظيما رفعها عن مستواها الى مستوى المحاكم الشرعية في عواصم البلاد .

ثم انتهز فرصة عيد الميلاد النبوي الكريم فدعي الى اقامة حفلة رسمية شارك فيها رجال المخزن ازاء سكان المدينة فكانت الامداح النبوية والاذكار المختلفة تتخللها تلاوة القرآن ، كما كان يستدعي اليها مجودي القرآن للتلاوة الفردية ، على عادة عواصم البلاد .

وبهذا العمل كان السيد ابن العالم هذا هو اول عالم بعد بناء مدينة ابركان اقام احتفالا «رسميا» بمناسبة عيد المولد النبوي الكريم ، ولا يزال السكان يقيمونه ، فيطعمون الطعام للفقراء والمساكين منذ ذلك العهد الى الان

ثم اخذت فكرة بناء مسجد لاقامة فريضة الجمعة تتردد بين الالسن بفضل توجيهات السيد بن العالم رحمه الله .

فما هي الا عدة شهور ، حتى تبرع الناس من كل جهة وبمختلف التبرعات وشيد المسجد الاعظم وبجواره عدة بيوت اوهمت الادارة الفرنسية بانها ستكون متاجر لفائدة المسجد ، ولكن السيد بن العالم كان ينوي استعمالها لغير ذلك ، وكان واضحا ان تلك البيوت لا تصلح للتجارة اذ أن المسجد كان يبعد عن المدينة اي في آخرها ، ووضعية تلك البيوت لا تتلاءم مع الاتجار ، ولا اتخيل ان الفرنسيين كانوا يجهلون مغزى تلك البيوت ، ولكنهم تغافلوا ولم يكن في استطاعتهم في ذلك التاريخ ـ والظهير البربري لا زال مداده يقطر ـ ان يقولوا شيئا تشم منه رائحة التدخل في شؤون الدين .

وفي سنة 1932 موافق صفر الخير 1352 ، استدعي الفقيه القاضي المذكور ، السيد العربي السنوسي من فاس حيث كان يدرس فيها ومقيما بالمدرسة العنانية رقم 41 فيما اذكر اذ أنني في ذلك الوقت كان مر على

I) اثناء تحرير هذا الباب صادف انني كنت بمكتب مدير ديوان وزارة الاسلام العلامة الحافظ استاذي السيد عبد الرحمن الدكالي فاقترحت عليه احياء هذا المعهد فوافق بكل سرور ، ارجو من الله ان يتحقق ذلك قريبا . «المؤلف» .

اقامتي بالمدرسة العنانية قرابة اربعة اشهر ، حيث التحقت بكلية القرويين يوم الخميس رابع عشر شوال عام واحد وخمسين وثلاثمائة والف ، وكان وصولي الى المدرسة العنانية على الساعة الثامنة صباحا بالضبط .

وبوصول السيد العربي السنوسي بقليل الى ابركان فتح المعهد ابوابه في وجه الطلبة واخد السيد العربي المذكور يدرس مع الطلبة مختلف العلوم كما كان خطيبا بالمسجد الاعظم ، بينما خصص محل ازاء الصومعة لتلقين كتاب الله للاطفال ، واول مقريء بهذا الكتاب خالي الفقيه التقي الورع السيد الحسين بن علي بن عبد الله اليعقوبي اليزناسني ، وفي نفس الوقت كان مؤذنا وقيما على المسجد الاعظم .

وكان هذا المسجد الاعظم الجمعي ايضا اول مسجد جمعي في مدينة ابركان ، وكل المساجد الجمعية التي تكونت في بني يزناسن كانت بعد انشاء هذا المسجد الاعظم ، اذ أني لا اعرف قبل انشاء هذا المسجد مسجدا لاقامة فريضة الجمعة في بني يزناسن ، ويظهر ان المساجد الجمعية في بني يزناسن كان طوى امرها منذ زمان بعيد .

والفضل في هذا كله يرجع الى المؤسس السيد محمد بن العالم رحمه الله .

وقبل ان اختم الحديث هنا يجب ان اسجل بمداد الفخر للبركانيين ماثرة عظيمة خالدة .

ذلك انهم هياوا وفدا الى القائد المنصوري وطلبوا منه العمل على اغلاق الماخور الوحيد بابركان نظرا لمجاورته للمسجد الاعظم ، ولانه لا يوجد جيش فرنسي لتبرير بقائه ، وفعلا فقد تم اغلاقة ولم يفتح أي مأخور بعده .

اصداء النهضتين : الوهابية والباديسية في بني يزناسن

وفي هذه الظروف بالذات كانت اخبار الوهابيين بالحجاز والباديسيين بالجزائر تصل الى بني يزناسن مختلفة الصور والالوان .

وكل كان يقابلها بذوقه الخاص ، فهذا يقول : ان الوهابيين كفرة بتهديم قباب الاولياء ، وهذا يقول : لا معنى لهذا القباب لانها مخالفة للاسلام ، وآخر يقول غير ذلك وهذا ، كما كانت التعاليق ايضا تختلف عن النهضة المباركة التي قام باعبائها العلامة الكبير والمصلح الشهير عبد الحميد ابن باديس الذي نسبت اليه نهضته فقيل لها الباديسية ، ولاتباعه البادسيون .

ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها : ان بني يزناسن اخذوا يتناقشون ويتجادلون حول أسس هاتين النهضتين وأهدافهما .

فكيفما كانت هذه المناقشة فانها خلقت اجواء جديدة ممتعة في كل الاوساط وكان «لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين» التي كان يرأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس اثر وا يءاثر على مختلف الافكار والمشاعر .

وعلى الرغم من أن الادارة الفرنسية أخذت ترسل على نفقة الدولة بعض المستضعفين ايمانا الى الحج حتى اذا رجعوا اخذوا يشوهون من النهضة الوهابية ، فان ذلك لم يجدها نفعا ، فلقد تمازجت النهضتان الوهابية بالحجاز والسلفية بالجزائر فانضافتا الى ما كانت تتركه الصحف والمجلات الشرقية في بني يزناسن من الاثار فاخذ الشعور الوطني ينمو ويترعرع ولكن في تؤدة ومهل ، ودون قيادة معينة .

وما مثله الا مثل ماء الفيضانات التي تغمر مختلف الجهات دون قصد ولا هدف ، وعلى اي حال فانه من مجموع مختلف هذا العوامل اخذت اليقظة الوطنية تعمل عملها في مختلف الاوساط .

بين فاس وبني يزناسن

منذ سنة 1933 اخذ الطلبة اليزناسنيون يتضاعف عددهم في جامعة القرويين ، وكان هؤلاء الطلبة يشاهدون الاحداث الوطنية والنشاط الذي كانت تقوم به الحركة الوطنية التي ابتدأت باسلوب سلفي .

وبطبيعة الحال ــ اخذ الطلبة اليزناسنيون يقبلون على قراءة صحف الشرق ومجلاته ويذهبون الى الدور السينمائية لمشاهدة الافلام الشرقية ، ومن حين لاخر تزور فرقة موسيقية شرقية عاصمة العلم فاس ، فيشاهدون تمثيليات قصيرة ، ثم يقع التعرف على الشرقيين فتتبادل الاحاديث حول الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية فيكون لذلك كله اثر واي اثر على الاحساسات الوطنية والثقافية والسياسية والاجتماعية .

وحينما يقضي هؤلاء الطلبة رخصهم في بني يزناسن مسقط رؤوسهم يأخذون في حكاية ما رأوه في فاس من النهضة العلمية ، وما شاهدوه من أساليب الحضارة العربية الاسلامية الرائعة وما يلمسونه من لطافة آداب السلوك وما تقوم به الحركة الوطنية من اعمال ، ويحللون الاهداف السامية التي ترمي اليها ، ويقارنون هذا الاسلوب الوطني التحرري باساليب العهود الاولى لنشأة الدين الاسلامي ، وما الى ذلك من مختلف مشاهداتهم ومقروءاتهم وقد كان لذلك ايضا أثر واي أثر في نفوس المواطنين ببني يزناسن.

فان احاديث طلبتنا في فاس كانت تشوق شباب بني يزناسن للالتحاق بجامعة القرويين بقدر ما كانت تبذر فيهم بذور الافكر التحررية والاحساسات الوطنية والمشاعر الدينية ، وتعرفهم شيئا فشيئا بمقدار المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقهم حيال الاوضاع السياسية الشاذة التي يعيشها الوطن ، وانهم مسؤولون امام الاجيال المقبلة عن كل لحظة تمر من حياتهم ولا يقومون فيها بواجبهم نحو وطنهم الاسير .

وهناك عامل آخر كان له اثر هو ايضا على نمو الاحساس الوطني .

فبعد ان ارغمت الحركة الوطنية الادارة الفرنسية على الاحتفال ــ بصفة رسمية ــ بيوم 18 نوفمبر الذي هو تاريخ جلوس محمد الخامس على عرش اسلافه المطهرين ، قلت بعد ذلك ، اخذت المراقبة الفرنسية تقيم احتفالات في ذلك اليــوم بمكاتبها وتأمر الناس ــ في غير حرص ــ بتعليق الرايتيــن المغربية والفرنسية .

ولقد كان للامر بتعليق الرايات المغربية اثر قوي على النفوس ، فقد اخذ الناس يقولون : ان الفرنسيين لم يأمروا بتعليقها او يأذنوا في تعليقها والاحتفال بعيد العرش ، الا وكان هناك شيء قوي اجبرهم على ذلك ، لانه بالامس القريب كانوا لا يذكرون السلطان الا حينما تتوقف عليه اغراضهم الاستعمارية فما بالهم اليوم يحتفلون بعيد عرشه ويأمرون بتعليق الراية المغربية على الواجهات ؟ وما بالهم يقدمون التهاني للقواد والاعيان بيوم عيد العرش ؟ ان الحركة الوطنية التي كانوا يقولون لنا عنها انها حركة غير اسلامية ، وأنها من عمل يد اجنبية قد ارغمت الادارة الفرنسية على الاحتفال بعيد العرش ! وكيف ارغمتها ؟ الم تكن على اتفاق مع جلالة محمد الخامس ؟ اهناك دولة اجنبية تشجع السلطان والحركة الوطنية على مقاومة الفرنسيين ؟ انه جميل ان نستعين بدولة اجنبية او دول لطرد الفرنسيين ، ولا عيب ان نتعاون مع اية دولة لتحرير بلادنا ، ويقول آخرون : ولكن عيب هذه الوطنية او العصرية كما كانوا يطلقون عليها اولا ، انها تقدح في اولياء الله اي في شيوخ الزوايا ، فماذا على العصريين لو غضوا ابصارهم عن اولياء الله ، ثم تنطلق السنة اخرى : بان ما يقوله العصريون هو حق ، ولكن اين السلاح ؟ ان الفرنسيين قد دخلوا بلادنا بالسلاح ، فلا يمكن ان يخرجوا الا بنفس الاسلوب ، ثم ان سلاح اليوم لا يمكن الحصول عليه ، فمن اين للعصريين بالدبابات والطائرات والبواخر والمدافع ؟

فاذا حاول العصريون محاربة الفرنسيين ، فان هؤلاء مستعدون للقضاء عليهم في اقل لحظة ثم يقولون : آه ان العصريين مساكين لا يزالون شبابا اغرارا لا يعرفون قوة فرنسا ملكة البر والبحر وانهم لا يسعون الا لهلاك انفسهم بانفسهم ليس الا .

ويقول آخرون : هل تتخيلون يا عباد الله ان يخرج الفرنسيون من المغرب ويتركوا هذه القصور وما شيدوه من مختلف العمارات والمرافق وما تملكــوه من الاراضي ؟ ان هذا مستحيل ... مستحيل جدا ، اللهم الا اذا اراد «رجال البلد» فانه لا يصعب عليهم أي شيء غقوتهم من الله والله لا يغلب .

والى جانب هذه الاقوال تنبعث اصوات ولكنها قليلة ترد على هذه الاقوال فتقيم معوجها ، وتمنطق خيالها وتنثر توجيهات عابرة وفي ظروف خاصة وتلك هي اصوات طلبتنا في فاس حينما يعودون لقضاء عطلتهم في بني يزناسن .

زيارة محمد الخامس لابركان .

وشاء ربك ان يلقح هذا الانبعاث الوطني في بني يزناسن فيقوم المغفور له جلالة محمد الخامس بزيارة لهذه الناحية في خريف سنة 1934 م ، وهي السنة التي قدمت فيها الحركة الوطنية كتاب المطالب العامة الذي تحتوي على مختلف الاصلاحات المقترحة على الاقامة العامة الفرنسية لاعداد المغرب الى طور الاستقلال .

واذكر ـ وان كنت حينذاك من طلاب جامعة القرويين ـ ان رئيس مراقبة ابركان كان يدعي : اموانس ، وان هذا الرئيس حينما عـــلــــم بالاستعدادات التي كان يقوم بها بنو يزناسن لاستقبال محمد الخامس ، ارتاع قلبه وارتعدت فرائصه فطلب تمكينه من قضاء رخصته السنوية حتى لا يحضر في الاستقبال العظيم الذي اعده بنو يزناسن لجلالة محمد الخامس . وذلك خوفا من وقوع حوادث يكون مسؤولا عنها مباشرة من جهة ، وصعب عليه أن يشاهد الجموع المحتشدة من رجال ونساء واطفال تحيي جلالة محمد الخامس من جهة ثانية ، الامر الذي سيكون له اثر واي اثر على نفوذ الادارة الفرنسية في هذه القبائل الصعبة المرأس كما قال المؤرخون الفرنسيون انفسهم عنها ، وكما هو الواقع الذي شهد به تاريخهم المجيد الطويل المتسلسل المتواصل الامجاد .

حل جلالة محمد الخامس ببني يزناسن حلول يمن وبركة ، وفي كل قرية يمر بها تغمره الجماهير الغفيرة بالهتافات والزغاريد وطلقات البارود والتزاحم على موكبه الكريم للتبرك به والدعاء له بالنصر والتأييد والاعراب له عن خالص التعلق والولاء .

وفي مدينة ابركان تجمعت تلك السيول البشرية كلها من جميع القرى والمداشر نساء ورجالا واطفالا ، وبدأ الناس يلوحون بالرايات الحمراء ، وكانت الرايات في ايدي الجماهير تبدو كأنها مخيم لجيوش جرارة في بسيط واسع الارجاء .

وقد ذهبت كل تلك الترتيبات والحواجز التي اقامتها الادارة الفرنسية لمرور الموكب الملكي ، ذهبت تلك الجهود كلها سدى ، واختلطت الجماهير بملكها المحبوب والتصقت بموكبه بل التصقت بمنكبه وأخذت تتهافت للسلام عليه .

وانتثر سلك رجال المخزن الذي كان حاجزا بين الجماهير والموكب ، وفرقت الجماهير حتى ما بين رجال الموكب والسلطان فبقي السلطان وحده دون حاشيته وجها لوجه مع الجماهير اليزناسنية ووقف رحمه الله مع عدد كبير م نالاشخاص حتى البسطاء منهم يستمع اليهم ويتحدث معهم كما يتحدث الاب مع افراد عائلته وقد غاب عنهم زمنا طويلا .

هذا ، والاقامة العامة كانت قد خوفت جلالته من خطر محقق على حياته ان هو ذهب الى بني يزناسن فلقد خوفته من ان بني يزناسن يكرهون السلاطين ويكرهونه هو بصفة خاصة ، ونصحوه بان لا يقوم بزيارة بني يزناسن الذين يكنون له كل عداء .

وعلاوة على ذلك اوعزوا الى بعض ابواقهم ان يشيعوا في الناس ان عصابات علي استعداد لقتل الملك اذا ما نفذ عزمه على زيارة بني يزناسن ، وانها مجهزة كل التجهيز لهذا الغرض .

ولكن جلالته لم يعبأ لا بانذارهم ولا بنصائحهم ولا تخوف من الاشاعات السيئة حول حياته ، وقام بهذه الزيارة التي لا يمكن لي ان آتي علي وصفها بالتدقيق لان الاقلام مهما كانت فصيحة ، ومهما كانت بليغة ، ومهما كانت دربتها على ترصيف القول وحياكة الكلام ، فانها لا تستطيع ان تتجاوز تصوير بعض المظاهر لهذه الزيارة الملكية الخالدة الى ارجاء القلوب لتصور تلك الاحساسات الكريمة والمشاعر النبيلة التي كان يرمز اليها بنو يزناسن بهتافاتهم المتوالية وزغاريدهم المدوية في أرجاء بني يزناسن .

انني اذكر جيدا ان الزيارة الملكية هذه كانت في فصل الخريف وان موسم الصيف كان سيئا في تلك السنة ومن اجل ذلك كان بنو يزناسن في الجملة في حالة سيئة من الناحية الاقتصادية .

ومع ذلك فقد اخذ العجب بمجامع افكار الملاحظين من بني يزناسن رجالهم ونسائهم واطفالهم وعجزتهم الذين ارتدوا اثناء تلك الزيارة المباركة

افخر الملابس وانقاها وظهر الرجل وكانه عريس والمرأة وكانها عروس ، وفي كل منزل افراح ، وعلى كل سطح رايات ترفرف ، ومن كل جهة تنبعث الهتافات من اعماق القلوب .

ومما زاد هذه الزيارة بهجة وروعة ان الموكب الملكي مر بتافوغالت الزاهية باشجار حب الملوك ثم بواد زكزل حيث تصطف منازل شرفاء اولاد مولاي احمد بن العياشي على ضفته وعلى قرية تقربوصت الجميلة ، ثم على قرية تزغين الرائعة ، ثم دخل الى ابركان عروس بني يزناسن الفتانة .

وكلما مر على قرية بل وعلى منزل منفرد الا وقدم له التمر والحليب ونثرت ازهار البرتقال على موكبه الكريم ، وحينما وصل الى واد زكزل اي حينما توسطه ، وقف قرب منزل المغفور له مولاي الصديق بن التهامي حيث وجد الفقهاء والشرفاء واطفال القرية والنساء على جانب الطريق وفوق السطوح ينتظرونه في شوق يستحيل على الانسان ان يصف مظاهره ، فضلا عن ان يتغلغل الى الاعماق ليصور مدى مشاعرها .

وما كاد جلالته يصل الى المحتشد حتى اخذ الاطفال يرتلون قول الله تعالى : **انا فتحنا لك فتحا مبينا** والمغفور له مولاي الصديق بن التهامي واقف الى جانب اولئك الاطفال ثم قدم له التمر والحليب واطباق الحلويات واذكر ان مولاي الصديق المذكور قال لي : قلت لجلالة الملك : ارجوك يا مولاي ان تقبل منا كمية من احلى برتقال بني يزناسن على الاطلاق «وهو كذلك» فاجابه جلالته وهو يبتسم على عادته : هات البرتقال فنظر اليه وقال بارك الله لكم فيه .

وفي هذا المحل بالذات ، وقف جلالته يتملى تلك الحدائق الغناء ذات الزهور المتلألئة وكانها عرائس صففت قطع الفضة على جبهاتها ، ومياه الوادي المترقرقة تنساب وكانها موسيقى صامتة .

وهكذا اخذ جلالته يقف من فترة لاخرى ازاء المداشر والقرى والمنازل ويستقبل بحفاوة ولا ياتي الوصف عليها الى أن وصل ـ كما قلت ـ الى ابركان عروس بني يزناسن التي لا تجاري في عواطفها وسحرها وجمالها ، وكما قلت سابقا ـ فان سكن القري والمداشر كانوا ينضمون الى الموكب رجالا وركبانا محتفين بجلالة الملك ، هاتفين مزغردين يطلقون البارود من حين لاخر ، كل هذا واهازيج النساء الممزوجة برنات آلات الناي والمزامير تشق عنان الفضاء .

وكان من المقرر ان يتناول طعام الغداء بالسعيدية ، وفعلا تناوله هناك على هذا الشاطيء الوحيد في جماله وسحره ، وهناك اخذ يستقبل الوفود التي اتت للسلام عليه والتبرك به ، وقد اخبرني والدي انه كان ممن جلس الى جانبه مباشرة وانه دعي بخير له ولذريته ، وانه قبل يده الكريمة .

وهكذا نفذ محمد الخامس قدس الله سره زيارته الى بني يزناسن . على الرغم من الاشواك التي نثرت في طريقه والعراقيل التي كانت تحاول صده عن هذه الزيارة الميمونة ، وهكذا تبين له كذب الدعايات المغرضة فشاهد من تعلق بني يزناسن وولائهم ما قل نظيره ، ورجع الى عاصمة ملكه وفي قلبه من العطف على بني يزناسن والمحبة لهم ما لم ينسه طول حياته .

آثار الزيارة الملكية

اشرت في الفصل السالف الى أن الزيارة الملكية في خريف سنة 1934 م، وان موسم تلك السنة كان سيئا جدا ، وانه على الرغم من ذلك انفق بنو يزناسن بسبب هذه الزيارة الميمونة ما كان محل اعجاب من لدن الملاحظين المختلفي المذاهب والاراء ، ولكن بني يزناسن كانوا في هذه السنة يعيشون ازمة اخرى خانقة كانت تهددهم بالضياع والتشريد ، ولم تكن ازمة طارئة كازمة موسم الصيف ولكنها كانت وليدة عدة سنوات ، وكانت تتفاحش ، ويتسع خرقها ، وتستعجل ادويتها على مر الايام بله الشهور والاعوام .

ذلك انه بمجرد احتلال الجيش الفرنسي لبني يزناسن ، وعقب تشريد وسجن كبرائهم واعيانهم وفرار من فر منهم من قساوة الاضطهاد الى حيث يعلم وحيث لا يعلم ، اتجه الفرنسيون بكل عزائمهم وافكارهم الى نزع الاراضي الخصبة من مالكيها بوسائل جهنمية متنوعة وقد مهدوا لضمان نجاح هذه الوسائل بفرض مختلف الغرامات والمصادرات بدعوى تسديد الخسارات التي تكبدها الجيش الفرنسي اثناء عمليات احتلال بني يزناسن سنة كاملة ، وقد اضطر بنو يزناسن الى بيع كثير من ماشيتهم علاوة على ما قدموه للجيش في فترة الاحتلال الاولى وذلك لتسديد تلك الغرامات الفادحة التي حكم عليهم بها حكما عسكريا .

وبسبب ذلك ضاقت حالهم وساءت من الناحية الاقتصادية ، الامر الذي حال بينهم ايضا وبين استغلال ما كان لهم من اراض خصبة واسعة ، وبعدم استغلالهم لكامل اراضيهم تضاعفت اتعابهم وازدادت آلامهم وضاقت بهم الارض بما رحبت ، فسرعان ما اخذت العائلات التي كانت تعيش في رفاهية تنحط الى مستوى الفقراء والبؤساء ولم يبق لهم الا بعض المظاهر التي تخفى من ورائها كل بؤس وشقاء وانين .

وبعد هذه العملية التمهيدية الاولى لافقار بني يزناسن واذلالهم كشف الغزاة الفرنسيون عن برنامجهم الافقاري وهو يحتوي على وسائل متنوعة .

ومن اهم هذه الوسائل ، انتزاع الاراضي التي هي مصدر الحياة ومنبع الخيرات ، فاطلقوا ايد الاجانب «لشراء» الاراضي بواسطة السماسرة والعملاء

وحيث ان اكثر الاراضي كانت عائلية ومشتركة بين فراد العائلات ، وذلك مثل اراضي ظهر زعنون التي كانت تملكها عائلة اولاد الحاج الورطاسيين فقد اخذوا يشترونها بوسيلة بيع الرجل عن نفسه وعن جميع افراد العائلة ويذكر ثمنا باهضا غير عادي حتى لا يمكن لاي احد من افراد تلك العائلة ان يأخذ مجموع الارض ثم يوضع الثمن غير المزور في البنك او عند القاضي حتى اذا عجز الفرد عن اخذ الارض كلها فوتت الارض للمعمر عن طريق بيع الصفقة .

ثم اذا فوتت للمعمر ، فعوص ان تعد هكتاراتها كلها ـ يقول المهندس ان الارض ليس فيها الا كذا وكذا ، بحيث ينقص ما يشاء ويعد ما يشاء ثم تحفظ الارض ولا يبقى نزاع لاي احد .

ومنها ان المعمر المجاور لليزناسني ياخذ في مشاغبته على الحدود ولا يزال يوعز بسجنه حتى يمل اليزناسني ويبيع تلك الارض بابخس الثمن .

ومنها تهديدات مختلفة للارغام على البيع ، وهكذا دواليك .

وهناك قسم آخر فوت بالاسلوب الاتي ، ويتخلص في رهن الارض ، ولا يزال المعمر المرتهن يراوغ ويخادع صاحب الارض حتى يفوتها له .

ومنها رهنها عند الابناك ولا تزال الابناك تكيد للراهنين بواسطة السماسرة حتى تعلن عن بيع الارض لاستيفاء ثمن الرهن الذي ارتفع بالربى الفاحش فيشتريها المعمر .

قلت : وفي سنة 1934 التي كانت فيها الزيارة الملكية كانت الابناك تكالبت على الراهنين بتفويت اراضيهم .

واثناء هذه الزيارة قدمت رسائل شكوى الى صاحب الجلالة محمد الخامس رضي الله عنه ، وبمجرد ما وصل الى عاصمة ملكه جاءت الاوامر لايقاف بيع الرهان التي عند الابناك والامر بقرض الراهنين من صندوق الدولة ما يسترجعون به رهائنهم الارضية لامد طويل مع فائدة قليلة ، واشتراط الدولة على الابناك ان تنقص مما عدته من الديون على الراهنين نقصا محسوسا .

وبهذه الاوامر الملكية استطاع الفلاحون من اليزناسنيون ان يستردوا كثيرا من اراضيهم وحدائقهم في الجملة .

وقد كان لهذه الاجراءات الملكية اثر عميق على قلوب بني يزناسن كافة ، حيث قوى اعتقادهم بان لهم ملكا ذا نفوذ على مملكته ، فاعاد بذلك الامل الى النفوس في استرجاع السيادة الوطنية .

وحينئذ اخذوا يقارنون ما بين هذا الموقف الملكي الخالد وبين ما تقوم به الحركة الوطنية من كفاح ، واخذوا يشعرون بقيمة اهمية المطالب العامة التي قدمتها في نفس السنة .

وسواء كان اتفاق تاريخ الزيارة الملكية الى بني يزناسن وغيرهم في هذه السنة مع تاريخ تقديم المطالب العامة صدفة ، ام كان مقصودا فان ازدواج هذين العملين ووقوعهما في سنة واحدة كان له من الاثر ما قفز بالوعي الوطني في بني يزناسن الى مستوى ما كان ليقفز اليه بغير مثل هذا العمل .

ففي كل مدينة ، وفي كل قرية ، و فيكل مدشر ، بل وفي كل منزل ازدوج الحديث عن نفوذ السلطان بتقديم الحركة الوطنية للمطالب العامة .

واجتمعت الاراء على انه اذا كان السلطان استطاع ان يدرس مطالب بني يزناسن بعد ان يقبلها منهم وهو يبتسم ثم يصدر اوامره بفك الرهان بالوسائل المختلفة ويبقي على بقية اراضي بني يزناسن وحدائقهم ، فما المانع من ان يدرس مطالب الوطنيين العامة فيطالب الفرنسيين بتحقيقها ؟

واذا كانت هذه المقارنة من بني يزناسن فيها ما فيها من البساطة الشعبية لما يوجد من الفرق بين مطالبهم والمطالب العامة ، فانه يجب التذكير الي أن الشعوب حينما تصدر ما تصدر من احكام ، وتقول ما تقول من آراء فانها لا تتفلسف كما يتفلسف المفكرون ، فتنظر نظرة عميقة الى كل عناصر المفكر فيه وجوانبه ، اذ يكفيها ان تلقي نظرة بسيطة وتصدر حكمها او رأيها ، واذا ما حكمت حكما ، او رأت رأيا آمنت به ، استطاعت ان تضحي من اجله ، وقديما قيل : اذا قدر الشعب ان يقول ، قدر ان يفعل .

فبالجملة ، فان هذه الزيارة التي ازدوجت بتقديم المطالب العامة ، وكان من جملة آثارها في بني يزناسن رجوع اراضيهم وحدائقهم اليهم ، ان هذه الزيارة قد اذكت حمية اليقظة الوطنية والهبت الحماس القومي ، واذكت شعوره بكيفية رائعة .

وبذلك اصبح بنو يزناسن على العموم على استعداد لتقبل الافكار التحررية في شيء كثير من الاهتمام ، فلو أن أحدا تقدم في ذلك التاريخ لتنظيمهم في شعب وحلقات ــ كما وقع من بعد لتلقينهم التربية الوطنية وترويضهم على الاستعداد للمغامرات في سبيل تحرير الوطن ، لحصل على نجاح كبير ، ولكن نشاط الحركة الوطنية التي اتخذت فاسا مركزا لها حيث ولدت منذ سنة 1925 م ــ موافق 1342 بتاسيس أول جمعية سرية سياسية ووقع الاجماع على رئاسة الزعيم علال الفاسي .

قلت ، ان نشاط هذه الحركة لم يكن وصل بعد الى المغرب الشرقي ، ومع ذلك فان هذا الوعي المتولد عن الزيارة الملكية الخالدة بقي ينمو ويترعرع في النفوس .

ولقد حدثت حادثة نفس تلك السنة حملها بنو يزناسن على أنها من كرامات صاحب الجلالة محمد الخامس .

«ولم لا ؟» اذكر جيدا انني كنت في فاس في فصل الشتاء الموالي لفصل الخريف الذي قام فيه صاحب الجلالة محمد الخامس بزيارته الى بني يزناسن ، اذكر انه نزلت أمطار في آخر موسم الخريف ، وتتابعت في فصل الحرث وتوجت جبال بني يزناسن — بعد سنين طويلة — بتيجان الثلوج ، فجاء موسم صيف 1935 من أعظم المواسم انتاجا بحيث لم يتقدم له نظير من زمن بعيد اي منذ زيارة مولاي عرفة في عهد المولى عبد العزيز كما يقول بنو يزناسن.

فلقد اغنى الله بني يزناسن بمختلف الحبوب وبقوا من أجلها في رخاء ونعيم ، فكل النقص الذي كان يقع في المواسم بعدها لم يؤثر على الحالة الاقتصادية في الجملة .

ومن جهة أخرى فان صاحب الجلالة محمد الخامس رضي الله عنه رأى بعينيه ولمس بيديه ما يكنه له بنو يزناسن من تعلق واخلاص وولاء ، وما استطاعت الاقامة العامة من بعد أن تحاول تضليله باي شيء يمس بعقيدة بني يزناسن في جلالته .

واذا كان جلالته قبل هذه الزيارة — بعيدا عن التضليل حيال بني يزناسن، فان تلك الزيارة الخالدة قد اكدت له عقيدته الطيبة في بني يزناسن فتضاعف حبه لهم كما كان حب اسلافه لهم من قبل ، وخصوصا المولى عبد الرحمان ، والمولى سليمان ، والمولى الحسن ، والمولى عبد العزيز ، فلقد اشتهر هؤلاء بحب بني يزناسن ، وذلك لما لمسوه فيهم اثناء زياراتهم المتعددة لهم من حب وتعلق واخلاص وولاء ، وعلى الاخص المولى عبد الرحمان الذي شاهد كيف كانوا يستميتون مع الحاج عبد القادر الجزائري ضد الفرنسيين ، وكيف كانوا نصف الجيش في وقعة ايسلي المشؤومة ، والمولى عبد العزيز الذي لمس اخلاصهم التام له اثناء ثورة ابي حمارة الجلالي الزرهوني .

ولا شك عندي ان صاحب الجلالة محمد الخامس لما رأى من مظاهر للاخلاص له ما لا يعد ولا يحصى في بني يزناسن اثناء زيارته المذكورة ، تذكر قول صاحب الاستقصاء فيهم :

ثغر من ثغور المسلمين ، وعصبة تدخر لنصرة الدين

احـــداث سـنـــة 1936

كانت سنة 1936 بالنسبة للحركة التحررية سنة فتح عظيم تضافرت فيها مختلف العوامل لفائدة الحركة التحررية ، فقد اتسعت دائرة نشاطها فاصبحت تغزو الاقاليم البعيدة بعدما كانت منحصرة في بعض العواصم كفاس والرباط وسلا وتطوان .

وأهم هذه العوامل انتصار الجبهة الشعبية الفرنسية في فرنسا «بلوم» وعزل المقيم العام بيرتون عن الاقامة العامة وارجاعـه الى فرنسا ، وتقديم المطالب المستعجلة في اكتوبر من نفس السنة ، وصدور طائفة من الصحف الوطنية ، وضغط الحرب الاهلية الاسبانية على الادارة الاسبانية بالمنطقـة الشمالية « للتفاهم مع زعماء الحركة التحريرية ومظاهرات من أجل اعتقال الزعماء الذين قدموا المطالب المستعجلة ثم اطلاق سراحهم بعد بضعة أسابيـع بامر من حكومة بلوم .

ان هذه العوامل متضافرة كان لها من الاثار ما جعل الحركة التحريرية تقفز قفزات مباركة الى الامام . وتفاصيل هذه الاحداث أو هذه العوامل يمكن الرجوع فيها الى كتاب الحركات الاستقلالية في المغرب العربي للاستاذ الـزعـيـم عـلال الـفـاسـي .

لان الذي يهمنا الآن في هذا الكتاب ــ كما هو معلوم ــ هو التحدث عن مقدار اسهام بني يزناسن في الحركة التحريرية ، وتاريخ تطورات هذا الاسهام وما لابسه من ظروف واحداث ليس الا .

في هذه السنة بالضبط رجعت من فاس الى ابركان حيث استدعانـي المرحوم السيد محمد بن العالم ، قاضي ابركان لانضم الى عدول محكمته .

وريثما ياتي الجواب بالموافقة على ترشيحه لي عدلا بمحكمة ابركان الشرعية ، اذن لي في التمرن على التوثيق بمهمة نسخ الرسوم والشهادات المختلفة في السجلات الخاصة لكل نوع من انواع الشهادات ، وكان ما يتجمع لي من هذا العمل لا يتجاوز الا قليلا مائة فرنك شهريا ، وان كان للمائة فرنك شان لا باس به في ذلك العهد، اذ كان الكيلو من اللحم لا يتجاوز النصف ريال والكيلو من السكر لا يتجاوز الربع ريال الخ... تلك الاسعار التي أصبحت الآن في سنة 1964 شبه اساطير تتلى فيتفكه بها ويستبعد الجيل الحاضـر تصديقها .

زيارة الرئيس علال الفاسي وصحبه لابركان

حدثني الفقيه العالم المؤرخ صديقي السيد ابراهيم الكتاني احد قيمي الخزانة العامة الآن في الرباط :

ان دائرة النشاط الوطني قبل سنة 1936م لم تكن تتجاوز اقليم تازا الى الاقليم الشرقي ، وانه كلما اجتمع أعضاء الحركة في فاس الذين كانوا يشرفون من أعلى على تسييرها وتحدثوا عن الاقليم الشرقي الا وقرروا عدم القيام باي عمل هناك . وذلك نظرا الى أن سكان ذلك الاقليم « عمليون أكثر من القياس » واذا انضموا الى الحركة الوطنية ربما افرطوا في العمل فيؤدي ذلك الى اثارة الفرنسيين فيقضوا على الحركة في مهدها وذلك زيادة

على انهم : « ناس اصعاب » اي انهم لا يعرفون الا « المطرك » كما كانوا يصفوننا في ذلك العهد .

وذلك بالاضافة الى أن الاقامة العامة كانت ترسل « حكاما » اختصاصيين لحكم ذلك الاقليم ، اذ كانوا يديرونه في شبه استقلال عن الاقامة العامة ، ذلك أنهم ، اي سكان اقليم المغرب الشرقي صعبو المراس والانقياد كما تضافرت تقارير حكامه على التوالي عهد الاستعمار ، ولا زالت آثار ذلك في تقارير حكامنا في عهد الاستقلال .

قال لي السيد ابراهيم الكتاني : وذات يوم بينما كنت في فاس ذاهبا الى جهة ما ، اعترضني أحد سكان وجدة واستمهلني في التحدث معي في قضية تتعلق بفتح مدرسة قرآنية في وجدة لتكون نواة لفتح أخريات في المدن الاخرى في الاقليم ، قال : فطلبت منه ان يستمهلني بعض الوقت ريثما ادرس المشروع مع الاخوان .

وحينما اجتمعت بالاخوان – يقول السيد ابراهيم الكتاني – عرضت عليهم المشروع فضجوا كلهم ومنعوني من عدم اثارة هذا المشروع مرة اخرى الى أن تتهيأ الظروف لذلك .

قال السيد ابراهيم الكتاني : ولكنني في قرارة نفسي اضمرت الاضطلاع بالامر دون مشورتهم . وفعلا سافرت الى وجدة واتصلت ببعض العناصر المتحمسة للمشروع فاتفقنا على فتح المدرسة القرآنية في أقرب وقت .

قال : ولما رجعت واجتمعت بالاخوان اثرت المشروع من جديد فاكدوا على أن لا اسافر اصلا الى وجدة لانه من المحقق أن أعتقل . قال : ولكنني بادرتهم بأنني سافرت وهيأت كل شيء فما عليهم الا أن يفكروا في الشخص الذي يصلح للعمل في هذا الاقليم . قال : وأخذنا نستعرض الشخصيات فوقع اختيارنا على الفقيه العلامة السيد عبد السلام بن ابراهيم الوزاني « أطال الله حياته » . وذلك نظرا لما وهبه الله من صفات العلم والتقوى ، الامر الذي يلائم اقليم « المغرب الشرقي الذي يطبعه طابع التدين والجد في العمل .

وهكذا – يقول السيد ابراهيم الكتاني – فتحت المدرسة القرآنية بوجدة بادارة السيد عبد السلام الوزاني فكانت أصلا لكل مدرسة قرآنية فتحت في مدن اقليم المغرب الشرقي ، ومنها مدرسة العيون التي كان يديرها الفقيه العلامة صديق الجميع السيد محمد بن عبد الله العلوي « القاضي الشرعي الآن 1964 بمكناس ».

وبمجرد ما اخذت المدرسة تؤدي مهمتها ، اقبل عليها الوجديون يساعدونها بمختلف المساعدات المادية والمعنوية .

قال السيد ابراهيم الكتاني : ثم تقرر أن تخصص زيارة الى ابركان لفتح مدرسة قرآنية فيها وذلك بارسال وفد الى ابركان برئاسة علال الفاسي .

وقبل ان يتحقق ارسال هذا الوفد وقع الاتصال بالسيد الحسن شاطر الوكوتي التاجر اذذاك بابركان فاظهر كامل استعداده لاستقبال الوفد على فتـح المدرســة .

وفعلا ، قام الزعيم الرئيس بزيارة اولا الى وجدة يرافقه الاستاذ المجاهد المهندس الفلاحي السيد عمر بن عبد الجليل ، ثم الى ابركان حيث كان الوفد يتركب من الزعيم والسيد عمر بن عبد الجليل والسيد عبد السلام الوزاني والسيد بناصر بن الحاج العربي ، وقد كان السيد الحسن شاطر ، والسيد محمد بن بنعيسى الصلاني المنقوشي . والسيد مولاي بنسعيد بن مولاي محمد ابن الحاج الصديق العتيقي الحمداوي والسيد لخضر برزال «الجزائري» قد أعدوا العدة لاستقبال الوفد الوطني سواء من ناحية اقامة مادبة غداء على شرفه ، أم من ناحية فتح المدرسة .

وقد أقيمت مأدبة غداء بمنزل التاجر السيد مولاي بنسعيد المذكور ، وذكر لي السيد مولاي بنسعيد هذا أن المادبة كانت تشتمل فيما تشتمل عليه : «ثلاثة مشاو» .

وبعد الانتهاء من تناول طعام الغداء وقعت دراسة مشروع فتح المدرسة وقد وقع الاتفاق على الفقيه العلامة الشريف السيد عبد المالك ابن المرحوم السيد المختار بوتشيش على أن يكون مديرا لها .

وفعلا ، فتحت المدرسة في ملك الاسرائيلي بوحنة «قرب مخبزة الاسباني» «باكو» بادارة السيد عبد المالك المذكور .

وكانت هذه المدرسة عبارة عن بيت طويل عريض مسقف بالقرمود اشبه ما يكون بمستراح السيارات «الكراج» وحينما تكون الريح قوية تتطاير قطع « قرموده » واذا نزل المطر يقطر سقفه كثيرا ولا يبقى بمنجاة عن القطرة الا مكان ضيق يتزاحم فيه اطفال المدرسة .

...ولم تكن هناك اول الامر مقاعد ، وانما كانت هناك حصر من الحلفاء، وصبورة ومكتب متواضع مع كرسي للمدير . ويستـعمـل الاطفـال الواحهم التقليدية لحفظ القرآن ولبعضهم كنانيش لتسجيل الدروس التي كانت لا تتجاوز بعض المباديء الدينية والنحوية مع بعض الاناشيد الوطنية الحماسية.

وكان الاطفال ينقسمون الى قسمين : قسم منهم كان من تلاميذ المدارس الرسمية ، وقد خصصت لهذا القسم أوقات تناسبه ، وقسم من خارج تلك المدارس ، وهذا يسير عاديا ،

... وعلى الرغم من ان الجو الوطني كان لا بأس به ، فلم يكن الاقبال على هذه المدرسة من السهل على كل واحد ، اذ ان الادارة الفرنسية كانت تنظر الى المدارس القرآنية هذه على أنها ليست مدارس فحسب بل انها في الباطن خلايا سياسية اتخذت مظاهر مدارس ، « وكان هذا هو واقع الامر اجمالا » .

وطبيعي أن يتجنبها اولئـك الذين لا يريدون ان يصطدموا معها ، او الذين لهم اغراض شخصية ، او الذين لم يغزهم الوعي الوطني ، او الذين لا يزال الوعي الوطني في قلوبهم مضغة غير مخلقة .

ثم ان دخول البنت للمدرسة القرآنية أثار ضجة كبرى فاخذ الجامدون والجاهلون والجاحدون يثورون من أجل تعليم البنت .

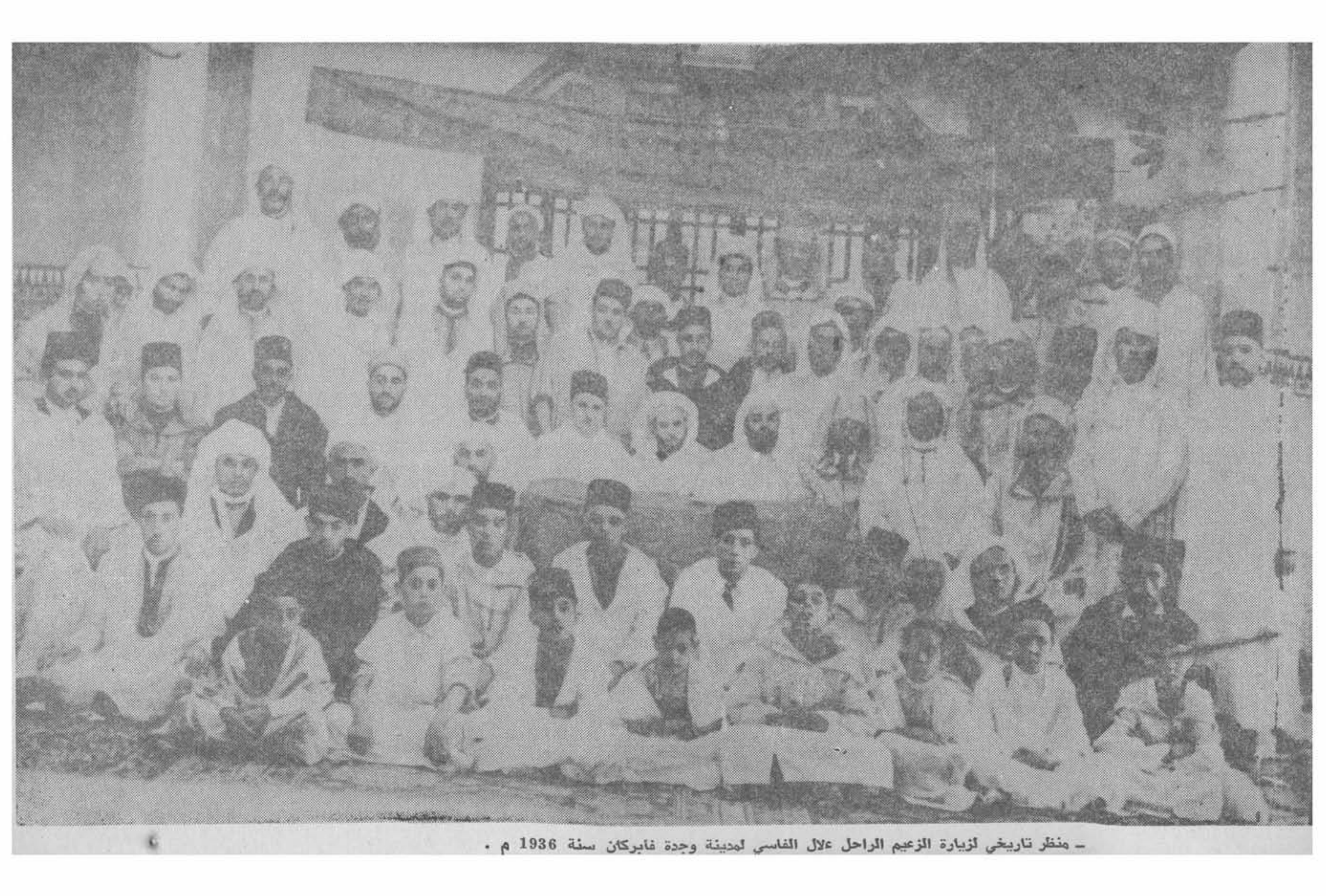
فالبنت في نظرهم يجب أن تكون بعيدة حتى عن مجال الكتابة والقراءة، فضلا عن أن تمارس التعليم الابتدائي فضلا عن الثانوي .

لان البنت في نظرهم اذا تعلمت الكتابة والقراءة ، وخصوصا اذا تعلمت الفرنسية ، فالنتيجة الحتمية ان تخرج عن دينها وتقاليدها بحيث تصبح شبيهة بالاوروبية تكاتب الاصدقاء والخلان والمعارف ، ثم تتطور الى مرافقة الشاب في الحدائق والخلوات السرية ، بعد أن تتجرد من لباسها التقليدي حيث تصبح كاسية عارية .

والى جانب ذلك ، فالبنت بعد التعلم تصبح تناقش بالعقل والمنطـق تعاليم والدها وزوجها واقاربها ، وقد تتجاوز حدود العقل فتناقشهم بمقتضى أهوائها وعواطفها ومشاعرها ونزق صباها وشبابها .

وهذا وذاك ، ينتج عنه خروج المرأة عن دينها الذي يجبرها على طاعة والديها وزوجها « والاحتشام » من أقاربها ومعارفها ، وان الاسلام يامر بالحياء ، اذ الحياء في الحديث النبوي الكريم شعبة من الايمان ، ويأمر بطاعة الوالدين ، لان الجنة توجد بمسير خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق كما ينص على ذلك الحديث الشريف ، ولان التبرج من تقاليد الجاهلية وهو محرم بنص القرآن : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » وزيادة على ذلك : يقولون ان المراة مهما تعلمت استنكفت من القبوع في المنزل فلا تهتم بتربية اطفالها وتعهد منزلها والتزين لزوجها واستقـبال أقاربها وأقـارب زوجهـا الخ... ويستدلون على وجوب قبوع المرأة في منزلها بما ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم من كونه قال : عبادة المراة في بيتها أفضل من الدنيا وما فيها .

وهذه «التعاليق» هيأت الاجواء الصالحة لدعاية الادارة الفرنسية ضد المدرسة وتعلم البنت على الخصوص ، وهي تخفي من وراء ذلك تحطيـم المدرسة .



– منظر تاريخي لزيارة الزعيم الراحل علال الفاسي لمدينة وجدة فابركان سنة 1936 م .

ولو عقل اولئك المغاربة الذين كانوا اذذاك عديمي الوعي أو ضعيفيه، لما قاوموا ضد تعلم البنت ما دامت الادارة الفرنسية تقاومها ، لانه لا يعقل أن تدافع الادارة الاستعمارية عن قواعد الاسلام واسسه وأخلاقه ، اذ ان ضمان بقاء الفرنسيين في المغرب متوقف على ضعف الاسلام .

فمهما ضعف أثر الاسلام في قلوب المسلمين الا وزاد الفرنسيون استلقاء على ظهورهم اطمئنانا على طول حياتهم في المغرب .

ومع هذه « الثورات » ضد المدرسة على العموم ، وتعليم البنت على الخصوص ، فان المدرسة اخذت تشق طريقها الى الامام ، حيث أقبل الآباء والامهات عليها بارسال اولادهم اليها في الجملة .

على أن المدرسة لم تقف مكتوفة الايدي ازاء هذه الدعايات المغرضة التي كان يقصد بها القضاء عليها أو عرقلة نشاطها على الاقل .

فلقد اختيرت وسيلة مهمة جدا لمقابلة هذه الدعايات ، حيث اخذت المدرسة تدرس فيما تدرس من الاحاديث والآيات المتعلقة بوجوب تعلم المرأة .

منها : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ومنها تحفيظ الاحاديث المروية عن أم سلمة وعن عائشة أم المؤمنين ، وشرح التعميم من قوله تعالى : شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط ، ومفهوم قوله تعالى : قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ومنها ترجمة النساء اللواتي شاركن في الجهاد واللواتي كن يروين الشعر ، واللواتي كن يعقدن مجالس للمناظرات ، كل ذلك باسلوب مبسط تستسيغه عقول البنين والبنات ، وقد كان بعض الناس ممن استساغوا تعلم البنت وممن لم يستسيغوه يتناولون الدفاتر منهن فيجدوون هذه الدروس فيحارون او يؤيدون ، أو تداخلهم شكوك في افكارهم في الآثار المختلفة التي كانت تخلقها هذه الدروس في افكارهم وفي مشاعرهم واحساساتهم ، وعلى كل حال فقد اصبحت المدرسة وتعلم البنت يناقشان في مختلف الاوساط وفي المنازل والمقاهي والمجامع والطرقات وغير ذلك من ملتقيات الناس .

كل هذا والمدرسة تحقق انتصارات تلو انتصارات ، شاقة طريقها السوي في غير تردد ولا تراجع ، على الرغم مما كانت تقاسيه من صعاب من الجانب المادي .

المدير الثاني للمدرسة

لم تكد تمر شهران على ادارة السيد عبد المالك القادري لهذه المدرسة حتى «اضطر» لمغادرتها حين انخرط في سلك العدول باحدى المحاكم الشرعية، واذا لم تخنني ذاكرتي فقد التحق بالمحكمة الشرعية بالدار البيضاء .

وكان لمغادرته المدرسة اثر في نفوس اللجنة التي كانت قد اسست المدرسة وتشرف على تسييرها ، وهي تتركب من السادة : الحسين شاطر الوكوتي ، محمد بن بنعيسى الصلاني المعروف بالفرملي «اي الممرض» ، ومولاي بنسعيد بن مولاي محمد بن الحاج الصديق الاحمدي . فقد تأثروا جدا لهذه المشكلة التي حدثت بمفارقة السيد عبد المالك المدرسة ، وكم كان من فرح وسرور في اوساط الادارة الفرنسية لهذا الحادث .

فلقد كانت الادارة الفرنسية تتخيل ان احدا لن يستطيع ان يتقدم الى ادارتها بعد ما اعلنت عداءها لهذه المدرسة ، وان احدا لا يتحداها !

غير ان اعضاء اللجنة كانوا مـ نالحماس الوطني لهذه المدرسة على الخصوص بالمستــوى الذي لا يمكن أن يوقف هذه المشكلة دون مواصلة المدرسة لاداء رسالتها .

وبعد التفكير والدراسة اهتدوا الى استدعاء ابن الخالة الفقيه السيد عمرو بن الحسين ابن الحاج علي اليحييوي الوكوتي .

وكان السيد عمرو هذا في ذلك العهد يقوم بالتعليم في قرية تقربوصت ببني عتيق ، وينقسم تعليمه الى قسمين هناك : تعليم الاطفال ، والقاء دروس في المسجد مع القيام بمهمة الامامة فيه .

والسيد عمرو المذكور كان قد تلقي دروسه في معهد وجدة ثم على المرحوم السيد علي العروسي بمسجد سيدي موسى ببني منقوش ، ثم على الفقيه السيد الحاج بنخالد بمدينة بلعباس بالجزائر .

وفعلا كلف الفقيه السيد عمرو المذكور بادارة المدرسة .

وفي هذه المرحلة من عمر المدرسة اخذت اتصل بها وبمديرها واساهم بعض الشيء فيها حسب الامكان حيث كنت اعمل بالمحكمة الشرعية ككاتب فيها انتظارا لقرار تسميتي عدلا وقد استغل بعض اعضاء المحكمة الشرعية — واتحاشى عن ذكر اسمه هنا في هذا الجو الوطني النقي — قلت استغل اتصالي بالمدرسة ومديرها فأخذ يكاتب الادارة الفرنسية بدون امضاء في شأن ما أقوم به من نشاط حيال هذه المدرسة من جهة واتصالي بالمدير من جهة ثانية ، وقد ثارت الادارة الفرنسية المحلية لهذا النشاط فاتصلت بالفقيه القاضي السيد محمد ابن العالم واوعزت اليه ان يكلمني في ذلك للكف عن كل نشاط اذا كنت اريد ان التحق بزمرة العدول ولكن القاضي ابى ان يصارحني بكل هذا فاوصاني بان اقوم بنشاط في دائرة السر ؟

ولكن ما العمل ، وكيف يسمح لي ضميري بهذا العمل السري ؟

فالصحف الوطنية التي كان يتولى بيعها السيد الحسن شاطر ، وخصوصا جريدة الاطلس ، ان هذه الصحف كانت تنشر مقالات نارية لا يستطيع الانسان ان يكبح معها عواطفه خصوصا وقد كنت اشترك مع المدير في تحرير مقالات ومراسلات بامضاء «يزناسني» فكانت هذه المقالات والمراسلات تعمل عملها في نفسي فضاعفت من عزمي على الانغمار في الميدان الوطني ، فلم اعبأ بتلك التوصية فتابعت اتصالي بالمدرسة ومديرها وقراءة الصحف في الشارع على مرأى من كل احد ، الامر الذي ايقنت معه الادارة الفرنسية المحلية بما كان يكاتبها به ذلك «العضو» من المحكمة في شأني .

وزاد من تحقق الادارة الفرنسية بنشاطي انها ارسلت ذات يوم ترجمانا مدنيا «السيد الحاج الغوثي الرحالي» ليزور المدرسة قصد التحدث مع مديرها في شأن من الشؤون ، ولما دخل الترجمان المذكور الى المدرسة وجدني داخلها اتحدث مع المدير وبعد ذلك مانعت الادارة الفرنسية في رفع ترشيح القاضي لي عدلا بمحكمة ابركان الشرعية . واوقف ملفي الى حيث سأتحدث عنه فيما بعد .

النشاط السياسي في هذه السنة 1936

لم تكن الحركة الوطنية المركزية في فاس في ذلك العهد تقوم بنشاط منظم خصوصا في الاقاليم ، بحيث لم تكن انشأت لها فروعا تشرف على تأسيس الخلايا والحلقات والجماعات ، وتوافيها بالنشرات الوطنية التربوية . اذ ان نشاطها كان مزدوجا أو مثلثا على الاصح ، مدارس قرآنية ، دعوة سلفية ، صحف وطنية سياسية ، ومن حين لاخر وفي غير انتظام ، ترسل بعض النشرات السرية فتدرس في دائرة ضيقة .

وكان المدير — بطبيعة اتصالي به — وما يراه من حماس وطني مني يسلم الي من حين لاخر ما كان يرد عليه من النشرات السرية .

واذكر جيدا انني كنت اقرأ تلك النشرات بحماس متضاعف بالنسبة للحماس الذي كان ينتابني حينما كنت اقرأ الصحف الوطنية .

فالنشرة كانت تتضمن اخبارا لا تنشر في الصحف ، ودعوة سلفية كانت تنزل على قلبي كالماء البارد في صحراء قاحلة والى جانب هذا وذلك، النشاط الكفاحي الذي كان يقوم به قادة الحركة الوطنية في سبيل القضية المغربية على ان هذا الحماس الوطني الذي يأخذ بمجامع قلبي في هذا العهد ، وبسبب المدرسة والصحف الوطنية ، كان نما جزء مهم منه في فاس حيث استولت جريدة الحياة على نفسي ، هذه الجريدة النارية التي كان يصدرها الاستاذ صديقي السيد عبد الخالق الطريس في تطوان ، فلقد كنت اكاد احفظ مقالاتها النارية .

ويا ما كان اسفي شديدا حينما منعت هذه الجـريـدة من الرواج في الجنوب منذ عددها الحادي عشر .

وذلك زيادة على انني كنت اقرأ كثيرا من الصحف والمجلات المصرية والسورية واللبنانية ، وخصوصا مجلة «الرسالة» لاحمد حسن الزيات .

كما كانت الافلام المصرية تعمل عملها في نفسي ، فلم اكن اتأثر باغانيها الحلوة بقدر ما كنت اتأثر بتطور الحياة الاجتماعية ، فقد كان يخيل لي ان زي الممثلين هو الزي العام في مصر وان «استوديو» مصر هو مثـال لمنازل المصريين باجمعهم ، وان تحدثهم باللغة العربية الفصحى عام في الشعب المصري ، فكانت هذه المشاهد تقوى في نفسي الامل بان العالم العربي لا بد ان يتحرر من النير الاجنبي وان يرجع في يوم ما الى التحدث بالفصحى . والى سكنى المنازل ذات التصميم العصري الاوربي .

ولم لا ، ها هم المصريون قد تطوروا في لباسهم ومنازلهم ورجعوا الى التحدث باللغة العربية الفصحى وقد تحرروا من الاستعمار الانجليزي .

فالمصريون كانوا في نظري اقوى دليل على امكان تحررنا من كل مظاهر الانحطاط ، ومن الاستعمار نفسه ، وكان لي في صحفهم ومجلاتهم وافلامهم ما فيه مقنع واقنع .

على انني شاهدت بعيني وانا طالب في القرويين «عدة مظاهرات وطنية شاهدت كيف كان الشبان» «العصريون» يتظاهرون في الشوارع ويهتفون بجلالة محمد الخامس وبحياة المغرب والزعماء والشرطة محاطة بهم تسوقهم الى السجون وهم يبتسمون : وكأنما كانوا يتجهون الى حفلة عرس ، لا الى زنازين السجون وعنابرها في الليل ، والى معاناة الاشغال الشاقة من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

وعلى الرغم من انني لم اشارك ولا في مظاهرة واحدة ، فقد كنت اتأثر ايما تأثر بهذه المشاهد الوطنية الرائعة فأقول في نفسي : انه لامر عجيب ! : هؤلاء الشبان لا يزالون في سن مبكرة يمنحون اجسادهم الطرية لقساوة الشرطة ، وقساوة الاحكام ، وقساوة السجون ، فلا يرهبون موتا ولا جوعا ، ولا عريا ، ولا بعدا عن ذويهم واقاربهم ! واعجب من هذا في نفسي انهم فوق ذلك من «اهل المدينة» يعيشون عيشة رفاهية ولا سيما رفاهية فاس ، التي كنت اعتبرها مثالا اعلى للحضارة العربية الصميمة .

ثم اعلق على ذلك فأقول : انه لمن المستحيل ان يكون هؤلاء «العصريون» على باطل ، فلا يمكن ان يندفعوا الى هذا العذاب بدون ان تكون هناك عقيدة صحيحة مدروسة من لدن الزعماء الذين لهم خبرة دقيقة بمختلف الثورات الدينية والسياسية وفي مختلف اجزاء العالم .

ثم اقف واقول : ولكن كيف يمكن لهؤلاء الشباب ان يتغلبوا في يوم ما على الفرنسيين الذين يسيطرون بقواهم الخارقة على البرار والبحار والاجواء؟

ان هؤلاء العصريين لا يملكون الا العقيدة ، والايمان القوي بهذه العقيدة، وهل العقيدة والايمان كافيان للتغلب في يوم ما على خصوم ذوي عدد وعدد ؟ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في اول امره يدعو اقاربه ، ثم دعوة سرية ، ثم علنية ، ثم امتشاق السلاح ، ثم النصر ، ثم امتلاك ثلاثة ارباع العالم .

ان كفاح النبي صلى الله عليه وسلم قطع مراحل مختلفة ، فلماذا لا يمر كفاح هؤلاء العصريين من هذه المراحل ؟

ولكن اين السلاح في الاخير ، ان سلاح اليوم هو غير سلاح الامس ، وهنا كانت فكرتي تسبح على غير هدى في متاهات لا اعرف لها حدا ، فيشق على نفسي ان تجيبني اجوبة واضحة صريحة ، وان كنت اشعر بيقين ان هذه الوطنية حق ، ولكن تخونني حينذاك الادلة المقنعة والاجوبة الصريحة عن تساءلاتي .

ثم اقول : اذا كان الحضريون ، والحضريون الفاسيون على الخصوص، يستميتون في سبيل هذه العقيدة فاولى منهم سكان البادية الذين لا تشق عليهم حياة السجون ، اذ ليس هناك فوارق كثيرة بين حياة البادية الشاقة وحياة السجن ، الا فيما يخص تلك المظاهر الخيالية للحرية .

ثم اقول : ولم لا اكون من جملة هؤلاء العصريين ؟ فاتلقى الجواب من اعماقي : عليك ان تدرس حتى اذا اتممت دراستك سهل عليك دخول الميدان، فاقتنع بهذا الجواب .

... وهنا يجب ان اسجل حادثة وقعت لي اثناء دراستي بالقرويين ، وهي تتلخص في انني كنت اول الامر اتحاشى قراءة الصحف الوطنية لان بعض شيوخنا كانوا يسمونها «الكوازيط» احتقارا لها فتأثرت بهذه النظرية الرجعية ، ومغفرة من شيوخي على هذا التعبير الجاف الذي انطلق من قلمي

وفي مساء يوم الاربعاء فيما اذكر ، بينما كنت بمسجد الرصيف انتظر مع الطلبة مجيء الاستاذ السيد رشيد ابن مولاي علي الدرقاوي لالقاء درسه في التحفة ، اذ لفت نظري طالب كان يطالع اول عدد من جريدة الحياة للاستاذ الطريس ، فقلت له متسائلا : أية قيمة لمطالعة هذه الجريدة ما دام الطالب محتاجا الى مطالعة دروسه وحفظ المتون ؟

فاجابني بلطف : ولكن ما قيمة الطالب اذا جهل ما تتحدث به الصحف عن وطنه وما يقع من احداث ؟ ثم زاد قائلا : ان قيمة العلم من قيمة العمل فالعالم الذي يهمل شؤون وطنه ويتركها في ايدي الغزاة يعبثون ويستغلون ، لا قيمة لعلمه ، فراقني منه هذا الجواب ، فقلت : هل يمكنك ان تعيرني هذا العدد ؟ فاجاب بالايجاب ، وكم كان سروري عظيما حينما وصلت الى بيتي وأخذت اقرأ تلك الجريدة واعيد قراءتها . ومنذ ذلك التاريخ اخذت اقرأ الصحف الوطنية والسياسية والمجلات كما سبق القول بذلك ، وكان الفضل يرجع الى الطالب المشار اليه الذي كان يدعي علال القصري (1) وكان معنا بالمدرسة العنانية جزاه الله خيرا .

وهنا اعود لمتابعة الحديث عن النشاط السياسي في سنة 1936 ، الى اكتوبر 1937 ، واذا كنت قد تحدثت عن نفسي هنا فان ذلك ليس مقصودا ، بل المقصود هو ان اتحدث ما امكنني عن الاسباب والعناصر التي نما بها الوعي الوطني في بذ يزناسن ، وبما انني كنت من العناصر التي ادت خدمات وطنية ربع قرن ، فكان واجبا ان اتحدث عن اوليات ثقافتي الوطنية كما تحدثت ، وسأتحدث عن كثيرين من العناصر الوطنية من حيث هذا الجانب .

اجل ، ان وصية القاضي لي بالتستر لم تجد في نفسي فلقد واصلت عملي المتواضع في الميدان الوطني ولم اعبأ بالثمن ، اذ كنت اصبحت اشعر بان لا قيمة لهذه العدالة ، وكل ما كان يميلني اليها ، ان الوعي الوطني لم يكن بعد قد نضج في نفسي فغلبني هواي لمواصلة انتظار قرار تعييني عدلا ، ولا سيما وقد كان بعض الناس يحاربون حصولي على «العدالة» فكان لهذه «الحرب» اثر في نفسي ، ولم يكن لهذه «الحرب» ان تؤثر على نفسي لو كنت تام الوعي ، ولكن هكذا كان ولا مفر مما كان .

نهاية الامتيازات الاجنبية في مصر

قد يتسارع الى ذهن المطلع ويتساءل في نفسه عن هذا الفصل في كتاب خصص للحديث عن بني يزناسن.

ولكن لا تعجل ايها المطلع الكريم ، فهذا العنوان ليس خارجا عن الموضوع ، فانا هنا اتحدث عن العوامل التي كانت تنمي الوعي الوطني في بذ يزناسن .

ففي هذا العهد 1936 ، كانت الصحف الوطنية تنقل الى قرائها كل حادثة في العالم العربي او الاسلامي او غيرهما التي من شأنها ان تنمي وعينا وتقوي عزائمنا .

فحينما اعلن في مصر الشقيقة نبأ القضاء على الامتيازات الاجنبية اي القضاء على بعض رواسب الاستعمار الانجليزي كان لذلك صدى عميق في اوساط بني يزناسن . مثل ما كان في محيطات غيرهم .

وكيف لا يكون لذلك اثره العميق في نفوسهم ؟ فاذا كانت مصر قد حصلت على استقلالها ثم اخذت تطهر بلادها من بقية النفوذ الاجنبي القديم فكيف يحلو العيش للمغاربة وهم يرزحون تحت نير الاستعمار ؟

لقد كنا هنا في بني يزناسن لا نتخيل انتصار شعب مستعمر «بالفتح» اعزل على شعب مستعمر «بالكسر» له كامل وسائل القوة ، بل كنا هنا في بني يزناسن نستبعد الانغمار في اشتباك مع دولة كفرنسا ، ولم نكن نقيم وزنا للوسائل السياسية ، او الكفاح السياسي الا نظريا في العهود الاولى للوعي الوطني .

واذا استطاع الشعب المصري ان يسترجع استقلاله ويصفي رواسب الاستعمار من بلاده فماذا يمنعنا نحن المغاربة من ان نحذو حذوهم ونتأسى بهم ونحن المثال الاول للبطولة في العالم اجمع ؟

ففي بني يزناسن بالخصوص كنا نتأثر بكل حادث يقع في فاس ، او في الجزائر ، او في مصر ، ولاغرابة في ذلك ففاس اقرب العواصم الينا ، وكما كانت لنا فاس بهذه المكانة ، كانت الجزائر ايضا ، لان طلابنا يقصدونها لطلب العلم . وخصوصا الفقه ، وذلك مثل مازونة وزاوية الهامل وغيرهما ، كما ان عملتنا كانوا يتجهون الى الجزائر للعمل وقد كانت آنذاك في الجزائر نهضتان فتيتان قويتان .

اولاهما النهضة العلمية والسلفية التي كانت تقوم بها «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» تحت رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس رضي اله عنه

وثانيتهما النهضة السياسية التي كان يرأسها السيد امصالي الحاج .

اما شأن مصر معنا فقد كان لصحفها ومجلاتها واقلامها الاثر الطيب على نمو وعينا الوطني .

ولذلك كان للقضاء على الامتيازات الاجنبية بمصر سنة 1936 كبير الوقع في نفوس بني يزناسن .

ففي اي مكان تجد الحديث عن هذا الحدث ممزوجا بالفرحة والحماس

داعية وطني مهم

وما دمت بصدد البحث عن العوامل التي ساعدت على بذر بذور الوعي الوطني وتنميته ، فالواجب على ان اتحدث ولو باختصار عن جهود شاب يزناسني اسدى جهودا مهمة لصالح الوعي الوطني .

هذا الشاب هو السيد عبد القادر بن عمرو الوكوتي المعروف بـ «الشراك» لقد عاش هذا الشاب اليزناسني في تلمسان عدة سنوات ، واستطاع بجهوده الخاصة ان يتعلم بعض مبادىء اللغة الفرنسية ويتمرن على التحدث بها ، وقراءة الصحف .

والى جانب هذا كان يحضر دروس الشيخ الابراهيمي .

وحينما رجع الى وطنه ابركان فتح دكانا بشارع باريز يزاول فيه صناعة الطرز على الجلد ولكنه لم يكن يهتم بها بقدر ما كان يتصل بالناس ويتحدث اليهم عن نشاط الحركة السلفية في الجزائر ، والنشاط السياسي الذي كان يقوم به «حزب الشعب» تحت رئاسة وزعامة السيد امصالي الحاج.

واحاديثه وان كانت غير رتيبة بمقتضى امكانياته التعبيرية ، ولكنها كانت تترك آثارا مهمة في النفوس .

وقد ساعده على مواصلة تلك الاحاديث الوطنية ما كان يقال عنه بان بعقله انحرافا ، فبعدما كانت المراقبة الفرنسية تهتم بما يقول فتستدعيه للمحاسبة ، عدلت عن الاهتمام به لما قيل لها انه منحرف العقل .

والحقيقة ان هذا الشاب لم يكن منحرف العقل وهو كان يقوم باعماله الخاصة وقد تزوج ، ولكنه كان يطيل احاديثه ويبالغ في تحليلها والتعليق عليها.

ويظهر لي انه اخذ هذا الاسلوب الطويل «الممل» عن دعاة السلفية بالجزائر ، لقد سبق لي قبل ذلك العهد ان تعرفت على دعاة سلفيين من الجزائر كانت احاديثهم لا تخلو من التطويل الممل والتعاليق غير الضرورية .

وقد استغل السيد عبد القادر الشراك هذا ، ما اتهم من «الانحراف العقلي» ، فكان يغزو جميع الاوساط باحاديثه الوطنية فجازاه الله عن الوطن خير الجزاء .

فلقد كان طول عهد الكفاح السياسي يؤدي مهمة نشر الدعوة الوطنية التحررية في غير ملل ولا فتور ، ويقوم باعمال لم يكن غيره ليستطيع القيام بها ، واذا اضيف اليه « تحامق » السيد الحاج أحمد شاطر الوكوتي الذي عاد على الدعوة الوطنية بخير كثير ، حق على التاريخ أن يضمها بين دفتيه من بين الرعيل الاول للكفاح السياسي في بني يزناسن .

اثر الحرب الاهلية الاسبانية في بني يزناسن

وبينما كانت منطقة بني يزناسن في هذا العهد 1936 تتفاعل فيها عوامل الوعي الوطني المختلفة آخذة بنواصيها ومجامع قلوبها الى خوض غمارات معارك التحرر الوطني من نير الاستعمار ، اذ شبت الحرب الاهلية الاسبانية في يوليوز 1936 .

فلقد تمرد الجيش الاسباني بزعامة الجنرال افرانكو على حكومة الجمهورية الاسبانية فاشتعلت نيران الحرب الاهلية الاسبانية التي انتهت بانتصار فرانكو .

ومن غريب الصدف : انه كان على راس الاقامة العامة بالمغرب : بيرتون، وبيرتون هذا كان قبل مقيما عاما بتونس واذاق الدستوريين الوانا شتى من العذاب ثم عزل عن تونس وعين مقيما عاما على المغرب .

وعندما كان يغادر مرسيليا في افريل 1936 في اتجاهه الى المغرب الاقصى صرح للصحفيين بقوله : لقد قضيت على الدستوريين بتونس وسأقضي على حزب « الكتلة الوطنية المغربية » .

وفعلا كانت حوادث 1936 التي حكم فيها باحكام قاسية على الوطنيين المتظاهرين في مختلف العواصم ، ومنها عاصمة المغرب الشرقي .

ولكن انتصار الجبهة الفرنسية بزعامة « بلوم » قضى على طغيان بيرتون في مهده ، فلم تكد تمضي 23 يوما على تلك الاحكام القاسية حتى اطلق سراح الجميع .

وفي الشمال : كان على رأس الاقامة العامة بتطوان : السنيور موليس الذي كان ينتسب الى الحزب الراديكالي ، وهو الآخر كان على عقيدة بيرتون في القضاء على الحركة الوطنية بالشمال ، ولكنه بينما كان يؤكد من الاقامة العامة بتطوان تضامنه مع بيرتون واستعداده لتحديد الخطط معه ، وبينما كان سائرا في سياسة الميز والعنصرية في معاملة الاهالي عموما وخصوصا طبقة العمال الذي كان جيشه يشتتهم في الوقت الذي كان يتقبل فيه العمال الاسبانيين ويخطب عليهم مرحبا ومظهرا كامل العطف الاجتماعي نحوهم ، اذا بثورة فرانكو تضطرم نيرانها (1).

وكان من نتائج هذه الحرب الاهلية الاسبانية ان اضطرت حكومة الثورة الفرنكية الى سياسة التقارب مع الحركة الوطنية للاستعانة بجو التقارب الاسباني المغربي على الانتصار على الجمهورية الاسبانية .

وفعلا عقدت اجتماعات في تطوان ما بين رجال الثورة الاسبانية وزعماء الحركة الوطنية في الجنوب والشمال ، وكان أهم نقطة يشترطها الوطنيون : اعلان حكومة افرانكو لاستقلال المنطقة الشمالية ، وكان طبيعيا ان لا تقبل هذه النقطة وكان الوطنيون يعرفون سلفا ذلك ، ولكنهم كانوا يعتقدون جادين من وراء هذه المفاوضات التي كانت تطير انباؤها الى القرى والمداشر ربحا عظيما في ميدان التوعية الوطنية ، وهكذا كان ، فلقد كان لها اكبر الصدى في بني يزناسن ، واهتزت المنطقة اليزناسنية بتلك المفاوضات الوطنية الاسبانية اهتزازها بالزلزال العنيف .

---

1) الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ص 178 ، علال الفاسي ، بتصرف .

فلقد اوقف الناس اشغالهم وجميع أعمالهم في انتظار اعـلان استقـلال المنطقة الشمالية ، واخذ الناس يصرحون انه بمجرد تحقـيق ذلـك ، فانهم سيتخذونها مركزا لتحرير الجنوب من الاستعمار الفرنسي .

ولم يكن يتحمس لتلك المفاوضات خصوصا الذين يتوفرون على العقيدة المتينة والشجاعة الضرورية فحسب ، بل حتى اولئك الذين قدر لهم أن يعيشوا على هامش الحياة لضعف عقائدهم ، وفتور عزائمهم ، ونقصان شجاعتهم ، أخذوا يتحمسون لاستقلال المنطقة الشمالية .

اذ من المعروف في تاريخ الشعوب الطويل ، انه متى حزب الامر واشتد الخطر بشعب من الشعوب لا تجد هذه الشعوب من ابنائها الا اولئك البررة الذين ينبذون الحياة وراءهم ظهريا ويتقدمون بارواحهم على اكفهم الى الخطر الداهم والموت الاحمر .

ولا يكاد نجم الظفر والانتصار يرسل خيوطه الفضية على ذلك الشعب حتى يتسابق الجبناء وضعفاء الايمان والفارغون من كل وعي وطني للاعلان عن «قوة ايمانهم في سبيل المثل العليا لبلادهم ، وانهم ما كانوا جبناء ولا ضعفاء الايمان والعقائد ، ولا أقل استعدادا للتضحية الغالية من اولئك السابقين الاولين ، وانهم كانوا كجيش احتياطي للوقت المناسب ليس الا ، ويزعمون انهم كانوا يطلبون الله ليل نهار ليحل ذلك اليوم الذي تتفجر فيه عبقريتهم وبطولتهم ليأتوا بالمعجزات : اي معجزات الحضور في حفلات الانتصار ».

وهكذا اهتزت وربت منطقة بني يزناسن بأبطالها الحقيقيين، وابطالها الانتفاعيين للمفاوضات الوطنية الاسبانية في عهد الثورة الفرنكوية .

وكان هناك في ابركان عامل شجع الابطال الانتفاعيين والفرصيين على ذلك الحماس القوي ، هذا العامل ، وهو وجود شخصية فرنسية اشتراكية على راس دائرة ابركان ، ويدعى « كوستي ».

فلقد كان هذا الفرنسي الاشتراكي عاقلا هادئا ينظر الى ماجريات الحياة نظرة فاحصة بعيدة ، فتغافل عن ذلك الحماس الوطني المزدوج انتظارا للوقت الذي تتضح فيه الحقائق فيتخذ الاجراءات الضرورية على اضوائها .

وعلى الرغم من فشل تلك المفاوضات فقد اخذ هذا المراقب يراقب الحالة عن كثب بدون ان يستفز شعور الجماهير .

وعلى اي حال فقد عاشت منطقة بني يزناسن في هذا الوقت اجواء وطنية ملتهبة كيفما كانت بواعثها ، اذ ليس من سنن حياة الشعوب أن تنهض في أول الامر نهضة رجل واحد ، لباعث واحد ، وهدف واحد ولكنها بمختلف البواعث والاهداف تتكامل نهضتها وثوراتها ويتحقق انتصارها .

ولكن الابطال الاولين لنهضتها وثوراتها لا ينساهم التاريخ ولا يهملهم اذا ما تنكرت الشعوب لبطولتهم واولية بطولتهم وقيادتهم وزعامتهم .

فالذهب ذهب وان قدر له ان تغمره المزابل ، والنحاس ، نحاس ولن قدر له الالتصاق بجدران العمائر والقصور .

حــــوادث 25 اكتــوبـــر 1937

وتأكيدا لما سبق أن اشرت اليه فان مظاهر نشاط الحركة الوطنية لم تكن تتجاوز مظهرين اثنين بارزين في بني يزنـاسن .

المظهر الاول كان يتجلى في المدرسة القرآنية التي كان يديرها السيد عمرو بن الحسين الوكوتي . ولم يكن لهذه المدرسة نظام واقسام واساتذة ، ولكنها كانت عبارة عن بيت طويل عريض كما اسلفت ليس غير ، وكان المدير يقسم التلاميذ الى طبقات فيلقن كل طبقة القرآن ومبادىء في النحو والسيرة النبوية والتاريخ والفقه والتوحيد وبعض الاناشيد الوطنية . وعلى الرغم من هذه البساطة التي لم تستطع المدرسة ان تتجاوزها لاسباب متعددة ، فقد كانت لهذه المدرسة قيمة في مختلف الاوساط .

المظهر الثاني يتلخص في قراءة الصحف الوطنية ، وفي مقدمتها «الاطلس» وكانت موضوعات هذه الصحف تثير تعاليق في مختلف الاوساط ، وتبعث على الجدل أو المناقشة في الشوارع والمقاهي والمنازل فيتكون من كل ذلك جو وطني حماسي يساعد الوعي الوطن على النمو والتطور الطبيعيين .

وعلى الرغم مما حدث من انشقاق في اعضاء الكتلة الوطنية وما تفرع عن ذلك من تأسيس حزبين متخالفين : الحزب الوطني بزعامة السيد علال الفاسي ،والحركة القومية بزعامة السيد محمد بن الحسن الوزاني ، فان القراء ينظرون الي الصحف الوطنية نظرة وطنية عامة لا يميزون في الجملة بين هذه وتلك ، وكل من يشتري « الاطلس » و « المغرب » يشتري كذلك « الدفاع » «طريق اللف والنشر المرتب».

واثر انقسام الحركة الوطنية الى الحزبين المذكورين ظـهـرت ورقات الانخراط في الحزبين في ابركان ، ولكن لم تتجاوز بضعة اوراق ، والذي كان يتزعم الحركة القومية لاول نشأتها هو السيد احمد بن العربي الرمضاني ، واذكر انه كان زعيمها بدون اعضاء واتباع عدا شخصا واحدا احتفظ باسمه كان يحمل ورقتين احداهما للحزب الوطني ، وثانيتهما للحركة القومية ، وكان السيد الرمضاني يزور ابركان اسبوعيا من وجدة تقريبا ، ويذهب تو وصوله الى دكان المرحوم السيد احمد بن الحاج عبد القادر شاطر رحمه الله .

وعلى الرغم من ان المرحوم السيد احمد شاطر المذكور كان يكرم السيد أحمد الرمضاني فانه كان يصرح له ام امنا انه من انصار حزب علال الفاسي وليس من انصار حزب بن الحسن الوزاني وتلك هي العقيدة التي كانت منتشرة في جميع انصار الحركة الوطنية .

فالكل يعتقد ان زعامة علال الفاسي هي الزعامة الحق ، خصوصا في اوساط الطلبة وطلبة القرويين على الاخص ، حيث انهم كانوا يحضرون في حلقات الدروس التوجيهية التي كان يلقيها الزعيم علال الفاسي في القرويين فيسمعون العجب العجاب من معلوماته وتوجيهاته وارشاداته ، ويلمسون شجاعة نادرة من خلال تلك الدروس .

وكان طبيعيا ان تتاثر ابركان بزعامة علال الفاسي للاثر العميق الذي خلفتــه فينا دروسه وتوجيهاته ، ولكون زعامته السياسية كانت تتلاءم مع الدعوة الى الحركة السلفية التي كانت طابع النشاط السياسي فيما قبل سنة 1930 م، ولم يكن من المنطق المقبول عندنا هناك ان يتزعم الحركة الوطنية التي هي وليدة الحركة السلفية رجل كالوزاني الذي لم يكن من علماء المغرب كعلال الفاسي وانما تلقى دروسه العليا في باريز ، ولا صلة لباريز بالحركة السلفية التي كانت نتيجة انبعاث وعي اسلامي من منبع العلوم الاسلامية بالمغرب ، الا وهو جامعة القرويين .

كما انه لم يكن من المعقول والمنطق في ذلك العهد بالخصوص ان ينظم المواطنون الى زعامة غير دينية .

كما أن السيد احمد الرمضاني لم يكن في امكانه أن يخلق انصارا للحركة القومية ، اذ قد كان مجرد رجل من آل البيت يحفظ كتاب الله ليس الا .

وليس معقولا ، والعلامة السيد عبد السلام الوزاني بوجدة يمثل الحزب الوطني بزعامة السيد علال الفاسي ان يكون للسيد الرمضاني اثر ازاء قيمة السيد عبد السلام الوزاني ، فالحزب الوطني كان يقوده علماء مركزيا وفروعيا .

والحركــة القومية كانت تحت اشراف السيد الوزاني مركزيا وهو من طلبة باريز ، وفي وجدة وابركان تحت اشراف السيد الرمضني وهو غير عالم

والزعامة في بني يزناسن لا تغلب ولا تقهر اذ ما اسست على العلم والتقوى والاخلاص للعقيدة الحق والتعفف عما في ايدي الناس ، وتلك — في نظري — هي طبيعة كل مناخ له طابع التدين ، وليس خاصا ببني يزناسن.

ومن اجل ذلك لم يكن للسيد الرمضاني المذكور اي اثر على اي وسط، فبقيت الحركة الوطنية مطبوعة بطابع زعامة السيد علال الفاسي .

وان كان السيد الرمضاني — والحق يقال — يتوفر على ذكاء غير قليل، وشجاعة ومغامرة عجيبتين . علاوة على ما كان يطبعه من تجلد وصبر ازاء قساوة الدهر عليه .

فالسيد الرمضاني المذكور لا يضره ولا يظهر عليه اي أثر اذا ما طوى عدة أيام جوعا . ؟م

وهذا الجانب التجلدي الذي كان بارزا في السيد الرمضاني اخذ يؤثر على بعض المواطنين في وجدة وخصوصا بعض العملة من بني يزناسن ، وكان السائق السيد سعيد الميموني من ابرز المومنين بوطنية السيد الرمضاني

والى جانب هذا كان السيد الرمضاني قد اعتقل في الحدود المغربية الجزائرية قبل سنة 1936 فيما اذكر حيث وجدت لديه بعض الصحف والمجلات التي كانت تصدرها الحركات السلفية والسياسية بالجزائر واستنطق لدى الشرطة السياسية بوجدة ثم بعد ايام او شهور لا اذكر بالضبط اطلق سراحه .

وبطبيعة فضوله فقد استطاع ان يتصل في الجزائر بعدة رجالات السلفية والسياسية ، واستطاع ان يمزج احاديثه بالمصطلحات السياسية والسلفية فالذي لم يسبق له ان تعرف على المستوى الثقافي للسيد الرمضاني ، يخيل اليه انه امام عالم وسياسي وسلفي ومفكر ومغامر عظيم .

وقد كان صدره واسعا يتقبل كل انتقاد ولا ينفعل وجهه ولا يقوم باية حركة عصبية ازاء اي انتقاد مهما كان قاسيا .

فيمكنك ان تنقده ساعة كاملة ، حتى اذا ما انتهيت من انتقادك اجاب في غالب الاحيان بقلوه : حسن . ولكنه ينظر اليك نظرات لا تخلو من سخرية او شفقة . قلت له عدة مرات : لم تتحدث «بالفصحى» الملحونة ؟ اذ كان المسكين ينصب الفاعل ويرفع المفعول . فكان يجيبني دائما بهدوء تام : عليك ان تصلح لحني كلما لحنت ! فاعقب على قوله : ولكن كلامك كله لحن ، وانت لم تدرس في اي يوم من الايام قواعد النحو فهل ترى ان القواعد تنزل عليك كالوحي ؟ فيجيبني في هدوء كعادته : انني افضل الحديث «بالفصحى ولو ملحونة» ولكم معشر النحاة ان تصلحوا لحني فانه لا يهمني ان الحن

ثم يواصل سرد موضوعه بتلك الفصحى الملحونة ، فتستحيل اعصابنا كانها قضبان نارية من شدة الغضب . فلا يبقى امامنا الا أن نضبط اعصابنا فاما أن نستمع اليه الى آخر القصة او الحديث ، واما ان نودعه فارين باعصابنا خوفا عليها ان تتمزق بعناده واصراره على استعمال الفصحى الملحونة .

ومن آيات ذكائه وبعد نظره ، ما حكاه لي ابن الخالة السيد عمرو بن الحسين الوكوتي في قلعة مكونة يوم ان كنا جميعا معتقلين فيها في 53—54—55 بعد التسعمائة والالف ميلادية .

حكى لي : انه كان ذات يوم جالسا مع السيد الرمضاني في دكان بوجدة ، وقد تناولا الحديث حول الخلاف الواقع ما بين الزعيم علال الفاسي والسيد الوزاني وانه بعد دراسة الموضوع دراسة طويلة سأله السيد عمرو بن الحسين الوكوتي لماذا لا نؤلف وفدا من المغرب الشرقي يتوجه الى فاس يقوم باصلاح الزعيمين ؟

قال لي عمرو بن الحسين : وكم كانت دهشتي عظيمة حينما وجه الي الرمضاني نظرات فاحصة ساخرة فيها قسط مهم من الاشفاق والرثاء .

قال عمرو : فلم املك اعصابي ان سألته : لماذا هذه النظرات الساخرة التي تشفعها بابتسامتك الساخرة ايضا ؟ وكان للرمضاني ابتسامة ساخرة لا تتحملها حتى الاعصاب الهادئة .

قال عمرو : وبعد هنيهة اجابني الرمضاني بقوله :

اذا كنت انا وانت في مستوى من يحق لهم اصلاح ما بين الزعيم علال الفاسي والوزاني فلماذا لا نحل محلهما ونتزعم هذه الحركة السياسية في عموم المغرب ؟

قال لي عمرو : وعلى الرغم من انني تألمت بنظراته وجوابه فقد شعرت كانني كنت في اغماءة عميقة فاستفقت منها مذعورا على صوت مدو .

وبهذه المناسبة اذكر هنا ان عمرو المذكور كان يتأثر جدا باحاديث الرمضاني وعلى الاصح بافكاره بقطع النظر عن انها قومية او حزبية .

ولقد قلت للسيد عمرو ذات يوم في ذلك العهد ، عهد سنتي 1936 ــ 1937 ان السيد الرمضاني قومي فاي دافع لك على مواصلة الاتصال به بهذه الكيفية التي تشكك على الاقل الحزبين في اتجاهك ؟

فاجابني ــ واعتقد انه عن حسن نية ــ انه يامل ان يصرف الرمضاني عن اتجاهه «القومي» وزاد قائلا : ليس من صالحنا ان نفصل مثل الرمضاني عن الحزب الوطني . ولكنني سألته : فهل تظن الرمضاني يعتقد في قرارة نفسه انك ابعد نظرا منه ؟ فقال : لا . فقلت اذن : انك لن تنجح في صرفه عن اتجاهه القومي .

ومع ذلك كان السيد عمرو يواصل الاتصال به واستمر ذلك زمنا طويلا .

ولم يكن نشاط السيد الرمضاني لفائدة الحركة القومية ليخفي على ذلك العبقري النابغة السيد عبد السلام الوزاني ممثل الحزب الوطني بوجدة ومدير مدرستها القرآنية . وذلك على الرغم من ان السيد الرمضاني كان يتصل به وبجميع الحزبيين .

وقد رأى السيد عبد السلام الوزاني في خطة السيد الرمضاني ما يمس بنفوذ الحزب الوطني ، فلو ان الرمضاني انفصل علانية عن الحزب الـى الحركة القومية لكانت محاربته سهلة . ولكن بقاءه بصفة رسمية في الحزب الوطني وفي الباطن يعمل لصالح الحركة القومية يضر بنفوذ الحزب لا محالة خصوصا وان السيد احمد الرمضاني كان لا يجاهر امام اي احد «بقوميته» بل يسر بها الى بعض من يتخيل أو يظن أنه يتأثر بالافكار القومية :
وكانت أهم نقطة يركز عليها دعوته السرية الى القومية : ان الوزانـي رجـل مثقـف ثقافـة فرنسيـة . وهـذه الثقافـة الفرنسيـة تسهـل لـه الطريق للاتصال بالفرنسيين واقناعهم بضرورة التنازل عما يطالب به المغرب اذ ذاك من حقوق مشروعة .
اذ ان للغة اثرها الفعال في ربط صلات الوصل مع أهلها ، وعلى العكس من ذلك بالنسبة للسيد علال الفاسي الذي هو «مجرد عالم من القرويين» لا يعرف اللغة الفرنسية ولا درس «السياسة» كما درسها السيد الوزاني .
والفرنسيون يعتبرون حركة السيد علال حركة سلالية وحركة تعصب ديني ، وان السيد علال يسعى لاضرام حرب صليبية في المغرب الاقصى قد تتعداها الى الجزائر وتونس .
هكذا كان السيد الرمضاني يقوم سرا بالدعوة الى الحركة القومية .
اذكر جيدا ـ ولكن بدون تحديد التاريخ بالضبط ـ وانما كان ذلك بين سنتي 1936 و 1937 انني التقيت بالسيد الرمضاني ذات مساء في وجدة ، وهو جالس على مقعد عمومي .
وبعد التحية والسؤال التقليدي عن الاحوال انتـهـز هذه الفرصـة ليثير معي «مقارنة» بين الزعيم علال الفاسي والسيد الوزاني وقال لي : ان سياسة علال الفاسي سوف لا تجر على المغرب الا الوانا من المحن والالام لانها سياسة تنبني على «تعصب ديني» وان «حركات التعصب الديني» قد فات وقتها في عهد القرون الوسطى . وزاد على ذلك قوله : ان الزعيم السيد محمد بن الحسن الوزاني شخصية ذات ثقافة فرنسية وقد حصل على شهادة الليسانس في العلوم السياسية ، وله خبرة لا بالمجتمع الفرنسي فحسب ولكن بالمجتمعات الاوربية على العموم ، وان هذه الخبرة تساعده على قيادة الشعب الى النهاية المحمودة .
وعلى عادة السيد الرمضاني في اشعار مخاطبه دائما بانه يتحدث دون تعصب لجهة من الجهات وانما همه ان يصل الى الحقيقة وان يقول الحق وذلك حتى لا يثير اعصاب مخاطبه فلا يستمع الى احاديثه كلها ـ قلت : وعلى عادته هذه ـ قال : ومع هذا : فاني اعتبر السيد علال الفاسي من خيرة ما انجبته القرويين وانه في ذكائه ومعارفه وسلوكه وعراقة نسبه في العلم والتقوى بالمكان الذي لا يجاريه فيه الزعيم محمد بن الحسن الوزاني ،

ولكن يا اخي ـ يقول الرمضاني ، ان هناك فرقا بين هذه الفضائل التي يتحلى بها السيد علال الفاسي ، وبين الشروط التي تنبغي ان تتوفر عليها قيادة الشعوب الى موانيء التحرر والنجاة .

وها انت ترى ايها المطالع هذا الاسلوب الداعائي الاخاذ الذي كان يستعمله السيد الرمضاني ، وقد يكون اقوى اثر اذا ما اعتبرنا مخاطبه «بفتح الطاء» من الاميين او اشباه الاميين . وخصوصا وانه يستعمل مصطلحات سياسة ضخمة الالفاظ والمعاني . ويحاول ما امكنه من حين لاخر ان يغرب في تعابيره ويلف ويدور حتى يشعر مخاطبه بان الرجل في مستوى عال من الثقافة الوطنية والسياسية ، ولتغطية «لحنه» يبادر مخاطبه من مرة لاخرى بقول «انا حينما اتحدث عن وطني لا يهمني ان اراعي القواعد النحوية ، فالعبرة بالمعاني لا بالالفاظ والقواعد النحوية .

ويستعمل هذا الاستدراك ـ بطبيعة الحال ـ حينما يكون مخاطبه ذا خبرة بقواعد النحو .

ولا يحسبن القارىء انني ارسم صورة خيالية للسيد الرمضاني ، فما على القاريء الكريم الا أن يتحدث مع معارف السيد الرمضاني ، وهم كثيرون ليؤكدوا له ما وصفته به في هذا الكتاب . نعم، قلت قبل هذا ، ان السيد عبد السلام الوزاني قد تفطن للخطر الذي ينتج عن بقاء السيد الرمضاني ظاهرا في الحزب الوطني ، وفي الباطن يعمل لفائدة الحركة القومية .

ولذلك تقررت خطة سرية لاقصائه بكيفية «عادلة» .

والطريقة التي استعملت لطرده : انه اوعز اليه ان ينخرط في الحزب الاشتراكي الفرنسي ليكون عينا للحزب الوطني داخل الحزب الاشتراكي اذ أن الحزب الوطني محتاج الى من يقوم بهذه المهمة وليس لها غيره لما «يتوفر عليه من الذكاء والجلد واخفاء نواياه» .

وقد قبل السيد الرمضاني القيام بهذه المهمة فانخرط فعلا في الحزب الاشتراكي الفرنسي وادلى بورقة الانخراط الى السيد عبد السلام الوزاني .

واثر ذلك اخبر السيد الوزاني صاحبه الرمضاني بان الحزب الوطني قرر اعفاءه من عضويته نظرا الى انه يمنع في قانون الحزب الوطني الداخلي الانخراط في اي حزب آخر ، وعلى الرغم من ان السيد الرمضاني فطن باللعبة ولكن بعد فوات الاوان ، فانه وجد نفسه امام الامر الواقع .

ومع ذلك لم يعر اهتماما للقرار الصادر في شأن اقصائه من عضوية الحزب الوطني فواصل نشاطه على الكيفية المشار اليها قبلا ، واستطاع أن

يواصل اتصاله بالسيد عبد السلام الوزاني ويضبط اعصابه امام تهرب السيد عبد السلام منه ، وفي حوادث اكتوبر 1937 التي أقصى فيها زعيم الحزب الوطني الى الكابون كما نفي السيد ابن الحسن الوزاني .كان السيد الرمضاني من ابرز الخطباء في مظاهرات وجدة وحكم عليه بسنتين سجنا ثم حكم على شقيقه السيد عبد القادر بسنتين سجنا ايضا .

ولنودع السيد الرمضاني هنا ريثما نرجع الى الاشارة اليه في حوادث 1944 . لنرجع الى الحديث عن السيد عمرو بن الحسين الوكوتي مدير المدرسة القرآنية بابركان .

ففي الايام القريبة من حوادث اكتوبر 1937 . سافر السيد عمرو المذكور الى فاس للاتصال بقادة الحركة الوطنية ، وكانت الكتلة ـ بطبيعة الحال ـ قد حلت وانشقت فتأسس حزبان : الحزب الوطني بزعامة ورئاسة السيد علال الفاسي ـ والحركة القومية بزعامة ورئاسة السيد محمد بن الحسن الوزاني

وروي لي السيد عمرو المذكور انه ـ عن حسن نية ـ اتصل برئيسي الحزبين معا . وذلك قبل اعتقالهما بقليل في فاس .

ولما اضطربت مدينة فاس بالمظاهرات الصاخبة احتجاجا على اعتقال الزعماء اضطررت ـ يقول السيد عمرو الى الرجوع الى ابركان .

وبينما كنت ـ يقول السيد عمرو ـ منتظرا موعد تحرك «الساتيام» وخروجها من فاس في اتجاه وجدة ، اذا بالشرطة تفاجئني وتلقي علي القبض ثم احاكم لدى الباشا فيحكم علي بستة اشهر سجنا ، وسأتحدث عن كيفية حياته اثناءها فيما بعد .

غير انني اذكر هنا انني في شهر نونبر من نفس السنة استدعيت الى وزارة العدل بقصد امتحاني ثم تعييني عدلا بمحكمة تافوغالت الشرعية .

وبينما كنت صباح يوم في فاس ذاهبا الى المدينة الجديـدة «دار الدبيبغ» لاواصل سفري الى الرباط مارا على «جنان السبيل» اذ شاهدت فجأة السيد عمرو المذكور وهو مسلوك في سلسلة مع احد الوطنيين في اتجاه الى المحكمة الباشوية ، وقد رآني هو كذلك وأومأ الى بالتحيـة والانصراف عاجلا حتى لا اعتقل .

وقبل ان تنساب العبرات من عينيه بلقائي لم استطع ان املك نفسي واعصابي فتنحيت جانبا اتبعه بنظراتي والدموع تنهمر من عيني انهمارا ، بل انني اخذت انتحب واشهق كما تنتحب التي ثكلت فقيدها الوحيد .

فلقد تفاعلت في نفسي عواطف القرابة وعواطف الوطنية المشتركة فانهار جسمي لهذا المشهد المؤلم ، مشهد ابن خالتي ورفيقي في الدراسة بمعهد

وجدة وسيدي موسى ببني منقوش واخي في الحزبية ، مشهده وهو مسلوك في سلسلة مسوق الى المحاكمة فظلمات السجن وقسواتها «والجنرال نوجيس» على رأس الاقامة العامة بالمغرب ، ولقد لعنت نفسي ولعنت تلك اللحظة التي قبلت فيها ان التحق بهذه «الخطة» البسيطة ، ولم اغامر في سبيل القضية الوطنية المغربية بروحي كما غامر الوطنيون على العموم وابن خالتي على الخصوص .

ولكن كان الا وان لا يساعدني على استدراك ما فات فلجات الى البكاء غير اني سليت نفسي بان الجهاد لا يزال طويلا فعاهدت الله على المغامرة بروحي في الفرصة المقبلة ، وكذلك وفيت بعهدي كما سيأتي القول عن ذلك مفصلا ان شاء الله .

في ابـــركـــان

اما في ابركان، فلم يكد يصل نبأ اعتقال السيد عمرو بن الحسن الوكوتي حتى اضطربت الاوساط الوطنية على الخصوص وتناقل العموم الخبر ، وتنوعت التعاليق والاراء حول اعتقاله وتناول الخاص والعام القضية المغربية باكملها فاخذ كل يعلق بما يلائم مواهبه وفكره وذوقه .

فانصار الحركة الوطنية ، ثم المومنون بصفة عامة اخذوا يعبرون عن انفسهم وآلامهم لاعتقال الوطنيين بصفة عامة وما سيلاقونه من عناء وعذاب وبصفة خاصة لاعتقال الزعيم علال الفاسي الشاب العالم الذي وهب نفسه لامته ودينه وملكه وزهد في رفاهية عائلته وخصوصا ان والده سيدي عبد الواحد الفاسي كان قاضيا ، وياما اعظم شأن مقام القضاة في ذلك العهد .

ولاجل اعتقال السيد عمرو بن الحسين الشاب الذي فارق والديه واخوته وزوجه ابنة خالته في الايام القريبة من زواجه بها ، ولا مال له ترجع اليه عائلته الفقيرة .

اما «ذئاب القمر» أي ضعفاء الايمان وقصيرو النظر ، فقد استغلوا هذه الفرصة ليندووا «بطيش» قادة الحركة الوطنية وبغرور السيد عمرو بن الحسين الذي أدى به الى عذاب السجون ولم تكن تعاليقهم تتجاوز هذه التساؤلات الساخرة .

فهل يستطيع امثال السيد عمرو بن الحسين الوكوتي الشاب الفقير ان يعاند فرنسا ذات القوة التي يرهبها العالم .

وهل فرنسا تخاف من امثاله ؟ ان كلمة واحدة من ابسط المراقبين تقذف به الى ظلمات السجون ان لم تقذف به الى القبر ؟

وهل يعقل ان فرنسا بعد ان تركزت في المغرب واستولت على خيراته وادارته وشيدت المنازل والقصور والعمارات وبنت المدارس لاولادها ، يمكن ان تفارق المغرب وتسلمه الى هؤلاء الوطنيين الضعاف الا ما يقولون عن اعتمادهم على قوة الايمان ؟ فالايمان لا يكفي لمحاربة فرنسا .

ثم يحرفون كلام الله فيقولون : ان مضادة فرنسا معناها القاء الانسان بنفسه الى التهلكة ، والله يقول : «ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة» .

ثم يقولون : يا سيدي «بابور المغاربة ما يسافر» نحن المسلمين قد شتت الله شملنا نهائيا ولا تقوم لنا قائمة الا اذا اراد ذلك «رجال البلد»

ويزيدون على ذلك قولهم : مالنا ولمحاربة فرنسا ، وقد كنا نعيش في فوضى الحروب القبلية ودخلت فرنسا بلادنا باذن «رجال البلاد» الاموات طبعا ، فبنت الطرقات ومدت السكك الحديدية والاسلاك التليغرافية الى آخر المرافق التي قامت فرنسا بانشائها بالمغرب ، لا . لا يا سيدي نحن نعيش ونفوض امرنا الى الله ولا ندخل في هذا الفضول البعيد علينا .

ويقول الاخرون من نوع هذا البشر الذي لا يخلو منه شعب ولا قبيل : يا سيدي كنا هنا في بني يزناسن في راحة شاملة . ولكن هؤلاء الشواطريين الوكوتيين الشياطين لم يقنعوا بما هم فيه من خيرات التجارة التي استولوا عليها حتى في الاسواق بقياطينهم .

لم يقنعوا بهذه الخيرات ، حتى اخذوا يجلبون الينا هذه المصائب التي يدعونها الوطنية ..

ويقول الاخرون : يا سيدي ، ان هؤلاء الشواطرية فضوليون فهم يراقبون كل شيء ويتدخلون في كل شيء ، اذا كان هناك عرس فالشواطرية حاضرون ! واذا كانت هناك جنازة فالشواطرية حاضرون ! وفي المحكمة الشرعية وفي محكمة القائد المنصوري لا يخلو منهم احد فيتوسطون في كل شيء حتى ولو انك لم تطالب وساطتهم ! بل انهم على خبرة حتى مما يقع للانسان مع زوجه واولاده من شجار وافراح خاصة !

العجب : يا سيدي ، اعجب هؤلاء الشواطريون ؟ حتى القائد الهبيل الذي هو ليس بقائدهم اخذوا «يخوضون عليه ويكتبون في شأنه الى «الجورنالات» .
واخيرا يا سيدي كان «هم» الوطنيين او العصريين بعيدا علـيـنا في فاس فقاموا يأتون الينا ليعدونا بهمه !

و «عقلوا» بتشديد العين ، ان هؤلاء الشواطرية لا بد ان «يجروا علينا واحد» المصيبة كبيرة وخصوصا الحسن شاطر واخاه الحاج احمد، فهذان والعياذ بالله «يطيران » مع المصائب» كالشياطين .

ويقول الاخر : ليس الامر الى هذا الحد فقط ، فلقد سمعنا ان القائد المنصوري تأتيه صحف من الشرق وحده ويسلمها الى الحسن شاطر وهذا يقرؤها على الناس ، او ينقل اخبارها اليهم ، الحاصل ان هؤلاء الشواطرية «جنون» والسلام ، الله ورجال البلاد يطهر منهم البلاد بجاه مولاي عبد القادر الجيلاني .

ارأيتم ، ان الحسن شاطر لم يقنع ببيع الصحف «الوطنية» فصار يبيع حتى الصحف الجزائرية والتونسية والمغربية !

هكذا كانوا يقولون ، وقد سجلت هنا اقل ما كانوا يقولون لاعطاء صور مصغرة عن عهود بدء الوعي الوطني في بني يزناسن على الخصوص . والى جانب هذا : كانت هناك طائفة مومنة بوطنها تعلق على هذه الحوادث تعاليق المومنين الواعين .

تدابير المراقبة المحلية عقب احداث اكتوبر 1937

والى هذا التاريخ كان «كوستي» الاشتراكي لا يزال على رأس دائرة أبركان .

وكما اسلفت القول عن هذا الاشتراكي فانه كان عميق التفكير ، بعيد النظر ، فلم يغتر بما كان ينفثه اولئك البسطاء من الاحاديث الفارغة التي تقلل من شان الحركة الوطنية .

كما كان لا يخفى عليه ما تهدف اليه الحركة ، وما كان لينسى انه في أخطر منطقة مغربية .

فهو لا يجهل ايضا نفسية بني يزناسن ، ولم ينس أبدا ما كان منهم من تحمس لمشروع اعلان استقلال المنطقة الشمالية في اوائل نشوء الحرب الاهلية الاسبانية .

ولا سيما والحرب الاهلية الاسبانية لا تزال ملتهبة في ارجاء القطر الاسباني ، وهو يعرف سلفا أن قيام ثورة في المغرب لا تحتاج في اول أمرها الى اجماع المغاربة واجماع كلمتهم ، ويكفي أن تخرج أول رصاصة بدائية ليلتئم صدع الشعب رغبة او رهبة . وهو يعرف أن أنصار الوجود الفرنسي لا يغنون عنه فتيلا اذا ما شبت ثورة تحررية في البلاد . وهو يعرف ما كان لبني يزناسن من كفاح مستميت سواء في عهد الحاج عبد القادر الجزائري ام في عهد الاحتلال الفرنسي الاخير .

لا شك ان المراقب الاشتراكي استعاد كل هذا وفكر في كل هذا ، وأكثر من هذا، لذلك جمع أعوانه من الفرنسيين وعقد معهم اجتماعات متوالية تدارسوا خلالها قواعد الموقف الذي يجب اتخاذه على ضوء الاحداث ، وفي مناخ بني يزناسن .

وأخيرا وقع الاختيار على قرار يتلخص « في عملية تهـدئة سلمية » فاستدعي اشتراكينا القائد الحاج محمد المنصوري وسأله رايه فيما يجب اتخاذه لمواجهة هذه الظروف .

فاجاب بانه يرى من المصلحة والمحافظة على الهدوء والامن ان لا يقع اي اعتقال في بني يزناسن وان يكتفي باستدعاء عدة شخصيات الى منزل القائد المنصوري حيث يهيأ هناك طعام الغداء ، وتحذر تلك الشخصيات في لطف ولباقة من القيام باي شيء يخل بالامن وتتعهد المراقبة بعدم اعتقال أي أحد .

فصادف هذا الجواب من المراقب الاشتراكي ما كان قرره تقريبا الا فيما يخص الشكليات فقد كان قرر استدعاءهم الى المراقبة ، ولكن تطوع القائد لتهيئة طعام الغداء لفائدة نجاح قرار التهدئة .

اذ ان جو الغداء وتبادل التحيات والسؤال عن الاحوال مما يمهد الطريقة الى نجاح القرار .

وعلى هذا الاتفاق تم عقد اجتماع في منزل القائد المنصوري بضيعته الموجودة في الناحية المسماة : الحمري حيث توجد مساكن اولاد بوخريص من بني وريمش ، بني عمومة القائد المنصوري .

وبهذا الاجتماع المنعقد في منزل المنصوري الذي تم فيه الاتفاق على « التصالح » أو عقد هدنة في واقع الامر ، انقطعت الشائعات التي كانت ذائعة باعتقال أنصار الحزب الوطني وخصوصا الشواطرية وعلى الاخص السيـد الحسن شاطر الذي مثل بركان في مؤتمر اكتوبر 1937 . والذي وقعت الحوادث اثره بنفي الزعيمين : علالّ والوزانّي .

واذا كان المراقب الاشتراكي قد عد هذا انتصارا لسياسة اللين التي كانت طابع رئاسته لدائرة ابركان فان المعمرين والمعادين للحركة الوطنية عدوا هذا التصالح ضعفا من المراقبة الفرنسية . اذ ما كان ينبغي في نظرهم ان تفوت المراقبة هذه الفرصة دون ان تنكل شر تنكيل بكل من كان له اي اتصال بالحركة الوطنية .

ولكنهم ازاء ما كان للمراقب الاشتراكي من تصلب لهذا « التصالح » وما له من نفوذ في الاقامة العامة لم ينكث ذلك « التصالح » فوفى كل بما تعهد به . ؟!

اذ ان انصار الحركة الوطنية رأوا في ذلك « التصالح » ايضا انتصارا لهم ، فهم قد ادوا واجبهم من حيث الدعوة الوطنية ونشرها حسب المستطاع فاية فائدة في ان يعتقلوا ؟

غير ان الحركة الوطنية ـ مع كامل الاسف ـ لم تستطع ان تقيم خلفا لمدير المدرسة المعتقل في فاس .

فان المدرسة اقفلت من ذلك العهد واسترجع صاحب الملك محله بدعوى أن المكتري وهو المدير المعتقل اصبح في غير امكانه أن يشغل المحل ، وانه لا يستطيع ان يكريه لاي احد خوفا على نفسه من مضايقة المراقبة .
وهذا زيادة على أن صاحب المحل اسرائيلي ليس مستعدا لمقاومة اي عنف أو ضغط ؟!

فصل السيد محمد بنعيسى الصلاني عن عمله في المستشفى المحلي

وكما سبق القول ، فان السيد محمد بن بنعيسى الصلاني الشهير بـ « لفرملي » كان من أعضاء لجنة المدرسة القرآنية ، ومن الذين استقبلوا الزعيم علال الفاسي وصحبه تاريخ زيارتهم لابركان التي تحدثت عنها فيما سبق .

ولقد بقي السيد محمد بن بنعيسى مخلصا لوطنيته وللعمل في المدرسة الى أن شبت حوادث اكتوبر 1937 (والى النهاية) .

وكان بطبيعة عمله في المستشفى المحلي ـ يقدم كل المساعدات الطبية لتلاميذ المدرسة القرآنية جزاه الله عن ذلك خيرا .

ولقد كانت المراقبة تتغاضى عن اعماله تلك ولا تصادمه باي شيء يتعلق بتلك المساعدة .

وقد ساعد على اداء رسالته نحو المدرسة القرآنية وجود طبيب فرنسي على رأس ادارة المستشفى اشتهر بعقله وانسانيته «فكان يدافع عنه لدى المراقبة الفرنسية التي كانت تقدره تقديرا خاصا ، ولا سيما اذا اضفنا الى « عقله وانسانيته » ما كان مشتهرا به من التعبد ، ويدعى هذا الطبيب الدكتور هود .

غير أن حوادث 1937 لم تمهل السيد محمد بنعيسى المذكور فعمدت المراقبة الى فصله عن عمله وكان رب عائلة كبرى تقارب العشرين عضوا ، فذاق من الوان الشقاء الشيء الكثير ، الى ان من الله عليه بفتح متجر ليعيل به عائلته ولا يزال في ذلك المتجر بشارع زكزل ولقد اطال الله حياته الى أن استقل المغرب ، ولكنه لم يفكر احد في تحسين حاله الى الآن فهنيئا له بجهاده وصبره على الحرمان .

اطلاق سراح السيد عمرو بن الحسين الوكوتي

وبعد ان أتم السيد عمرو مدة سجنه : ستة اشهر من نفامبر 1937 ، الى متم مارس او قريب منه من سنة 1938 رجع الى وطنه ابركان .

وبطبيعة الحال فقد زرته عقب وصوله في منزله ببني منقوش وفي المحل الذي يدعى بالشلحة : ايفري عدي « بكسر الالف وسكون الفاء من ايفري ، وفتح العين المهملة وتشديد الدال المهملة من « عدي » .

ومعناه بالعربية : غار عدي ، وعدي هذا علم على شخص .

وتدعى فرقة السيد عمرو بـ : ايحييون «بكسر الالف وفتح الياء المثناة والحاء المهملة المسكنة وكسر الياء المثناة تحت وفتح الواو ، وسكون النون .

واثنــاء هذه الزيارة التي بت فيها عنده بمنزله المذكور روى لي قصة حياته في السجن طول ستة اشهر .

وتتلخص القصة ، كما يلي فيما اذكر .

« قال السيد عمرو : لقد وقع اعتقالي في الملاح بفاس ازاء مكتب سيارة النقل « الساتيام » التي كنت حجزت فيها مقعدا الى وجدة ، اعتقلت والسيارة على أهبة الخروج من فاس الى وجدة حيث تقدم الي شرطيان سريان وطلبا منــي اوراق التعريف اولا ، ثم ساقاني الى مكتب الشرطة وبعد الاستنطاق نقلت الى سجن عين قادوس المدني ، ثم أحلت على المحكمة الباشوية ، كان الباشا في ذلــك العهد ، السيد محمد فتحا التازي ، حيث حكم علي بستة أشهر سجنا ثم ضموني الى المعتقلين الوطنيين الفاسيين .

وبعد بضعــة أيام نقلت الى « قرية كلميمة » مع سبعين من الوطنيين الفاسيين ومن جملة هؤلاء الوطنيين : العلماء السادة : الهاشمي الفيلالي ، رشيد الدرقاوي ، الشهيد محمد القري ، بوشتى الجامعي . وقد وضعونا في بناية عسكرية ، وقضينا هناك شهرين .

أما كيف قضيناها ، فقد كنا نخرج من البناية العسكرية في أوائل وقت صلاة الصبح ، وعندما نخرج يكون « رجال الكوم » مصطفين صفين متقابلين فنمر بين هذين الصفين والعصى تنهال علينا من كل واحد ، الى أن نصل الى محل العمل ، ومنذ وصولنا الى محل العمل ، والعصى تنهال علينا الى أن يخيم ظلام الليل . والعمــل الذي كنا نقوم به هو تنقية الارض من الحجر ثم جمعه ثم نقله الى الجهات المعينة لنا ، واثناء كل هذه العمليات لا تفتر العصى عن الانهيال علينا أي على جميع أجسادنا بحيث حينما يهوى « الكومي » بعصاه لا يفرق بين جزء من أجسادنا وبين الآخر ، ويهوى بعصاه بمدى ما يتوفر عليه من قوة ، واذا ما نال العياء « كوميا » عوض بآخر ، حتى لا يقع فتور في الضرب المتصل ، كل ذلك مرفوقا بانواع شتى من السباب والشتائم التي يحويها قاموس الشتم والسفه ، ومن حين لآخر يسقط أحد الاخــوان معفرا بدمائه ، وفي هذا الظرف يتعاون رجال الكوم على تسليط عصيهم عليه حينا من الوقت ـ أي حتى يغمى عليه ـ ثم يومر بعضنا بايقافه ومساعدته على الوقوف والعمل والعصي تنهال على الجميع من رجال الكوم .

ومن حين لآخر ، ياتي « ضابط فرنسي » يسال رجال الكوم : كم من كلاب ماتــوا هذا اليوم ؟ فاذا اجيب بان لا أحد ، ياخذ في سب رجال الكوم ويقول : أنا لا اريد أن يرجع أحد من هؤلاء الكلاب الى منزله . اقتلوا الجميع.

وفي مثل هذه الاوقات ـ يقول السيد عمرو ـ تنهال علينا العصي بكيفية لا يستطيع الانسان ان يتصور أن أحدا سيبقى حيا هذا اليوم .

حتى اذا كانت دماؤنا تجري من ورائنا قيل لنا : هلموا الى الوادي لتشربوا : ومن محل العمل الى الوادي لا ينقطع انهيال العصى علينا .

ولما نصل الى الوادي نؤمر بالدخول فيه ودماؤنا تقطر من كل جهة من اجسادنا ، ومن مرة لاخرى تسمع أحد الوطنيين يصيح : آه ان عيني قد ذهبت ، وآخر يصيح : أه ان رجلي قد تكسرت ، أه وداعا أيتها الام ، وداعا أيتها الزوجة ، وازاء هذا يصيح البعض : في سبيل الله والوطن .

وفي هذه الحالة يتضاعف انهيال العصى علينا بصفة استثنائية .

وفي المساء حينما ندخل الى البناية والضرب ينهال علينا ويوزع علينا قسط ضئيل من الخبز والروز لنقوم بطهيه نجد اجسادنا كلها منتفخة وتسمع الانين من كل جهة .

قال : وفي ذات يوم افتقدنا في « ميدان » العمل الفقيه القري بعدما كان يخرج الى العمل متكئا على الاخوان وتنهال عليه وعليهم العصى طول النهار . وحينما افتقدناه استطعنا ان نطلع على أنه ذات مساء فقد كل قواه ورمي به الى بيت كانت مليئة بالجير وهو مثخن بالجروح البليغة والدماء تنزف من جسده كله وانه استشهد عليه رحمه الله .

قال : وكانت ليالي رهيبة حزينة قضيناها بعد استشهاده رضي الله عنه .

قال : وذات يوم جيء بطبيب لفحصنا ! اي بعد شهرين من التعذيب الذي اشرت اليه باختصار .

وكم كانت دهشة الطبيب بمشاهد اجساد بشرية لم يخطيء السوط جزءا منها ولا ترك جهة على طبيعتها ، ووجوه متشققة متجعدة ودماء مزجت الاجسام البشرية بما تبقى عليها من ثياب ممزقة ، واصوات تنبعث من حناجر خافتة ضعيفة كانها في النزع الاخير .

اندهش الطبيب لهذه المشاهد الاليمة الحزينة التي ستبقى لطخة في وجه تاريخ فرنسا بالمغرب الى نهاية الحياة ، واكبر خزي في تاريخ نوجيس الذي لا يزال « يزور » المغرب لتفقد امتيازاته في عهد الاستقلال ! وستبقى مقرونة باسم الجنرال نوجيس الذي كان على رأس الاقامة العامة في ذلك العهد ، عهد اعتقال الزعماء وقادة الحركة التحررية في المغرب في اكتوبر سنة 1937 .

وقد قرر الطبيب على الرغم من فرنسيته واستعماريته « أنه لا داعي لمعالجة هؤلاء البؤساء اذا كان في النيـة القضاء عليهم بالعصي اثناء القيام بالاعمال الشاقة .

وزاد قائلا : فاما أن يقتل هؤلاء البؤساء عاجلا ، واما أنينقلوا الى سجن مدني عاجلا ، أما أن أعالجهم لتعودوا الى تعذيبهم فلا فائدة في علاجهم.
فامتنع من علاجهم الا على هذا الاساس ، رغم عناد الكومندار «عيار»(1) الذي كان يشرف على هذا التعذيب ، ولذلك لم تمض بضعة أيام حتى نقلوا الى سجن اغبيلة بالدار البيضاء

أجل هذه هي أهم عناصر المأساة التي عاشها اخواننا الوطنيون اذ ذاك فوق تراب قرية كلميمة ، وقد استعادت ذاكرتي فصولها منذ أن رويتها عن السيد عمرو في أوائل سنة 1938 م، وبقيت ماثلة أمام عيني الى هذا التاريخ الذي أحرر فيه هذا الكتاب المتواضع 1964 م.

ورأيت من الواجب أن أرسم لها صورة مصغرة لتبقى عبرة المعتبرين من الاجيال الصاعدة .

وما هي الا احدى صور المآسي التي يشق على وفرة من المؤرخين احصاؤها لتعلم الاجيال التي تتمتع الان وفي المستقبل بوضعية استقلال المغرب ، ان كم قاسى الاحرار من ويلات وعذاب في سبيل ارجاع الاستقلال في عهد الاستعمار الفرنسي الذي دام قرابة نصف قرن بالمغرب .
قلت : لتعلم الاجيال ذلك لعلها تفيء الى رشدها فتنظر نظرة جدية الى حالة هذا المغرب البئيس التي أبت الاقدار الا أن تحاول ارجاعه الى بعض الايدي التي سبق لمثلها أن عبثت بمقدساته غادى ذلك الى تلك المآسي التي استشهد خلالها آلاف الشباب والكهول والشيوخ والنساء والاطفال اما تحت سوط العذاب ، واما برصاص الغاشمين وانتزعت خيراته وسلمت الى حثالات لتشيد عليها القصور والعمائر ويعيش كل واحد منها عيشة الرفاهية التي تقف الاقلام دون وصف انواعها .

ثم ان السيد عمرو بن الحسين الوكوتي بعد استراحته بضعة شهور في منزله أخذ يفكر في احتراف مهنة لاعالة عائلته .

ولما أعياه التفكير عاوده الحنين للرحلة الى القطر الجزائري لمزاولة مهنة التعليم هناك .

وخصوصا انه ـ بطبيعة قضائه بضع سنوات في الجزائر ـ أثرت أجواءها على نفسيته وعقليته فتكيف الى حد بعيد بتقاليد وعادات حياة القطر الجزائري .

ففي لهجته ولباسه ، وفي احاديثه ، يلمس الانسان بكيفية محسوسة آثار تلك التقاليد والعادات التي هي بعيدة الشبه بتقاليد الحياة في المغرب

---

1) عيار : بفتح العين أو كسرها رشد الياء رئيس المقاطعة بمكناس.

وعندما ذاع عزمه على الرحلة الى الجزائر استدعته المراقبة المحلية وكان «كوستي» لا يزال على رأس المراقبة بابركان .

وقد أبلغه أنه يمانع في سفره الى الجزائر ولما علل له السيد عمرو سفره الى الجزائر تأثر «كوستي» وقال له يمكنني أن ـ اذن لك بفتح دكان في الركادة، وبذلك يمكن لك أن تعمل كتاجر لاعالة عائلتك. فاعتذر السيد عمرو عن ذلك بعدم وجود رأس مال هذه التجارة ، فتطوع «كوستي» بمساعدته.

وازاء هذه المحاولات قبل السيد عمرو فتح دكان في الركادة فاصبح بعدئذ من تجار البادية .

والظاهر ان هذه المحاولات من «كوستي» كانت تهدف الى ان يكون مقر السيد عمرو تحت رقابة المعمر : مورلو الذي كان معروفا اذ ذاك بعدائه المتطرف للحركة الوطنية ، فتسهل عليه مراقبته لابلاغ المراقبة حركاته وسكناته .

لان الدكان الذي سلم للسيد عمرو في الركادة ، كان في ملك المعمر : مورلو المذكور وقريبا من منزله وضعيته بالركادة «8» كيلو مترات شرق ابركان » .

وفي هذا العهد كانت الحرب العالمية الثانية تلوح بمناديلها الحمر ، وكان معتقلو اكتوبر 1937 لا يزالون في المعتقلات وانقطعت كل صلة بين بني يزناسن وبين قادة الحركة الوطنية، أي قادة الحزب الوطني ، غير ما كنا نقرؤه في فترات متقطعة من الصحف الوطنية التي كان يصدرها اخواننا بتطوان «الريف» «والوحدة المغربية» .

وعلى الرغم من ان هاتين الجريدتين كانتا ممنوعتي الرواج بالجنوب، فقد كنا نحصل عليهما بطريق سري من حين لآخر، ولا سيما «الوحدة المغربية».

ذيول الحرب العالمية الثانية في بني يزناسن

في تاريخ 1939 هجمت المانيا الهتليرية ، او النازية على فرنسا .

وقبل ان تستسلم فرنسا لالمانيا النازية كانت الانتصارات النازية الخاطفة على طائفة من الدول الصغرى في اوربا تعمل عملها في الدول الرأسمالية الاستعمارية !

وحينما انهزمت فرنسا ازاء الغزو النازي قابل بنو يزناسن هذا الانهزام بكل تشف وارتياح .

ولم يكن ذلك تشفيا عنصريا ضد فرنسا ذا تالحضارة العريقة ، ولكنه كان ضد فرنسا الاستعمارية التي غصبت المغرب الاقصى لا لاجل شيء ، الا لان المغرب كان ضعيفا ماديا فلم يستطع الوقوف في وجه الغزو الفرنسي ، وان استمر في مقاومته له حتى سنة 1934 .

ومن جهة اخرى ، فان اذاعة برلين ـ واحاديث «يونس‌بحري» بالدعاية المنازية التي كانت تزعم ان اشهار الحرب كان مقصودا منه تحرير الشعوب المستضعفة ليس الا ، كان لهذه الدعايات اثرها العميق في نفوس بنـــي يزناسن ، فلقد كانوا ينتظرون من حين لاخر ان تطرد المانيـا فرنسا مـن المغـــرب .

ولقد تحققت الادارة الفرنسية من هذه الحقيقة في بني يزناسن اذ آن مخبريها كانوا ينقلون اليها كل شاذة وفاذة عما يروج من التعاليق في أوساط بني يزناسن ، وقد لمست بأيديها ذلك عندما اشيع في يوم ثلاثـاء بان اسبانيا ستحتل منطقة النفوذ الفرنسي في المغرب ، حتى ان رئيـس مراقبة ابركان اذ ذاك ـ وكان يدعى : «سيروك» ابلغ حاشيته وخصوصـا ترجمانه المدني السيد الغوثي الرحالي : انه في نفس هذا اليوم الثلاثـاء اي في ليلة الاربعاء الموالي ستحتل اسبانيا المغرب الشرقي ، فالوحـــــدات الاسبانية على أهبة لذلك في انتظار الامر النهائي ، وفعلا فرت معظم العائلات من مدينة ابركان الى الجبال خوفا من تصرفات الجيش الاسباني المرفوق بالجيش الالماني الذي يتدرب في اسبانيا .

وما زلت اذكر ان منزل والدي كان على بعد ثلاث كيلو مترات مـــن ابركان في ذلك التاريخ وذلك في ارضه المسماة : «الامحال» وقد ذهبنا نحن الاخرون الى منزلنا بدوار ورطاس خمس كيلو مترات من ابركان جنوبـا ولم يبق في المنزل الا الوالد الذي أبى أن يفارق المنزل كيفما كانت العاقبة.

ولكنه اثناء الليلة ليلة الاربعاء وردت التعاليم الى المراقبة بابركان بان الاحتلال الاسباني قد تأخر . وفي يوم الاربعاء أخذت العائلات ترجع الى منازلها بمدينة ابركان وصدر الامر بفتح الدكاكين .

واذكر جيدا ان خليفة رئيس المراقبة وكان عسكريا يدعى : باشلو ، كان يطوف على الدكاكين ، وكل دكان لم يفتح ولم يجد صاحبه فتحه عنوة.

وانني وان كنت نسيت الشهر الذي حدثت فيه هذه الحادثة فانني متحقق بانها وقعت سنة 1940 ميلادية وذلك عقب احتلال اسبانيا لطنجة ووقوع مظاهرات في اسبانيا اثر ذلك لاحتلال منطقة النفوذ الفرنســـي بالجنوب المغربي .

ولقد استغل «قلم المخابرات السرية» هذه الحادثة فسود عشــرات التقارير ضد عشرات الاشخاص الذين كانت المراقبة الفرنسية بابركـان تلاحظ انهم من ألد أعداء الاستعمار الفرنسي .

واذا لاحظنا ان القبطان باشلو المذكور كان اقسى مراقب عرفته دائرة بني يزناسن تصورنا ما كانت هذه التقارير مشتملة عليه من تصميـــات انتقامية من بني يزناسن .

غير ان رئيس المراقبة : «سيروك» وان كان قاسيا لم يستطع ان يتحمل عجرفة باشلو التي لم تكن ثقيلة على بني يزناسن وقوادهم فحسب ، ولكنها ايضا ثقيلة حتى على رئيس المراقبة المذكور وحاشيته ومرءوسيه مـــن الموظفين والمراقبين .

ولذلك قام بوسائل لدى المسؤولين الاعلون فنقل باشلو الى رئاسة اقليم وجدة وعين على رأس اللجنة السياسية التي كانت تساعدها شرطة خاصة تدعى : «بالبيستي» وكانت هذه اللجة برئاسة الاقليم تكاد تكون مستقلة عن رئيس الناحية ، فهو الاخر كان يرهبها ويخشى نفوذها .

ولذلك فان «سيروك» امتعض باطنا كل الامتعاض من وضعية باشلو الجديدة، وهو يعلم ان «باشلو» يحمل احقادا قاسية ، على ان سيروك شعر بان ارتياحا جزئيا وقع في نفوس بني يزناسن من نقل باشلو من ابركان فخشي ان يؤثر ذلك على نفوذه بابركان فجمع القواد واعيان ابركان وقال لهم:

انْ نقل السيد باشلو لا يعني انني سأتساهل مع كل من يمس حرمة «النظام والامن» فانا يقول «سيروك» مستعد لاتخاذ اقصى العقوبات ضد كل من سولت له نفسه المس «بحرمة النظام والامن» ففرنسا قبل الانهزام هي فرنسا اليوم وان مسيو باشلو قد رقته الادارة الى رتبة اسمى ممـــا كان فيها بابركان ، وانه بالمرصاد لكل عابث بالنظام والامن ومع هذه اللهجة التي استعملها فد نقل بعض الحاضرين : انها كانت لهجة مصطنعة فقد كان يبدو عليه انه متألم من وجود باشلو على رأس اللجنة السياسية برئاسة الاقليـــم .

فهذه اللجنة السياسية الاقليمية ـ كما اسلفت القول ـ كانت مستقلة تقريبا حتى عن رئيس الناحية فضلا عن رئيس مراقبة ابركان ومع وجودها ووجود باشلو على رأسها لا يبقى اي نفوذ للمراقبين ، بل انهم يصبحون في خطر متوقع من وجوده على هذه الصفة .

فالخطة الوحيدة التي لهم امل فيها للمحافظة على مراكزهم ان يكونوا قساة في تصرفاتهم في دوائرهم حتى لا تمتد اليهم يد باشلو .

باشلو اقسى مراقب عسكري عرفه بنو يزناسن

ان تاريخ «باشلو» في بني يزناسن تاريخ اسود لم يتقدم له مثيل حتى في العهود الاولى لاحتلال بني يزناسن .

فلقد كان يقذف بالناس الى السجون دون محاكمة ولا ابداء سبـب معقول ، وذلك حبا في ارضاء عريزة بغضه لبني يزناسن .

فلو ان القبطان «باشلو» كان من الضباط الذين حاربوا بني يزناسن اثناء الحرب التي قادها الحاج عبد القادر الجزائري ، ولو انه كان أيضا من

الذين حاربهم اثناء أوائل عهد الاحتلال ، لقلنا : ان باشلو يشفي ما فــي صدره من غل على بني يزناسن من الذين اذاقو الجيش الفرنسي عذابـــا وأي عذاب .

ولكن باشلو كان لا يزال شابا رائع الشباب انيق الملبس جميلا في منتهى الجمال ، فاذا نظرت اليه مجردا عن هذه القساوة لا تصدق انه غليظ القلب جاف التعبير لا صلة له بما يسمى : عالم الانسانية .

وقد وهبه الله «مهارة غريبة» في انواع التعذيب والتنكيل ، ففي الوقت الذي يروي غليله من تعذيب فريسته يستدعيها الى مكتبه ويتحدث معهـــا حديثا هادئا وهو يبتسم ، واحاديثه كلها سخرية واستهزاء وتشف ، ومن حين لآخر ، يسأل ضحيته في تشف ظاهر ، هل اعجبك ما ذقته من الوان العذاب ؟ ان ما ذقته قبلا لا قيمة له ، فما ينتظرك اقسى وأنكى ، ثم يستدعي اعوانه من رجال الشرطة B. C. T. ويقول لهم : علقوا هذا الكلب ، اضربوه استعملوا الكهرباء في هذا الجزء من جسده ، في هذا ،، لا في هذا ،، لا ،، في هذا حتى يغمى على ضحيته ، فاذا استيقظ من اغمائه قال : ان ذلــك العذاب لا يؤثر فيه ، لانه «رجل قوي» ومن ابطال بني يزناسن ، استعملوا هذا اللون من التعذيب وهكذا يغذي «فرن» احقاده بأنواع من التنكيل التي لا تعد ولا تحصى .

حينما كان في ابركان خليفة لرئيس المراقبة ويحتاج الى الايدي العاملة لاشغال خاصة له ، ويجاب بانه لا يوجد الا العدد الفلاني من المعتقلين وهو لا يكفي لهذا العمل، يبتسم ساخرا ويقول : في يوم الثلاثاء المقبل الــذي هو يوم السوق سآتيكم بالعدد الكافي وفوق الكفاية من المساجنين .

فاذا حل يوم الثلاثاء ارتدى زيا عسكريا انيقا يلائم ما وهبه الله من ءايات الجمال ، فيخرج من مكتبه حاملا «عصى الضباط» في يده او تحت ابطه ومعه طائفة من رجال المخزن فيتجه الى السوق وبين مكتبه والسوق قرابة كيلو متر واحـــد .

وكلما مر على شخص لم يحيه تحية عسكرية ، أمر باعتقاله والقذف به الى السجن حتى اذا وصل الى محل السوق اعتقـــل عددا عديدا مـــن الناس ورمى بهم الى السجن ، وكان اقل مدة يقضونها لاجل «جريمة عـدم التحية» نصف شهـــر .

ويا ما كان اكثر المعتقلين لهذه الجريمة ، اذ ان بني يزناسن يانفون كل الانافة من اجبارهم على الاحترام فقد كانوا يتعمدون ملاقته حتى ولو كان بعيدا لاجل ان يتحدوه بعدم رفع اليد للتحية فيلقي بهم في السجن .

ولقد بالغ في هذه العمليات حتى ضاق صدر رئيس المراقبة سيروك بها فاصدر له أمره بعدم معاقبة الذين لا يحيونه ، ثم عمل على نقله كما سبق القول قريبـــــا .

وقبل ان ينقل ، وفي فترة عدم معاقبة الناس على التحية كان الشباب والاطفال يقتربون منه اثناء تجولاته «وكل حياته في ابركان كانت تجولات» ويتحادث بعضهم مع بعض ها هو قبطان «التبوجيرا» جاء ؟! فيمتعض لهذه السخرية ويرجع الى مكتبه حاقدا غضوبا ، ولم يفارق ابركان حتى عمت السخرية به كل الاوساط .

وحينما انتقل الى وجدة كما سلف القول لا اماني له الا أن ينتقم من بني يزناسن .

انتقام باشلو من بني يزناسن

من المعلوم انه على اثر انهزام فرنسا ازاء الجيوش النازية سنة 1940 تأسست في فرنسا حكومة فيشي وعلى رأسها الماريشال «بيتان» الفاشيستي. وان التاريخ العام : وتاريخ المغرب الخاص ، ليعرف من هو : المارشال بيتان؟

فالماريشال بيتان من الاستعماريين البارزين ، والذين رفعوا راية غزو الشعوب المستضعفة ، وقد كان من أهم من اعتمدت عليهم فرنسا الاستعمارية في حربها القصيرة مع البطل محمد بن عبد الكريم في الحرب الريفية .

وبمجرد ما اعتلى الحكم في حكومة فيشي مد يده الى النازية على شريطة ان لا تحتل شعوب الشمال الافريقي وانه مستعد لحفظ النظام والامن فيها وان يكتفي النازيون ببعث بعثات عسكرية للمراقبة فقط ، كما انه مستعد لمنع الحلفاء من احتلال شعوب شمالي افريقية ، وحينما وصلت تلك البعثات النازية الى المغرب وأخذت تحصي ما في المغرب من جيوش فرنسية، تكلفت جماعة من الضباط النازيين بتفتيش دائرة ابركان .

وكان الفرنسيون يخفون معظم جيوشهم في جهات مختلفة ويظهرون عددا قليلا من الاسلحة الثانوية للمراقبة النازية .

وذات يوم اربعاء فيما اذكر ، مرت طائفة من رجال المراقبة النازية من ابركان في طريقها الى تافوغالت للقيام بعملية تفتيشية في معسكرات الجيوش الفرنسية بتافوغالت على الخصوص .

وبطبيعة الحال ، فقد مرت بالشارع الرئيسي في ابركان الذي يدعى اليوم : شارع محمد الخامس . وعلى جانب هذا الشارع تقوم معظم المقاهي العربية والفرنسية اذ ذلك والى اليوم .

وقد علم البركانيون بوقت مرور رجال المراقبة النازية من ابركان الى تافوغالت ، فاقتعدوا مقاعد المقاهي المختلفة لمشاهدة رجال البعثة حبا في الاستطلاع، وكان من جملة هؤلاء الذين اقتعدوا المقاهي، السادة الحسن شاطر

عبد المومن البيدري الورطاسي واخوه السيد احمد ، عبد السلام بن الحاج مولاي محمد بن بنسعيد الورطاسي ، عبد السلام جليل الورطاسي ، التهامي ابن احمد بن الطيب الوكوتي ، محمد بن عبد الله الحافي ، محمد بن علي ابن عبد الله اليعقوبي .

وبعد ايام قليلة لا اذكر بالضبط اعتقلت السلطة الفرنسية الجماعة المذكورة وذلك أنه بلغها ان هذه الجماعة المذكورة حينما مرت « البعثة » قال السيد الحسن شاطر : آه لو وجدنا من يخبر « رجال البعثة » النازية بان المراقبة قد أخفت معظم جيوشها وسلاحها في معسكر تافوغالت وان الاسبان بالشمال هم الذين يمكن ان يبلغوها ذلك ...

وبهذه التهمة اعتقلت الجماعة المذكورة ، ولكن ليس دفعة واحدة ، غير أنها كانت في أسبوع واحد ، ثم أحيلت على الشرطة السياسية التابعة للجنة السياسية برئاسة الناحية والتي يرأسها : بلاشلو .

غير ان السلطة قد أفرجت بعد قليل عن السيدين محمد بن علي اليعقوبي والتهامي بن احمد بن الطيب الوكوتي واحتفظت بالباقين .

ولا أطيل الحديث عن كيفية استنطاق هؤلاء المعتقلين ، اذ انني قد وصفت قريبا أنواع العذاب التي كان يستخدمها القبطان « باشلو » وفي ذلك كفاية .

ولا ازيد الا ان السيد الحسن شاطر بصفته المتهم الرئيسي نال من «باشلو» اكثر مما ناله رفاقه من أنواع العذاب ، ومن ذلك انه انتزعت من فمه اربعة اسنان .

وبعد ان روي «باشلو» انتقامه منهم احيلوا على المحكمة العسكرية بمكناس ، حيث حكم على كل واحد منهم باربعة اشهر سجنا وعشرة آلاف فرنك غرامة .

وعندما اتموا مدة السجن كانت الشرطة تنتظر في باب سجن سيدي سعيد بمكناس ، السيد الحسن شاطر حيث اخبرته بقرار الابعاد الى الصحراء فبقي هناك الى أن انتهت الحرب العالمية الثانية أي ما يزيد على اربع سنوات حيث شاهد من أنواع آلام الغربة وقساوة الوضيعات المختلفة ما يفتقر الى تحرير كتاب خاص .

عملية تفتيشية بابركان

لم تكد تمضي مدة كثيرة لا تتجاوز الشهرين على هذه الحادثة فيما اذكر واظن ، حتى قامت الشرطة المحلية في ابركان بمساعدة المراقبة بعملية تفتيشية لبعض المنازل .

اذكر انني بينما كنت في يوم الثلاثاء بالمحكمة الشرعية بابركان اباشر تسجيل الشهادات بصفتي أحد عدول المحكمة ، اذ دخل السيد محمد بن عبد المومن التايه الورطاسي الحاجي الى المحكمة، وبعد ان سلم على العدول طلب الي ان أتبعه الى محل خاص ، وفي بضع لحظات قال لي :

انه في القريب من الايام ستقوم الشرطة بتفتيش منازل بعض الاشخاص ومن هذه المنازل منزلك، فعليك أن تستعد لذلك بابعاد أي شيء من شأنه أن يقذف بك الى مكاتب الاستنطاق ثم المحكمة العسكرية، ثم ودعني وانصرف بعدما طلب مني ان اكتم هذا السر .

وفي المساء، وحينما وصلت الى منزلي كان أول ما فعلت أن جمعت بعض الكتب الممنوعة مثل : «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم» للامير شكيب أرسلان وأعداد من الصحف الوطنية التي كانت تصدر بتطوان .

جمعت كل ذلك في قفة وعلقتها في بيت والدتي وأوصيتها بان تحرق كل شيء اذا ما علمت بان الشرطة جاءت لتقوم بالعملية التفتيشية، كما ان والدي أخفى مسدسا في جهة خاصة خارج المنزل .

وصباح الاربعاء الموالي للثلاثاء المذكور بينما كنت أباشر عملي بالمحكمة الشرعية اذ اخبرت أن منزلنا محاط بالقوة فقصدت حينا الى المنزل .

ولما وصلت جاء الي عميد الشرطة بابركان وقرأ علي اذن وكيل الدولة بالمحكمة الفرنسية بوجدة المتضمن للاذن له في تفتيش منزلي. ثم قال : وسوا أردت أم لم ترد فنحن سنفتش منزلك ! فاين بيتك الخاص ؟

فقدته الى بيتي الخاص حيث كانت خزانة كتبي ودام فحص بيتي الخاص وخزانتي قرابة ساعتين . وكان الذي يقوم بفحص الكتب الترجمان السيد عالم الندرومي الجزائري، وبعد الانتهاء من الفحص أخبرهم بأنه لا توجد الا الكتب التي لا خطر فيها .

وفي هذه الاثناء وقبل ان ينتقلوا الى تفتيش بيتين آخرين ـ كانت والدتي قد أحرقت كل ما كان في القفة ، ذلك أنها وضعت «طاجين» لطهو الخبز على اسلوب طهو الخبز في البادية وصارت تضع تلك الصحف والمجلات والنشرات والكتب شيئا فشيئا في الكانون التي وضعت الطاجين على أثافيه، ولم تنتقل الشرطة الى منزلها حتى كانت قد انتهت من احراق كل شيء.

وبعد أن فتش بيت الوالدة والبيت والمطبخة ولم يعثر على أي شيء خرج، وخرج معه أعوانه وأمرني مع الوالد ان نصحباه الى مكتبه .

ولما وصلنا الى المكتب بقيت أنا والوالد خارجه في انتظار الاوامر فانتهزت هذه الفرصة ـ حيث كنت ووالدي بعيدين عن رجال الشرطة فاوصيته أن يتجاهلني وان لا يقول عني أي شيء ولا يبرئني بأي شيء ،

بل يتركني حرا أقول ما أريد ، ولم أكد انتهي من هذه الوصية حتى ننبـه رجال الشرطة ففرقونا كلا على حدة في مكان بعيد من الآخر وتحت الحراسة حتى لا نتحدث سوية .

وبعد ساعة تقريبا أمرنا بالدخول الى مكتب رئيس الشرطة حيـث أخبرنا بانه فتش المنزل ولم يعثر على أي شيء وطلب منا أن نوقع له على تقرير كان أعد مبلذك، ثم طلب منا السماح كالعادة اذا ما لم تعثر الشرطة على شيء فذهبنا الى حال سبيلنا وقد علمت في هذا المساء انه وقع تفتيش منزل السيد محمد بن الطيب البيدري الورطاسي ومنازل اخرى لا أذكرها الآن.
وبعد مدة قليلة القى القبض على السيد محمد بن الطيب المذكـور ،

وارسل الى بوذنيب ، حيث تم اطلاق سراحه بعد نزول جيوش الحلفاء في المغرب أوائل نفمبر سنة 1942 م .

ثم أخذت عمليات الاعتقال تتوالى في ابركان ، حيث تم اعتقال السيد محمد بن ادريس وولده حماد وحكم على الاول بسنتين وعلى الثاني بسنة واحدة، ثم نفي السيد بوعنان الزخنيني الى الطاووس، ثم اعتقال السيـد بوطيب بن الشيخ محمد بن رابح الوريمشي، وبعد تعذيبه العذاب الاليم نفي الى بوذنيب ثم اعتقل عمرو احبدو «بتشديد الدال» البوعبد السيدي وحكم عليه بثلاث سنوات ونصف سجنا ، ثم وقع اعتقال السيد السايح الرسلاني، والسيد عمرو الشواف بتشديد الواو، والشيخ حماد بن بومدين اللياوي، ومحمد بن أحمد الوريمشي، والسيد محمد بن عبد الله القاضـي السفروشني العتيقي . وعلى عشرات الاشخاص غيرهم فاحيلوا على مكاتب الاستنطاق فمنهم من أطلق سراحه بعد التعذيب ومنهم من حكم عليه بالسجن ، ومنهم من نفي الى الصحراء .

حتى أنه لم تبق قرية الا وكانت تندب أقاربها الذين اعتقلتهم السلطة أو شردتهم الى اقاصي الصحراء ، فلقد كان قصر السوق يعج بالمعتقليـن اليزناسنيين، ففي كل ملحقة مبعدون يزناسنيون ، والخلاصة انه منذ انشاء حكومة « فيشي » الى نزول الحلفاء في نوفمبر 1942 وعمليات الاعتقـال والتعذيب والسجن والتشريد مسترسلة في مجموع قبيلة بني يزناسـن الكبرى بأقسامها الاربعة ، وبقسم عرب اتريفة وكبدانة، ولقد نفذ الاعدام فيما اذكر في ستة عشر شخصا في مختلف جهات بني يزناسن. وذلك زيادة على الذين ماتوا تحت السوط كالسيد محمد بن عبد النبي العتيقي التزغيني، وقد انتحلت السلطة لهذا التعذيب شتى انواع التهم ، وترجع كلها الى التهمة بالتعاون مع الاجنبي، أما بتهمة الاتصال بالسلطة الاسبانية ، واما بتهمة الاتصال مع رجال البعثات النازية ، ولكن في الواقع كان القصد من كل ذلك هو التنكيل ببني يزناسن ، فانتهزت هذه الفرصة لذلك ليس الا .

حــوادث 1944

ومنذ ان انهزمت فرنسا ازاء جيوش الريخ حدثت تطورات أساسيــة وهامة في الفكر العالمي العام .

وفي مقدمة الاحدث التي كان لها عميق الاثر على التفكير العالمي بصفة عامة ، وفي الشعوب المغلوبة على أمرها بصفة خاصة انصداع جــــدران الاستعمار الغربي .

فلقد هزت انتصارات الريخ الخاطفة وخصوصا انتصاراته على فرنسا التي لم تثبت جيوشها ازاء انتصارات الريخ الا أربعة عشر يوما على الاصح ثم تهديد بريطانيا بالمحق الا الاحتلال .

هزت هذه الانتصارات جدران الاستعمار الغربي هزا عنيفا .

فلقد أعلن عن استقلال القطرين العربيين الشقيقين : سوريا ولبنان بعدما ذاقا وبال الاستعمار الفرنسي ونكاله ربع قرن كامل .

فسرت البشائر سريان النسيم العليل بين قلوب الشعوب التـــي استولت فرنسا عليها بحد السيف والنار وتوارت تحت شكليات من الحكم، الحماية، الانتداب الخ ،،، وخصوصا في اوساط الشعب المغربي المجيد .

ثم ان الحلفاء أخذوا يعقدون المؤتمرات وينادون بحق تقرير مصيــر الشعوب بنفسها استجلابا لهذه الشعوب وايلافا لقلوبها لكي تساعدهم في المعارك التي يخوضونها ضد الهتلرية والموسيلينية .

ثم ان فرار الجنرال ديغول الى الحلفاء أو بريطانيا بالضبط واعلانـــه الثورة على حكومة «فيشي البيتانية» وعزمه على استيناف الكفاح في سبيل تحرير فرنسا والاعلان عن عقد مؤتمر أنفا بالبيضاء الذي كان بين جلالة الملك محمد الخامس رضي الله عنه ، وبين بطل امريكا روزفيلت وبطل بريطانيا تشرشيل الذي أعقب نزول جيوش الحلفاء، وفرار الجنرال نوجيس من الاقامة العامة بالمغرب الى البرتغال ، واحتلال الاسبان لطنجة الدولية .

ان هذه الحوادث الهامة كادت تطير بافئدة الشعوب المستضعفة المكافحة وخصوصا افئدة الشعب المغربي النبيل .

ولقد كان بنو يزناسن من أهم القبائل تتبعا للاحداث الدولية العامة واستقصائها بكلياتها وجزئياتها . ولا اثر للعنصرية على هذا القلم اذا ما سجلت هنا بمداد الفخر ان بني يزناسن أسرع الاقاليم المغربية تطورا وتتبعا للاحداث الداخلية والخارجية .

فأثناء هذه الحرب قلما تجد سكان قرية من مئات قراهم لا يفتحون جهاز الاذاعة ويستمعون الى مختلف جهازات الارسال من انحاء العالم . حتى اذا استوعبوا جميع النشرات أخذوا في التعليق والتحليل والاستنتاج . وعلى الرغم مما صب عليهم رجال الحماية الفرنسية من ألوان العذاب أثناء هـذه الحرب، فقد كانوا يجاهرون في الاسواق العمومية بعقائدهم الوطنية الصميمة لا يحسبون أي حساب لما عسى أن يكون لذلك من نتائج وخيمة العقبى .

وكل ما كان ينقص بني يزناسن قبل اعلان حزب الاستقلال المطالبـة باعلان استقلال المغرب دون قيد ولا شرط، انهم لم يتوصلوا في الوقت المناسب بتعليمات دقيقة مضبوطة عما كان قادة الحزب الوطني يهيئونه من أعمال للخروج من طور المطالبة بتحقيق المطالب العامة ثم المطالب المستعجلة الى طور المطالبة باعلان الاستقلال التام .

فلقد كان قادة الحزب الوطني يقومون بذلك في دائرة سرية جدا .

وحتى حينما اعلن حزب الاستقلال عن وثيقته التاريخية ووصلـت المعلومات الدقيقة الى قادة وجدة لم « يتفضل » أحد من هؤلاء القادة بتبليغها الى قادة بني يزناسن ، مع كامل الاسف .

اذ من المعلوم في ذلك العهـد ان مركز التسييـر الوطني الرئيسـي لشرق المغرب كان في وجدة منذ فجر النهضة الى أن تم تحويله في سنـة 1950 م كما سياتي ذلك بكل تفصيل .

اجتماعات سياسية بابركـان

وعلى أي حال فلم تتضح أحداث اعلان حزب الاستقلال للمطالبـة بالاستقلال الى أن القى القبض على الامين العام الحزب اذ ذاك ، الاستاذ ج أحمد بلافريج ، ونائبه الاستاذ محمد اليزيدي وما تبع ذلك من مظاهرات في الرباط وسلا وفاس ووجدة .

وحينما اتضح كل شيء ، عقد اجتماع سياسي بدكان السيد عمرو بن الحسيـن .

وكان هذا الاجتماع يضم : عمرو بن الحسين ، قدور الورطاسي ، محمد ابن عبد الله الحافي ، محمد بن الحاج أحمد اليعقوبي ، شقيقه المرحوم عبد القـادر

وبعد مناقشات ومداولات تقرر التوجه الى القائد المنصوري لاستطلاع ما عنده من معلومات حول هذه الاحداث وان نؤمن على تصريحاته لنا على أن ندرسها فيما بعد ، اخفاء لنوايانا الحقيقية .

والذي دعانا الى الذهاب اليه ، هو انه كان مشهورا باتصاله مع جلالة محمد الخامس رضي الله عنه ، أو أنه كان من أصحاب السلطان ، كما كانوا يطلقون عليه وعلى أمثاله من القواد في ذلك العهد .

فكان لا بد ـ في نظرنا ـ أن تكون لديه معلومات ايضاحية لهـذه الاحداث ، وذلك بالاضافة الى ما كان القائد المنصوري مشهورا به من الافكار التحررية .

استقبلنا القائد المنصوري في منزله وتناولنا معه الموضوع بكل لباقة وحذر . وقد أجابنا بما يلي :

« ان حزب الاستقلال قد رفع مذكرات الى السلطان والاقامة العامة ومختلف القنصليات بالرباط يطالب فيها باعلان الاستقلال » .

وفعلا ، فان الاقامة العامة التي كان على رأسها اذ ذاك الجنرال كبريال بيو قد عهدت الى احدى الشخصيات الرسمية للتفاهم مع حزب الاستقلال ولكن على أساس المطالب لا على أساس اعلان الاستقلال، وان حزب الاستقلال رفض أية مفاوضة قبل اعلان الاستقلال .

وعلى الرغم من عمليات الاعتقالات ، فان فرنسا ستدخل تعديلات على سياستها في المغرب وسيكون في ذلك خير كبير لنا .

« فعليكم ان تعملوا على تهدئة الخواطر حتى لا يقع اي حادث يحرج وضعيتي مع الفرنسيين » .

وبعد هذه التصريحات التي شكرناه عليها خرجنا من منزله ، وعقدنا اجتماعا سريا بدكان السيد عمرو المذكور . ولكننا لم نصل الى تقرير عمل محدد فافترقنا على أمل اللقاء غدا وكان ذلك يوم الثلاثاء فاتح فبراير سنة 1944 م .

وفي مساء الاربعاء ثاني فبراير 1944 حينما رجعت من تاغوغالت حيث كنت مكلفا ذلك اليوم بالذهاب الى السوق لتلقي الشهادات بصفتي عدلا ، عدنا نحن تلك الجماعة الى عقد اجتماع ثالث بدكان السيد عمرو المذكـور فلم نصل الى نتيجة ، ثم عقدنا اجتماعات أيضا يومي الخميس والجمعة فلم نصل الى اتخاذ أي موقف واضح ، غير اننا حررنا عريضة مذيلة بامضاءاتنا مع توقيعات أخرى وسلمناها لشخص معروف عندنا ليبلغها الى رجال حزب الاستقلال ...

وفي هذا الوقت كنت أسرع بتحرير ما لدي من رسوم وشهـادات وتسجيلها بالكنانيش ، وفي صباح السبت خامس فبراير قررت الذهاب الى وجدة لاقوم بعمل هناك ، حيث كان لدي أصدقاء وطنيون .

وبعد ان تناولت طعام الغداء بمنزلي ودعت زوجتي وابنتي خديجة وراضية ودعت لي والدتي بالتوفيق .

وما زلت أذكر انها رافقتني الى خارج المنزل وهي تقول بكل حماس وتخفي دموعها : اذهب يا ولدي للجهاد في سبيل الله ولا تخف من الكفار نقد وهبتك لله وللوطن . الله ينصر محمد الخامس وينصر الزعماء المجاهدين .

واذكر جيدا انني حينما فارقت منزلي ، كنت أعتزم عملا بوجدة استشهد فيه في سبيل الله والوطن ، فلقد كنت منذ سمعت السيد عمرو بن الحسين يروي لي احداث كلميمة معتزما على ان استشهد كما استشهد الفقيه القري رحمه الله .

وقبل ان أخرج من ابركان ودعت القاضي السيد العربي السعودي رحمه الله في منزله وأخبرته بقصدي فبكى بكاء مرا .

ثم قال لي : اذهب في سبيل الله فان الله سينصرك .

ثم ذهبت الى السيد عمرو فوجدته في دكانه فأخبرته بما عزمت عليه فقال لي : اناشدك الله على أن ترجع الينا بعد استطلاع جلية الامر لنقوم بعمل هنا بابركان .

وقد ودعته وأنا عازم على عدم الرجوع وان كنت وافقته ظاهريا على ذلك ، وقد حملني على اتخاذ هذا القرار عدم جدوي تلك الاجتماعات ، ثم انني بمجرد اتصالي بالوطنيين في وجدة ، فان السلطة ستعتقلني بدون شك فالرجوع أيضا لا فائدة فيه ، ولا يمكن من جهة ثانية للسبب المذكور .

في وجدة

حينما وصلت الى وجدة مساء السبت خامس فبراير 1944 اتصلت فور وصولي بأصدقائي السادة : عبد القادر البلعوشي وشقيقه محمد ، محمد المشرفي ، فاخبروني بكل شيء واقترح الاخوان عبد القادر البعلوشي ومحمد ان نذهب فورا الى منزلهما بحي الطوبة للاختفاء هناك بمنزلهما الى الغد الاحد الذي سنقوم فيه بمظاهرة وأكون الخطيب في المسجد الاكبر عقب صلاة الظهر ، على ان يقوم محمد المشرفي باتصالات مع الاخوان الذين سيشاركوننا في هذه المظاهرات .

وفي الصباح قصدنا أنا والاخوان البلعوشيان دكانهما قرب القيسارية القديمة حيث اتصلنا بالسيد محمد المشرفي الذي كان دكانه ايضا مجاورا لهما وهم جميعا خياطو الجلاليب فاخبرنا بانه اتصل ببعض الاخوان واللقاء في المسجد الاعظم عقب صلاة الظهر .

ثم انني خرجت من دكان الاخوين على نية كتابة خطبة حماسيـــة فتوجهت الى أحد الاصدقاء الجزائريين هو السيد الحسين البيدري الذي كان له دكان قرب مسجد سيدنا عقبة بن نافع ، ولما كان من الاصدقاء الابطال المخلصين فانني أخبرته بما في عزمي وطلبت منه أن يبيع لي ورقة لاحرر فيها خطبتي فابتسم وقال : خذها مجانا والله يوفقك ويحفظك وانني مسرور بهذه المساهمة التافهة ، ولو كنت مغربيا لكنت أول رفقائك في سبيل الله .

ولما رجعت الى دكان الاخوين اخبراني بان الشرطة تبحث عني ، فلم أعبأ بذلك ، والتقيت في طريق مراكش بالسيد أحمد بن بنشمعو الوريمشي فوجدت الخبر عنده وأعطاني الف فرنك وأقسم علي أن آخذها ، وحذرني من التجول في وجـــدة .

وعندئذ اضطررت الى الذهاب الى المسجد الاعظم ، ولما أتم الامام النائب السيد الخثير العتيقي البرحيلي صلاة الظهر قمت في الجميع خطيبا.

ومما قلته ، يا معشر المسلمين : ان الله تعالى يقول : ان الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

انكم تعلمون ان حزب الاستقلال قدم مذكرة رسمية للمطالبة باعــلان استقلال المغرب وان الغزاة الاستعماريين قابلوا ذلك بكل انواع التنكيل .

ان واجبنا اليوم ان نجاهد في سبيل الله ، فاما ان ننتصر واما ان نلتحق باخواننا الشهداء والمعتقلين .

واعلموا أنه لا توجد بقعة طاهرة في المغرب الا المقبرة والسجن ، الى ساحة الجهاد ، الى القبر ، الى السجن .

وكان لهذه الكلمات اثر عميق على النفوس فبكى كثير من المصلين بكاء

وأثناء القاء هذه الكلمة حاول شيخ المدينة السيد محمد بن الحاج محمد ابن البشير الوجدي واحد رجال المخزن لا اذكر اسمه ، ان يمنعاني من اتمام كلمتي ، فقام السيد محمد المشرفي وقال لهما : دعو الفقيه يتم خطابه ، اذهبا الى حال سبيلكما والا ،،، فخرجا من المسجد فارين لا يلوي احدهمـا على الاخـــر .

وكان السيد محمد المشرفي قد اخبرني قبل اداء الصلاة ان المسجد محاط بالقوة الفرنسيـــة .

وحينما خرجنا من المسجد وجدنا مفتشي الشرطة واعوانهم في باب المسجد فأمرونا بالذهاب معهم ونحن نردد هذا النشيد : فليحيى المغرب ، بالاستقلال ، ولتحيى بلاد الحرية .

وقد انضم الينا عدد كبير من شباب وجدة وكهولهم وشيوخهم أثناء مرورنا محروسين بالقوة بسوق الغزل ثم سوق الخميس الى مكتب الشرطة وأثناء هذا المرور الصاخب كانت النساء في الشارع وفوق السطوح يوالين الهتافات باستقلال المغرب ويشفعنها بالزغاريد .

وعندما وصلنا الى نهاية سوق الغزل ، خرج مفتش من الصفـــوف ووضع مسدسه في خصري وقال : اسكت فنظرت اليه مبتسما ثم تابعت تلاوة النشيد مع اخواني .

على ان المفتش الشهير بيريو - قال للمفتش دعه عنك ، خل سبيله .

وعلى مقربة من مقهى سيمو بسوق الخميس خرج شاب من الصـــف الشرقي يدعى السيد اعمارة وتقدم الينا وسط الشارع وقال : قفو ،،، يحيى المغرب حرا مستقلا ، يحيى جلالة الملك المعظم محمد الخامس ، يحيى حزب الاستقلال ، ثم انضم الينا .

ولم نكد نصل الى مكتب الشرطة ، حتى لم نبق الا ثمانية اخوان : قدور الورطاسي ، محمد البلعوشي ، بنيونس بن الجيلالي ، محمد المشرفي، عبد الكريم بن الاخضر الميموني اليزناسني ، اعمارة الوجدي ، ابراهيـم والقندوسي الوجديان .

اذ ان الشرطة كانت تقول للمتظاهرين : لقد تظاهرتم ثم اعربتم عـــن احتجاجكم فارجعوا الى منازلكم فرجعوا وكان هدف الشرطة ان تقلل مـا امكنها من المعتقلين بوجدة فنجحت في ذلك .

ولما جمعونا في فناء بناية الشرطة تقدم المفتش الصحراوي وسألني : لماذا قمتم بهذه المظاهرة ؟ فأجبت تأييدا لرجال حزب الاستقلال .

فقال : ولكن ما الفائدة من التهريج ؟ فأجبت : قلت لك : انه اعراب عن التأييد كما قلت لك .

فقال : ولكن فرنسا قوية لا يضرها هذا التهريج ؟ فقلت : ان هدفنا أن نعلن لها عزمنا على ارجاع الاستقلال وان السكوت لا فائدة فيه بل انه دليل الرضى بالوضع .

فعلق على ذلك بقوله : لكم كامل الحق في هذا ، فالصبي اذا لم يصرخ لا ترضعه امه . وزاد قائلا : نحن كذلك مسلمون ونتمنى الخير للاسـلام والمسلمين ولكنا نعمل مع الادارة والله ياسي الورطاسي اننا نعمل اكثـر منهم ولكننا مهضومو الحقوق ؟ لا اله الا الله والسلام ، الله يصبركم على العذاب فهؤلاء الخنازير لا شفقة فيهم ثم انصرف . كان يقول هذا وهـــو يلتفت يمينا وشمالا مقطب الوجه حتى لا يتهم بانه كان يؤيدني ولكنني لم أتيقن من باطنــــه ؟

الى السجــن المدنــي

وفي المساء شحنتنا الشرطة في سيارة «كاميون» الى السجن المدني بوجدة حيث بتنا في ممر من ممرات السجن طاوين بدون فراش ولا غطاء .

وفي الصباح ، ألحقنا بالاخوان هناك حيث كنا نعد تسعة وثلاثين معتقــــلا .

ومساء الاثنين 7 فبراير ساقتنا الشرطة الى دار الباشا ، وكان عليها السيد محمد المهدي الحجوي ولكن ترأس جلسة الحكم علينا ، السيــــد السرغيني خليفته ، وكان من نصيبي عامان سجنا .

اما اخواني السبعة فقد حكم عليهم بعام واحد سجنا عدا السيد اعمارة الذي حكم عليه بشهرين سجنا . ولما رجعنا الى السجن قيل لي في باب السجن : انت قف هنا .

وبعد لحظات ساقتني الشرطة الى رئاسة الناحية ، فانتظرت بضع دقائق ثم أمرت بالدخول الى مكتب ترجمان الناحية السيد احمد البناي .

وهناك وجدت القائد المنصوري ورئيس المراقبة : سروك المذكور . واتجه الي الترجمان المذكور وقال لي :

انني أعرض عليك ملف شهادات عدلية تتعلق بعقد زواج على امــرأة وابنتها فقد ظهر زوج الاولى وابو الثانية بعد عقد النكاح .

فأجبت ، بانني لم أقم بتحرير عقد النكاح وانما تلقيت شهادة لفيفية بكون امرأة وابنتها طارئتين .

فتدخل القائد المنصوري وقال : ان الشهود قد انكروا انهم حضروا لديك وادوا هذه الشهادة ؟ فاجبت : ان انكار الشهود لا يهمني ، فانا عدل مبرز لا يؤثر في عدالتي انكار الشهود الا اذا دعموا انكارهم بحجج واضحة، كما لو ثبت ثبوتا صحيحا ان احدهم كان في بلد بعيد لا يمكن عادة حضوره في ذلك التاريخ الذي سجلت عليه فيه شهادته .

ولاحظ القائد المنصوري : ان سيروك والسيد احمد البناء يهـــزان رأسهما بالموافقة ولذلك غير مجرى الحديث وسألني سؤال استنكـــار ،

لم قمت بمظاهرة في وجدة مع انك جئتني انت وجماعة من الناس وافهمتكم بالتزام الهدوء بعد ان زودتكم بكل المعلومات الضرورية عن الحوادث ؟

فاجبت باختصار : هذا الشيء يهمني وقد حكم علي بسنتين سجنا وانت لادخل لك في ذلك .

فعلق ـ غاضبا ـ ان الله اراد ان يعاقبك وسأعمل على ان يحكم عليك بخمس سنوات سجنا اخرى .

فعقبت عليه بقولي : انني مستعد لتحمل اي ثمن في سبيل عقيدتي

وهنا بلغ الغضب منه عدم الاستطاعة على الاسترسال في الكلام معي ، وقال للشرطة : خذوه وسيعلم عاقبة امره .

وأثناء رجوعي الى السجن صحبة الشرطيين قال لي أحدهما : ما شأن القائد المنصور معك ؟

فاجبت : لا شيء ، ولكن عدلين من عدول المحكمة قاما بهذه المؤامرة بدافع التنافس الذي يقع عادة بين العدول .

وبعد زوال الاربعاء سادس عشر فبراير 1944 . شحن جميع المعتقلين على شاحنة نقل الى محطات للقطار ببني وكيل على بعد عشرين كيلو مترا من وجدة ، عدا الاخوين : التهامي الاوديبي ، ومحمد بن المهدي الوجدي حفيد اولاد بنيعقوب اليزناسنيين ، فهذان التحقا بنا بسجن العين بعد .

خرجنا من سجن وجدة المدني مسلوكين في سلاسيل «رقم 5» مثنى وثلاث ، وكان الاديب الشاعر الشاب الاخ محمد «فتحا» الجندي مشدودا معي في السلسلة .

وعندما خرجنا كان كل واحد منا يدرس المصير الذي سنساق اليه ، والكل كان يرجح التوجه الى الصحراء ويتخيل انواع عذابها لان عمالة الاقليم كان على رأسها اذ ذاك «برونيل» الذي يعرفه الجميع بقساوته وعدائه البارز للحركة التحررية .

وفي الاخير تبين لنا اننا سنركب القطار الذاهب الى البيضاء .

وفي صباح الخميس 7 فبراير 1944 كنا أمام سجن اغبيلة حوالي العاشرة صباحا .

ولقد عمتنا موجة من التفاؤل حينما اخبرنا بعض قدماء الوطنيين منا : ان مدير السجن م «ديبوا» رجل فرنسي عاقل كان عامل الوطنيين في حوادث 1937 م معاملة طيبة عقب ان توصل من مجهول ؟ بكتاب «المطالب العامة» الذي قدمته الحركة الوطنية سنة 1934 .

وفي مساء نفس اليوم زارنا المدير المذكور وصحبته رئيس السجن .

وبعد التحية والقاء نظرة عامة فاحصة علينا سألنا وهو يقلم اظفاره كعادته : يوجد من بينكم كثيرون ممن أعرفهم في سنة 1937 ولكنني لا أرى من بينكم : اخوين كانا معكم في سنة 1937 . وقبل أن تجيبوني أقول لكم : انهما ليسا معكم !

فنظر كل منا الى الاخر يبحث عن اسمي الاخوين من هما ؟

فتقدمت انا وقلت : هما السيدان : احمد الرمضاني وشقيقه عبد القادر.

فنظر الي «ديبوا» وقال : بالضبط ، ثم علق على ذلك بقوله : في سنة 1937 تحقق لدي ان هذين الاخوين سينفصلان عنكم .

ثم سألنا : هل سقطت ارواح اثناء مظاهرات وجدة ؟ فاجابه المرحوم السيد احمد بن الحاج ابراهيم بندالي : لا ...

فعلق على ذلك بقوله : حسن ، ثم زاد قائلا ، لقد وفقتم لاختيار الوقت المناسب للمطالبة باعلان استقلال بلادكم !

وهنا تدخل رئيس السجن وقال للمدير : عفوا يا سيدي المدير انهم لم يوفقوا في اختيار الوقت ، فليس من الوفاء ولا من اللياقة والمجاملة ان يطعنوا فرنسا من الخلف في الوقت التي هي الان محتلة من الجيوش الالمانية ... واذا كانت مظاهرات وجدة لم تسفر عن ضحايا اوربيين فان مظاهرات الرباط اسفرت عن قتل شرطي «اثناء تأديته واجبه» وله خمسة اولاد . اما ضحايا فاس ، فلا نزال نجهل عددهم . فلماذا هذا العنف ؟ وهذه الوحشية ؟ ولماذا هذه الخيانة من المغرب لفرنسا ؟ ان الوطنيين يجب ان يعاملوا بكل قساوة وسوف لا ننسى ابد الدهر سقوط ذلكم الشرطي اب خمسة اولاد . قال هذا في حماس وهياج واعصابه متوترة .

ولما حاول الاسترسال في الكلام اوقفه المدير وهو يقلم اظفاره كعادته مطرق الى الارض فتوجه اليه وقال : «يجب ان تعلم ان المغرب له ماض مجيد وقد عاش مستقلا طيلة قرون وانه من السياسة الحكيمة ان ينتهز قادته وملكه فرصة ضعف فرنسا الان» .

فمن غير الحكمة ان يطالبوها بالاستقلال وهي قوية ، ففي هذا الوقت ماذا تظن ان فرنسا ستعمل معهم ؟ كانت ستمحقهم .

فلماذا لا يطالبون باعلان الاستقلال في هذا الوقت الذي تقاسي فيه فرنسا

ويلات الاحتلال ؟ ان القادة المغاربة وملكهم معهم قد أعلنوا تأييدهم لفرنسا في اول الحرب ، وشاركوا فرنسا في حربها ضد المان بالرجال والمال ووضعوا ارضهم تحت تصرفهم ، وحينما نزل الحلفاء بالمغرب لانقاذ فرنسا طردوا «رجال المراقبة الالمانية من المغرب ، وعوض ان يرحب المقيم العام نوجيس

بنزول جيوش الحلفاء كما فعل ملك المغرب فانه قد قاتلهم وقاومهم الى أن اضطر الي الفرار الى البرتغال ، وقد حاول ان يحمل الملك على الانسحاب من قصره فامتنع الملك قائلا انني ارحب بالحلفاء لانقاذ فرنسا وثبت في

ان هذه المواقف من المغرب شعبا وقادة وملكا لهي مواقف نبيلة تستحق كل اهتمام وتحمل فرنسا على تلبية ما طالب به الشعب والملك من مطالب

ثم انه لا معنى لان تعظم من شأن الشرطي ذي الخمسة اولاد الذي اتأسف انا كذلك على موته ولاتذكر ازاء ذلك ما قامت به الاتامة العامة «المقيم اذ اذك الجنرال كبريلل بيو» من اعتقال قادة الشعب وصب النار على رؤوس المتظاهرين .؟!

ثم زاد المدير قائلا : ان الشعب المغربي شعب ذكي وهو جدير بالاستقلال ، فلقد خبرته فوجدت فيه كل مؤهلاته .

وان «حكامنا» ينظرون نظرات سطحية الى المغاربة ، ولا يتعمقون في دراستهم ، بل ان المراقب لا يخالط المغاربة الا في الحفلات الرسمية .

وقد تعجب اذا قلت لك يقول المدير للرئيس انه يحدث كثيرا ان ترى المغربي راكبا على حماره في طريقه الى السوق مثلا ويخيل اليك انه لا فرق بينه وبين الحمار .

ولكنك لو تنازلت عن انانية الحاكم وتذاكرت مع راكب الحمار ، لوجدت شخصية احق بالحكم من ذلك المراقب الفرنسي الاناني .

ثم ختم كلامه بقوله : ان على فرنسا ان تعيد النظر في وضعيتها الحاضرة في المغرب ، فالتطور الضروري للحياة يستدعي منها ذلك .

وحاول الرئيس ان يعقب على قوله فامره بالسكوت قائلا : لا موجب للجدال فانا اعرف منك بالشعب المغربي ومبادىء واهداف قادته وملكه .

ثم توجه الينا المدير قائلا :

انتم تنذكرون ـ ولا ريب ـ المعاملة الطيبة التي استعملتها مع الوطنيين في حوادث 1937 م ولو كان الامر امري لتركتكم هنا الى ان يطلق سراحكم ، ولكن صدرت لي الاوامر بتوزيعكم على سجني عين علي مومن والعذير ، وانني اعلن لكم هذا وانا متأسف ، ولكن من يذهب منكم الى سجن عين علي مومن سوف لا يلاقي أية معاملة سئية لان رئيسة م كونتي ـ وان كان من كورسيكا «فهو رجل طيب» وقد كان هنا في السجن خليفة رئيس وسوف اوصيه بكم خيرا ، على انه سيتعرف على كثير منكم ويذكر حسن سيرتكم في السجن سنة 1937 .

ثم قال وعليكم ان تصبروا ايضا فان الطريق الذي تسلكونه ليس مفروشا بالحرير فغايتكم نبيلة وسوف تنسيكم كل الم وعناء .

ثم ودعنا وانصرف .

اجل ، ان السيد احمد بند الي هو الذي عرب كل ما ذكرته عن المدير والرئيس ، وقد وافق على ترجمته السادة : بناصر ، محمد بن عبد القادر ابن تاهلة ، محمد بن ريـاح الوجديون .

وفي صباح الجمعة ثامن عشر نبراير 1944 م . رقع ارسال 22 منـا الى سجن العذير قرب الجديدة وكانت مدة سجنهم تتراوح ما بين شهرين وتسعة اشهر .

من بينهم السادة : محمد بن التهامي برادة ، الصافي ، حجيرة الكبير ، اعمارة ، الطيب بن الحاج العربي .

وفي صباح الاحد عاشر فبراير المذكور نقلنا نحن الباقين الى سجـن عين علي مومن مسلسلين كالعادة ، وقد اوصلتنا شاحنة الى القطار الذاهب الى مراكش .

وفي محطة سيدي العايدي وجدنا حراس السجن ينتظروننا وحيثما نزلنا من القطار سلكنا في سلاسل اخرى ثلاث ورباع وقطعنا المسافة من سيدي العايدي الى سجن العين راجلين مسلسلين .

وحينما وصلنا الى السجن دخلنا الى «الحمام» ولبسنا زي المساجين وحلقت لنا رؤوسنا ثم وزعنا على بيوت المساجين العاديين ، اي بين رقم 8 و 7

وقد كانت حياة السجون بالنسبة الى كعالم جديد لم اكن اتخيله ، خصوصا وأن السجـون كانـت في هـذا العهـد علـى أسـوأ حـال ، سواء من ناحية الثياب ام ناحية المواد الغذائية ، فقد كان يصعب علي ان آكل خبز السجن فضلا عن «السوبا» التي كانت عبارة عن انية من ماء سخين وشيء من البقول التي لا تؤكل .

ومر علينا خمسة عشر يوما بالضبط ونحن نظل ونبيت جوعا الا تلك الخبيزة التي لا تتـعـدى ثلاثمائة أكرام ، ومناخ السجن يساعد على الشهية النـهـمـة .

وفي يوم الاحـد الخامس عشر على اقامتنا ، ، توصلنا من فرع الحزب بالبيضاء ببعض المواد الغذائية ومع ذلك فقد قاسينا من آلام الجوع عنـاء غـيـر يسـيـر .

وأقسى مـن ذلك قساوة البرد والقمل ، ولا غرابة اذا قلت : انه كان احدنا مسرحا لمئات القمل أيامنا ولياليـنا . وبعد ثمانية وعشرين يوما من مقامنا خرجنا الى الـعـمل في الحقول ، والحقيقة أن عملنا لم يكن ذا صبغة استثنائية ، فلقد كنا نباشر العمليات الفلاحية بصفة عادية . اي بدون ضغط ، ولا سباب ، ولا ضرب .

« محمد اليزناسنـــي »

وأثناء مقامي في هذا السجن تعرفت على الاخ المجاهد المرحوم محمـــد اليزناسنـــي ، الذي كان اول من أبرق بتاييد الحركة الوطنية اثناء تقديم المطالب العامة وكان اذذاك ساكنا في تازة .

وعلمـت منه انه من بني محيو ، قبيلة تقـع في أقصى بنـي وريمش الجنوبيين ، وترجع من الناحية الادارية الى ملحقة عيون سيدي ملوك .

وأخبرني بان الادارة الفرنسية قد انتهزت ظروف الحرب فانتقمت منه باعتقاله واحالته على الاستنطاق .

وقد حدثني عـن انواع من العذاب لا يكاد العقل يصدق ان أي انسان يستطيع أن يعيش بعد ضرب بالسوط وباليد الى جميع اجزاء الجسد ، وتعليق من الرجلين وتعليق من رجل واحدة والكهرباء في الجهاز النسلي ، ورمي به الى الصهريج ، وشرب ماء المراحيض ، والخنق ، أما السباب ، فقد صب عليه كل ما يحتوي قاموسه من الكلمات والجمل ، وبعد ذلك حكم عليه بعامين سجنا .

كان السيد محمد اليزناسني المحياوي يسرد علي قصة عذابه وهو يبتسم ويحمد الله على أنه قدر له الامتحان في ايمانه وعقيدته الوطنية ، وقد خرج منتصرا في ذلك الامتحان بالتمسك بعقيدته الوطنية .

ولكنه كان يقول رحمه الله : انه يشعر بوجود امراض خطيرة في جسمه وانها سوف تسلمه قريبا الى عالم الخلود . وفعلا ، فانه لم يمض عليه وقت طويل بعد خروجه من السجن واستيطان وجدة حتى التحق رحمه الله بعالم الخلود ، وكانت جنازته من اعظم المظاهرات الوطنية الصادقة ، ودفن بمقبرة سيدي المختار بوجدة .

واعود الآن ، الى نقطة بارزة شهدتها اثناء مقامي في سجن عين علي مومن ، فلقد ورد علينا بعد أربعة أشهر ، الوطنيون الفاسيون ، وحكوا لنا من أنواع التعذيب في بولمان ومرموشة ما يحمل الانسان على الاغماء . ومع ذلك فقد كانوا أقوى ايمانا وأصلب عقيدة ، وبفضلهم استطعنا ان نتحرر من قيود السجن واهاناته . وبفضلهم تلقينا دروسا في الكفاح الوطني .(1)

ففيما يخصني أنا على الخصوص ، وقد استطعت أن استفيد معلومات كافية للاستعانة بها على مواصلة الكفاح الى النهاية . ومن الجحود البين ان ينكر غيري ذلك !

فعلى الرغم مما قاسيناه من شقاء البرد القارس والعرى والجوع فقد كانت هذه الاجواء الوطنية تحول دون اهتمامنا باي شيء من ذلك .

---

1) من سخرية الحياة أن تشن حملات عنصرية محضة في عهد الاستقلال ضد أهل فاس ، وفاس المركز الاول للاشعاع الاسلامي والوطني والحضاري .

وحسبنا ان نذكر من آلام الجوع ، ان «الكبران بلعيد السوسي» بالبيت رقم 8 الذي كنا نسكنه نحن طائفة من الوجديين كان يناولنا قدحا من دقيق ممزوج بماء ساخن فنقسمه على ثمانية ، رشفة واحدة لكل واحد منا .

أما القمل ، أما الاوساخ ، أما البق ، أما الحرش ، أما الروائح الكريهة اما اكل « السـوبـا » في اوان توضع في المراحيض ، او وجود الحشرات في الخبز ، ومنها الفيران ، أما الثياب المهلهلة الممزقة المليئة بالاقذار ، اما هذه الاشياء فيحتاج وصفها الى كتاب خاص .

وحسبك أن تعلم اننا حينما نضع قطعة خبز في جيوبنا لندخرها الـى اقسى حالة الجوع ، نجدها مليئة بالقمل فنضطر الى ازالته ثم اكلها من غير ان نشعر بغضاضة من شدة الم الجوع .

بل انني شاهدت وطنيين ياكلون الربيع بافواههم من شدة الم الجوع ، كما تتناول الانعام البقول .

الى سجـن الرباط

وفي تاسع يوليوز الثلاثاء سنة 1944 فيما اذكر ، وقع استدعائي الـى المحكمة الجنائية بالرباط .

وقد كان استدعائي صدمة عنيفة على اخواني الذين تاثروا ايما تاثـر بذلك خصوصا وان جرح الاخوين محمد الدرفوفي واحمد بن دالي كان لم يندمل بعد ، فقد استدعي هذان الاخوان الى المحكمة العسكرية بتهمة اجنبية وودعناهما وداع الفراق الابدي .

فالمحاكـم العسكرية انذاك كانت تحكم بالاعدام وتنفذه في أقصر مدة ، وعلى كل حال فقد ودعت الاخوان وداعا مؤلما مشفوعا بالعبرات والدعوات الـصـالـحـة .

ولم يكن احد منا ليخشى الاستشهاد في سبيل الله والوطن ، فقد كنا نتوفر على ايمان يستهين بكل تضحية حتى الموت .

ولكن الفراق في هذه الحال لم يكن من الاشياء السهلة ، ومن الغريب أن الانسان الوطنـي لم يكن يذرف اية دمعة لفراق اهله ، ولكنه يبكي بكاء مسترسلا لفراق اخوانه .

فلقـد استطاعت العقيدة الاستقلالية أن تصهر الاستقلاليين في بوتقة واحدة وتنسيهـم نهائيا روابط العائلات وتخلق فيهم شعورا وطنيا استقلاليا حتى كانما خلقوا من طينة خاصة .

وضعت في مساء الثلاثاء تاسع يوليوز 1964 في محل مع سجناء صدر الامر بنقلهم الى البيضاء ، وبعد صلاة المغرب سلك الجميع في سلسلة مثنى

مثنى ، واتجه بنا الحراس الى سطات راجلين ، والمسافة بين عين علي موس وسطات ، ثمانية كيلومترا .

وفي صباح الاربعاء الموالي كنا بسجن غبيلة بالبيضاء .

وقد تعرفت في هذا السجن ــ بوسيلة غير قانونية بفضل الحارس السيد الصابري الندرومي الوجدي ــ على المرحوم السيد محمد المدور الذي اكرمني واراني من آيات صبره وجلده ما زادني ايمانا عن ايمان ، فقد كان مع اخوان لنا جميعا محالين على المحكمة العسكرية بالبيضاء بتهة التحريض على القتل في مظاهرات القصر اثر اعتقال الزعيمين محمد اليزيدي ، واحمد بلافريج ، ولا اذكر من اخواننا اذ ذاك الا : السيد بوطالب متعه الله بطول الحياة وكامل العافية.

وفي صباح الاحد الموالي نقلت مسلسلا الى سجن الرباط المدني « باب لعلو » ومكثت في البيت رقم 7 خمسة اشهر .

واثناء هذه المدة زارني والدي اطال الله حياته ، واظهر من الجلد على فراقي عشرة اشهر ما كان ــ بحق ــ مثالا لمقاسمة الاباء ابناءهم تلك العقيدة الوطنية الطاهرة .

واستدعيت الى المحكمة العليا في قضية الزواج التي اشرت اليها فيما قبل ، وبعد البحث والاستفسار المتكرر صدر الحكم ببراءتي .

واذكر في هذه المحاكمة امرين لا انساهما .

أولا : انني في المرة الثانية التي توجهت فيها الى المحكمة العليا جاءني رجل من المخزن المطربش من المحكمة العليا وهو ابرص ووضع السلسلة في يدي وهو يجرني من ورائه مخترقا بي شارع الجزاء ومطر خفيف ينزل علينا ومن حين لآخر كان يقف ليسلم على هذا أو يدخل الى دكان هذا ، وانا انتظره وراسي عار حليق اشبه ما كنت بقرد يسوقه مدربه .

واذكر جيدا ان ذلك المخزني لم يكن يبدو عليه اي شعور ألم ازاء هذا المنظر ، منظري حليق الراس في ثياب السجن يصل سروالها الى الركبتين ، عاري الصدر ، دون قميص ، وانا مسلوك في سلسلة يجرني بها كالقرد .

ولما دخلت الى المحكمة صادف وصولي وجود الاستاذ عمر عواد السلاوي الذي كان قاضيا بالمحكمة العليا ، فامتقع لونه من هذا المنظر ولم يستطع أن يكبح جماح أعصابه فقال للمخزني المذكور : من العيب أن تاتي بهذا الاستاذ على هذه الصفة ، انه ليس مجرما ، انه من خيرة الوطنيين فلا تعد الى مثلها ، ألست مسلما ؟ ألست مغربيا ؟ لماذا يتعذب هؤلاء ؟ أليسوا في سبيلك وسبيل امثالي الذين آثروا البقاء في منازلهم ؟

يا لفضل الله واكرامه ، كم كنت ـ وانا اسمع توبيخ السيد عمر عواد ـ للمخزني ـ اشعر بسعادة اسجلها هنا على انها كانت بحق اول سعادة لي منذ اعتقلت ، فلقد عرفت بها أن العقيدة الاستقلالية لها انصار طيبون خارج السـجـون .

وفعلا ، جئت طيقا مع صاحبنا المخزني في المـرة الثالثة واعتذر لي كـثـيـرا .

ثانيا ، انني حينما كنت ازاء القاضي المرحوم السيد عاشور سألني :

هل تلقيت هذه الشهادة من اللفيف ؟ فاجبت نعم .

« سي » ان شهود اللفيف قـد أنكـروا ؟ قلت : هـل لانكارهم مـن حجة ؟ ام هو مجرد انكار ؟ فقال : مجرد انكار . قلت ، أنا عدل مبرز ، وهم غير مبرزين... فلكم ان ترجحوا شهادة من شئتم ثم عليكم ان تذكروا : ان القاضي هو الذي يجب ان يتلقى الشهادة من اللفيف ولكنه ينيب عدلا عنه ، وان القاضي ـ نظرا لاهتمامه بهذه القضية على الخصوص امرني بان اتلقى هذه الشهادة من الشهود ازاءه بمجلسه الشرعي .

فسألني : ولكن في شهادة اللفيف تناقض ؟! فاجبت : ليس من حقي ان ألقن الشهود ، فالقاضي هو الذي له الحق في رفض الشهادة أو قبولها ، وذلك بحكـم ابتدائي كما هو معروف في المسطرة ، على ان القاضي حينما اذن في عقد النكاح ، يعد اذنه حكما بقبول شهادة اللفيف .

فقال : وبهذه المناسبة ، فهل أنت توليت الاشهاد بعقد النكاح ؟ فأجبت : لا... فقال له المراقب الفرنسي هو كذلك .

ثم سألني : هل انت مسجون لهذه القضية ؟ فاجبت لا ، ولكن المراقب الفرنسي كان قد سبقني بالقول : انني غير مسجون بهذه القضية .

فالتفت السيد عاشور الى الاعضاء الذين كانوا معه وسالهم : هل لكم أسئلة تلقونها عليه ؟ فاجابوا : لا... « وممن كان معه السيد بنجلون الكبير ».

ثم قال السيد عاشور : الله يعلم ان كان ظاهر الامر كباطنه ، فليس لك في الامر شيء ، واثر البحث الاخير صدر الحكم ببراءتي .

ومن ذكرياتي في هذا السجن في هذا العهد انه حل عيد الاضحى فعينت امام وخطيبا داخل السجن طبعا وكان مشهدا لطيفا ، ومـمـن حضر هذه الصلاة السادة : ابو بكر القادري ، عبد الرحيم بوعبيد ، قاسم الزهيري ، محمد البقالي ، محمد الناصري ، المهدي بن بركة .

مرة ثانية الى سجن عين علي مومن

و اوائل شهر دجنبر 1944 في يوم الاربعاء وقع ارجاعي الى سجن علي مومن عن طريق سجن الدار البيضاء الذي بقيت فيه ثلاثة عشر يوما .

بين سجن الرباط وسجن العين

خرجنا من سجن الرباط على ظهر شاحنة عسكرية الى محطة القطار باكدال، ونحن مسلسلون بطبيعة الحال .

ولما وصلنا في المساء الى محطة القطار بالبيضاء في سيارة عسكرية كان من بيننا شاب طويل القامة ابيض قال حينما ركب الى جانبي : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وفي سبيل الله والوطن .

فالتفت لاتصفح وجهه على نور مشكاة الشارع فاوحت الي ملامحه باذكار شاب من تازا تركته في سجن العين حينما نقلت الى سجن الرباط .

فسألته على الفور ــ ألست تازيا ؟ فاجاب نعم ، ألست السيد عبد الرحمن بنساعد ؟ فاجاب نعم ، وقد اندهش بهذه الاسئلة ، فسألني ، وكيف تعرفت علي ؟ ومن انت ؟ فاجبت : ذكرتني ملامح وجهك باخيك السيد محمد الذي تعرفت عليه في سجن العين ثم ذكرت له اسمي وسبب اعتقالي باختصار واضفت الى ذلك قولي : اننا في سجن العين قد استطعنا ان نتعرف على معلومات دقيقة عنك . فسألني : وما هي تلك المعلومات ؟

فقلت : الست من الشهود في قضية الامين العام للحزب الاستاذ بلا فريج ؟ فأجاب : نعم واردف ولكنني لم اقل فيه ما من شأنه ان يمسه بسوء ؟ إذ أنني ــ يقول السيد عبد الرحمن ــ أنا الاخر متهم باليد الاجنبية وقد حكم علي بالاعدام مرتين : غيابيا وحضوريا ، وقد استأنفت الحكم فنقلت الى سجن اغبيلة بالبيضاء .

وهنا اومأ الى رفيقه السيد محمد من طنجة بان لا استرسل معه في الحديث .

ولكنني مع ذلك قلت له : ان المحكومين عليهم بالاعدام يوضعون عادة في حجرة خاصة مسلسلين مشدودين مع سلسلة الى حائط الحجرة ، فاذا عوملت بهذه العادة ، فانت ايضا في خطر ، والا فالحكم عليك بالاعدام لا قيمة له ؟!

وحينما وصلنا الى السجن ووقفنا ازاء مكتب الرئيس مصطفين اخذ «عدل السجن» ينادينا باسمائنا ان تصفح ملفاتنا .

وعندما نودي على السيد عبد الرحمن همس العدل في اذن الرئيس فاجابه بكسر شفته وهز كتفيه فالحق السيد عبد الرحمن بنا كمسجون عادي في الحجرة رقم 13 .

وفي مساء الخميس التالي نقلنا الى الحجرة رقم 5 ومساء ذلك اليوم سألت السيد عبد الرحمن ، هل كنت في مصر ؟ فاجاب : نعم .

ومن هم الذين تعرفت عليهم ؟ وهل تعرفت على الدكتور طه حسين ؟ فاجاب : نعم . هل حضرت في محاضرة له ؟ اجاب : نعم . هل كان يخطب ارتجالا ام بالاوراق ؟ اجاب : ارتجالا . فقلت : طبعا له سيارة خاصة ويقودها بنفسه ، اجاب : نعم ويقودها بنفسه ..

وفي هذه الاثناء ايضا اتصلت بالاخ المرحوم محمد المدور بفضل الحارس السيد الصابري المذكور سابقا .

وفي الليلة التي صدر الامر بارجاعنا الى سجن العين استطاع محمد المدور ان يتصل بي هذه المرة بنفسه وبواسطة الصابري ويسلم الي خبزة وكمية من الثمر ، فكنت تلك الليلة اغنى سجين في تلك الحجرة ولكنني لم استطع ان أتناول ذلك بمفردي ووزعته على جميع السجناء وبت طاويا . لان شعوري السعيد باهتمام الاخ المدور ، انساني الم الجوع ، فسعدت بسعادة مزدوجة اهتمام الاخ المدور وتوفيق الله لي ان اكرمت اولئك المساجين مع صبري على طي ليلتي جوعا .

في عيـــن مـومـــن

وفي غلس يوم الاحد من النصف الثاني من دجنبر 1944 فارقت سجن الدار البيضاء في اتجاه سجن عين علي مومن ، وفي محطة سيدي العايدي وجدنا الحراس ينتظروننا كالعادة ولتعرف احدهم علي حيث تذكر انني كنت في سجن العين ، وكانت له عواطف وطنية ، اركبني على ظهر عربة السجن ، وكان معي في السلسلة شاب من سكان فاس فقلت له اثناء المسافة بين سيدي العايدي والسجن : اقترح عليك ان تدعى انك وطني ولو انك متهم بالسرقة لكي تعامل معاملة الوطنيين في شدتها ورخائها فقبل ان يغامر بهذا الاقتراح .

وبعد الاطلاع على ملفاتنا واستحمامنا ولبس ثياب السجن استقبلنا الحارس الاوربي الشهير لدى المعتقلين «م طاكليا» بسكون الكاف المثلثة .

فقال لي هذا الحارس : انت وطني وجدي وقد حكم لك بالبراءة في قضيتك التي انتقلت بسببها من هذا السجن الى الرباط وابتسم ثم التفت الى رفيقي وسأله : انت لماذا سجنت ؟ فجابه وطني ، فتفرس في وجهه لحظات وهز رأسه ! أنت وطني ؟ لا .. لا .. وجه وجه «مخار» اي سارق ، قف هنا وتوجه الى مكتب الرئيس وهو يعنعن : أع .. اع .. اع أنت «تبغي تكون الوطني الكبير ؟» لا .. انت مخار !! اذهب مع المخارين ثم التفت الي قائلا انت الوجدي الوطني الصغير «فاملة» الدرفوفي ، قلت نعم ، اذهب الى البيت رقم 8 ــ وفيه كنت من قبل .

(بطاكلبا) هذا كان يدعو وطني فاس الوطني الكبير وغيرهم الوطني الصغير . وقد اشتهر بفراسته وذكائه الغريبين .

وبعد مرور شهرين علي في هذا السجن مرة ثانية ، وفي يوم الاحد تاسع عشر فبراير 1945 اطلق سراحي مع عشرات الاخوان .

في وجدة : مع برونيل رئيس الناحية

خرجنا من سجن عين علي مومن ليلة الاثنين 20 فبراير 1945 . وفي صباح الثلاثاء وصلنا الى وجدة ، وفي مساء نفس اليوم وصلنا استدعاء من رئاسة الناحية للحضور لدى الرئيس برونيل صباح الاربعاء واحد وعشرى فبراير 1945 .

وعلى الساعة التاسعة استقبلنا في مكتبه وكان الذي تولى الترجمة : الترجمان المهياوي الجزائري وبعد ان سألنا كيف قضينا مدة السجن قال :

«انا الذي طلبت من الادارة ان تطلق سراحكم قبل اتمام مدة سجنكم واذا اثر فيكم هذا «الخير» «فستقتصرون» على الاشتغال بشؤونكم الخاصة دون التدخل فيما لا يعنيكم» فلم يجبه اي احد منا ولو بكلمة واحدة ، فامتعض لذلك والتفت الي قائلا : اما أنت ، فسوف تعرف من انا . الى الصحراء ، الى الصحراء ، هذه المرة فهمت ؟ فلم اجبه فصرفنا فانصرفنا .

وقد كنا سبعة وطنيين فيما اذكر

وفي مساء الاربعاء من 21 فبراير 1945 وصلت الى منزلي بابركان .

قصة اعتقال السيد عمرو بن الحسين في هذه الحوادث

حينما اطلق سراحي ورجعت الى ابركان علمت :

انه بعد اعتقالي في وجدة استدعي السيد عمرو بن الحسين الوكوتي الى مكتب رئيس مراقبة ابركان وكان لا يزال على رئاسته مسيو سيروك .

وبمحضر القائد المنصوري قال له : لقد استدعيتك لانذرك بالعقاب اذا ما قمت بشيء في ابركان من شأنه ان يخل بالامن العام .

فاجابه عمرو المذكور بانه لا يخشى اي عقاب وانه يريد الذهاب الى السجن .

فقال رئيس المراقبة : ان كنت تريد السجن فدونك ، وامر به الى السجن.

وبعد مكوثه بسجن ابركان اربعة اشهر صدر قرار في شأنه بالنفي الى الصحراء ، وفعلا نقل الى الطاوس .

وروى لي عمرو انه مكث عدة ايام في بيت مغلق ثم اعطي له منزل واثناء مقامه بالطاوس حصل على رخصة لزيارة مولاي علي الشريف محروسا بحارس ولم يطلق سراحه الا في آخر سنة 1945 .

انطلاقة سنة 1945

حينما اطلق سراحي زارني بعض المواطنين علاوة على الاقارب في منزلي ولاحظت ان جلول بن محمد بن جلول الوكلاني الجديري كان متحمسا

في حديثه معي فاضمرت في نفسي ان يكون هذا المواطن المتحمس هو النواة الاولى للقيام بنشاط وطني على اساس مبادىء حزب الاستقلال طبعا .

وبعد استراحتي بضعة اسابيع استدعاني سيروك .

وبعد الحضور سألني هل خرجت من السجن ؟ فاجبته : انا معك الان .
«س» ولم لم تزرني ؟ فاجبته : لم ار موجبا لذلك .

وكان يتحدث الي وهو مطرق فلما رأى الاجوبة مقتضبة رفع بصره الي وقال :

اذا كنت لم تتعظ بالسجن فسترى ما هو اكثر . فقلت : الى ذلك الوقت لك أن تفعل ما تشاء .فسكت قليلا وقال يظهر انك عصبي . قلت لا . انني وطني

فقال : ولكن كان من اللياقة ان تزورني بعد خروجك من السجن . فقلت : لو كان المفروض انني كنت موفدا في مهمة للمراقبة . فقال : اخرج من مكتبي . فقلت : لقد دخلته باذنك . وها انا ذاهب الى حال سبيلي .

وعلمت انه قال للترجمان بعد خروجي من مكتبه : «هذا رأسه قاسح» آه كل بني يزناسن هكذا ، لا يزيدهم الضغط الا عنادا .

وبعد ايام استدعاني القاضي السيد العربي السعودي الى منزلـــه لتناول طعام العشاء ، فعجبت لهذا الاستدعاء ولم ابه الا بعد الحاح وقسم ، اذ خطر لي لاول مرة انه يجازف بنفسه بهذه الدعوة . فلقد كان رجلا كريما .

وبعد تناول الطعام قال لي :

انني متأسف باخبارك أن وزارة العدل قد عزلتك من خطة العدالة . فقلت لا تأسف يا سيدي القاضي فقد مضى وقت العدالة .

فقال لي : ولكنني تحدثت مع المراقبة في شأن رجوعك وانني آمل ان احصل على الموافقة بعد ايام .

فقلت : لا تتعب نفسك يا سيدي القاضي وجزاك الله خيرا ، فلقد عقدت العزم على عدم ممارسة اي وظيف الى أن نسترجع استقلالنا ان شاء الله ، فالوقت وقت جهاد لا وقت عدالة .

تأثر رحمه الله بكلامي وقال : بارك الله فيك ووفقك لخدمة بلادك .

وعلمت من بعد ، ان المراقبة هي التي اوعزت اليه بالحديث معي في شأن الرجوع الى مزاولة خطة العدالة .

وكانت تريد بذلك ارجاعي الى حياة عادية وانغماري في حياة العدول لا نسى وطني وما يتعلق به .

ولكن هيهات ، فقد كان دماغي يغلي بالبرامج الوطنية العريضة وقد بلغت في حماسي الوطني الى درجة كنت اعتبر معها الاستهانة بكل ما في الحياة من آلام .

فلقد تملكني الشعور بالمسؤولية الوطنية ازاء الله والتاريخ والاجيال الى الحد الاقصى .

ومهما يكن من امر فقد اغضيت بعزمي الى السيد جلول المذكور بتكوين حلقات وشعب وجماعات وخلايا واستأشرته في الاشخاص الذين يمكن ان يكونوا لنا الحجرة الاولى للعمل الوطني .

وقد وضعت للدعوة الى الفكرة الاستقلالية اسسا تلاءم البيئة اليزناسنية، وتتخلص هذه الاسس في النقط الاتية :

1) دعوة الاشخاص الذين تثبت دراسة نفسانيتهم العميقة انهم مستعدون كل الاستعداد لقبول مختلف التضحيات ، وتكون هذه الدائرة ضيقة جدا الى أن يظهر ما يدعو لتوسيعها .

وهذا الصنف يقسم اليمين الحزبي وتدرس معه نشرات الحزب ، ويخص ببعض اخبار نشاط مركز الحزب ، ويخفي عنه البعض الاخر ليشعر دائما بهالة التقديس للقيادة المحلية ، الامر الذي يساعد على تركيز النفوذ في هذه القيادة .

2) تكوين انصار عاطفين على هامش هذا الصنف ، ويقع الاتصال بهم لبث الدعوة فيهم اثناء فرص الاتصال دون ان يبحث عنهم لتزويدهم بالمعلومات عن نشاط القيادة المحلية فضلا عن نشاط المركز ، فاذا نمى فيهم الوعي والشوق الى الاستزادة ، يكون طلب المعلومات من جهتهم ، ومع ذلك لا يعطي لهم الا النزر اليسير من النشاط الوطني ويزودون حسب الامكان بالافكار الاستقلالية العامة .

واثناء هذا الاتصال المختلف معهم تدرس القيادة الاشخاص من هذا الصنف الذين يمكن الحاقهم بالصنف الاول .

3) اتصال غير مباشر من القيادة المحلية ببعض الاشخاص الذين لا تخلو منهم جهة ، والذين يتحدثون في الشوارع والمقاهي والمنتديات ومختلف التجمعات دون ان يزنوا كلامهم بميزان العقل ومراعاة العواقب ، وهؤلاء يكونون قد اشتهروا عند الناس ببعض الحمق والطيش .

واثناء الاتصال المباشر بهم تعطى لهم افكار واخبار يزيدون فيها وينقصون . وتارة تكون احاديثهم لفائدة الفكرة الاستقلالية ، واخرى لغير فائدتها وهكذا .

والمقصود من تسخير هؤلاء اذاعة أفكار وطنية ما، بواسطة اسلوب هؤلاء الاشخاص الذين قلما تعاقبهم السلطة الحاكمة بما اشتهروا به من الطيش والحمق .

فاذا أتقنوا تبليغ الفكرة كنا الرابحين لاننا أذعنا فكرة أو أفكارا لا يستطيع الذين لهم طابع العقل ان يذيعوها لما ينشأ عن ذلك من تعرضهم لعقاب السلطة ، واذا لم يتقنوا اذاعتها أعدناها مرة أو مرات ، حتى تنتشر في مختلف الاوساط ، وذلك هو الهدف المنشود .

4) ان نتجنب كلمة خائن ما دمنا في دائرة ضيقة وندع استعمالها للظروف على ان لا نعين اي شخص في حالة استعمالها ، بل نستعمل كلمة : الخيانة، لا الخائن فلان ، لان ذلك من شأنه ان يضر بسير الاعمال .

وان لا يقع التساهل في اطلاقها فتتسع دائرتها ، وذلك هو السبب الاول، وثانيا اذا كان معنا من له صلة بمن نطلق عليه الخائن فقد نحرج موقفنا معه.

وكل تساهل واحراج من شأنه ان يخلق لنا مشاكل نحن في غنى عنها ، وخصوصا انه مهما اتسعت دائرة «الخيانة» فلن تتعدى عشرات الاشخاص ، وخير لنا ان نشتغل بعشرات الالاف البعيدين كل البعد عن هذه التهمة لنكون منها خلايانا وشعبنا ، من ان نشتغل بالتنابز والشجار مع عدة اشخاص .

5) ان يقوم كل عضو من الصنف الاول ببث الفكرة الاستقلالية بين زوجه وقريباته دون ان يقبل منهم الانخراط ، بل يوهمهن ان مجرد عطفهن على الفكرة معناه الانخراط في الحزب ، وبذلك نستطيع ان ننشر الدعوة في الاوساط النسوية ونستفيد من الاعراس والعقائق والحمامات والجنائز ، لبث الفكرة الاستقلالية .

6) تلقين بعض النكت الوطنية والاناشيد القصيرة البسيطة السبك للاطفال ، لادخال الفكرة الاستقلالية في وسطهم ، حيث يكون في امكانهم ان يذيعوها باسلوبهم الخاص دون التعرض الى اي عقاب .

والمقصود الاهم من هذه النقطة هو الاستفادة من الرأي العام عندنا في بني يزناسن القائل : ان الفكرة اذا تغنى بها الاطفال او تداولوها فيما بينهم لا بد ان تتحق .

7) الاهتمام ببث الفكرة في أوساط الرعاة ، وهؤلاء يزودون بشيئين اثنين

1) الاناشيد الوطنية .

2) الاخبار المهمة ، كاخبار كفاح اندنوسيا والهند الصيني .

والمقصود من هذا الاسلوب ان تعلم السلطة الاستعمارية ان الفكرة الاستقلالية قد بلغت الى اوساط الرعاة ، وان الرعاة يتتبعون سير الحركات التحريرية حتى خارج المغرب .

وبهذا التصميم استطعنا ان «نفرق» جميع الاوساط في الحركة الاستقلالية فالانسان اذا لم يكن لامن الانصار ولا من الاعضاء ، تصله الدعوة بواسطة الاطفال والرعاة واحاديث النساء في مختلف الامكنة .

عمـــارة الحـــزب

لقد قمت بالدعوة الى الفكرة الاستقلالية في سنة 1945 مع الاخ جلول وبعض الاخوان الاخرين دون ان تكون هناك فكرة الفرع او المكتب او أي شيء آخر من هذا النوع .

وكان مركز الحزب يراسلنا بواسطة مندوبه العام بوجدة السيد بناصر ابن الحاج العربي ويصدر رسائله الينا بالاخ العميد ، دون ذكر الاسم طبعا .

وكانت الهياة المسيرة بعميدها واعضائها قد اتفقت على ان لا تؤسس مكتبا حتى يطلق سراح الاخوين : الحسن شاطر ، وعمرو الوكوتي ، وذلك نظرا الى انهما من قدماء الوطنيين من جهة ، ومن جهة اخرى يجب ـ احتراما لهما ـ ان لا تكون لدينا مؤسسة حزبية ذات قيادة محلية رسمية الا بحضورهما لان من شأن ذلك ان يحفظ لنا التماسك والتحاب والاخوة ، وذلك من شأنه أن يضمن لنا النجاح في كل عمل نقوم به .

غير اننا قررنا ان يختص العميد وحده باعطاء بيان للاخوين المذكورين بعد رجوعهما من منفاهما وفي فرصة مناسبة ، وتعطي لهما الفرصة الكاملة للاستراحة ودراسة الاجواء المختلفة ، وكذلك كان .

صدور المنع من المراقبة بعدم زيارتي لوجدة

كانت المراقبة المحلية تتبع ـ بطبيعة الحال ـ كل خطواتي وقد تحققت من اتصالي في وجدة ببناصر ابن الحاج العربي المندوب العام للحزب في المغرب الشرقي .

ولذلك استدعتني المراقبة وابلغتني بانه لا يمكن لي ان أسافر الى وجدة الا باذن خاص ، وخصوصا ان الحرب العالمية الثانية كانت لا تزال قائمة

وحالما اطلعت اخواني الخاصين على ذلك تأثرو بذلك لان من شأن هذا القرار الجائر ان يفقدني الاتصال بالمندوبية الحزبية الاقليمية مباشرة .

وليست الرسائل كافية في تبليغ التعاليم ، او تبادل المعلومات .

وبعد تفكير في الموضوع من جميع جوانبه خطر لي ان افتح متجرا ، ولكن لا مال لي افتح به هذا المتجر ، ثم ان المواد مقننة وليس في الامكان الحصول على الرخصة .

فرأيت ان هناك مواد بسيطة لم يشملها التقنين وهي التي يمكن ان

اشتغل ببيعها ولو كانت تافهة الارباح وهذا لا يضرني ما دام الوالد يقوم بالانفاق علي وعلى عائلتي التي كانت متكونة اذ ذاك مني ومن زوجتي وثلاث بنات .

ففتحت دكانا بزنقة طنجة في ملك السيد محمد بن الطيب الورطاسي وكان الفضل يرجع الى الشاب محمد بن قدور «قجيع» الورطاسي الذي سلم الي ذلك الدكان .

والمقصود من فتحه هو الانغمار في مختلف طبقات الشعب من جهة وجعله وسيلة لشراء السلعة من وجدة بعد ان تنتهي ظروف الحرب وكانت على وشك النهاية .

ومن الالطاف الخفية انني كنت قبل صدور هذا المنع درست مع المندوب العام جو ابركان وجميع الوسائل التي كنت وضعت اسسها في التصميم السابق لنشر الذكرة الاستقلالية واوصيته بانني ساعتمد السيد جلول كواسطة بيني وبينه ويمكن ان يفضي اليه بكل ما يريد .

تنظيـــم الماليــة المحليــة

لم تكن لنا في الاوائل نفقات نحتاج فيها الى جمع الاموال ، اذ كنت أسافر الى وجدة على نفقتي الخاصة ، ثم كان السيد جلول من بعد يسافر على نفقته الخاصة .

كما اننا قررنا ان تكون اجتماعاتنا بدون اكل ولاشرب شاي ، وكنا نشدد في ذلك الى حد بعيد .

ومع ذلك كان بعض الاخوان يلتمس منا السماح له «بالكسكوس» والشاي او هما معا وكنا لا نسمح بذلك الا لبعض الاشخاص فقط .

ولكننا رأينا ان الدعوة في البادية تقتضي نفقات ، وان انتقال «البريد» او الواسطة الى وجدة يفتقر الى نفقة من «صندوق خاص» .

ولذلك اتفقنا على تنفيذ ما شرعه الحزب من مائة فرنك لكل منخرط ، وعيننا السيد عمرو بن محمادي الوكيلي «امينا للصندوق» .

وحينما فتحت دكاني المتواضع كنت أؤدي مائة فرنك وفي اجتماع خاص اقسم الاخوان ان يأخذوا مني خمسين فرنكا فقط ، وبصفة موقتة .

وقد قررنا خمسمائة فرنك «للبريد» الي وجدة وتهيئة العشاء للاخوان بالبادية الذين كنا نعقد معهم اجتماعات دورية في كل يوم اثنين او ثلاثاء .

ففي كل اسبوع نستقبل جماعة من مختلف قرى قبائل بني يزناسن ، وخصوصا من بني عتيق وبني منقوش .

ومن جهة اخرى فقد كنا نسلم اعانة مالية رمزية لعائلتي الاخوين : الحسن شاطر وعمرو بن الحسين .

الاتصال بالمندوب الاقليمي

لقد كنت ارسل كل اسبوع تقريرا مفصلا عن مختلف نشاطنا الوطني وما تقوم به المراقبة من نشاط يتصل بعملنا خصوصا بعد ان انضم الينا الاخوان الثلاثة : محمد بن عمرو العامري العتبيقي ، ومحمد بن أحمد الصباني العتبقي ، وبلقاسم بن محمد بن رابح الملوكي المنقوشي، وكانوا كلهم كتبة في المراقبة .

فقد كان هؤلاء الاخوان المخلصون يخبروننا بما يروج في المراقبة ويأتون الينا بالوثائق وكنت ارسل كل ذلك الى المندوب العام بناصر بن الحاج العربي .

وزيادة على التقرير الاسبوعي ، كنت أوافيه بكل مستعجل من الاخبار والحوادث في تقارير خاصة ، ولا حاجة بنا الى التذكير باهمية تلك التقارير، فاهمية الاستعلامات لا تخفى على احد .

ففي احدى زيارات وفودنا للمركز بالرباط صرح الفقيه محمد غازي للوفد كما كان يصرح للغير بان فرع ابركان ضرب القم القياسي في الاستعلامات حتى أن المركز كان يعلم كل شيء عن أبركان حتى الاسعار في حالة انخفاضها وارتفاعها .

تنظيم شعب الفرع

يرجع تنظيم شعب فرع حزب الاستقلال بأبركان الى شهر ابريل سنة 1945 م ، فلقد اجتمعت باول شعبة استقلالية في منزل الاخ جلول بن محمد ابن جلول الوكلاني الجديري ، وذلك بالحي العربي الشرقي ، وذلك بقصد تعريف اعضائها باهداف تأسيس الشعب وتنظيمها طبقا لنظام الحزب الداخلي ، وهذه الشعبة الاولى ، كانت أول شعبة درست معها نشرة الحزب الاسبوعية .....

وكانت تشتمل على احد عشر عضوا الى ان وصلت الى عشرين عضوا حسب نظام الحزب الداخلي وهي اول من انتخبت كاتبا وامينا لها .

ومهمة الكاتب : استدعاء الاعضاء للاجتماع الاسبوعي ، وتعيين المنزل الذي يقع فيه الاجتماع ، ومراقبة اعضاء الجماعة من الناحية المعنوية ومن ناحية اتصالاتهم الشخصية حتى لا يتسرب اليها خلل ، فاذا لاحظ من احد اعضائها اتصالات مشبوهة فيها درسناها في دائرة ضيقة واتخذنا قرارا ملائما لذلك .

فاذا ثبت مثلا ان أحد الاعضاء اخذ يفشي سر الجماعة ، استغنينا عن استدعائه للاجتماع تدريجيا ، وغيرنا منزل الاجتماع ويومه وساعته واذا شعر المستغني عنه بذلك ، وأبدى قلقا خالصا باهماله ، صارحناه في الموضوع فاما ان يكشف الحال بان اتصالاته كانت عن حسن نية ، وانه

كان يقوم بذلك لصالح الحزب ، فننبهه الى القاعدة المتبعة : وهي انه لاحق لاي أحد أن يدعو أحدا للانخراط الا بعد أن يدرسه هو شخصيا ويبلغ الينـا كل ما لديه من معلومات عنه ، ورأيه في تلك المعلومات ، وبعد هذا يدرس من جديد في دائرة ضيقة ثم يتخذ القرار الملائم .

واذا تبين ان اتصالاته كانت مجرد اتصالات شخصية اعدناه الـى شعبته بصفة عادية ، واثناء فصله تخبر شعبته بسبب قرار الفصل لتبتعد عنه فلا تتحدث معه عن سير الشعبة الخاص .

وبهذه المراقبة الصارمة اخذ اعضاء كل شعبة يضربون الف حساب وحساب لكل تصرفاتهم ، وبقيام كاتبها بهذه المهمة استطعنا ان نضبط تصرفات كل عضو من اعضاء الشعب واستطعنا ان نصبغ هالة من الوقار والاحترام على عضوية الحزب ، حيث اصبح العضو يضبط تصرفاته ويخشى كل خطوة يترتب عنها فصله عن شعبته .

ولم يكن من السهل على العضو ان يتحمل اي قرار من هذا النوع ، فلقد كنت ادرس مع اعضاء الشعبة نشرة الحزب دراسة وطنية اسلامية ، اذ كنت اشبه هذه الفترة السرية بالفترة الاولى للدعوة الاسلامية ، وبذلك اصبح عضو الشعبـة يعتقد ان كل قرار صدر ضده يعد قدحا صريحا في ايمانه واسلامه ، وان معنى كل مخالفة منه لقانون الحزب الفصل منه ، ثم خزى في الدنيا وعذاب في الاخرة ، وانه عندما يتسع نشاط الفرع هنا ستتخذ قرارات صارمة ضد كل منحرف والقرارات ستكون زجرية قاسية . وسيعلم القارىء من بعد انواعا من هذه القرارات ليعلم مغزى تخوف اي واحد من كل خطوة مشبوهة يخطوها .

وينبغي ان يلاحظ هنا عامل بيئة اساسي في بني يزناسن ، فاليزناسني لا يرضى ان يصدر في شأنه اي قرار ضد ايمانه واسلامه من اية هيأة كيفما كانت اهميتها ، ومن اي فرد كيفما كانت قيمته .

كما يجب ان يلاحظ ان امثالي من الذين طلبوا العلم يعد كل قرار منهم قرارا شرعيا يستند على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كان من حق اي عضو ان يتخوف من اتخاذ اي قرار ضده ..

أما مهمة أمين الشعبة فتنحصر في جمع الاشتراكات الشهرية وتسليمها لامين الهيأة العليا المسيرة ، ولا عمل له اصلا بعد ذلك ، ولا حق له في اي تدخل في مهمة الكاتب واختصاصاته الا بصفة حبية ، كما لا حق للكاتب ان يتدخل في اختصاصاته الا بصفة حبية ، واعني بذلك ، ان لا يتدخل مباشرة ، وهذا لا يمنعهما من تقديم تقارير شفوية أو كتابية لكاتب الفرع بتصرفات كل منهما التي يظن احدهما أنها غير حق .

ولكل من الكاتب والامين سجل خاص يدون فيه نشاطه ، الكاتب يدون المعلومات المعنوية لاعضاء شعبته والامين يـدون ما يستلـم منهـم مـن

الاشتراكات ، وما يصادفه من صعوبات . أما التبرعات فلاحق لاي أحد في تسلمها الا على يد أعضاء الهيأة المسيرة . أعني أعضاء مكتب الفرع .

دار الارقـــم

نظرا الى ان منزل الاخ جلول كان المنزل الذي كانت تجتمع فيه اعضاء الهيئة المسيرة العليا . قبل ان تسمى : مكتب الفرع ، وكان موضع اجتماع أول شعبـــة وطنية ، فقد كنا نسمي جلول : الارقم ونطلـــق على منزله دار الارقم .

والارقم : اسم صحابي جليل كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمومنون الاولون يجتمعون بمنزله الى حين اسلام عمر كما هو معلوم ، وبذلك خرجت الدعوة الاسلامية عن طور السر الى طور الجهر .

ولهذا كنا نتفاءل بهذين الاطلاقين لتخرج الاستقلالية من طور السر الى طور الجهر من منزل الاخ جلول ، فكان الامر كذلك اذ حقق الله رجاءنـــا وتفاؤلنا، فخرجنا ـ تقريبا ـ من طور الاجتماعات السرية الى طور الاجتماعات الجهرية بعد قليل من الزمن ، وان كانت الاجتماعات ظلت تعقد في المنازل الى غاية تاريخ استرجاع الاستقلال .

تنبؤ صدقته الاحداث

في ذات امسية ، وعقب زوال يوم من الايام المتصلة باطلاق سراحي سنة 1945 م ، خرجت انا والاخ جلول من منزله بعد تناول طعام الغداء عنده الى ضاحية الحي العربي الذي كا نيقع فيه منزل الاخ جلول «الاكرابة العليا» وفي شعبة على مقربة من طريق «المنزل» الذاهب الى بني عبد الله جلسنا امام «سدرة» واخذنا نتحدث حديثا وطنيا ، وفجأة سادنا هدوء رهيب سألته على اثره : ماذا ترى ان أعطيك من عمل اذا ما تحقق استرجاع الاستقلال وتوليت مهام «الحاكم الكبير» بابركان كما كنا نطلق عليه اذ ذاك ، أي رئيس دائرة ابركان ؟ فاجاب : سياقة سيارة الدولة التي ستستعملها حالما تتولى مهمة «الحاكم الكبير» فابتسمت وقلت له : انت مخطيء ، لانك تتكلم عاطفيا ، فظروف الاستقلال غير ظروف الاستعمار ، اذ انني مسير حركة ، غير «الحاكم الكبير» فانا الان امثل حزبا سياسيا هنا ، ودوري الان غير دوري كحاكم في المستقبل ، اذ أكون ممثلا للودلة ، فموقفي الان ، غير موقفي معك ومع غيرك في المستقبل المذكور الخاص ، خذ لك مثلا ، يمكن لي ان اضرب لك موعدا مضبوطا لتأتي بالسيارة الى منزلي ويصادف الحال ان أشتغل باتصالات تلفونية رسمية ، ولا أخرج الا متأخرا عن الموعد المضروب لك ، وتكون قد قضيت زمنا لا بأس به في الانتظار ، فهل كان من شأن هذا التصرف ان يرضيك وانت تعرفني الان احرص الناس على ضبط المواعد والوقوف عندنا باللحظات لا بالدقائق ؟ فاجاب : معك الحق ، ستثور اعصابي

وتتغير ميولي نحوك ، فقلت لا بارك الله في هذه الوظيفة التي من شأنها ان تضعف روابطنا الاخوية او تقطعها ، اذن فاختر عملا آخر .

فقال : شرطي ، فقلت : انك لا تحسن الفرنسية . فكيف يمكنك فحص وثائق الاشخاص والسيارات ؟ فقال لي : وما شأن الفرنسية اذا كنا مستقلين ؟ على تساؤله بعد ان صعدت فابتسمت ابتسامة طويلة وعريضة ، ثم عقبت آهات من اعماق قلبي ، هل تتخيل – يا اخي جلول – ان ادارتنا ستصبح عربية في وثائقها بمجرد الحصول على الاستقلال ؟ وانت تعلم انها الان فرنسية لغة وروحا وترجيها واهدافا ؟ انك لا تعرف آلاف المشاكل التي ستواجهنا بعد الاستقلال .

ان مصيبتنا ليست مجرد استيلاء فرنسا على قطرنا واستلاب أراضينا وتولي شؤون ادارتنا ، ليس هذا فحسب ، ان مصيبتنا اعظم من كل ذلك ، فالاستقلال ليس وقت استرجاعه ببعيد ، ولكن المشكل هو ان فرنسا قد استعمرتنا بادارتها ، وبتقاليدها ، وبلغتها ، وبثقافتها ، وتسربت فوق ذلك الى روحانياتنا ومقوماتنا ، وسيظهر أثر ذلك بعد اعلان الاستقلال .

ففي عهد الاستقلال سنجد فروع ادارتنا فرنسية محضة ، فهل تتوفر على الرجال الذين يخلفونهم في الادارة عددا وكفاءة ؟ وهل سيكون هذا العدد الكفؤ صاحب لغتين مزدوجتين ؟ وهل ستتغلب فيه الروح العربية والاسلامية على رواسب الروح الفرنسية فتعرب ادارتنا في اقرب وقت ؟ الحقيقة – يا اخي جلول – اننا سنعاني من تعريب الادارة سواء من ناحية الثقافة أم من ناحية الروح العربية والاسلامية مالا يمكن تصوره الان !

فنفث نفثة من سيجارته وابتسم ابتسامته الساخرة التي تطبعه وقال : لا تفضي بهذه المشاكل لاي احد ، فالاخوان يعتقدون اننا بمجرد ما نحصل على الاستقلال نستطيع ان نحول هذا المغرب الى ارض عربية صرفة لا اثر فيها لرواسب الاستعمار ، فدع الاخوان في اعتقادهم وغفلاتهم فهذه الافكار خطيرة وسابقة لاوانها ، فلندعها الى الوقت المناسب .

فقلت : دعها انت فلا تفض بها لاي احد ، اما انا فستظل في اعماقي الى الوقت المناسب ، ثم قلت له : لنرجع الى الموضوع ، فماذا تختار من العمل ؟ سائق والسلام ، وافترقنا .

وحينما استرجعنا استقلالنا سنة 1956 وعينت «قائدا اعلى» في بني يزناسن – أي «حاكما كبيرا» بينما كنت في يوم الثلاثاء جالسا في مكتبي ، اذ تذكرت القصة ، وكان وظيف سائق اوربي فارغا ، فامرت احد الاعوان باحضار جلول الى مكتبي عاجلا .

واثناء انتظار حضوره دخل علي في مكتبي المستشار الاوربي الفني م ابروصي «وطلب مني ان آذن له في عرض نظرية شخصية حول فراغ وظيف

سائق ، وكنت اعرف صداقته للاخ جلول حينما كان «مراقبا» بقيادة مداغ ، وهو يسكن بابركان ، فابتسمت وقلت له ، لعلني لا اخطيء اذا قلت لك : انك تقترح : «جلول» فابتسم وقال : اعجب ! ومن اين لك هذا ؟ فقلت انني اعرف صداقتك مع جلول ، ورويت له القصة باكملها ثم اخبرته بانني في انتظار حضوره ، فتعجب من هذا التنبأ الذي صدقته الاحداث ، وتم تعيين جلول كسائق في ذلك اليوم .

أول اصطدام في 14 يوليوز 1945

لقد سبق القول بانني تحررت من السجن بتاريخ 19 فبراير 1945 ، وما كادت تمضي بضعة شهور حتى اتسعت دائرة النشاط الوطني لكثرة اقبال جميع الطبقات على الانضمام الى حزب الاستقلال .

وفي رابع عشر يوليوز 1945 ، حدث اول اصطدام مع السلطة المحلية .

ويتلخص ذلك فيما يلي :

اعتادت المراقبة الفرنسية في ابركان ـ كما هو الشأن في جميع مدن المغرب وقراه ـ ان تقيم حفلات عيد النصر في ساحة معينة هناك تتوسط الشارع الرئيسي الذي اطلق عليه الان شارع محمد الخامس ، ففي الصباح حوالي العاشرة تقيم حفلة شاي يحضرها القواد واعوان السلطة والاعيان ، وفي المساء تقوم باعمال تسلية ، ومنها انها تنصب خشبة طويلة من خشب أسلاك التليفون وتطليها بالصابون وتعلق رأسها بعض الطرود تحتـــوي على اشياء مختلفة صابون ، ساعة الخ .. وتعلن لكل من له قدرة على تسلق الخشبة من الاطفال والشبان ان له الحق في اخذ طرد من تلك الطرود اذا ما وصل اليها عن طريق تسلق الخشبة المذكورة .

واذا ما سقط طفل ، او شاب دون الغاية اخذ المتفرجون يتضاحكون

وقد بدا لبعض الشبان ان هذه العملية تعد مسخرة واستهزاء بالشباب المغربي واطفاله فاخذوا يدعون الى مقاطعتها .

فلما تحداهم بعض الشبان عمدوا اليه واشبعوه ضربا وقامت معركة في تلك الساحة وكان الشبان : محمد بن عمرو العامري، وبلقاسم الملوكي ، ومحمد الصباني من متزعمي الدعوة الى المقاطعة ، وممن هووا على أولئـك الذين تحدوا الدعوة الى المقاطعة واشبعوهم ضربا ، فتدخل اعوان السلطة واعتقلوا الشبان الثلاثة المذكورين ، ووضعت على ارجلهم القيود في تلك الساحة والناس ينظرون ، ثم القوا بهم في السجن ، وبعد اثنين وعشرين يوما انعقدت جلسة في مكتب المراقبة لمحاكمتهم ولما رأت السلطة رحاب المراقبة والحديقة المحاطة بها عاجة بالجماهير التي لم يعهد لها نظير ، والتي كان النساء يشاركن فيها بالزغاريد والهتافات بحياة الملك والمغرب والاستقلال اضطرت السلطة الى ان تحكم عليهم بمدد تتراوح بين شهر واربعة اشهر مؤجلة التنفيذ .

فخرج اولئـك الشباب من مكتب الجلسة وقد حملهم الجمهور على الاعناق والنساء يزغردن ، فكان ذلك اول انتصار في أول اصطدام .

وكان لهذه الحادثة من الذيوع والانتشار والآثار العميقة ما تقدمت به الفكرة الاستقلالية خطوات ذات أهمية عظمى الى الامام .

موقف الفرع من الحادثة

أذكر انني كنت يوم الحادثة جالسا على صندوق أمام دكاني ، فكان أول من أخبرني بالحادثة ابن خالتي المرحوم السيد عبد القادر بن الحاج أحمد اليعقوبي ، وقد أخبرني بكيفية هادئة وهو يحملق في وجهي منتظرا تعليقي عليها : ولم ازد علي أن قلت : حسن ، وابتسمت فسكت ولم يقل شـيـئـا .

وكان الاخوان الاولون ـ نظرا للدعوة النارية التي كنت أقوم بها في سبيل بعث الوعي بالفكرة الاستقلالية يخيل اليهم أن من وراء هذه الدعوة النارية ، أنـه في استطاعتي أن أعلن الحرب على فرنسا : اذا « ما أساء الفرنسيون الادب علينا » أما اذا اعتقلوا أحدا منا ، فانه لا يصعب علي أصلا أن آمر اسرافيل لينفخ في الصور .

لذلك كان الاندهاش آخذا بناصية الاخ جلول حينما علقت على الخبر بقولي : اذهب الى أمين الصندوق وزود الاخوان المعتقلين بما يحتاجون اليه من مواد غذائية ودخان ، واذا كان لعائلة أحد منهم حاجة الى الاعانة فسندرس ذلك فيما بعد .

فابتسم الاخ جلـول ابتسامة الغيظ وقال : صافي ... هذا الذي نقـوم بـــه !؟

فقلت : وهل تـرى هناك عملا آخر ؟ فاجاب : نعم فاذا حررت لي تقريرا الي المندوب السيد بناصر فانا مستعد لايصاله اليه الى وجدة ...

فعلقـت على اقتراحه بهدوء : هل اقترح علي المندوب ارسال فرقة « التيرايور » او فرقة : السينغال ؟ ان المندوب ليس له الا أن يرفع تقريرا للمركز وان غايـة ما يقوم به المركز ان يرفع احتجاجا الى الدوائر العليا على أبعد غاية .

وهذه العملية لا تستدعي منا كل هذه السرعة .

فعلق على كلامي بـقولـــه : اذا كان الامـر هكـذا ... ويفعل فينـــا الفرنسيون ما يشاؤون ، فمن ذا الذي يا ترى ينخرط معنا ؟

فقلت : ولكنك نسيت اننا انخرطنا في حزب الاستقلال على أساس التضحية والصبر ، وان الفائدة التي سنحققها مما قام به الاخوان المعتقلون، هي استياء الرأي العام من هذه المظالم والاستياء ينتج عنه ترعرع الوعي الوطني ، ومهما نضج الوعي الوطني ، استطعنا أن ننظم المقاومة السياسية الفعالة ثم المقاومة المسلحة .

اننا الآن في مدرسة ابتدائية كالاطفال فاذا انهى الاطفال دراستهم الثانوية والعالية استطاعوا أن يؤثروا في الحياة ، وتؤثر فيهم الحياة ، بحيث يكونون جاهزين للقيام باي عمل خطير في حياتنا ، وكذلك الشان في الميدان السياسي ، فسنتطور من طور الدعوة الى طور النضج ، ثم طور المقاومة المختلفة ، هل فهمت؟ ثم يجب أن تذكر أن المراقبة من الآن اصبحت تنظر بعين خاصة الى أوائل الخطر المحقق ، فهي تفهم من هذه الحادثة بانها نتيجة قيادة سياسية استقلالية ، وانه ستليها حوادث أخرى لا تعرف عواقبها .

فكن على يقين بانه فور حدوث الحادثة ووضوح هدفها ، كانت الاقامة العامة قد توصلت بعدة برقيات من رئاسة الناحية تتضمن تطورات الحادثة .

أفلا يكفيك أنك أقلقت راحة الاقامة العامة بحادثة صغيرة سوف لا يكون ثمنها اكثر من ثلاثة اشهر !

وفي هذه الاثناء كان رحاب الدكان مليئا بالاحوان الذين أمنوا على كلامي بعد تذوقه وتفهمه وقالوا : هذا هو الحق ، الى الكفاح والصبر والاناة .

أما الاخ جلول فلم يقتنع فاكتفى بقوله : اوى يا سيدي الله أعلم ، ولما حاول الذهاب قلت له : قف ، وحينما افترق الإخوان كتبت له تقريرا وطلبت منه أن يذهب لايصاله الى الاخ المندوب ، وعند ذلك بدت آيات الفرح على وجهه وقد توجه في نفس تلك الليلة الى وجدة .

ولما رجع سألته عن تعليق السيد بناصر ، فاجاب : انني بعدما أخبرته ، سألني وماذا كان تعليق الاخ الورطاسي ؟ فأخبرته بملخص التعليق ، وعند ذلك ابتسم وقال لي : ان الاخ الورطاسي قد زودكم بمعلومات حقيقية هامة ، وانه لمسير استقلالي يعتمد عليه ، ارجع وبلغه تحياتي وتهانئي على أفكاره الصائبة ان الكفاح هو هذا — يقول السيد بناصر — يا أخي جلول ، فليست لي ولا للمركز قوة عسكرية نرد بها الفعل ، فعلينا ان نعمل صابرين مصابرين الى أن يحين الوقت للحكم الفصل : ولن يكون ذلك بغير المقاومة المسلحة .

فقلت ما رايك الآن ؟ فاجاب : لا شيء ، كلكم على راي واحد ، ولكنني لا أفهم الصبر على هذا الظلم ، اخوان يعتقلون ونحن نكتفي من ورائهم بارسال الطعام اليهم والاعتناء بعائلاتهم غالى متى يا ويلي هذا الصبر ؟ فقلت : نحن في البداية فلا تعجل ، وسيأتي يوم يطلب فيه منك حمل السلاح هل تفعل ؟ فقال : أفعل الآن ! قلت هون عليك ، فليس ذلك اليوم ببعيد .

ويجب التنبيه الى أن الاخ جلول من قدماء المحاربين الذين شاركوا في الحـرب العالمية الاولى ، فتربيته العسكرية لا تومن الا بمقابلة الرصاص بـالـرصـاص .

ولذلك فانه كان يصدر عن حسن نية ، أطال الله حياته وحفظه من كـل مكـروه .

طـرد الاخوان الثـلاثـة

ذكرت فيما سبـق أن الاخوان الشبان محمد بن عمرو العامري ، وبلـقـاسم الملوكي ، ومحمد الصباني هم الذين كانوا يتزعمون مقاطعة بهلوانات حفلات 14 يوليوز 1945 ، وانه حكم عليهم بسجن مؤخر التنفيذ بعد أن قضوا اثنين وعشرين يوما في السجن .

واثر هذا الحكم طردتهم المراقبة من العمل الذي كانوا يزاولونه في مختلف مكاتب المراقبة ، وأصبحوا عاطلين ، ولهذا أقمنا لهم حفلة هنأناهم فيها بتلك الاعمال المفيدة التي قاموا بها والتضحية التي اعقبتها . كـمـا خصصنا لهم اعانة مالية رمزية لم يقبلوها الا نزولا عند أمر هيأة التسيير الوطنـي الموقت .

وقد اظهر هؤلاء الاخوان من الحيوية والاستعداد لكل تضحية ما كان مضرب الامثال في تلك الظروف التي كانت فيها الفكرة الاستقلالية لما تزل في عهد طفولتها .

وكم كان عجب البسطاء ان يضحي الاخوان المذكورون بوظائفهم فـي سبيل الفكرة الاستقلالية .

استيناف السفر الى وجدة

لقد قلت فيما سبق ان المراقبة منعتني من السفر الى وجدة ، وانني على اثر ذلك فتحت لي دكانا بزنقة طنجة ، لقد استغللت هذه المهمة فأخذت أطلب رخصة لشراء بعض الاثواب من وجدة ، والتي كانت غيـر مشمولة بالتقنين ، فصرت بذلك اسافر الى وجدة استنادا على رخصة الجلب دون أن أطلـب رخصة السفر ، وغامرت برخصة السلعة حتى اذا قيل لي أن هناك فرقا ما بين رخصة السفر ورخصة الاتجار ، اجبت في بلادة ، انني لم أميز بين ذلك ، اذ اعتبرت انه لا فرق بينهما .

وفعلا ، نجحت التجربة فلم تعد المراقبة تحاسبني على السفر .

على أنه كان هنالك عامل في القضية ساعدني على نجاح التجربة ، فرئيس المراقبة سيروك كان يعتقد انني آخذ الرخصة من خلفائه ، والخلفاء كانوا يعتقدون انني آخذ الرخصة من الرئيس ، ان الرئيس سيروك كان في ذلك الظرف عائما في فوضى من الاخلاق الفاسدة ، فلقد كان يتجه الى مقهى « بونفيال » بابركان ويحسو كؤوس الخمر الى الغيبوبة ، وحينما

يخرج من المقهى تتقاذفه الجدران ويضحك من ذلك عموم الناس ، حتى اذا تذكر « خلواته » بوجدة ، ركب سيارته واتجه اليها ، ولقد ضجت المراقبة ورئاسة الناحية من ذلك ، ولكنه كان ذا نفوذ في الاقامة العامة بالرباط ، فلم تستطع التقارير المرفوعة في شانه ان تؤثر عليه . وبذلك كان في شغل عن التفكير فيما اصدره من منعي من السفر الى وجدة .

فحسبه حسو الخمر وارضاء شهواته ـ « مصائب قوم عند قوم فوائد »

وبهذا جددت اتصالي بالمندوب العام للحزب ، وأخذت الامور تسير عادية .

« واصبح دكاني ناديا سياسيا »

لم يكن دكاني يحتوي اشياء مهمة ، سلاليم نوقها طائفة من المواد التافهة ، وحاجز خشبي ، وميزان ، ومكنسة لتنقية الدكان . وكان ذلك من رأس مال بسيط منحني اياه والدي جزاه الله خيرا : «خمسة آلاف فرنك».

ونظرا للظروف القاسية فان الوطنيين الطيبين كانوا اذا رغبوا في استعلامي عن نشاط مركز الحزب وايضاح معنى الفكرة الاستقلالية ياتون الى دكاني ويشترون مادة تافهة مثل : صابونة لغسل الوجه ، أو شمعة فأتحدث اليهم ما شاء الله ، ثم يودعونني شاكرين داعين الله بالتوفيق والنجاح .

وكنت اذذاك افرق بين زواري من المواطنين ، فاذا كان المواطن كهلا أو شيخا طرقت معه الفكرة باسلوب ديني محض فاسرد عليه طرفا من السيرة النبوية ثم اقارن له بين ذلك وبين كفاحنا السياسي في لباقة ودون مبالغة حتى لا يشعر بأنني أحاول ادخاله الى المعمعة الوطنية مباشرة . ولكني كنت اعتقد أن تلك المقارنة كانت تترك اثرها في نفسه .

وكثيرا ما كنت اعتمد في احاديثي على المقارنة بين ما يلاقيه المجاهدون الوطنيون ، وما كان يلاقيه رسول الله وأصحابه فيشعر الكهل او الشيخ بمهمة المقارنة ، ثم يسألني : ولكن الى متى هذا العذاب ؟

فأسرد له باختصار حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة بدون التصريح بالاستنتاج فيبتسم ويقول : « الله احضرنا في ذلك الوقت »

كان اشق الصعوبات واخطرها في طريق الدعوة الوطنية هو ان الشعب المغربي ، وخصوصا الكهول والشيوخ ممن الفوا الكفاح بوسيلة السلاح ، ولم يألفوا الكفاح بالاسلوب السياسي ، وكان الكهول والشيوخ ، وهولاء الاخيرون على الخصوص ـ يانفون من الدخول الى السجن ، لانهم ألفوا رد الاهانة بالرصاص الى أن ينتصروا أو يموتوا موتة الكرام ، ثم انهم كانوا يضربون الحساب واي حساب لعائلاتهم عقب دخولهم الى السجن ولكن بعد ان تبينوا جدوى المقاومة السياسية ، وبعد أن اتضح لهم ما تقوم

به لجنة الاسعاف من مساعدات مهمة اخذوا يتدفقون في حماس على الميدان الوطـنـي ، وحق لهم ذلك ، فاي كفاح يمكن ان يكون بدون تركيز على العناصـر الماديـة ؟

فلقـد كان يحدث ان تضع المراة حملها وزوجها في سجن سياسي فتكون العقيقة في غيبة الزوج أفضل مما لو لم يكن سجينا .

اذ ان لجنة الاسعاف كانت تنفق على المعتقلين نفقة الرفاهية ، وذلك علاوة على المساعدات الشخصية التي كانت نتيجة النداءات التي ترسلها الهيئـات المسيـرة .

حتى اذا اطلق سراح الزوج وجد زوجه وأولاده مرتدين ثيابا لم يكن في استطاعته ان يشتريها لهم ، ووجد كذلك منزله مليئا بالخيرات .

واذا كان غنيا أقمنا له الحفلات المتنوعة وقدمنا اليه مختلف الهدايا.

وذلك علاوة على رفاهية العيش داخل السجن .

وبهذه الوسـائـل المشتركة ، آمن الكهول والشيوخ بصحة الكفاح السياسي ، واخلاص القيادة من أسفل واعلى . وهـنـاك وسيلة اخـرى حببتنا الى الكهول ولاشيوخ .

ذلك ان هـذا الصنف كان مرتبطا بمختلف رؤساء الزوايا ، ويأبى أن نحط من شان اولئك الشيوخ « الصوفيين » ولقد اتخذنا لاقناعهم بعدم جدوى هذه الزوايا وسيلتين اثنتين :

اولاها ، قولنا لهم : لنفرض ان هؤلاء الشيوخ كلهم اولياء الله ، بل لنفرض انهم صحابة وان الرسول صلى الله عليه وسلم بين ظهرانهم ، فماذا كان يفعل الرسول وصحابته لو احتل الفرنسيون الجزيرة العربية ؟ أما كان يعمل للم شعثهم ، وجمع كلمتهم ، ويذر بذور الايمان والتضحية في قلوبهم ، حتى اذا شعر بان لديه قوة مهمة خرج بهم الى الميدان المسلح يصبرهم ويقوي عزيمتهم ؟

فلماذا هؤلاء الشيوخ الاولياء لا يرفعون راية الكفاح لاخراج «الكفار» من بلادنا ؟ وثانيتهما ، اننا كنا نسائلهم عن مغزى اتصال رؤساء الزوايا بالادارة الفرنسيـة واقـامـة المآدب لهـا ، واستدعاء رجالهـا الى المواسـم والمـهـرجـانـات .؟

فكان الرجل يفارقني وهو يهز راسه ويقـول : هذا هو الـحـق ، الوطنيون عندهم الحق ... كامل الحق ..

أما الشباب فلم نكن نحتاج الى هذا الاسلوب ، فيكفي أن تقول لهم مثلا : ان شعوبا عربية واسلامية وغير اسلامية كانت مستعمرة ، ومنها أميريكا فاستقلت ، ونتحدث لهم شيئا ما عن حياة زعماء تلك الشعوب .

كما كنا في غنى معهم عن الدعوة ضد الزوايا ، فالشباب يرتدون البذلات الاوربية ويذهبون الى دور السينما والمسرح ، وميادين الرياضة، فهؤلاء ليس من الممكن ان يذهبوا الى الزوايا ليشاركوا في « الحضرة » ولا أن يدخلوا الى « الخلوة » ولا ان يعلقوا السبحة في أعناقهم ، ولا أن يقبلوا ايدي الشيوخ ، ولا ان يعطوا « الزيارة » .

لا شيء من ذلك يلائم اسلوب حياة العصر الجديد ، فاساليب الحياة قد كفتنا أمر الدعوة ضد الشيوخ في أوساط الشباب ، ولا سيما اذا لاحظنا ان عادة الامداح غير موجودة في بني يزناسن ، الا من « الفقراء » .
فالشباب اليزناسنيون لا يتغنون لا ببردة ، ولا بهمزية ولا بمثلها من الامداح كما هو الشان في غير بني يزناسن من عواصم المدن المغربية حيث تجد الشباب يحفظون الامداح ويتغنون بها ويطربون لها . وقراءة البردة كانت خاصة بتشييع الاموات ، ولا تقرأ في غير ذلك ، أما الهمزية فموضوعها لذكرى عيد الميلاد فقط ...

حفلات عيد العرش لسنة 1945

بمجرد ما اقترب موعد الاحتفال بعيد العرش لسنة 1945 ، اخذنا نستعد لاقامة حفلات على ارصفة الشوارع لنخرج ـ ولاول مرة ـ من دائرة الاحتفال الرسمي « بمكتب المراقبة » .

وقد بقيت اسرار هاته الحفلات في دائرة سرية الى أن حل يوم عيد العرش 18 ـ نونبر ، ففي فجر صباح هذا اليوم اخذت الشعب تهيء أمكنة الاحتفالات على الارصفة ، وخصوصا ارصفة الشارع الرئيسي ، وذلك باحاطة أمكنة الحفلات بجذوع الاشجار وجريد النخيل مزدانة بمختلف الزهور والانوار والزجاجات الكهربائية المختلفة الالوان ، صور جلالة الملك محمد الخامس وولي عهده والاميرة عائشة .

وتفرش هذه الامكنة بارفع الفرش ، مع تهيئة مواد الشاي وأنواع الحلويات ، واجهزة الراديوهات .

وكم كانت دهشة المراقبة ـ وكان على رأسها اذذاك « م. رامونة » بهذه المفاجأة ،وبمجرد ما بلغها الخبر اتصلت بالقائد المنصوري وتذاكرت معه في ذلك ، فاستدعى طائفة منا فأخبرناه بأن الحفلات التي نقيمها حفلات شعبية علاوة على الحفلات الرسمية التي تقيمها المراقبة في مكاتبها ، وأنه لا معنى أن يحرم الشعب بحقه في احتفالات هذا العيد المجيد ما دام الاحتفال به في المراقبة لا يتعدى دائرة محدودة ، فاجابنا بانه في امكاننا أن نواصل أعمالنا ريثما ينظر في الامر وما زال ينظر في الامر الى الآن « 1964 » !

وعلى أي حال فقد قمنا باحتفالات رائعة هتفت فيها الجماهير بحياة جلالة الملك وولي عهده اذذاك جلالة الحسن الثاني وبقية الاسرة ، وبحياة

الاستقلال وكان يوم 18 نفانبر 1945 ، هو اول يوم هتف فيه البركانيون جهارا بالاستقلال وبــحزب الاستقلال في دائرة أوسع من دائرة حادثة 14 يوليوز المتقدمة الـذكـر .

ونحن نعده ـ تاريخيا ـ أول فتح سياسي علني في بلي يزناسن ، فلقد كانت لهذه الاحتفالات اصداء عميقة في مجموع بني يزناسن ، وتعاليق مختلفة ايضا في جميع الاوساط ، وكل الذين ترددوا او لم يكونوا على علم بذلك ، قد أقسموا الايمان على أن يحتفلوا بهذا اليوم من السنة المقبلة 1946، ما وسعتهم طاقتهم وابعد من طاقتهم . ولا سيما وقد قامت المراقبة صحبة القائد المنصوري بجولة عبر تلك الحفلات المتسلسلة الرائعة ، فقد كان لهذه الجولة ايضا اثرها العميـق واصداؤها البعيدة ، اذ فسر ذلك في اوساط العامة والخاصة ، بانه اعتراف ضمني من المراقبة بالقوة الوطنية التي فرضت نفسها في الشعب .

وشاع هذا الفتح المبين في جميع اقليم المغرب الشرقي ، وقد تناولتــه الاوساط المختلفة بالتعليق عدة شهور ، وبذلك اصـبـح ابركان مضرب المثل للوطنية المتحفزة الجارفة ، وقد يستغرب الانسان الآن (1964) اذا قلت له : انــه لم يزرنا في هذه الاحتفالات الا من قوي ايمانه ، فلقد كان الضغط في بني يزناسن قد بلغ مبلغه حتى اصبح الانسان يشك في نفسه . ولـم يكـن من السهـل على مطلق انسان ان يتصل اي اتصال « باستقلالي » ومن عجائب الزمان ، ان بعض « ابطال عهد الاستقلال » ، كانوا يفرون من الوطنيين فرار الانسان من المجذوم ، ويخشعون للمستعمر كسرا ، خشوع الامام الحلاج لله.
« اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء ».

«الافراج عن الاخوين الحسن شاطر وعمرو بن الحسين»

وفي أواخر سنة 1945 م ، تم الافراج عن الاخوين : الحسن شاطر « بعد أربع سنوات » وعمرو بن الحسين بعد عامين من المنفى تقريبا .

وباطلاق سراحهما ودخولهما الى الميدان تعزز نشاطنا بكيفية واسعة الـنـطـاق .

والمشكلة التي كانت تكهرب اجواءنا : هي ان الاخ الحسن شاطر ، كان قبل اعتقاله من اكابر تجار ابركان وأن اعتقاله ونفيه كل تلك المدة اتيا على كل راس ماله فاصبح فقيرا ، ومع ذلك فنظرا لمهارته التجارية فقد اخذ يجمــع شتاته ، وساعده على ذلك كون المتجر قرب السوق في ملكه ، فهو لا يدفع اجرة كرائه ، ثم ان اخوته واقاربه قد اشتهروا بشـد العضد لبعضهم بعضا ، فيساعدون كل من احتاج منهم الى مساعدة ، حتى اذا لم تكن مادية كانت معنوية ، وان كانت المعلومات التي وصلتنا في ذلك الوقت ، أفادتنا بان اخوته واقاربه لم يبقوا كما كانوا معروفين به مما سبقت الاشارة اليه .

وعلى أي حال فان الاخ الحسن شاطر كان يدفع حاجيات الحياة بما عرف عنه من مهارة وصلابة ازاء حوادث الدهر ، وعدم تهيبه من الانغمار في المجتمع بمختلف الوسائل التي وهبه الله اياها ، وبفضل ذلك ، استطاع أن ان يسترد بعض مكانته التجارية شيئا فشيئا .

أما الاخ عمرو بن الحسين فد تحمل من آلام العسر والاقتار ما لا يصدقه العقل ، فلقد كان لا يستطيع أن يتأكد من وجود غذاء يومه ، وكفى بذلك شدة وعسرا .

ومع ذلك فالذي يراه لا يتخيل الحقيقة المرة بارزة على وجهه ، فالعقيدة الوطنية كانت تطارد الشعور بالفقر مطاردة لا تكاد تصدق .

تأسيس أول مكتب للفرع بابركان

تحدثت فيما سبق عن مسؤولية التسيير بانها كانت تدعى « عمادة » غير انه بعد شهور قلائل أخذ المركز يراسل العميد بالاخ العزيز كاتب فرع حزب الاستقلال بابركان .

وعلى الرغم من هذا الاطلاق الجديد فقد ارجأنا تاسيس أول مكتب حتى مرجع الاخوين الحسن شاطر ، وعمرو بن الحسين .

وفعلا عقدنا اجتماعا ضيقا فانشانا اول مكتب للفرع ووزعت المسؤوليات كما يلي :

قدور بن علي الورطاسي : كاتب الفرع

عبد القادر بن الحاج احمد اليعقوبي : خليفته .

عمرو بن محمادي الوكيلي : امين المال

الحسن شاطر الوكوتي : خليفته

عمرو بن الحسين الوكوتي : مستشار

والملاحظ أن جلول على الرغم من خدماته الجليلة لم يكن من اعضاء المكتب ، وذلك لان المكتب لم يكن اعضاؤه يزيدون على الخمسة في القانون الداخلي للحزب .

والاخ جلول كان اصلح للمغامرات والدعاية منه الى عضوية المكتب في ذلك العهد .

وللتاريخ : أسجل هنا ان تاسيس اول مكتب سياسي في ابركان كان بمنزل الاخ عمرو بن محمادي الوكيلي الادريسي ، واذكر جيدا اننا حينما فرغنا من تاسيس اول مكتب سياسي لفرع حزب الاستقلال بابركان قلنا جميعا : ان السيد عمرو بن محمادي الوكيلي الادريسي قد حاز فخر هذا التاسيس حيث تم بمنزله ، وان السيد عمرو المذكور قد اظهر من السرور ما لفت انظار الجميع ، اذ كان من طبعه ـ حفظه الله ـ حب الفخر الى حد بعيد

فهيأ الله له هذه الفرصة ليرضي غريزة الفخر فيه ، ويجب التنبيه الى انه كان من المخلصين المستعدين لكل تضحية مهما كان ثمنها .

واذكر ايضا ازاء هذا ، اننا علقنا على هذه المؤسسة السياسية بقولنا : انها النواة السياسية المسيرة والرسمية الاولى في دائرة ابركان ، واذا كنا لا نشعر باهمية هذه المؤسسة بالنسبة لقوة فرنسا ، فالمتوقع أن تكون هذه المؤسسة هي التي ستتفرغ عنها عشرات المؤسسات السياسية الوطنية في هذه الدائرة ، فضلا عن مئات الشعب والخلايا والجماعات ، ومن يدري انها ستكون أم كل مقاومة في المستقبل القريب ؟

وكذلك كان ، فسيعلم القاريء من خلال الابواب والفصول الآتية انه تفرعت عن هذه المؤسسة كل المؤسسات السياسية في مجموع بني يزناسن ثم المؤسسات للمقاومة المسلحة ، وهكذا تبتديء الاشياء بسيطة الوضع ، فاذا خلصت النوايا والاعمال تحولت الى المؤسسات ذات الخطر الكبير .

1946 اتساع دائرة الشعب

استأنف الاخوان : الحسن شاطر ، وعمرو بن الحسين نشاطهما داخل المكتب وخارجه ، وقام الاخ عمرو بن الحسين المذكور بجولة وطنية عبر مداشر بني منقوش المتصلين بقصبة الركادة ، وكان لجولته اثر كبير في تلك الناحية ، اذ انه أولا من سكانها وشرفائها ومن طلبة العلم فيها ، وذلك علاوة على أن عائلته كانت تمثل زاوية الزيانيين ، فمعظمهم من تلامذتها .

كما قام الاخ المرحوم السيد عبد القادر بن الحاج احمد اليعقوبي بجولة عبر قرى بني وكلان وهي : أجدير ، واحباين بكسر الالف وضم الحاء وأولاد العباس ، واملوكن « بكسر الهمزة وتشديد اللام » ، واكدال ، واكدفان، «بكسر الهمزة وفتح الكاف المثلثة وسكون الدال » وامجنيون « بكسر الهمزة، وفتح الميم وسكون الجيم وفتح الواو وسكون النون الاخير » . كما قام الاخ الحسن شاطر باتصالات مختلفة مع بني وريمش الشماليين .

وبعد ذلك عقد المكتب اجتماعا خاصا لدراسة نتائج هذه الجولات والاتصالات وثبت لديه أن معظم سكان هذه الجهات على استعداد للالتحاق بعضوية حزب الاستقلال .

غير اننا قررنا أن نعمل هناك في البداية بتؤدة وحذر وتأن ، ولا سيما في الجهات التي يشرف عليها «شيوخ متأخرو التفكير والوعي ؟ واعني بالشيوخ : الاداريين .

ومع ذلك فلم تمض شهور يسيرة حتى انشانا شعبا في مختلف الجهات، وان كانت ضيقة الدائرة ، اذ اننا تجنبنا تطبيق النظام الداخلي كله في الداية واخترنا التدريج وذلك خوفا من عاملين اثنين :

اولهما : الابتذال ، بحيث نبقى على مهابة نشاطنا فلا نشرك فيه كل من هب ودب فتبتذل حركتنا .

ثانيهما : ان سكان باديتنا أقوى حماسا من سكان المدينة فاذا وسعنا دائرة النشاط سبقونا الى الاحـداث ، وذلك من شانه ان يفسد علينا خطط التسيير .

ويستثنى من هذه البادية : دوار اجدير ، فهذا قد طبق فيه نظام الحزب باكمله اذ ان سكان اجدير خير مثال للحيوية والرجولة والكرم والنبل في بني يـزنـاسـن .

وفدنا في حفلات الزعيم علال الفاسي وأمين الحزب الحاج احمد بلافريج

من المعلوم انه كان على راس الاقامة العامة بالمغرب ، م اريك لابون ، واريك لابون هذا قالت عنه الصحافة انه رزين هادىء مسالم وسواء كان كذلك ام لم يكـن ، فنحن المغاربة كنا قد تعودنا على عادة الفرنسيين وكذلك الاسبانييـن .

وخلاصتـهـا : انه حينما يقوم مقيـم عام باعمال زجرية في أوساط الوطنييـن ، يخلفه آخر لضمد الجروح ، فذلك يقتل ويعتقل وينفي ، وهذا يفرج عن المعتقلين والمنفيين ويتبرع في خطبه بالوعود المعسولة الكاذبة .

كذلك كان مقيـم هذه السنة 1946 م. اريك لابون ، فلقد لبس اثواب الرحمة والفضل ، وعمل على الافراج عن الزعيم علال الفاسي من منفاه بالكابون والافراج عن أمين الحزب العام الاستاذ احمد بلافريج من منفاه بكورسيكا ، وسمح للاستاذ الوزاني بالرجوع الى فاس من مبعده باتزر « الاطلس » وبهذه المناسبة اقيمت احتفالات بفاس والرباط احتفاء برجوع زعيم الحزب وأمينه .

وصدر الامر لكافة فروع الحزب بتأليف وفود للمشاركة في هذه الاحتفالات وكان وفد ابركان يتكون مما يقارب الخمسين عضوا ، وهو اكبر وفد حضر هذه الاحتفالات ، وكان يرأس وفد اقليم المغرب الشرقي مندوب الحزب العام السيد بناصر بن الحاج العربي الوجدي .

وحينما قدمني المندوب الى الزعيم سالني ، هل أنت وطاسي « بتشديد الطاء » ؟ أم ورطاسي بالراء ، فاجبت بلى ، ورطاسي .

واثناء مقامنا بفاس اقترح السيد عمرو بن الحسين علينا القيام بزيارة السيد الوزاني ففعلنا على مضض ، اذ كان التحزب آخذا في التغلغل الينـا بصنتنا فرعا لحزب الاستقلال بابركان ولكن نزولا عند اقتـراح السيد عمـرو قمنا بزيارة السيد الوزاني ، واذكر انه قطب ما بين حاجبيه عندما سمع بهذا التقديم ، ولكنه عاد فبسط جبينه وشكرنا على هذه الزيارة .

واذكر اننا بعد السلام عليه ببعض دقائق وافقنا على الانصراف ؟

كما أذكر انني التقيت باستاذي السيد رشيد الدرقاوي في قصر الاحتفال بالزعيم- وقال لي : ألم تكن من جملة العدول ؟ فاجبت نعم ، فقال : ألا تزال عدلا ؟ فاجبت : لا... فعلق على ذلك بقوله : ان الانسان اينما ذهب لابد ان يرجع الى ميدان الوطنية.

عند الاستاذ بلافريج

وبعد ان قمنا بواجب المشاركة في احتفالات فاس ، توجه وفد منا الى الى الرباط حيث اتصلنا بامين الحزب العام الاستاذ السيد أحمد بلافريج وقدمنا اليه تهانينا عن انفسنا وبالنيابة عن فرع حزب الاستقلال البركاني ، وقد جرى لنا معه حديث طيب زودنا اثناءه بنصائحه الغالية وارشاداته القيمة.

والاستاذ بلافريج يروقك منه هدوءه ، ونضج أفكاره ، وعمق تفكيره ، وبعد نظره، وسلاسة حديثه، وانسجام توجيهاته، فهو يحلل لك أفكارا باسلوب سهل بسيط في الظاهر، ولكنه عميق في الباطن ، ولا تمل - ولو لحظة واحدة من احاديثه المتعة التي ينثرها عليك كالزهر الطري ، ويخللها بابتسامات مشرفة تدعوك الى مضاعفة احترامه واكبار شانه ، ويروقك منه ايضا انه اذا رءاك ولو مرة واحدة يدعوك في الثانية باسمك الصريح فتشعر وكانك صديقه منذ امد بعيد .

وفوق هذا كان يعجبنا منه ما كان يضفيه عى الزعيم من التقدير والاحترام ، فهو لا يذكر اسمه الا مقرونا بالسيادة فيقول مثلا : هكذا حدثني سيدي علال الفاسي .

وبالجملة فقد أحببنا الاستاذ بلافريج منذ النظرة الاولى التي القيناها عليه عقب الافراج عنه من منفاه بكورسيكا ولا يزال البركانيون لا يصدقون أصلا أنه اعتزل حزب الاستقلال في هذا العهد 1964 ، وقبله ببضع سنوات اي منذ سنة 1959 .

وبعد ان قضينا معه بعض الوقت ، قادنا الوطني الطيب الاخ أكريم « بالتصغير » الرباطي الى منزل الاخ عبد الرحيم فرج بشارع تمارة حيث تناولنا عنده طعام العشاء وبتنا ليلتنا .

وكان لفرصة زيارة الزعيم والاستماع الى خطبه النارية ومشاهدات تلك الجماهير التي كانت تتقاطر على منزل الحفل ، وما اظهره الفاسيون من كرم نادر حيث كانوا يتسابقون لاستدعاء الوفود شهرا كاملا وما نثره علينا الامين العام للحزب الاستاذ أحمد بلافريج من أفكار وطنية خالدة ، وما لاقيناه من حفاوة في منزل الاخ عبد الرحيم فرج وشريكه الاخ عبد الرزاق ، كان لكل ذلك آثار طيبة بقيت منقوشة على صفحات القلوب بقلم من نور .

وحينما رجع الاخوان من فاس والرباط اخذوا يتحدثون ويعلقون على تلك الزيارة ، واستمرت هذه التعاليق الى ما شاء الله .

وكان لكـل ذلك اثر طيب لفائدة توسيع نشاط الفرع الوطني ماديا ومعنويـا .

وبالاضافة الى ذلك فقد استغللنا « تساهل » اريك لابون ، ففتحنا باب الانخراط على مصراعيه فأقبل على الانخراط في الحـــزب مئـات المواطنـــات والمواطنين .

استيناف نشاط التعليم الحر

وبعد ان انهينا زيارتنا للزعيم بفاس وللامين العام بالرباط ، اخبرنا أعضاء الوفد بانهم أحرار في رجوعهم الى ابركان ، واستمرارهم في التجـول حيث شاءوا ، وشكلنا لجنة تتركب من الاخوان : عمرو بن الحسين الوكوتي الحسن شاطر ، قدور الورطاسي ، أحـمـد بن الحاج عبد القادر الوكوتي للاتصال بجلالـة الملك محمد الخامس بقصد الحصول على اذن لفتح مدرسة حـرة بابركـان .

لان التعليم الحر كان يهدف في الجملة الى خمسة أهداف :

أولا ، تدارك النقص البين في اللغة العربية والتربية الوطنية والخلقية والدينية في المدارس الرسمية على قلتها .

ثانيا : اظهار عجز الادارة الفرنسية وتلاعبها في ميدان الثقافة والتعليم،

ثالثا : تشغيل طلبة العلم الوطنيين الذين كانت الادارة الفرنسية تسد الابواب في وجههم .

رابعا : استغلال المدرسة للنشاط السياسي والثقافي .

خامسا : محاولة ربط الصلات مع آباء التلاميذ لاشراك من ابتعد منهم عن الميدان عن طريق ميدان التعليم الحر .

اذ ان الحفلات التي كانت تقيمها المدرسة الحرة ، وان كانت تتخذ مظهرا مدرسيا ثقافيا ، فان النشاط السياسي كان يختفي تارة من ورائها ، واخرى يابى الا أن يمد عنقه في صور واضحة وحينما قصدنا القصر الملكي العامر للاتصال بجلالة محـمـد الخامس ، أخبرنا بانه في قصره العامر بالبيضـاء ولاكننا لم نتمكن من الاتصال به الابعد يومين او ثلاثة من الانتظار ، لانه كان في فترة استراحة .

وحينئذ قررنا تحرير طلب بفتح مدرسة حرة سميناها مدرسة النهضة وأمضينا على الطلـب نحن الاربعة وسلمنا الطلب للاخ عمرو بن الحسين لمواصلة العمل الى الحصول على شرف الاستقبال عن جلالة الملك وأخذ الاذن.

وفعلا ، استقبل الاخ المذكور من طرف جلالك الملك الذي رحب بالمشروع وشجع عليه واحال القضية على الصدارة العظمى للاجراءات الادارية .

ثم اننا اكترينا بناية قرب السوق كانت في ملك القاضي السيد عبد القادر اليعقوبي ثم اشتراها السيد البكاي ابن الحاج العربي الوكوتي ،وأقمنا حفلا رائعا يوم افتتاحها وكان ذلك في يوم الاربعاء ولا اذكر الشهر ، ولاكن كان ذلك في خريف سنة 1946 م.واثناء الحفل فتحنا اكتتابا « بدون طلب اذن » واذكر أن القائد المنصوري اناب عنه السيد ميمون بن الاخضر صهره ومن اقاربه، وارسل الينا معه اربعمائة ريال .

وبانشاء هذه المدرسة الحرة التي كان الاخ عمرو بن الحسين يتولى ادارتها ويتولى الفرع الانفاق عليها وتسديد مصارفها ، استطاع فرع الحزب أن يضيف مظهرا آخر من مظاهر نشاطه السياسي الى مظهر حفلات عيد العرش.

وللحقيقة والتاريخ اسجل هنا ان المدير قاسى من البؤس اثناء عهد ادارته لهذه المدرسة ما لا يصدقه العقل . انكر جيدا انني التقيت به ذات مساء ما بين وقتي المغرب والعشاء وعلى مقربة من منزل الاخ الحسن شاطر وفي يده « قفة » فسالته الى اين ؟ ولم هذه القفة ؟ فابتسم واجاب : ابحث عن شراء كمية من الدقيق لطعام عشاء العائلة ! فقلت : والى هذا الوقت ؟ فابتسم مرة ثانية وقال : ليس الامر الى هذا الحد فحسب ، ولاكن لا املك ولا فلسا واحدا ! وقد حلت المشكلة بما لا يحتاج القاريء الى ايضاح ، ولا أكتم القاريء ما خامرني من آلام وما ذرفته من دموع . ولقد فارقته وانا أقول: ويل لنا اذا كان مدير المدرسة يبحث عن طعام عشاء اسرته في هذا الوقت المؤخر ولا يملك ما يشتري به طعامه .

وقد يتساءل القاريء عن اسباب هذه الحالة ، وفرع الحزب كان في استطاعته ماديا لان لا يضطر المدير الى معاناة هذا البؤس القاسي .

والجواب ــ والشهادة للتاريخ ــ ان ذلك يرجع اولا الى أن الاخ المدير لم يكن دقيق التنظيم في ناحية مالية المدرسة ، والى انه كان خجولا لا يعرب عن حاجياته بكيفية واضحة ، والى انه كان يستقبل في منزله من الاخوان اكثر من الواجب ، والى ضآلة القدر الذ يكان يتقاضاه اولا : اربعة آلاف فرنك شهريا ؟

وعقب هذه الحادثة اجتمع المكتب واثيرت قضية الحالة المادية للمديـر فتألم لذلك وحسن من حالته حسب استطاعته : اذ كان الفرع في ذلك العهد لا يتوفر على مداخيل مهمة، ولم تتحسن حالة المدير والمعلمين الا بعد ان شرع لنا الحزب مداخيل متنوعة ، التبرعات ، الزكوات ، جلود الاضاحي .

« العلـم » في الميــدان

في شهر شتنبر 1946 اصدر حزب الاستقـلال صحيفة العلم وعلى الرغم مــن « الرقابة » فقد كانت تؤدي خدمات مهمة الى جانب النشرة

السرية للحزب التي كانت تصلنا باستمرار اسبوعيا ، وفي الاسبوع الاول فيما أذكر نشرت لي مراسلة بامضاء « الرقيب » .

وبعد ذلك بقليل ، نشرت لي مراسلة حول وضعية الجمعية الخيرية وكانت المراسلة ذات نقد لاذع ضد وضعية الجمعية الخيرية .

وقد تأثرت المراقبة لذلك ايما تاثر فعقدت مجلسا سريا ضم مساعدي رئيس المراقبة « رامونة » والقائد المنصوري ، فتقرر استدعائي الى مكتب رئيس المراقبة للمباحثة معي في فصول المراسلة ، وفعلا مثلت بين يدي « رامونة » وكان السيد بنعمرو بن عبد القادر اليعقوبي اليزناسني هو الذي يتولى الترجمة ، ولم يكن القائد المنصوري حاضرا اذ ذاك .

وقد سألني رئيس المراقبة عمن حرر المراسلة ، فاجبت باني الذي حررتها ، فقال لي : ولم تمضي بالرقيب بدلا من اسمك الصريح ؟ فاجبت: ذاك شاني . فقال لي : هل انت متأكد مما تضمنته المراسلة من تهم ؟ فاجبت نعم ، فقال لي : لقد قلت فيما قلت : أن الخبز الذي تسلمه الجمعية الخيرية للمساكين أسود ، هل لك حجة على ذلك قلت : لقد احتفظت بخبزتين في منزلي فان شئت احضرتهما لك ، فابتسم وقال : يظهر انك مستعد لمحاربتنا حيث احتفظت بالخبزتين ! ولكن لماذا لم تنتقد رئيس الجمعية الخيرية وهو القائد المنصوري ووجهت الانتقاد الى رجال الحماية ؟!

فقلت له : لم يكن في نيتي أن أمزج الحديث عن موضوع اجتماعي بحديث سياسي . وحيث ابيت الا ان ترغمني على ذلك بهذا السؤال ، فاني اجيبك جوابا صريحا .

نحن نعتقد ـ والواقع يشهد بذلك ـ ان الادارة الفرنسية هي المتصرفة المباشرة الاساسية في المغرب ، وان المغاربة ـ مثل القائد المنصوري ـ انما هم ثانويون ، وينفذون ما تقررونه لهم ، على انكم حتى في ميدان التنفيذ لا تكلون اليهم الا القضايا الثانوية ، والتي من شأنها ان تثير الشقاق بين الموظفين المغاربة الثانويين وسواد الشعب .

فالقائد المنصوري لا سلطة له في الواقع على الجمعية الخيرية ، فالمال بيدكم ، اذ ان م « لوستريك » هو الامين للجمعية الخيرية ، ولا يمكن اخراج فرنك واحد الا بطلبه وامضائه . و « المشروعات » تدرس وتقترح وتقرر في المراقبة ، فاين موضع المسؤولية التي يتحملها القائد المنصوري حتى اوجه نقدي اليه ؟

وبهذه المناسبة انبهكم الى أن كل مراسلة مني الى العلم في المستقبل لا أقصد فيها قواد الدائرة وانما أقصدكم أنتم بالذات .

فقال لي : حـذار أن تراسل فيما لا تتوفر فيه على الحجج ، فاني لـك بالمرصاد ، فقلـت : انت تعلم أن شؤون الصحافة ترجع قانونيا الى المحاكم الفرنسية ، فانا اعتقد ـ قانونيا ـ ان استدعاءك لي اليوم او بعد اليوم ، استدعاء غير قانوني !

ثم انه يجب ان تذكر انني زاولت خطة العدالة سبع سنوات وانا اعتبر كل مراسلة بمنزلة « تقييد مقال قذف » ولا يمكن للانسان ان يقذف الآخر الا اذا كان متوفرا على الحجج ، وانني ـ لاجل ذلك ـ احتفظ « بكناش جيب » أسجل فيه الحجج الكاملة وعلى أساس قانوني ، ولا اكتفي بها ايضا حيث أبحـث بنفسي عن الحجج المادية لادلي بها عند الحاجة ، كما اخبرتك بأنني احتفظ بخبزتين من خبز الجمعية الخيرية .

وشعرت بعد هذا الحديث : ان « رامونة » قد غلت اعصابه ، وانه لم يبق في امكانه أن يتحمل مني اكثر من هذه الاجوبة ، فبعد لحظة سكوت استعاد أثناءها ضبط اعصابه قال لي : غدا سنوزع ثيابا على « المساكين » بمحكمة القائد المنصوري فيمكنك ان تحضر التوزيع بصفتك مراسلا للعلم . كما انني ـ يقول رامونة ـ قد عقدت العزم على تشكيل جمعية خيرية جديدة ، ولذلك يمكنك أن تحضر معك بعض الاستقلاليين للمشاركة في التشكيلة الجديدة ، ثم ودعني وانصرفت .

مكتب الفرع يعقد اجتماعا استثنائيا

وحينمـا خرجت من مكتب رئيس المراقبة ، اتصلت باعضاء المكتب وطلبت منهم عقد جلسة طارئة لدراسة الموضوع المشار اليه بيني وبين رئيس المراقبة .

وقد افضيت لهم بكل ما راج بيني وبين رئيس المراقبة ، وعند الانتهاء من العرض ابديت لهم الملاحظات الآتية :

انتم تعلمون ان تحمل رئيس المراقبة لاجوبتي التي كانت صريحة ترجع أولا ، الى الجو السياسي العام الذي خلقه « تباله » اريك لابون .

فاريك لابون ـ كما كان معلوما ـ جاء الى المغرب لتخدير اعصاب المغاربة بغض الطرف عن اقامة الحفلات وانشاء المدارس ، وغض الطرف عن نشاط جلالة الملك محمد الخامس في هذا الميدان بالخصوص وتليين جانب الادارة مع الاستقلاليين ، واستجلابهم الـى الادارات « ولو بصفة ثانوية » وخصوصـا الشباب منهم .

وفي الوقت نفسه كان يدعم الاقتصاد الفرنسي في المغرب بانشاء مآت الشركات الاجنبية ، ويبتعد كل الابتعاد عن نقطة الاعتراف باستقلال المغرب اثنـاء اتصالاته مع اعضاء اللجنة التنفيذية ، وكما كان معلوما ايضا ، فانه

يكتفي « بالاحاديث الودية » التي يجريها معهم اثناء الاتصالات التي « تدعم » في بعض الاحيان «بالمآدب» .

وبدون شك فانه قد اعطى تعليماته لجميع اعوانه ومساعديه في مختلف الادارات بهذه السياسة التخديرية .

والا لكان رئيس المراقبة قد أمر بسجني عقب حديثي الصريح معه ، وعلاوة على ذلك : فا نهذا « التقارب » معناه في نظري ، هو جس نبض مسيري الحزب وتحرير التقارير عن نفسياتهم ونوع تفكيرهم ، حتي اذا حان الوقت للضربة القاسية وجدوا انفسهم متوفرين على ضروريات المعلومات .

ثم زدت قائــلا : ان رئيس المراقبة عرض علي الحضور في حفلة توزيع الثياب على المساكين ، وهو يريد بذلك ترغيبي في تحرير مراسلة ثانية اشيد فيها بهذه «الاعمال البرية الاحسانية » لكي أمحو آثار مراسلتي الاولى من أفكار الناس ، الامر الذي يفهم منه الناس ، ان أقل ابتسامة من رجال المراقبة الفرنسية يذيب حماس الوطنيين ، ولذلك فانا اقترح ـ والامر لكم ـ ان أحضر حفلة التوزيع ولا أحرر أية مراسلة مطلقا لكي اخيب آماله في هذه المناورة ، فوافقوا بالاجماع علي هذا الاقتراح .

أما ما يخص حضور بعض الاستقلاليين ومشاركتهم في عضوية الجمعية الخيرية فاني اقترح حضور بعض الاشخاص ولكني ساقدمــهــم الي رئيــس المراقبة على أنهم مجرد مواطنين ، لا على انهم استقلاليون حتى لا يتحقق عن طريق تقديمي الصريح من عضويتهم في الـــحــزب ، وسواء عرف اني أخادعه ، ام لم يعرف ذلك ـ فالواجب ـ في نــظــري ـ ان لا اقدمــهــم اليه كاستقلاليين ، وله بعد ذلك أن يستعمل وسائله الخاصة لمعرفة الحقيقــــــة ، ولكم الكلمة الاخيرة ، فوافقوا على اقتراحي بالاجماع .

ثم سالتهم ، ما رايكم في مشاركتي في التشكيلة ؟ وبعد تبادل النظريات تقررت مشاركتي ، وقد عللت بما ياتي : ان المقصود من هذه المشاركة هو ان تظهر للمراقبة كفاءة المغاربة ونزاهتهم في التسيير .

وفعلا ، حل الغد المنتظر ، فتوجهت الى مكتب القائد المنصوري صحبة بعض الاخوان « التجــار » ومنهم السادة محمد الخلوفي ، ومحمد بنعيسى الصلاني ، ومحمد بن بوشتة ، ومحد بن حمو ، وبنيونس بن الحاج محمد بن البشير المنــقــوشي العبدلاوي المعروف بالوجدي ، وآخرون ، فكان الحضور والتقدم طبقا لقرارات المكتب .

وبعد توزيع « الثيا بالبالية المهلهلة » طلب رئيس المراقبة من القائد المنصوري ان يشكل جمعية خيرية جديدة برئاسته مع اعتبار ما عسى أن أبديه من اختيارات واقتراحات ، فشكلت الجمعية على اساس رئاسة القائد المنصوري وتولى لـمـهــام الكتابة العامة ، فطلبت من القائد المنصوري تسليم نسخة من

قانون الجمعيات الخيرية وشرعنا في العمل . وقبل أن نعقد مجلسا رسميا بالمراقبة حضرت جدول الاعمال .

في أول جلسة بالمراقبة عرضت الاقتراحات الضرورية في نظري للرفع من مستوى أعمال هذه الجمعية فوافق رئيس المراقبة والاعضاء على كل الاقتراحات .

وما هي الا اسابيع حتى حضرنا مطعما خاصا للمعوزين ، وكان المطعم باسلوب عصري ، وصرنا نوزع الاعانات المختلفة على المعوزين في مختلف جهات قيادة القائد المنصوري وكسونا المعوزين ثيابا جديدة ورفضنا كل الثياب البالية لتوزيعها على المعوزين بالمدينة بصفة خاصة ، وبعد مرور تسعة أشهر بالضبط على هذا العمل كانت الجمعية ادت خدمات جليلة لفتت أنظار الجميع .

مناورة ثانية

لم تستطع المراقبة باقلام مخابراتها وبنفسها مباشرة أن تضبط أية مخالفة خلال قيامي بالعمل في الجمعية الخيرية . ولا ان تضبط ولو مخالفة واحدة ضد الاعضاء الذين كانوا يعملون معي ، وذات مساء توجهت الى المراقبة لغرض تجاري فخرج رئيس المراقبة من مكتبه وقال لي : ان القائد المنصوري يريد ان يراك غدا في منزله .

وقد عجبت لكون رئيس المراقبة يخبرني بان القائد المنصوري يريدني ، في حين أن القائد في وسعه أن يستدعيني مباشرة ، وتلك كانت سنته ..

وقلت في نفسي : ان الامر في الغالب يتعلق بمهمة كلف بها القائد المنصوري من طرف المراقبة ليبلغها الي ، وان القائد لا يزال يفكر في الوقت المناسب للتحدث معي فيها .

وقد اوحى الي بهذا الفهم ، ما كان رئيس المراقبة « رامونة » يضفيه من ثناء على نشاطي واخلاصي ! وكنت دائما أترقب « مناورة منه » فثناء الخصم تمهيد للايقاع بخصمه في شرك ما ؟

وعلى أي حال كان اليوم يوم الثلاثاء وطلب مني ان أزور القائد صباح الاربعاء الموالي ، ولست أذكر أكان ذلك في اواخر سنة 1946 أم في أوائل 1947.

وفي صباح الاربعاء توجهت الى منزل القائد المنصوري وبعد بضع دقائق اخبرته بما ذكر لي رئيس المراقبة من انه يريد الاتصال بي .

واذكر جيدا ان القائد المنصوري نظر الي نظرة ذات معنى وابتسم ثم قال لي : هو كذلك ، لقد طلبتك لترافقني الى قبيلة بني بوعبد السيد « من بني وريمش» لتتناول معنا طعام الغداء ، وبعد ذلك نقوم بزيارة تفقدية لمدرسة بوغريبة « أكليم » حيث يوجد عدد من التلاميذ يعيشون على نفقة الجمعية الخيرية .

فقلت على جهة المداراة : انني مسرور بذلك ، ولكن أرجوك أن تعذرني لانني ... في هذا الصباح مثقل بكثير من الالتزامات ، وفي المساء ستجدني في المدرسة المذكورة انتظرك ، ثم اردفت متسائلا ، ومن سيكون معكم في طعام الغداء ؟

فاجاب وهو يبتسم : رئيس المراقبة وخلفاؤه ! وحينئذ شعرت بانني وفقت في الاعتذار قبل هذا التساؤل فاطرق القائد بضع لحظات ثم رفع راسه وقال : ان رئيس المراقبة م « رامونة » يثني على نشاطك واخلاصك كثيرا . وقلما اجتمع معي الا ويذكرك « بخير » ورغبة في اعرابه عن الهدف من المقدمة لازمت الصمت . ثم قال : كنت أمس بالمراقبة وذكر لي رئيس المراقبة «رامونة» شيئا يتعلق بك . انه نظرا لما لاحظه من نشاطك ، اقترح علي ان أسألك عما اذا كنت على استعداد لقبول وظيفة القضاء الشرعي بابركان فلم يفاجئني بهذا العرض ؟ ان سياسة « التقارب » أو سياسة التخدير والمخادعة التي يتزعمها « اريك لابون » هي التي يسهر عليها مساعدوه ومعاونوه على تنفيذها في الاقاليم والدوائر ، وهذه من تلك ، ولا شيء يدعو الى المفاجأة أو العجب .

لم استعجل جواب القائد ، فلقد اطرقت كانني افكر في العرض « العظيم » والحقيقة ان اعصابي قد هاجها « العرض » ، وشعرت بمراجل الغيظ تغلي غليان القدر بين جنبي ، ولكنني تغلبت على اعصابي ، فابتسمت ، وقبل ان اردف ابتسامتي بالجواب ، بادر القائد المنصوري بالقول : يظهر لي أن وظيفة قاض بسيطة بالنسبة الى قوة نشاطك ، لذلك فانني قد اقترحت على « رامونة » قيادة ، ثم قال : وقد صرح لي « رامونة » انه لا يشترط تنازلك عن وطنيتك ونزعتك الاستقلالية ، وان الشيء الذي أوحى اليه بهذا العرض ، هو الرغبة في استغلال نشاطك ومواهبك واخلاصك للصالح العام ليس الا ، فما رأيك ؟

نظرت الى وجه القائد المنصوري نظرة فاحصة تصفحت خلالها ما امكنني من الارتسامات التي تبدو على وجهه ، واستعدت في لحظات خاطفة مستوى قوة انفاسه وهو يقدم الي ذلك العرض .

فقلت في نفسي : هل القائد المنصوري الذي يقوم الآن بهذه الوساطة يقوم بها من خالص قلبه ، أي أنه يقوم بها في سبيل مؤازرة الوضع الاستعماري الراهن ؟ فاجبت نفسي بنفسي : انني متيقن ان القائد المنصوري ليس من البساطة وضعف العقيدة الى هذا المستوى ، فلقد كان من الاولين في ابركان الذين قدر لهم ان يطلعوا على العالم الخارجي بواسطة مختلف الصحف الخارجية العربية التي كان يشتريها ولا يزال ، وقد اشتهر بميوله الملكية ، وهو يعرف أن جلالة الملك محمد الخامس على رأس الحركة التحريرية ، ويعرف أن معنى قبولي لاحدى الوظيفتين معناه ، احداث ثغرة في سد الوطنية التحريرية الذي لا زلنا في أول بنائه هنا في ابركان ؟ اذ بمجرد ما اصبح

قاضيـا ، او قائدا يقول الناس : الله الله في الوطنية الصادقة ، ان كل من يدعيها الا ويدعيها ليلفت انظار الفرنسيين اليه ، ثم يشترونه بوظيفة ليسكت الى الابد ، ان لم يصبـح ضدا على هذه الوطنية المسكينة التي اصبحت معبرا يعبر عليه الانتهازيون الى تحقيق مطامعهم ، فهل يا ترى يجهل القائد المنصوري كل هذه النتائج .

ثم لعل القائد المنصوري لا يريد مني أن أقبل العرض لانني متى اصبحت قاضيا ، وخصوصا اذا اصبحـت قائدا واظهرت نشاطا بارزا يمكن أن أرث زعامته في اوساط قواد المغرب الشرقي التي لا ينازعه فيها أحد ، فكل القواد في المغرب الشرقي يهابـون القائد المنصوري ويقدرونه لما يبديه من مواقف صارمة بقطع النظر عن أسبابها وأهدافها ، فاجبت نفسي بنفسي : ان لهذه النظرية ظلا لا يستهان به .

وليس من العيب أن تمر هذه الخواطر بقلب القائد المنصوري ، فكـل من كان على شاكلته يغار على مستواه من أن ينخفض فضلا عن ان يضمحل ويندثر .

ثم لعله قام بهذا العرض أو توسط فيه على الصحيح بقصد أن تعلم المراقبة أنه قد بلغ وهو يعرف انني لا أقبله سلفا ، فيزداد بذلك تقريبا ونفوذا ؟

واذا أنا قبلت ، فماذا سيكون موقفه من الحركة الاستقلالية في المغرب على العموم ؟ وفي ابركان على الخصوص ؟ انه بدون شك قـد عرف بميوله الوطنية ، فهو الى حد الآن لا يرضى لنفسه أن يمس بكرامة مبادئها واهدافها وان كان ذلك لا يمنعه من اعتقال أصحابها ، ولكن على أي حال فالرجل عاقل لا تذكر الوطنيـة بسوء أمامه في الجلسات الخاصة أو الرسمية ، والفرنسيون يعرفون ذلك حق المعرفة ، سوف لا ينفعه اعتقا لـالوطنيين متي حل وقت « الضربة » « النهائية » ، اذن ، فما القصد من قيامه بهذه الوساطة ؟

أما أنا فمتحقق من انـه كان اثناء تقديم العرض يتحدث بجمل متقطعة ، وانفاس مجهدة ، وجبين مسرر ، على الرغم مما كان من محاولاته لاظهار نفسه بالمظهر العادي

ثم انه كان يلتهمني اثناء العرض ـ بنظرات من وراء نظارتيه من اخمص قدمي الى آخر شعرة من راسي ، ومن عادته انه لا يستعمل نظارتيه المزدوجتين الا متى كان غير عادي ، اي كان في غضب وشدة ، الحقيقة أن القائد المنصوري كان يظهر غير راض عن قبولي لهذا العرض كيفما كانت الاهداف التي تحدوه الــى عــدم الرضى .

أما بالنسبة الي : فانه لا يهمني رضاه أو عدم رضاه ، فاذا عزمـت على القبول وتحقق هدف العرض نسوف أسير في الطريق التي أرسمها لنفســـي أرضته أم غاظتــه .



ـ احد مناظر سد مشرع حمادي الذي بدئت اشغاله ـ سنة 1951 م . وكان رئيس الدائرة الفرنسي رامونة يقول : نحن نبني لكم السدود فماذا يعطيكم قدور الورطاسي ؟ وشاء الله ان احرر من المنفى بعد 3 سنوات ، واكون رئيس الدائرة ، والمدشن لنهاية هذا السد والاذن بفتح مجاريه .

مرت كل هذه الخواطر بفكري في لحظات كانها البرق فسألته : لو لم تكن انـت الآن قائدا : وكنت في وضعيتي أكانت نفسك أو هواك يغلبانك على عقائدك بالابتعـاد عن أجواء رفاقك ؟ فاجاب بكل سرعة : لا . كنت استمر في عملي ضمن رفاقي الى أن تحل مشكلة القضية المغربية ، فقلت : بيني وبينك ، هل تعتقـد انني ضعيف العقيدة الوطنية والارادة ، وانني من الاطماع بحيث انتهز كل فرصة لتحقيقها ؟ فاجاب : حاشا لله ، والله انني لا اعتقد أنك اول شاب وطني انغمر في سبيل بلاده عن عقيدة مدروسة ، وفكر متبصر ، وتصوف رزين ، فوالله ثم والله ما حاز أحد ثقتي من الذين تعرفت علـيـهم هنا وهم يتظاهرون بالافكار الوطنية من أمثالك الذين قدر لهم أن يطلبوا العلم ويستفيدوا من طلبهم ، قال هذا ، وعيناه تسيلان بالعبرات وصوته متهدج ، ولم ينتظر مني أن أجيب بالقبول أو الرفض ، فلقد زاد قائلا : واصل كفاحك على بركة الله والله يبارك فيك ، وفي خدماتك في سـبيـل وطنك ، وسوف يـبارك اللـه لك فيها ان شاء الله لانك حفيد سيدي البشير الذي كان يختم القرآن الكريم عشرين مرة في الشهر ، وشوهدت له كرامات لم ينكرها أي أحد ممن شاهدها أو سمع عنها ، فلقد وصل جدك البشير من التقوى درجة سارت بها الركبان ، وكفاه فخرا انه من متزعمي الملكية في عهد المولى عبد الـعـزيز اثناء حروبه بالخصوص مع الجيلالي الزرهوني الروكي ، فلا عجب ان يكون حفيده مخلصا اخلاص جده لاب فلتواصل جهودك والله يوفقك .

وقبل ان أفارقه قلت له : انه من المستحيل أن أخبر رفاقي الخاصين بما دار بيني وبينك الآن ، لان من شان ذلك أن يحدث قلقا في نفوسهم ، ومن المحقق عندي : انه متى أخبرتهم بذلك فان وحدتنا تتصدع ، وكلمتنا تتفرق ، ويكثر القيل والقال ، فعلق على ذلك بقوله : وهذه ايضا من بعد نظرك وحسن اخلاقك، انه يجب ان تكتم الحديث ما دامت هذه الوضعية

ثم قلـت له ولكن ماذا كان يكون جوابك للمراقب « رامونة » ؟ فابتسم وقال : سوف اعرف كيف اجيبه فلا تقلق من هذه الناحية فاجوبتي ـ كما تعلم ـ تمليها علي الاجواء ، فانا لا أفكر من قبل في اجوبتي وتلك هي عادتي منذ كنت قائدا .

ودعت القائد وانا أقول مع نفسي : انني حينما قمت برئاسة مظاهرة في وجدة سادس فبراير 1944 كنت عدلا ، ولما أطلق سراحي وجدت المراقبة قد عزلتني ، بان رفعت تقريرا الى وزير العدل السيد الحجوي فاصدر كتابا بعزلي، ثم ان المراقبة حاولت بواسطة القاضي السيد العربي السعودي ان ترد علي « عدالتي » ولما رفضت ، ها هي اليوم تعرض علي : القضاء ، او القيادة .!

فلماذا هذا كله ؟ انني لو لم انضم الى حزب الاستقلال ! هل المراقبـة تقوم بهذه العروض ؟.. لا .. اذن ، فالعروض المقدمة الي ، ليس لها من ثمن

الا التنازل عن عقيدتي والخروج من ميدان الكفاح بين صفوف حزب الاستقلال، فلولاه لما كنت في صفوف المكافحين ، فاذن ، أنا سأبيع عقيدة حزب الاستقلال للمراقبة بثمن القضاء أو القيادة ، أي انني اشتري شيئا بثمن ليس في ملكي .

يا الهي ، ما أعظم هذه الجريمة ؟! أليست خيانة ؟ وعلى الاقل ، البت سرقة واضحة ؟ ثمن ليس في ملكي أشتري منه شيئا ليكون في ملكي ؟!

ولكن... ان المراقب لا يشترط تنازلي عن عقيدتي ، فهل يمكن الجمع بين العقيدة الثورية والقضاء أو القيادة ؟ فاذا كنت قاضيا مثلا ، فانني اصدر الاحكام الشرعية ، فهل يمكن أن يثق بتوجيهاتي الوطنية من صدر الحكم ضده؟ ليس ذلك بمعقول . وان كان الحكم عادلا .

واذا كنت قائدا ، فهل يثق الذين اعتقلهم واقذف بهم الى السجون بتوجيهاتي الوطنية ؟ وقبل ذلك وبعده ، هل اصدق اسطورة قبولي للقضاء أو القيادة بدون أن أتنازل عن عقيدتي الاستقلالية ؟ انه من الممكن أن لا يصرح لي بذلك ، ولكن ساطالب بالقيام باعمال لفائدة تدعيم الوضع الاستعماري ، وضدا على الحركة الاستقلالية ، وما هي قيمة العقيدة الوطنية اذا ما كنت اتصرف ضدا عليها ؟

تبا للاستعمار ، والله لأن اكون اصغر عون في عهد الاستقلال ، خير لي من أن أكون موظفا ساميا في عهد الاستعمار ، فالحمد لله الذي هداني الى طريق الكفاح المتواصل وعصمني من خذلان الحركة التحريرية والاستقلالية ، ثم تذكرت دعاء كنت أتقدم به الى الله من قبل ، يا رب فلتوفقني لاموت شهيدا في سبيل وطني ، أو لاتابع الكفاح حتى تسترجع بلادي استقلالها ، فشكرت الله عز وجل على انني لا زلت في الطريق الذي اخترته لنفسي والذي هداني الله اليه ، وكتمت كل هذا على أصحابي ولم أفه به لاي أحد حتى رجع استقلال بلادي .

وقد ارخت هذه المناورة لتعلم الاجيال المقبلة ان استرجاع الاستقلال لم يكن نهبا ولا صدفة وانما كان نتيجة عقائد متينة راسخة ، وامتحان عسير طول الكفاح الوطني الصادق . وانه لايسر على المكافح ان يتحمل قساوة العذاب من أن يثبت أمام الحياة وهي تعرض زينتها عليه . فهذا أخطر من ذاك . فهنا وقع في الشرك بعض « المناضلين » على مر العصور ...

30 مارس سنة 1947

الكل يعلم ان فرض الحماية الفرنسية على المغرب كان في عهد المولى عبد الحفيظ ، وكان في تاريخ 30 مارس 1912 وقد شعر فرع حزب الاستقلال بابركان بانه اصبح قوة لا يستهان بها ، فلقد غزت الافكار الاستقلالية عشرات القرى والمداشر ، وكان تغلغلها الكبير في قيادة ابركان ، ثم في المرتبة الثانية قيادة القائد الدخيسي بمداغ والسعيدية ، وفي المرتبة الثالثة احفير قيادة

السيد المكي اليعكوبي ، وفي المرتبة الرابعة تفوغالت قيادة القائد الحاج محمد ابن ميمون الهبيل ، وفي المرتبة الخامسة قيادة بني ادرار ، قيادة السيد محمد الوريمشي التميمي الادريسي ، فابركان وضواحيه كان مركز للقيادة الاستقلالية لبني يزناسن ، وكان الاسوة الحسنة في كل ما يقع من نشاط وطني في مختلف جهات بني يزناسن .

ومن حسن حظ ابركان ، ان هذه المدينة الصغيرة المحدثة في اوائل عهد الحماية على انقاض القرية القديمة ، كانت تسكنها عدة عائلات من مختلف مداشر بني يزناسن .

ففي ابركان ، العتيقي ، والوريمشي ، والمنقوشي ، والخالدي . والهواري من عرب تريفة ، ومن هذه العناصر كانت تتكون شعب الحزب بمدينة ابركان .

وكان مكتب الفرع يستغل هذا الامتزاج بين المتساكنين المختلفي القبائل فيوزع رسل الفكرة الاستقلالية على مختلف الجهات ليقوموا بالدعاية الوطنية في مختلف اوساطها كما كان يستغل ذلك في نفس المدينة ووسطها ، فالعتيقي مثلا يستدعي اقاربه الى منزله فيتدحث اليهم عن العقيدة الاستقلالية ويشرح لهم وسائلها واهدافها ويندد بتصرفات الاستعمار ويذكر لهم نماذج من تلك التصرفات ، وكذلك الشأن في الوريمشي ، والمنقوشي ، والخالدي . والهواري ، كما كان الكل يستفيد من فرص الاعراس والعقائق والختان وغير ذلك من المناسبات ، فيبث الدعوة الوطنية بوسائل مختلفة .

وعندما اقتربنا من شهر مارس 1947 ، فكر اعضاء المكتب في جو جديد لتلقيح هذا النشاط الوطني الذي اخذت دائرته تتسع ، فقرر صيام يوم 30 مارس ، كذكري لحادث الحماية المؤلم ، وان نقوم بجهود كبيرة لتتسع دائرة الصيام ، وذلك بالاضافة الى اغلاق الدكاكين ذلك اليوم ، وان لا نستشير المركز في ذلك ، بل نكتفي بمجرد اخباره بعد .

وفعلا ، وزعنا الرسائل للدعاية للصيام واغلاق الدكاين في خصوص ابركان حيث تجتمع القوة الوطنية .

وفي هذا اليوم 30 مارس كان اغلاق الدكاكين شاملا ، وكانت الدكاكين بابركان والاحياء تعد بما يزيد قليلا على مائتين ، ولم تفتح الا ابواب تسعة دكاكين بالضبط .

اما الصيام فقد كانت نسبته 96 في المائة في نفس المدينة وما يقاربها في الضواحي . فكان انتصار الفرع هذا اليوم انتصارا باهرا .

ولقد تلقينا رسالة شكر وثناء من مركز الحزب بالرباط على هذا العمل العظيم .

وشهد لنا مركز الحزب بان فرع ابركان هو اول من سبق لهذا العمل قبل سائر الفروع .

ولقد اندهشت المراقبة لهذا المظهر الوطني العظيم ، ولكنها بقيت حائرة لم تستطع ان تقوم برد الفعل ، او لم تفعل على الاصح .

وكل ما فعلته انها اقامت ذلك اليوم دوريات حراسة ، خوفا من وقوع حوادث ، ولما تحقق لنه ليس في عزم الوطنيين ان يقوموا باكثر من عمل سلمي سحبت دورياتها .

ولكنها في اليوم الموالي اخذت تستدعي بعض «الاعيان» الذين هم أنفسهم أغلقوا ابواب متاجرهم وصاموا معنا ، ولقد اعتذروا لها بانه لم يكن في امكانهم ان لا يصوموا ولا يغلقوا متاجرهم ، فاولادهم الصغار والكبار والنساء، الكل يناصر الوطنيين ، فحتى النساء اضربن عن تهيئة الطعام ذلك اليوم واكتفين بتهيئة طعام بسيط لصغارهن كما هو الشأن في رمضان .

ولم تزد المراقبة على الدوريات والاستفسارات باكثر من تسجيل اسماء أصحاب الدكاكين ادخارا للوقت المناسب .

ومنذ هذا التاريخ وفرع الحزب يقوم بصيام هذا اليوم واغلاق الدكاكين. وفي كل سنة تتسع دائرة الصيام . واغلاق الدكاكين لا في ابركان فقط ، ولكن في مجموع دائرة بني يزناسن ، الى أن استرجع الوطن المجيد استقلاله .

في قيادة هوارة مداغ والسعيدية

قبل أن أتحدث عن مدى تغلغل النشاط الوطني في قيادة عرب تريفة أرى من الاحسن أن أقدم الى القراء دراسة مجملة عن القائد الدخيسي بن علي الهواري الذي كان مسؤولا كقائد عن هذه الناحية في عهد الاستعمار .

القائد الدخيسي من قبيلة هوارة الموجودة قرب ابركان على بعد بضع كيلومترات ، ويرجع تاريخ توليته قائدا الى عهد المولى الحسن الاول ، وفي عهد الاستعمار اضيفت اليه قيادة القائد المرحوم احمد بن الهواري وقيادة محمد بن الحبيب ، وقيادة بنعيسى المنصوري ، وبهذه الاضافة تمت توليته على كل قبائل عرب تريفة ، والقيادة هذه ، ولو بعد ضم بعضها لبعض ، لا يتعدى سكانها « خمسة وعشرين ألفا ، فكيف بها في عهد ما قبل الانضمام اذ كانت العادة تقضي في عهد الاستعمار بتولي كل شخص على قبيلته ، ولكن في عهد الاستعمار أيضا انقطعت هذه العادة لغرض استعماري .

وبهذا تعلم ان القائد الدخيسي متقدم في السن الآن ، وقد ذكرت فيما قبل من الفصول انه الآن « 1964 » يزيد على القرن ، وهو الان ايضا قعيد البيت لا يفارقها الا بالسيارة .

سنته في قيادته

القائد الدخيسي كان في عهد ما قبل الاستعمار رجل « البارود والخبز » على حد تعابيرنا التقليدية فكم كانت رصاصته لا تخطيء الهدف ، كما كان منزله لا يخلو من الضيوف ، والضيوف الكثيرين ، وقد وهبه الله تواضعا ولطفا لم يهبه لغيره من القواد ، فهو يحترم الشرفاء والعلماء والمسنين احتراما يحسد عليه . والى جانب ذلك يتفقد قبيلته عائلة فعائلة ، فيعود مرضاها ويواسي منكوبيها ، ويساعد عاريها وجائعها ، محافظا على أوقات صلاته واذكاره ، حيبا لا ينطق بسوء ، واذا حدثك عن تلك الحروب القبلية لا يذكر أي اسم رجل قتله ، وانما يكتفي بقوله : لقد أغاروا علينا وأغرنا عليهم فشتتنا شملهم أو ما يقارب هذا التعبير من قوله : « وجرينا عليهم » أي طردناهم ، وقد استمعت الى أحاديثه من هذا النوع عدة مرات فما سمعته يذكر أنه قتل فلانا ، وانما يقتصر على ذكر الانتصار .

وكان في أحكامه الجنائية ، لا يتعدى — الا نادرا — الحكم بثلاثة اشهر فهو القائد الوحيد الذي كان يحكم باربعة أيام ، وسبعة أيام ، وستة عشر يوما ، وخمسة وعشرين يوما .

ففي اثناء جلسات الحكم تسمعه يقول للجاني : أسكت والا عاقبتك بسجن طويل الامد ، وحينما يصدر حكمه بكون شهرا أو شهرين ، ويقول للجاني خذ هذا العقاب الاليم جزاء جنايتك ووقاحتك !

فاذا اقترح المراقب ستة شهور أو عاما مثلا ، يجيبه بقوله : لعلك لم تذق السجن ! أتدري كم عدد أيام ستة شهور أو عام ؟ هل تعرف ان المسكين لا تجد عائلته ما تاكل؟

فاذا عانده المراقب ، خرج من الجلسة وهو يقول : هذا غير ممكن ، حكام شبان ، لا عقل لهم يسيرون معنا قبيلتنا ، وهنا اذا لم يقل : أطفال أو « بز » بفتح الباء وتشديد الزاي ، ومعناه في تعبيرنا : أطفال ، ثم يذهب الى رئيس الدائرة ليشكوه ذلك « الحاكم البز » فينبه رئيس المراقبة ذلك « الحاكم » الى استعمال الادب والحكمة مع القائد الدخيسي .

ويحدث أن تستدعي المراقبة بواسطة أو بغير واسطة اشخاصا عديدين من قبيلته لمحاكمتهم بما في ذمتهم من ديون الدولة مثلا ، وتعقد الجلسة ويقترح «الحاكم» عقابا بستة اشهر مثلا على كل واحد ، فيغضب القائد ويقول : هؤلاء هم أعيان قبيلتي ، فاذا قذفنا بهم الى السجن ، فقد « خزبنا » القبيلة ، فيجيبه : ولكن هل السجن يؤدي ديون الدولة ؟ فيسأله مرة ثانية : ولكن ما حل المشكلة ؟ فتسمع القائد الدخيسي يقول : كم عليك يا فلان ؟ كذا... وانت؟ كذا الخ... ثم يقول : أما فلان وفلان ويذكر عددا من الاسماء ، فانا الكفيل وعلى من أحكم انا ؟ فيسأله « الحاكم » ولكن هل تضيع ديون الدولة ؟

بان يؤدوا دينهم في التاريخ الفلاني ، وأما فلان وفلان ، ويذكر عددا من الاسماء فدونك ما عليهم ، ويخرج ذلك القدر من جيبه ، واما أنت يا فلان ويا فلان فعليك ان تحضر ما عليك بعد اسبوع مثلا ، وهذا الصنف الاخير يكون من النوع الذين في استطاعتهم الاداء ويتلاعبون ، ثم يختم الجلسة بقوله : اخرجوا « حشمتمونا » مع هؤلاء النصاري ، دا لطيف .

ومن لطائف احكامه ، انه اثناء جلوسه للخصوم في مكتبه الخاص يكون معه خليفته وشيوخه وبعض اعيان القبيلة ، فيتحاكم مثلا شخصان عنده ، ويغضب لتصرف احدهما ضد الآخر ، فيقول بغضب وبصوت عال : اكتب عليه شهرا من السجن ايها الخليفة ، فياخذ المحكوم عليه في الاستغاثة ويساعده بعض الجالسين على ذلك فينطق القائد : اكتب عليه عشرين يوما ، فتكرر الاستغاثة وتكرر الوساطة فيقول ، اكتب عليه خمسة عشر يوما ، وتكرر الاستغاثة والقائد ينقص من المدة الى أن يقول له : اخرج من عندي واذا عدت الى مثل تصرفك « ناصيتك » اي حكمت عليك بالسجن المؤبد .

ومن لطائفه ايضا ، انه حينما يحكم على شخص بمدة ويقال له : ان عائلته لا تجد ما تاكل ، فانه يبكي ويرسل اليها كمية من الطعام أو يزورها بنفسه ويقول لها ، أنا معذور في الحكم على والدكم او ابنكم بالسجن لانه فعل كذا وكذا ، ولا تمكن مسامحته ، واثناء هذا الحديث تراه يذرف دموعا متواصلة، ويودع تلك العائلة وهو يقول : اسمحوا لي يا أولادي الله يصبركم .

ولا يطرق ببال القاريء ان القائد الدخيسي كان غرا لا يعرف ما ياتي وما يذر ، بلى انه رجل ذكي ، ولكن طيبوبته وتقواه يحولان دون الاضرار بقبيلته .

ومن نافلة القول أن نؤكد ان القائد الدخيسي كان اخلاقيا اي انه كان غير متهم في عرضه ، فقواد بني يزناسن تقريبا ، محافظون على اعراضهم ، لا يقفون مواقف التهم ، فمن لم تكفه امرأة تزوج أكثر منها ، ونتقدم القول بانه لا يوجد في دائرة بني يزناسن « لا شيوخ ولا شيخات » و « لا ليالي حمراء» فقوادنا « ولله الحمد » ، أخلاقيون تقريبا كما لا احتاج الى تاكيد ، فلقد اكدت هذه الحقيقة غير ما مرة اثناء فرصة التحدث عنهم عرضا أو قصدا .

واذا كنت قد اعطيت هنا صورة مصغرة عن نفسية القائد الدخيسي واخلاقه واساليب حكمه ، فقد حان الوقت لان اتحدث عن غزو الفكرة الاستقلالية لهذه القيادة التي تتصل بمدينة أبركان اتصالا مباشرا .

ان اول رجل سبق الى اعتناق الفكرة الاستقلالية في هذه القيادة بعد حوادث 1944 هو الاخ السيد عمرو بن محمادي الوكيلي الادريسي الذي كان تاجرا بابركان بشارع زكزل . فبواسطة هذا الاخ الكريم نفذت الفكرة الاستقلالية الى مداغ ، وهو أول رجل أيضا كلف بأمانة صندوق مكتب فرع حزب الاستقلال بابركان ، ولم يلبث نشاطه في هذه القيادة أن تدعم بشخصية أخلاقية طيبة المظهر والمخبر ، الا وهي شخصية السيد المنور بن المختار «اكراد»

بفتح الالف وسكون الكاف المثلثة ، وهو من قبيلة اولاد الصغير ، وفرقة اولاد عبد الرحمان ويعد هواريا من أعلى ، ثم تدعمت بالشيخ الوقور السيد عـبـد القادر الشاوي العثماني وصديقه السيد محمد فتحا بن رحاب ، وقد عرف السيد عبد القادر الشاوي بتقواه وأخلاقه الطيبة اذذاك ، كما انه قطع صلته « بشيخ اوراده » وانضم « عن صدق ويقين » الى الحركة الاستقلالية .

وعلى الرغم مما قاساه من آلام السجون كما قاسى السيد عمرو الوكيلي فانهما لم يهنأ ولم يضعفا ، بل لم يزدهما ما قاساه من آلام الا ايمانا عن ايمان.

اذكر جيدا أنه حكم على السيد عبد القادر الشاوي بستة شهور لافكاره الاستقلالية (1) وأثناء قضاء مدة سجنه في ابركان ارسلت اليه المراقبة مرارا تدعوه الى التخلي عن استقلاليته عوضا عن اطلاق سراحه ، ولكنه كان يجيب رئيس المراقبة « رامونة » أجوبة كلها اعتزاز باستقلاليته ، الامر الذي اغضب « رامونة » وأمر بان يكلف الاخ المذكور بكنس الازقة والشوارع حتى في أيام السوق الثلاثاء والسبت ، وذلك بقصد اذلاله أمام الناس ، ولكن ايمان السيد عبد القادر كان اسمى من أن تؤثر فيه هذه الوسيلة التافهة على الرغم من أنه يعد من أعيان قبيلته .

واذكر جيدا انه حينما يصل الى تنظيف زنقة طنجة التي كان بها دكاني يحييني في ابتسامة مشرقة ويدخل الى دكاني ويقول : اني لا اعتقد انني مجرم انني مسرور بتوفيق الله لي بالانخراط في حزب الاستقلال ، فعلى الرغم من أميتي وما كان من تغلغلي في الاعتقاد في شيوخ الزوايا ؟ فقد اكرمني الله بعضوية حزب الاستقلال ، ثم يقول لي ما رأيك يا لفقيه ؟ فاجيبه : انه لفخر عظيم لحزب الاستقلال ان يتحمل امثالك في شيخوختهم كل ألم ولا يقبل اية مساومة في عقيدته ، ان وجود امثالك في حزب الاستقلال ، لدليل قاطع على أن الانتصار قريب ، وقريب جدا ، ثم يبتسم كعادته ويودعني .

ولا يكاد السيد الشاوي هذا يبتعد قليلا عن دكاني ، حتى ياتيني صديقه وحميمه ورفيقه على الدوام الاخ محمد « فتحا » بن رحاب ويبتسم اثناء تحيته ويقول : «ايو يالفقيه ، هذا ما بغيت لصاحبك « الفقير عبد القادر ؟ » فاجيبه : « العقبى لك يا خالي محمد بن رحاب » ! فيقول ويضرب بكلتا يديه على صدره : أنا مرحبا بكل شقاء وعذاب في سبيل الله والوطن والملك ، ان هذا لا يعد شقاء ولا عذابا ، انه الشرف الخالد » خالك بن رحاب لا يخاف حتى الموت انه رجل البارود ، أياك أن تظن أنني رجل أشيب ولا أستطيع تحمل كل أنواع العذاب في سبيل الله ، انني وان كنت أشيب ، فان الدماء التي تغلي في عروقي هي دماء الشباب ، بل أقوى من دماء الشباب .

---

1) لم يعرف بنو يزناسن من عهد السلفية الى الاستقلال غير حـــزب الاستقلال ، ما عدا بعض الافراد الذين يعدون على أصابع اليد ، فقد اعتنقوا الشورية ، وكل ما يقال غير هذا يعد من قبيل تعمد تشويه التاريخ .«المـؤلـف»

ثم يأخذ في حكاية ما جرى من حديث بين الفقير عبد القادر الشاوي ورئيس الدائرة ، فيقول لي : لقد قال « رامونة » له : اذا عاهدتني على أن لا تزور قدور الورطاسي في دكانه ، أطلقت سراحك ، ويجيب الفقير عبد القادر بقوله وهو يبتسم كعادته : يا سيدي المراقب ، ان مـدة السجن ستنقضي وانني رجل استقلالي ما في ذلك من شك ، واستقلاليتي تقضي علي بالاتصال بالسيد قدور الورطاسي ، والسيد قدور الورطاسي رجل عالـم فوق انـه استقلالي وهو أيضا تاجر ، فانا لزاما علي أن أزوره لاستفـيـد من علمه ووطنيته ثم أقضي ما أريد من دكانه ، ويختم الفقير عبد القادر جوابه بقوله : أرجوك أن تتاكد باستقلاليتي حتى لا تساومني فيها من بعد .

نعم ، آخر محاولة من المراقب مع السيد عبد القادر الشاوي للتبرىء من استقلاليته ، انه حينما اقترب يوم عيد الاضحى استدعاه « رامونة » وقال له : انني أردت أن أطلق سراحك لتقضي أفراح العيد مع عائلتك ولكن هل تتبرأ من استقلاليتك ؟ فاجابه الفقير عبد القادر ــ على عادة اعتزازه بنفسه ــ انه لا يتخيل أصلا تنازله عنها ، وان أفراحه ستتضاعف في السجن ، وهكذا صمد الفقير عبد القادر أمام التهديدات والمساومات فخرج نقيا من السجن وهو عالي الراس ، فجزاه الله خيرا .

أما السيد عمرو الوكيلي فقد حكم عليه بثلاثة أشهر أيضا ، ولمضاعفة اهانته كلف بتنظيف منزل أجنبي مكلف بشؤون السجن الاقتصادية وكان يدعى « كرض ازان » «بفتح الكاف المثلثة وسكون الراء والضاد وكسر الالف» ومعناه حارس الذباب ، ولكن هذا المعنى لم يكن مقصودا في تسميته ، وانما يعطيها كرض ، وهو الحارس ، وازان ، هو الذباب بالشلحة .

وكرض ازان هذا ، كان بمنزلة الامير في بركان ، ولقد سامنـي انا الآخر سوء العذاب اثناء مدة سجن قضيتها بابركان كما ياتي في سنـة 1950 وحينما توليت رئاسة الدائرة بابركان لم امهله قليلا حتى طردته منها وخلفته بالشاب الفقيه السيد محمد بن منصور الملقب بالغربي التزغيني .

وقضى السيد عمرو المذكور مدة سجنه عند « كرض ازان » ولم يفت ذلك في عضده ، ولكنه لم تقع مساومته في عقيدته لانه كان معروفا بعقيدته المتطرفة.

ثم تعزز نشاط هذه القيادة بالذي قضى شطرا مهما من حياته في السجون وهو السيد محمد بن ادريس ، وبالاشيبين الطيبين السيدين بومدين بن قدور وعلي بن الحسين الدكيليين ، وبالشاب الطيب الاخلاق السيد رمضان بن محمد ابن سليمان العثماني وأشقائه سليمان والطيب وبوجمعة ، وبالشاب المتحمس المغامر السيد موسى ابن رباح الشهيـر ، ومحمد بن قدور البناء الشني وبوالده شيبة الحمد والداعية الذي لا يفتر عن الدعاية الاخ بنطالب بن عبد القادر بن لخضر ، والمجاهد الهادىء الشريف مولاي ادريس البكاي ، والشاب

الذي رفع رأس قبيلة أولاد منصور عاليا السيد علي ، والمناضل النشيط الاخ القندوسي الهواري ، والفقيه الذكي السـيـد عبد الرحمان بن عبد القادر الكبداني الزخنيني ، والاخ الحسين المرخي ، والاخ السيد عبد الرحمن البكاوي منزلا ، والشاب الصلب العقيدة المسير الماهر السيد رمضـان الكرض لقبـا المولود سنة 1929 م. أطال الله حياته ، وعلى رأس الجميع الاخ الحاج يعامر الهواري ، الرجل الثري الذي كنا نعقد بمنزله شتى الاجتماعات السريـة وكانت المراقبة لا تفتأ عن استدعائه وتهديده قبل حوادث فرحات حشاد « 8 دجنبر 1952 » .

وأرجو أن لا يعد اقتصاري على ذكر هذه الاسماء كحصر لعدد الاخوان المكافحين في هذه القيادة ، فهناك عشرات المئات من الاخوان ، كانوا يغامرون باموالهم وانفسهم في سبيل الله والفكرة الاستقلالية ، وأبلوا البلاء الحسن في ذلك ، ولكنني اقتصرت في هذا الفصل على ذكر بعض الاسماء التي لمعت في أوائل عهد الحركة الاستقلالية بابركان .

فليسمح لي الاخوان الذين لم اذكر اسماءهم وقد عرفوا الآن مقصدي ، كما أنه يجب التنبيه الى أن مقصودي في هذا الكتاب هو ضرب الامثال فقط اثناء تاريخي للحركة الاستقلالية ببني يزناسن ، وان استقصاء كل اسماء الاخوان لا يتحمله هذا الكتاب ، بل يفتقر الى عدة كتب ، كما هو في ظاهر ، والفة معذرة ومعذرة

فـــي أحـفـيـر

وكما فعلت فيما يتعلق بقيادة موارة ، أقدم هنا حديثا مختصرا عن قائد هذه الجهة السيد المكي بن محمد اليعكوبي : انه ولد القاضي المعروف والمؤلف لكتاب تاريخ بني يزناسن ، العلامة المرحوم السيد محمد اليعكوبي ، كان والده عالما تولى القضاء باحفير أوائل عهد الاحتلال الفرنسي ببني يزناسن ، ومترجمنا ولده فقيه يحفظ كتاب الله ، وقد عرف بمظاهر اللـيـن وبواطن الشدة ، ويظهر لي أن ما كان يقال عن ميله الى رجال الحماية ، كان نتيجة عدم مسايرته لتطورات الافكار ، فلم يكن يعرف عنه انه كان يقرأ الصحف ... ولعل ذلك كان منه كسلا ليس الا ، ومن جهة أخرى فقد كان أحرص على البقاء في وظيفته ، وقلما صرح بتصريحات ضد الحركة الاستقلاليـة ، وانما كانت الاجواء تضغط عليه فيفوه بتصريحات قصيرة ، ولكنه مع ذلك كان يلاطف الاستقلاليين بالكلام اللين .

واعتقد أيضا ان مشاركته في أحداث 1953 كانت بتأثير من ذلك الجـو الخانق ، ومن قصر نظره لما جريات الاحداث ، فيظهر أن ذاكرته عادت به ، اثناء حوادث غشت 1953 الى بعض فترات التاريخ المغربي القديم بان عزل سلطان واقامة سلطان آخر شيء يتلاءم مع بعض فترات تاريخنا ، وانسته

الاجواء الخانقة يومئذ أنه لا قياس مع وجود الفارق ، فالامر بالامس يتعلق باختيارات الشعب المغربي ، ويتعلق اليوم باختيارات أجنبية وشتان ما بين الاختيارات ـ ثم انه ـ كما قلت قريبا ـ كان غير معتن بدراسة التطورات السياسية ، زيادة على انه لم تكن له حاشية بصيرة بشؤون تطورات الحياة.

وهناك عامل آخر كان له أعمق الاثر على تفكيره ، فالرجل لم يشغف بالاسفار التي ينتج عنها عادة مختلف الاتصالات المفيدة والتى تفتح فكره وبصره على محريات الاحداث ، فقد كان ـ فيما أعلم ـ لا يتجاوز في سفره وجدة ، فهو اما في احفير ، واما في وجدة .

فانكماشه على نفسه ضيق من آفاق تفكيره ، فوقع فيما وقع فيه من الانسياق مع حركة الباشا الكلاوي ، واذا اراد الله أمرا هيأ له اسبابه.

ومن الضروري هنا ان أذكر أن القائد السيد المكي اليعكوبي يرجع الى قسم بني خالد من القبيلة الكبرى لبني يزناسن .

وبعد هذه الترجمة المختصرة المخللة بنظرياتي الخاصة للقائد السيد اليعكوبي ، ارجع القاريء الى الحديث باختصار عن رافعي لواء الفكرة الاستقلالية باحفير ، وليس في تقديم ذكر اسم على الآخر ما يفيد الاسبقية بينهم ، وانما اذكر هنا بعض اسماء الاخوان الذين قامت الدعوة الاستقلالية على أكتافهم في هذه السنة .

منهم الشاب المهذب الاخ ادريس بن محمد لهبيل الخالدي الرحماني الذي استطاع بلباقته أن يعمل لفائدة الفكرة الاستقلالية في هدوء وصمت غير ملفت الانظار الى نشاطه المتزايد يوما عن يوم ، وقد ساعده على دراسة الفكرة الاستقلالية والدعوة اليها تجارته التي كان ينقلها الى سوق ابركان في كل يوم ثلاثاء من كل اسبوع ، فلقد كان يستغل هذا الوضع التجاري ويتصل بقادة الفكرة الاستقلالية ويستفيد من أفكارهم ووسائل نشاطهم الوطني كما كان يحمل معه الى أحفير نشرات الحزب السرية .

وكان ـ للباقته وذكائه كما قلت ـ يعرف كيف يقوم بالدعاية الاستقلالية بحسن اختيار الاشخاص والمناسبات لبث الدعوة .

كما كانت لباقته المتفوقة تساعده على الاتصال بمختلف الاوساط حتى أوساط النساء اللواتي كن يجزن لانفسهن الدخول الى الاسواق لشراء ما يحتجن اليه من الحاجيات ، فكان ينتهز هذه الفرصة لنشر الدعوة الاستقلالية بمهارة فائقة ، كما كان ـ بدهائه ـ يستطيع ان يكون له صلات « طيبة مع القائد اليعكوبي » بطبيعة تجارته فلم يكن هذا الاخير يشعر بما كان يقوم به السيد ادريس المذكور من أعمال متواصلة في سبيل نشر الفكرة الاستقلالية وبذلك نجا من كثير من الاتعاب الى أن لم يبق على وجه الوطنية غبار وجاءت الاحداث الوطنية الكبرى لتقذف به الى غيابات السجون ، فحكم عليه بخمسة

أشهر سجنا في حوادث فرحات حشاد « 1952 » وبعام سجنا وغرامة قدرها خمسون ألف فرنكا في حوادث غشت « 1953 » .

ثم السيد اقويدر الخالدي الوشاني « بضم الواو وتشديد الشين » فهذا الاخ الكريم كان شيخا مسنا اطال الله حياته يحفظ كتاب الله ، وعلى بؤسه ، كان ينتقل الى ابركان للاتصال بنا والاستفادة من تعاليم الحزب التي كانت تصلنا باستمرار ، ومن تجاربنا الوطنية ، ثم يرجع الى أحفير ليقوم بالدعوة الى الفكرة الاستقلالية ، وهو أول كاتب لاول فرع حزب الاستقلال الذي تكون بقيادة احفير ، وقد حكم عليه بشهرين سجنا .

ثم الاخ الحيوي النشيط الشجاع الشهير السيد عمرو بن احمد الخالدي الوساوي اليسبوتي التغجيرتي (1) فلقد كان هذا الوطني الغيور هو أيضا يزورنا في ابركان ونزوده بالتعاليم الضرورية للقيام بالدعوة في أحفير ولقد سجن ثلاث مرات ، في عام 1947 ، حكم عليه بعامين سجنا ، وفي سنة 1950 حكم عليه بعام واحد وفي سنة 1952 حكم عليه ايضا بعام واحد .

ثم الاشيب المخلص الاخ ميمون بن العربي ، كان هذا الاخ تاجرا في أحفير ، وفي مواد بسيطة ينصب قيطونا لذلك وكان لا يفتر عن الدعاية للفكرة الاستقلالية في الاسواق ، وذلك في صراحة متناهية ممزوجة بالسباب والشتم للاستعمار واذناب الاستعمار .

وقد ضاقت المراقبة ذرعا بدعايته القاسية فحاكمته ، وحكمت عليه بعام سجنا ، ولم تكتف برميه الى سجن أحفير ، بل صارت تنقله الى سجون المغرب الشرقي ، وفي كل سجن ألوان من العذاب على الرغم من كبر سنه ، وكان اثنـاء كل هاته الالوان من العذاب محتفظا بعقيدته الوطنية الصادقة ، وقد صار الاخ ميمون العربي بعد ذلك مضرب المثل في أحفير للشيوخ والشباب في الوطنية الصادقة .

ثم الاخ الطيب بن محمد بن علي الحساني الجزار « صاحب الشوارب الكثيفة المتهدلة » كان من اشهر الدعاة الاستقلاليين باحفير وفي أسواق بني يزناسن التي يمتهن فيها مهنته ، وهو الآخر أيضا كان علني الدعوة صريحها لا يهاب ولا يخشى ولم يعتقل الا في حوادث فرحات حشاد باربعة اشهر ثم بثلاثة أشهر في حوادث غشت 1953. ثم الاخ مولاي الصديق البوتشيشي الفقيه الداعية الذي كان مضرب المثل في الاعمال والاخلاص على الرغم من فرط قساوة الدهر عليه . ولعله كان الكاتب للفرع هنا قبل السيد اقويدر المذكور .

ثم الاخ بوزيان الرحماني الذي كان من خيرة الدعاة الاولين العاملين الذي حكم عليه بعام سجنا فقضاه وهو متمسك بعقيدته الاستقلالية جزاه الله خـيـرا .

---

1) استوطن ميناء القنيطرة كتاجر ، وهو الآن (1964) لا يزال ساكنا بهـا حفظـه اللـه .

والى جانب هؤلاء الدعاة الاولين الصادقيـن كانت طائفة من الاخوان المخلصين في الميدان باستمرار ونشاط وهم : حماد الحراكي « بتشديد الراء والكاف المثلثة النقط » المنور بن اعبيد ، حرا كمحمد ، الفقيه العالم السيد العربي البوحميدي ، الشاب اللطيف علي المرزوقي ، الشيخ الوقور السيـد عمرو بن المكي ، الذي نفي من أحفير منذ حوادث فرحات حشاد الى غاية رجوع المولى محمد الخامس من منفاه .

وحينما برز هؤلاء الاخوان في ميدان الحقل الوطني العلني فكر فرع ابركان في انشاء فرع في احفير على أن تكون القيادة لفرع ابركان .

وتألف أول مكتب بكتابة الاخ السيد اقويدر الوشاني ، والاعـضـاء الآتية أسماؤهم : ادريس بن محمد الهبيل الرحماني ، مولاي أحمد بن الحاج الرحماني الذي كان من اكبر دعائم الحزب في احفير وحكم عليه بستة اشهـر سجنا في حوادث فرحات حشاد ، وحراك محمد ، وعلي المرزوقي .

وحماد الحراكي ، العربي البوحيدي ، الطيـب بن محمـد بن علـي الـحـسـانـي المنور بن اعبيد ، بوزيان الرحماني ، مولاي الصديق البوتشيشي .

ومنذ سنة 1947 وهذا المكتب يواصل نشاطه والفرع يعيد انتخابه ولم يتغير في وضعه الا بتغيير كتابة الفرع التي اسندت الى الاخ ادريس الهبيل بعد ان تنازل عنها الشيخ الوقور السيد اقويدر ، الى أن تطورت المقاومـة السياسية الى المقاومة المسلحة .

أما بيع الصحف الوطنية ، فقد تكلف بذلك الاخ ادريس المذكور ، كما كنت أنا شخصيا متكلفا ببيعها في ابركان وسياتي تفصيل الحديث عنها في فصل خاص ان شاء الله .

وكان مكتب الفرع يعقد جلساته في سرية اكثر من سرية جلسات مكتب ابركان، نظرا الى أن الوسائل التي يتوفر عليها فرع ابركان من حيث الاشخاص والجو الوطني العتيق ، لا تتوفر في أحفير أشخاصا وجوا ، ولان السلطـة الفرنسية كانت تحرص كل الحرص على حصر القوة الوطنية الاستقلالية في ابركان للتقليل من شأنها كعادتها في كل اقليم ، وهي سنة الحاكميـــن الظالميـــن ..

والحقيقة انها كانت بهذه النظرية تلفت الانظار من حيث لا تشعر الى مدى قوة الحيوية والتفكير ووجود النشاط في ابركان .

فالسلطة الفرنسية في ابركان ، كانت مغلوبة على أمرها ازاء وجوه النشاط الوطني والسياسي التي كانت أبركان مسرحا لها .

ولن يستطيع أي أحد أن يعلل تاريخيا ذلك النشاط في ابركان بغير حيوية القيادة الوطنية والسياسية وخبرتها بوسائل تطور نشاطها تطورا كان يحمل على التقدير والاعجاب ، فلقد كانت القيادة في ابركان تفاجيء السلطة الفرنسية

بأعمال عظيمة كانت تحار في تعليلها فعلى الرغم من استعلاماتها ، وضرب الحصار على ابركان ، لم تكن تستطيع الاطلاع على نوايا القيادة الوطنية حتى تبرز الى الوجود .

وبهذه المناسبة اذكر هنا انني كنت ذات ليلة عند القائد المنصوري ووجدته في حالة غضب وقال لي : ان أسراركم كلها عند الفرنسيين ، لقد حشرتم كل من هب ودب في هذه الوطنية ، لذلك ، فان اسراركم كلها عند المراقبة . فاجبته بقولي : ان نشاطنا ينقسم الى قسمين : قسم سري ، وقسم علني ، فالدعوة الى توحيد كلمة الشعب واتحاده حول فكرة واحدة ليس من قبيل السر ، وكل ما فيه من سرية في الجملة هو اجتماع حلقات الفرع .

أما مقررات الحزب ، ولم أقل له مقررات المكتب حتى اخفي عنه ذلك بعض الشيء ، فان السلطة لا تطلع عليها حتى تقع .

وحينما تقع فلم يبق موجب للسر ، بل اننا نبذل كل جهودنا لاذاعتها وتوسيع دائرة التعاليق عليها ولا تخفى منها الا وسائل واشخاص التطبيق .

وقلت له : خذ مثلا لذلك ، لقد وزعت مناشير ، فهل علمت السلطة بان الحزب قرر توزيعها ؟ وهل عرفت وسائل التوزيع ؟ ومن هم أولئك الاشخاص الذين قاموا بالتوزيع ؟ وفي اي وقت تقرر التوزيع واختيار الاشخاص والاوقات ؟

وعندئذ ابتسم وقال : لك كامل الحق فهذه الناحية مجهولة لدى السلطة الفرنسية ، نعم يقول القائد المنصوري : لماذا تخفون علي هذا الجانب السري وانتم تعلمون وطنيتي ومساعدتي لكم ، انه من الاليق أن تخبروني حتى لا أكون انا الآخر مفاجئا بها فيحملني الفرنسيون : أما على انني كنت متواطئا معكم ، وأما على انني أجهل ما يروج بقيادتي ، وكلا الامرين ليس في صالح الجميع .

لم اكن في حاجة لا في هذه الساعة ولا قبلها ولا بعدها ، الى التفكير في الجواب . فلقد كان المكتب درس بكل تدقيق نوع الاتصال الذي يجب أن يكون مع القائد كقائد له المام بتطورات الافكار السياسية ، وله عطف وطني لا ينكره أحد ، وخصوصا انه كان ممن يعدون من أنصار جلالة محمد الخامس ، وكانت اتصالاته به معروفة شهيرة ، كما انه كان القائد الوحيد في بني يزناسن الذي يقرأ الصحف الوطنية في الشارع وفي المقاهي ، في الوقت الذي كان يحاكم فيه قراء العلم لا في بني يزناسن فحسب ، بل في مجموع أقاليم المغرب ، اذ كان يجيب الفرنسيين عن ذلك بانه مسؤول كقائد ، وعلى المسؤول ان يطلع على ما يجري في بلاده ، وخصوصا ما جرى في قيادته ، ويقول لهم على سبيل التضليل والتخليط ، وانتم كذلك تقرأون الصحف الوطنية لهذا الغرض ، اليس كذلك؟ ؟ فيصمتون على مضض .

قلت : لم اكن في حاجة الى التامل في الاجوبة ، فلقد قرر المكتب الاتصال بالقائد المنصوري مبدئيا ، وتقرر بعد دراسته أن أسلم له النشرة

السرية للحزب لانه قد تحقق لدى المكتب انه لم يـكـن يطلع عليها السلطة الفرنسية ، وفوق ذلك ان ضميره كان يأبى عليه ذلك ، وقد تحققنا كـل التحقـق من هذا الضمير ، وتقرر ان نعالج معه المشاكل التي تحدث في ميدان الاعتقالات السياسية ، وتقرر ان أكون انا الذي يعالج معه ذلك ، وقد فوض المكتب لي في اتخاذ المواقف الملائمة للظروف بالنسبة لكيفية تطبيق نوع هذا الاتصال ، وتتقرر مع هذا كله اخفاء القرارات السرية سواء قبـل التطبيق ام بعده : لانه قائد على أي حال .

فلذلك اجبته في حالة طبيعية بقولي : ان توزيع المناشير يرجع قراره وتطبيقه الى المركز فنحن في أبركان لا يطلعنا المركز على قرار التوزيع ، ولا على وسائل التوزيع ، فلذلك نحن هنا من جملة المواطنين الذين تصلنا المناشير من حيث لا ندري ، وقلت له : انه يظهر لي ان المركز له اشخاص يعرفهم هو خاصة من مختلف الاقاليم ويكلفهم بعملية التوزيع طبق الوسائل التي يدرسها ملائمة لكل اقليم .

فلذلك نحن واياكم سواء في المفاجأة بالتوزيع ، ثم انني لاجل حمله على الاعتقاد بما أقول اظهر اسفي على ان المركز كان من واجبه ان يطلعنا على ذلك ، لكي نهيء الجو الملائم ، ومن جملته اخباركم بذلك لتستعدوا له .

وبعد ان انتهيت من الجواب ـ وكثيرا ما كان يعود الى مثل هذا السؤال ، واعود الى نفس الجواب ـ يعرب لي عن أسفه تضامنا معي ويقول: هذا عيب واي عيب في المركز ، فاما ان يثق بنا وبكم ، واما ان لا يثق ، واذا لم تكن له ثقة ، فاي نجاح يرجى من عملنا وعملكم ؟ فهل يظن المركز أننا غير مخلصين ؟ «ويقصد نفسه» انني من اول المخلصين والمستعدين لكل تضحية .

وعندما يكون يعلق مثل هذه التعاليق العصبية ، اطرق واردد من حين لاخر قول : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وقبل ان اودع هذا الموضوع الذي دعت اليه المناسبة ، يجب التنبيه الى أن القائد المنصوري لم يكن يعتقد بصحة الجـواب المشار اليه عـن سؤاله ، لانه اذكى من أن يصدق ذلك ، ولكنه كان مضطرا للتظاهر بتصديقي محافظة على جو الاتصال بيني وبينه سواء من ناحيتي الشخصية ، أم من ناحيتي الاستقلالية ، فهو يتظاهر بتصديقي مدفوعا بضروريات الابقاء على جو الاتصال الودي وليست له وسيلة لارغامي على قول الحقيقة ، فهو مضطر الى تظاهره بتصديقي .

غير ان اعتزازه بنفسه يأبى عليه ان اودعه من غير ان يشعرني بطرف خفي انني اكذب عليه ، ولذلك فانه ينحي باللائمة على المركز ويقول : اما أن يثق ، او لا يثق الخ ... فالحقيقة ان هذا الكلام يوجهه الي باسلوب غير مباشر .

ولكن ماذا أفعل ؟ انني ملزم بتنفيذ قرارات المكتب فلا أستطيع ان أحيد عن الخطط المرسومة فانا لم أكن اكذب للتغرير بالقائد المنصوري ابدا ، ولكن مسؤوليتي كانت مقررة ومحددة الخطوط لي محافظة على الامانة .

ثم ان القائد المنصوري كان من طبعه اذا علم الحقيقة ، فان اسلوبه الدفاعي ازاء المراقبة يضعف وتعرف منه المراقبة ذلك ، وعلى عكس الحال اذا لقن شيئا له مظهر الحقيقة فقط ، فانه يتحمس في الجواب والدفاع ، فكان لزاما ان نستفيد من هذا الطبع ، فعلى الرغم من أنه كان لا يصدقني في جوابي مائة في المائة ولكن جوابي كان يثير في نفسه الشك في صدقي على الاقل ، كما كان جوابي يخطط له الموقف الذي يجب اتخاذه مع المراقبة حالما تدرس معه الموضوع وبذلك كنت اقصد الى توجيهه وتهيئته لتلك المواقف ، وطالما شعر بهذا التوجيه الدقيق فيبتسم لجوابي من مثل هذا الاسلوب ويقول ـ وهو يبتسم : ما فيها باس فلنقل هكذا . يقول ذلك ليشعرني في لباقة بانه قد فهم قصدي من الجواب بانه للتوجيه لا للحقيقة ...

وبما ان هذه النقطة ذات اهمية في نظري ، فانني اضرب مثـلا لذلك استدعتني المراقبة ، وكان رئيسها رامونة فدخلت الى مكتبه ووجدت معه الترجمان المدني السيد بنعمرو بن عبد القادر بن احمد اليعقوبي اليزناسني ، والقائد المنصوري ، وكان القائد المنصوري في هذه الجلسة في حالة عصبية واضحة ، اذ كان متعمما بعمامة صفراء ومرتديا جلبابا ورديا ، وواضعا نظارتيه فوق عينيه وتلك عادته اذا ما كان في حالة غير اعتيادية ، دخلت مكتب الرئيس وحييته كعادتي : صباح الخير أو مساء الخير ، بـــدون رفــع اليـــد .

وبعد بضع لحظات كان المراقب يتظاهر اثناءها بقراءة جريدة كعادة المراقبين الفرنسيين عندما يأذنون لاي احد بالدخول عليهم ، ولقد ورث بعض موظفينا هذه العادة في عهد الاستقلال استهانة بالناس مع الاسف الشديد

بعد ذلك سألني المراقب بواسطة الترجمان عن مراسلة ؟ فأجبت : مـا لي ولهذه المراسلة وهي محررة بالفرنسية وانتم تعلمون انني لا اعرف الفرنسية .

فقال المراقب : ولكنها مترجمة من مراسلة بالعربية نشرتها العلم ، فنفيت هذا التحرير بقولي : ان العلم لم تنشرها ، وقلت : الامر سهل ، اذا نشرتها «العلم» بامضاء الرقيب ، الذي هو رمز اسمي فانني اتحمل مسؤوليتها فقال القائد : لقد قرأتها بنفسي ، فقلت لعلك قرأت مراسلة تشبهها ، فقال : ان جريدة «العلم» في منزلي ، فقلت : ولو كانت في منزلك فأنا اذكر كل مـا اكتب حتى ولو قبل سنة ، ان «الاستقلال» قد انفردت بنشر هذه المراسلة ، وانا لا علم لي بها الى ان ذكرتموها لي الان ؟

فتدخل المراقب وقال : على اي حال انت على علم منها بصفتك مسؤولا عن الحزب وصحفه ، فانت تعرف من حررها فاجبت : ليس من حقكم ان تكلفوني باخباركم بما هو من مسؤوليتكم ، فانا ـ كما تعلمون ـ لست من مخبريكم ،فعليكم ان تتذكروا هذا المبدأ ، فقال المراقب : ولكن هل يستطيع احد ان يراسل صحيفة استقلالية هنا بدون اذنك وعلمك ؟

وقبل ان أجيب : تدخل الترجمان فقال : ليس ذلك بضروري ، فكل واحد اراد أن يراسل صحيفة ما ،واوضح عنوانه يمكن للصحيفة ان تنشر له مراسلته على عهدته .

وهنا ثار القائد المنصوري ثورته العنترية كعادته كلما شعر بمتانة موقفه ، فقال في لهجة نارية عالية لا ياسيدي المراقب ، ليس من الحق ان تحمل السي قدور مسؤولية عمل لم يقم به ، والقانون الصحفي يسوغ لكل واحد ان يراسل أية صحيفة مع اعطاء عنوانه ، فلماذا نحمل السي قدور مسؤولية هذه المراسلة ، انه استقلالي ومراسل للعلم ، هذا شيء لا شك فيه. أما ان نحمله مسؤلية مراسلة لا يعرف لغتها فهذا ظلم !! ظلم ؟؟

وبدون ان ينظر الى المراقب قال لي : الله يهنيك يالسي قدور ، انت لا مسؤولية عليك الان ، ونحن سنجري بحثا عن المراسل ، اللعب هذا !!

فخرجت وانا أكاد انفجر من الضحك ، واكتفيت بابتسامة في رحاب المراقبة حيث كان رجال المخزن واقفين ينتظرون نتيجة استدعائي ، ومعظمهم كان يفرح حينما اخرج منتصرا وعلى شفتي ومحياي آيات الانتصار .

قلت : كدت انفجر بالضحك : ذلك ان القائد المنصوري كان معجبا بمواقفي واجوبتي ، وكان يصرح بذلك للناس ويقول : آه ليت الوطنيين كانوا كلهم سي قدور انه ليوفق كل التوفيق في مواقفه واجوبته ، ويزيد فيقول ، ان رامونة يصرح لي بذلك ويقول : «اي المراقب» ان «شي قدور» يقولها بالشين المعجمة ، لا يمكن للانسان الا أن يحترمه ، فلطالما كنت عازما على اعتقاله ولكن اجوبته تجبرني على احترامه بدل سجنه .

فلقد كان القائد المنصوري اثناء هذه الجلسة التي قصصتها «يتعنتر فحسب» اذا أنه كان على يقين من انني على علم من المراسلة ، ولكن اجوبتي «المنطقية» حمسته لتأييدي وللوقوف بجانبي ، اذ انني كنت اثناء الاجوبة «منطقيا» مع المراقب ، وحسب « منطقي» تدخل الترجمان «القانوني» !

الاثنين 7 يونيه سنة 1948

في اول يوم او ثاني يوم يونيه 1948 ، سافرت الى فاس سفرا تجاريا ، وقد كان الاخ بنسعيد احمد بن الحاج مولاي محمد بن بنسعيد الورطاسي شريكي في المتجر في رفقتي ، وقد نزلت بفندق الباشا بباب الجنود .

وفي يوم الاثنين سابع يونيه المذكور رجعت من فاس ورفقتي السيد احمد المذكور مقلين القطار الخارج من فاس على الساعة الثانية عشرة زوالا .

ولما وصلنا الى محطة القطار بتاوريرت تلقينا نبأ احداث في وجدة بين المسلمين واليهود ، ولم نعر هذه الاحداث اي التفاتة ، لاننا ظننا انها مجرد احداث نشأت عن تشاجر عادي بين مسلم ويهودي ، وان هذه الاحداث من تهاويل بعض النقلة الذي من شانه أنه لايلتفت اليه ، فليست الا من قبيل ما يعتري الاحداث البعيدة الموقع من تحريف وتهويل وما يصاغ حولها من هالات كلها خيالات ولم تخطر ببالنا اصلا تلك الحال التي سنفصلها في هذا الفصل قريبا

ولكننا اخذنا نغير ظننا كلما اقتربنا من وجدة ، فمن حين لاخر كنا نتلقى داخل القطار معلومات جديدة عليها طابع الخطورة .

وحينما نزلنا من القطار بمحطة وجدة ورأينا رجال الحراسة من شرطة ومخزن وجيش مدججين بالسلاح تحقق لدينا ان هذه الاحداث ذات خطورة كبرى .

واذكر جيدا انني حينما تحققت بالخطورة شعرت بان هذه الاحداث سوف لا تتغاضى عني فلقد كانت الادارة الفرنسية تتخذ الاحتياطات ضدنا نحن الاستقلاليين حينما تقع احداث في الشرق الاقصى ! اذ أن حزب الاستقلال كان يزعزع اركان العالم اجمع لاقل تصريح سياسي يفوه به بعض قادته ، واحرى في هذا الشهر الذي عين فيه الجنرال جوان على رأس الاقامة العامة ، وقال في احدى تصريحاته الاولى انه جاء الى المغرب ليفعل .. ويفعل .. فلقد كان هذا التصريح بردا وسلاما على الفرنسيين الذين كانوا يعانون من الحنق والغيظ بسبب سياسة اريك لابون «التخديرية» .

اذ أن الفرنسيين كانوا يومنون كل الايمان ان المغاربة لا يحكمون الا بالحديد والنار ، واقل ما ما يعاملون به ، الشدة والعصى والاهانات ، لذلك سماهم ان «يلين» لابون ، ولم يكن في الحقيقة الا مخادعا ماكرا .

قلت : انني شعرت بان هذه الاحداث سوف لا تتغاضى عني ، ولذلك رفعت رأسي الى ساعة المحطة لابتدىء في ضبط حركاتي وتصرفاتي مستعملا الزمان والمكان استعمالا محوطا بالحذر ، لانه اذا اعتقلتني الشرطة فستستعمل اول ما تستعمل معي ، الزمان والمكان .

فكانت الساعة السادسة وخمسة وثلاثين دقيقة بالضبط .

خرجنا من المحطة ونبهت رفيقي السيد احمد الى ما الزمت نفسي به ، ثم توجهنا الى محطة سيارات النقل العمومية بطريق مراكش ، وكانت الشوارع والزقاق تعج بدوريات الحراسة المسلحة .

ركبنا في سيارة كبرى للنقل ما بين وجدة وابركان ، وعلى باب وجدة في طريقنا الى ابركان اوقفتنا الحراسة مدة نصف ساعة تقريبا فيما اذكر ،

وبعدها جاء الامر برجوع السيارة الى وجدة ، وانه يمنع اي نقل ما بين وجدة وابركان فلا الذين في وجدة يذهبون الى ابركان ولا العكس ايضا .

وقبل ان تتحرك بنا السيارة من وجدة الى ابركان كنت علمت مختصر تفاصيل الاحداث وقلت لنفسي : ان الاحداث وقعت بالضبط على الساعة التاسعة صباحا الا ربعا هذا اليوم سابع يونيه 1948 وانها انتهت على الواحدة والربع بعد زوال نفس اليوم ، وفي هذه الفترة كنت في فاس ، ولم استقل القطار الا في الثانية عشرة ، بمعنى ان الحوادث كانت قد انتهت وعادت الامور الى مجراها الطبيعي في الوقت الذي وصل بنا القطار الى محطة مطماطة تقريبا ، فاي علاقة لي مع هذه الحوادث ؟ اللهم الا اذا تجدد شيء منها .

ولكن حينما منعنا من الذهاب الى ابركان عادت نفسي تحدثني بانه لا تزال في الزوايا خبايا ، ومع ذلك فقد مكثت في وجدة انتظارا لساعة «فتح الحدود» ما بين ابركان ووجدة ، واثناء هذا الانتظار علمت وفي نفس مساء ذلك اليوم ، ان بعض المغاربة في اجرادة دخلوا على اليهود في منازلهم وقتلوا منهم اربعة وثلاثين يهوديا ، فيهم الرجال والنساء والصبيان ، واثر ذلك وقعت حوادث بزنقة الدار البيضاء في وجدة كانت فيها حرائق وقتل اربعة اشخاص من اليهود وصبي صغير ، كما وقعت حوادث في طريق صفرو قرب سيدي عبد الوهاب قتل فيها مدير البريد وهو فرنسي .

فتساءلت في دهشة وحيرة لم هذه الاحداث ؟ عهدي بالمغاربة يلعنون اليهود بالسنتهم ولكنهم لا يفترقون عنهم في الميدان التجاري بالخصوص، وان اللعنات تجري على السنتهم بغير قصد ، فهم في الحقيقة يحترمون اليهود بل منهم من يشترك معهم في التجارة والفلاحة ، ان هذه مؤامرة ، فسألت واين كان رئيس الناحية برونيل في هذا اليوم ؟ فأجبت : انه علم بحوادث اجرادة في ساعتها اي في الصباح البلكر من هذا اليوم وتوجه الى تاوريرت حيث تناول طعام الغذاء ! فقلت ، ولكن ، هل علم بحوادث وجدة ؟ فقيل لي : نعم ومع ذلك سافر الى تاوريرت !

انه لامر عجيب : رئيس ناحية تجري هذه الاحداث الدامية في اجرادة ووجدة ويتناول طعام الغداء بتاوريرت ، وان كانت هذه من مشمولات نفوذه .

حقا انه لامر عجيب !

فقال لي من كان يخبرني بهذه الاخبار : ان مختلف الاوساط من مغاربة وفرنسيين ويهود يعتقدون ان برونيل هو مدبر هذه المؤامرة وان «عبادة» بضم العين رئيس يهودوجدة قد استنتج ذلك من خلال اتصاله ببرونيل ، وانه حمله مسؤولية كل ما وقع ، وعلى الرغم من «عنترية» برونيل مع عبادة ، فان هذا الاخير اسمعه من الكلام القاسي اثناء الحديث معه ما لا عهد له به .

وتساءلت ؟ ولكن لماذا اختار برونيل هذا الوقت لانجاز مؤامرته الدنيئة ؟ فكان الجواب : انه تمشيا مع سياسة الجنرال جوان في المغرب ، وقد قال

في احدى تصريحاته : انه جاء ليفعل كذا .. وكذا .. فاراد برونيل ان يبين للمقيم انه على حق فحبك هذه المؤامرة ليسلط سوط العذاب على المغاربة .

اما اختيار اليهود لان يكونوا ضحية مؤامرته ، فلان المغرب يعيش الان في حماس منقطع النظير بسبب حوادث فلسطين ، اذ يمكن لبرونيل ان يعللها بانها كانت نتيجة الغليان الحماسي في المغاربة لقضية فلسطين ، ويضلل المقيم العام بذلك ليشفى غليله من المغاربة المسلمين واليهود على السواء .

فابرونيل خلق من الطينة التي خلق منها امثال «نيرون» فهما يسعدان بشقاء الناس .

ثم انه سينال في نظره رضى المقيم الجديد والدوائر الاستعمارية المتطرفة لانه استطاع ان يواجه الاحداث بحزم حيث قضى على «حركة مسلحة خطيرة» في اربع ساعات .

والى جانب هذا ، فقد كانت هناك منافسة لتعذيب المغاربة وتقتيلهم وتشريدهم واعتقالهم ونفيهم بينه وبين زميله ، بونيفاس ، رئيس ناحية الدار البيضاء .

وبونيفاس هذا ، هو الذي حاك مؤامرة افريل من نفس السنة التي حاول ان يعرقل بها زيارة جلالة محمد الخامس لطنجة في اواخر عهد اريك لابون فاوعز الى الجنود السينغاليين ان يقوموا بتلك المجزرة التي ذهبت ضحيتها مآت المغاربة قتلا وسجنا وتشريدا وحرقا وتعذيبا في مكاتب الشرطة ومحاكمات قاسية ، وطردا من مختلف الجهات . فلا شك ان برونيل كان يتحرق غيظا لكون زميله بونيفاس سبقه الى حبك تلك المؤامرة التي خلفت الويل والثبور في الدار البيضاء .

فلذلك لم يهدأ باله حتى قام بمؤامرته الدنيئة في اجرادة ووجدة .

اعتقال السيد عبد الكريم البرحيلي

وفي صباح الاربعاء حوالي العاشرة تاسع يونيه 1948 ، اعتقل الفقيه السيد عبد الكريم بن الحاج التهامي البرحيلي المنقوشي اليزناسني ، وكان تاجرا بطريق صفرو ومشهورا بنشاطه الوطني وخصوصا في ميدان الدعاية .

فالسيد عبد الكريم كان – علاوة – على «ندواته السياسية» التي كان يقيمها بمتجره ، كان يفارق متجره ويتجول بالشوارع والزقاق ويتصل بكل من هب ودب لبث الفكرة الاستقلالية ، «فندواته» متنقلة سيارة .

وبلغ من قوة نشاطه في ميدان الدعاية ان بعض الاستقلاليين كانوا يتضجرون من افراطه في تحليل الفكرة الاستقلالية والدعوة اليها ، وكان لزاما ان يترصده برونيل للايقاع به ، ولذلك احاله على مكتب الاستنطاق السياسي «البستي» بكسر الباء وسكون السين ، وهو القسم البوليسي التابع للجنة السياسية بعمالة الاقليم .

اعتقـــالـــــــي

وفي صباح الخميس الموالي حوالي الساعة الحادية عشرة كنت في دكان الاخ المرحوم محمد الدرفوفي بمتجره الذي كان موجودا قبالة الباب الغربية للمسجد الاعظم واخذت اساعده على بيع «العلم» الذي تجمهر القراء لشرائه .

واثناء ذلك مرت علينا دورية من الشرطة كان على رأسها مفتش قديم لا اذكر الان اسمه غير انني اذكر انه كان بدينا اصلع الرأس من المرافقين غالبا للقطار الذي يخرج من وجدة الى البيضاء ، فنظر الينا نظرة ذات معنى .

وعندئذ قلت للاخ الدرفوفي ، «تبقى على خير يا محمد ، انا ذاهب الى السجن الساعة ان شاء الله ، وكأنه هو الاخر أدرك مغزى تلك النظـرة فاجابني وهو يبتسم «بصحتك الخوى ، وظهر على وجهه اثر الالم والانقباض .

ولم نكد ننهي تعاليقنا القصيرة على تلك النظرة حتى جاء المفتش المشار اليه وقال لي : انت السي قدور الورطاسي ؟ قلت : نعم ، قال ان المعلم «اي رئيس الشرطة» يطلبك هيا معنا ، فاخذت عددا من العلم وركبت «الجيب» .

ومرت بنا سيارة الجيب على سيدي عبد الوهاب ، فزنقة صفرو ، فطريق مراكش الى النهاية ، ثم الى مكتب الشرطة الاقليمية قرب السوق البلدي .

وكنت اثناء هذه المسافة أقرأ العلم بدون ان اتحدث مع رجال الشرطة ، او يتحدثوا معي ، ولقد عملت فيما بعد ان كل من رءاني على تلك الحال ـ وكم من مئات رأوني ـ قد اعجبوا ايما اعجاب بها .

وصلت الى مركز الشرطة ، وبعد هنيهة قال لي المفتش الفرنسي : ان «المعلم» مشغول ، وسنذهب الان الى «دار الضيوف» ، وهذا الاطلاق في اصطلاح الشرطة يعني زنازن السجن الموقت ثمة .

ساقوني الى زنزانة لا تجاوز مساحتها مترين في مترين ، وقد عددت (الضيوف) فوجدتهم ستة وثلاثين ، فكنت السابع والثلاثين ، ومن بينهم يافعون كانوا يبكون امهاتهم وآباءهم .

ولم تمض بضع دقائق عل ىوجودي معهم حتى كان الكل يضحك ويردد الاناشيد الوطنية الحماسية ، واستطعنا ان نخلق من هذه الزنزانة التي تراكمت فيها اللحوم البشرية قصرا سعيدا .

وتلك كانت نتائج العقيدة الاستقلالية الصادقة ، فالنفوس الاستقلالية كانت تسمو عن كل مقايس الحياة ، ومقايس الاستعمار القاسية .

فلقد كان الاستقلاليون يستمدون السعادة من منابع عقائدهم الفياضة ، فالروحانيات كانت تسمو فوق الازمنة والامكنة ، فلا شعور بالالام من أي نوع كان .

وبذلك تتجلى الاخوة الانسانية في ابدع صورها ، فيسود الاحترام المتبادل ويسود الايثار المجرد من كل دنس مادي ، وكادت القلوب في هذا العهد ان تكون مثل الشاشة يمكن للانسان ان يشاهد بنور بصيرته اجواء القلوب وهي تتهادى بصور الاستقلاليين ، فكان كل قلب عبارة عن برزخ لا نهائي يجمع الاخوان الاستقلاليين .

فاذا اصيب استقلالي بمصيبة ما ، لا يحتاج الاستقلالي الى الاستعلام عنه ، بل يطل على اجواء قلبه فيشاهده هناك محاطا بمكروه فيتسارع الى نجدته فكانما كل قلب كان من علماء استحضار الارواح .

وقد سمت الارواح عن كل مقايس الروابط والعلائق والابعاد والافاق الواسعة العريضة ولم يبق الا رابطة واحدة ، هي رابطة حزب الاستقلال واشعاعات توجيهات محمد الخامس ... ايـه .. عليك يا زمان . **فاصبحت الارض مقشعرة فكأن الارض ليس بها هشام .**

مكثت في هذه الزنزانة صباح الخميس عاشر يونيه 1948 ، الى زوال يوم الاربعاء سادس عشر يونيه المذكور حيث اطلق سراحي ، وارجعت الى ابركان بخفارة الشرطة ، فما هي أهم الاحداث التي عشتها كامل هذا الاسبوع .

1) كانت الشرطة تنادي على البعض منا فتسوقه الى زنزانة التعذيب فتذيقه ما شاء الله من الوان العذاب ثم ترجعه الينا ، فنواسيه فينسى كل آلامه وكأنه ما تألم .

2) شاهدت الاخ عبد الكريم البرحيلي مفكك الجسد لا تكاد تتعرف عليه تعذبه الشرطة ما شاء الله ثم تقذف به الى احدى الزنازن وكأنه جثة هامدة .

3) وشاهدت امثاله من الاخوان وهم كثيرون على تلك الحال .

4) استدعيت الى الاستنطاق ، وكان الذي تولى ذلك : المفتش كارسيا الاسباني الاصل ، الفرنسي الجنسية، وكان عاقلا فاستنطقني من غير ان يمسني ولو بكلمة جارحة ، وانني لا زلت اذكر انه سالني بعد جوابي على عدة اسئلة تتعلق باستعمال الزمان والمكان ، سالني : ما رأيك في هذه الحوادث ؟ فاجبت بدون تلكيء : انها مؤامرة يعرف الرأي العام مدبرها وحتى اليهود مومنون بانها مؤامرة اجنبية ! فاجابني : كل العقلاء يقولون هذا الذي تقوله !

5) شاهدت اخوانا لنا قد فقدوا وعيهم وشعورهم بالوجود من جراء ما صب على جلودهم من الوان العذاب .

وكان البعض منهم حين يفيق من اغمائه ينادي من زنزانته باسمي ويطلب مني ان ارتل بعض آيات من كتاب الله العزيز فاحقق رغبته وارفع صوتي عاليا بتجويد ما شاء الله من كتاب الله الكريم ، وعندما اختم التلاوة

تتعالى الاصوات من جميع الزنازن : الله أكبر ، الله أكبر . بارك الله فيك

نكبة بني يزناسن بهذه الحوادث

لقد كان رئيس الناحية برونيل : يتلظى من الحنق والغيظ على ثلاث طوائف من سكان المغرب الشرقي ، بنوع خاص ، اهل فاس ، وبنو يزناسن ، واهل فجيج . وكان بغضه لبني يزناسن اشد واعنف .

فقد كان يعتبرهم المحرك الاساسي لكل حدث يحدث في المغرب الشرقي ، فاذا قيل له ان حادثا وقع في ملحقة من ملحقات المغرب الشرقي ، سال اول ما سال ، هل هناك احد من بني يزناسن في هذه الملحقة ؟ فاذا اجيب بالايجاب ، قال : ان هذا اليزناسني هو سبب البلاء ، فيصدر أمره بالتنكيل بكل يزناسني في تلك الملحقة .

وهكذا فقد اعتقل السيد عبد الكريم البرحيلي اليزناسني بتهمة قتله لمدير البريد . وبعد تعذيبه 22 يوما حسبما روى لي ذلك هو نفسه احيل على المحكمة العسكرية بالدار البيضاء ، مع ثمانمائة معتقل فحكمت المحكمة ببراءته ، وقد دافع عنه الاستاذان الحمياني وادريس لحمدي ومحام فرنسي ، ثم بمجرد ما رجع الى وجدة القي عليه القبض ونفي الى غم لحنش باقليم ورزازات ولم يطلق سراحه الا يوم ثالث عشر يوليوز سنة 1955 ثم انه عقب اعتقاله الاول في تاسع يونيه 1948 وكان يوم الاربعاء وقعت حادثة في سبيله يوم الجمعة حادي عشر يونيه 1948 .

وخلاصتها : ان الفقيه السيد محمد بن التهامي شقيق الاخ عبد الكريم ذهب يوم الجمعة حادي عشر يونه 1948 اي بعد يومين من اعتقال شقيقه الاخ عبد الكريم الى المسجد الاعظم بوجدة وضرب الباشا السيد المهدي الحجوي في وسط المسجد اعتقادا منه انه الذي اعتقل اخاه عبد الكريم المذكور ولقد حمل الباشا في حالة خطيرة شفي بعدها بشهور .

أما اسيد محمد بن التهامي فقد قتله رجال المخزن في نفس اللحظة ، وفي نفس المسجد ، والتحق بربه عليه رحمة الله .

وعقب هذه الحوادث باسابيع اصدر برونيل اوامره بارجاع بني يزناسن الذين كانوا قد استوطنوا وجدة قديما وحديثا وكانوا يعدون بالمئات الى مساقط رؤوسهم ، وخصوصا من ناحية عين الصفا الابصارة واحفير وبني وريمش وبني موسى .

وانني اقتصر هنا على ذكر اسماء ثلاثة ساهموا باوفر نشاط وطني ضمن نشاط فرع ابركان .

اولهم الاخ محمد الشاوش الوريمشي التميمي البناء يومئذ والذي قرر فرع ابركان تشغيله في مداغ مع الاخ البناء محمد بن قدور الشني ، وسأتحدث عن نشاطه فيما بعد .

اما الثاني فهو الشهيد المرحوم السيد احمد بن المعزوز الكعواشي ، اما الثالث فهو الفقيه السيد محمد بن الطاهر الكعواشي ايضا .

وهذان ايضا سأتحدث عن نشاطهما حينما تدعو المناسبة لذلك فيما يأتي من الفصول ، وذلك لاتمم الحديث عن قصة اطلاق سراحي بعد اسبوع في زنزانة الشرطة الاقليمية بوجدة .

لم يتم اعتقالي في وجدة الا يوم الخميس عاشر يونيه 1948 ، وكان قد مرت على وجودي بوجدة ثلاثة ليال ، اثناء رجوعي من فاس كما ذكرت

وفي هذه المدة اكد لي كثيرون من الاخوان : انه لا موجب لاعتقالي ، حيث أنني لم احضر الحوادث ولكن برونيل لم يكن ليدع الفرصة تمر وقد وجدني في وجدة بين يديه فلذلك اعتقلني .

ولكنه اصطدم بشاهد لفائدتي لم يكن من السهل ان يتغاظى عن شهادته فلقد عرفت فيما بعد ، انه بمجرد اعتقالي تقدم مفتش فرنسي الى رئيس الشرطة واخبره بانه كان راكبا معي في نفس الحجرة بالقطار يوم رجوعي من فاس الى وجدة ، وشهد بانني كنت هادئا واستنتج من ذلك انني لم اكن أحمل تعليمات من الحزب تتعلق بحوادث وجدة ، ثم قال بحماس : ليس من المعقول ان يعتقل الورطاسي فهو بريء كل البراءة .

ومن المعلوم ان هذه الشهادة من هذا المفتش كان لها وزن ، اذ انه من المعلوم ايضا ان الشرطة لم تكن على وفاق مع سياسة برونيل المتجاوزة لكل حدود الانسانية والمصلحة الاستعمارية بالخصوص .

وقد علمت ايضا : انه بمجرد اعتقالي توجه المرحوم الاخ احمد بندالي الى الباشا الحجوي واوضح له انه ليس من المعقول ان يعتقل الورطاسي وهو والاستقلاليون ابرياء من هذه الحوادث ، وان الباشا وعده باطلاق سراحي يوم الجمعة ، ولكن حادثة ضربه حالت دون ذلك .

ومع ذلك فقد اطلق سراحي ، لان الباشا كان قد اتفق مع برونيل على اطلاق سراحي يو مالجمعة قبل ان تحدث حادثة ضربه .

اما في ابركان ، فقد علمت ان القائد المنصوري حينما بلغه خبر اعتقالي عن طريق رئيس المراقبة رامونة تألم كثيرا وقال لحاشيته : هذه هي المصيبة القاضية نهائيا على السي قدور .

وبعد قليل جاء السيد الحاج احمد شاطر وهو يصيح غاضبا وقال له : انه لا معنى لاعتقال السي قدور الورطاسي ، لانه كان في فاس بقصد التجارة ولم يدخل وجدة الا في مساء يوم الحوادث وان الحوادث قد انتهت في الواحدة زوالا ، ودخوله الى وجدة كان حوالي السابعة فسأله القائد المنصوري بغيظ : يا شاطر ان هذا الامر ليس لعبا ، قل الحق هل ما تقول صحيح ؟ فاذا كان

ما تقول صحيحا: فاني مستعد للعمل على اطلاق سراحه عاجلا،فاقسم الحاج أحمد شاطر على صحة قوله فنهض القائد المنصوري من حينه وتوجه الى رئيس المراقبة ، ولم يمض على الاجتماع به في ذلك اليوم غير حصة قليلة من الزمان .

وعلى عادته فقد ارتدى جلبابه الوردي وتعمم بعمامته الصفراء ووضع كلتا النظارتين علىعينيه كدليل على مدى غضبه فاوضح لرامونة قصة اعتقالي وقال له : ان السي قدور استقلالي ، وان الاستقلاليين لا يد لهم في هذه الحوادث ولا معنى لاعتقاله واكد على اطلاق سراحي .

وفي نفس اللحظة توجه رامونة الى وجدة حيث اتصل ببرونيل واخبره بموقف القائد المنصوري من اعتقالي .

وحينما وصلت الى ابركان بخفارة ، ساقتني هذه الى شرطة ابركان حيث وجدت رئيسها في انتظاري وكان يعرفني جيدا بطبيعة الحال ، فابتسم وقال «عندك الزهر» والا فانك وقعت في الشبكة»

ثم واصلت شرطة احفير بمرافقة رئيس شرطة ابركان اتجاهها الى مكتب رئيس المراقبة حيث مثلث لديه وقصصت عليه قصة اعتقالي بعد ان طلب مني ذلك فقال لي : لم لم تطلب الاذن مني للسفر الى فاس ؟ .

فاجبته ليس من القانون ان اطلب رخصة للسفر الى فاس التيهو مدينة من جملة المدن المغربية فتدخل القائد المنصوري الذي كان حاضرا اذ ذاك وقال : هذا هو الحق ، السي قدور مظلوم لا شك في ذلك .

ثم اخبرني رامونة بانني ممنوع من كل تنقل خارج ابركان ، ودام هذا التحجير سنتين كاملتين ، ولم اكن انتقل الا باذن مكتوب فلقد كنت ممنوعا من زيارة شقيقتي على بعد ثلاث كيلومترات من ابركان .

الفصل الاخير من قصة الجمعية الخيرية

عقب حوادث اليهود ببضعة اسابيع علمت ان المراقبة ـ بايعاز من برونيل ـ قررت فصلي عن اجمعية الخيرية .

ولذلك ضبطت كل حساباتي وحررت شهادة بتسليم كل ما كان تحت يدي من شؤون الجمعية الخيرية وتوجهت الى القائد المنصوري لاسلمه ذلك .

قابلني القائد المنصوري وتحدثت معه في الامر فابتسم وقال : من أين لك بالخبر ؟ فاجبت : لقد تحققت منه من مصادر مختلفة فعقب على ذلك بقوله : هذه هي الحقيقة ، ان هؤلاء النصارى غير جادين في اعمالهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ثم ناولته السجلات وطلبت منه الامضاء على شهادات التسليم المثبتة بقلمي وامضائي في نفس تلك السجلات فامضى عليها وكان ذلك صباحا .

وفي المساء استدعت المراقبة جميع اعضاء الجمعية الخيرية وعقدنا بها جلسة بمحضر القائد ورئيس المراقبة وامين الصندوق «لوستريك» والترجمان السيد بنعمرو اليعقوبي ، وجلس وراء صفوفنا السيد بومدين بن الطيب اليعقوبي فافتتح رامونة الجلسة بقوله :

لقد استدعيتكم لاخبركم بانه اقتضى النظر فصل السي قدور عن الجمعية الخيرية وان سبب فصله عنها هو بروزه في الميدان السياسي .

أما كفاءته ، اما اخلاصه في العمل ، اما عجيب تطويره لهذه الجمعية الى مرحلة تدعو الى الاعجاب ، اما هذه الاشياء كلها ، فانني اقدم له أمامكم ثنائي الصادق .

ثم قال ، وقد وقع الاختيار على السيد بومدين اليعقوبي خلفا له .

ثم تدخل «لوستريك» وقال : لقد عملت في الجمعية الخيرية كأمين لها عدة سنوات فما رأيت احد اضبط واخلص وانشط من السيد قدور الورطاسي وانني أتأسف على فراقه لهذه الجمعية وعاد رامونة لتأكيد ما صرح به في شأني واعرب عن اسفه لذلك وقال : ليس الامر امري ، ولكن «الناحية» هي التي اصدرت لي اوامرها بذلك .

وتكلم السيد بومدين اليعقوبي وقال : يا سيدي المراقب ارجوكم ان تعرفوا — سلفا — انني لا استطيع ان أقوم بهذا العمل مثل ما كان يقوم به السي قدور ، ان لي اشغالا تجارية كبرى تحول دون توجيه عنايتي الى هذا العمل .

فرد عليه رامونة بقوله : على كل حال فقد اقتضى الامر تكليفك بهذا العمل ، وعليك ان تعمل جهد المستطاع ، ثم عاد الى تأكيد اسفه على فراقي للجمعية وتأكيد الشكر والثناء .

وساد بعد ذلك صمت رهيب .

وتدخلت لجعل حد لهذا الصمت فقلت : على اي حال فانني سلمت صباح اليوم جميع مهامي الى القائد رئيس الجمعية ، ولم يبق مبرر الان لوجودي في هذه الجلسة فوقف رامونة ووقف الجميع ليودعني فخرجت .

ومنذ ذلك التاريخ اخذ نشاط الجمعية ينهار ساعة فساعة حتى اضمحل نهائيا وشاءت الاقدار ان نستقل وأكون على رأس دائرة ابركان واتسلم رئاسة الجمعية الخيرية من جديد لادخلها في قالبها القانوني وتسير بادارة محكمة نشيطة ، والمنة لله وحده لا شريك له ..

مضاعفة نشاط حزب الاستقلال بابركان

لقد كان تعيين الجنرال جوان على رأس الاقامة العامة بداية الازمة التي ازدادت تأزما يوما عن يوم وافضت الى استرجاع استقلال البلاد .

ولقد نشأ عن موقف هذا المقيم المتعجرف ان اعاد حزب الاستقلال نظره باسلوب الكفاح الذي كان متبعا قبل تعيينه .

فجو اريك لابون ، كان قد شجع آلاف المواطنين على الانغمار بحماس كبير في الميدان الوطني ولكن جو اجوان اخذ يفرز اقوياء العقيدة من ضعفائها .

اذ أن تصريح اجوان بقوله : على كل واحد ان يشطب باب داره ، حمل ضعفاء العقيدة على ضرورة اعادة النظر في «مغامراتهم فاختفى الحماس من كثير من المتغامرين» .

ولاجل هذا وردت علينا تعاليم من المركز بمضاعفة النشاط مع احكام اساليب الدعاية واستعمال الحيطة الضرورية لكل عمل نقدم عليه .

ولا زلت اذكر كلمة المجاهد الكبير الاستاذ محمد غازي التي زودنا بها في مزنله «بديور الجامع» قا لنا وكنا جماعة من البركانيين بمنزله : قفوا في مكانكم خير من أن تتقدموا خطوة وتتأخروا خطوات» .

كان لهذه الجملة القصيرة الالفاظ الكثيرة المعاني ، البعيدة النظر ، اعمق الاثر في نفسي فما فارقتني في لحظة من لحظات حياة الكفاح .

وطبقا للتعاليم الجديدة التي تنص على مضاعفة النشاط الوطنـــي لاشعار المقيم الجديد بان حزب الاستقلال سائر في طريق تحرير البلاد تحت القيادة العليا لجلالة الملك محمد الخامس . قلت طبقا لذلك اخذ مكتب الفرع يعقد الجسات تلو الجلسات لدراسة وسائل الخطوات التي يجب خطوها الى الامام في غير تدهور ولا تقهقر ولا نزق ولا طيش حتى يمكن لنا أن نقف على الاقل خيرا من تأخرنا خطوة واحدة .

ومن أهم القرارات التي اتخذناها : ان نوقف نشاطنا في ابركان اي في نفس المدينة ونوجه اهتمامنا للبادية وذلك تعمية للفرنسيين لكي يتوهموا اول الامر اننا نقصنا او اوقفنا كل نشاطنا ، حتى اذا حانت الفرصة لابداء قواتنا : ابديناها ونحن متيقنون من النجاح فيما اقدمنا عليه من الاعمال .

وبالفعل اتجهنا الى الاتصال بعين الصفاء وتافوغالت واحفير وبني ادرار ولكن بكل سرية وتحفظ .

فاتصلنا بالاخوين احمد بن معزوز رحمه الله ومحمد بن الطاهر الكعواشي المبعدين من وجدة عقب حوادث اليهود «7 يونبه 1948» بالاضافة الى الاتصال بالاخوة محمد الخالدي ، احمد بوعسيل ، محمد الهامل .

وقد انتدبنا من عقد مهم عدة اجتماعات في جبل صفرو ، ثم توافقنا على عقد اجتماع بمنزل السيد عمرو بن الحسين الوكوتي بالمحل المسمى : « افري عدي » .

وقد كنت حاضرا هذا الاجتماع ، وكان ذلك مساء يوم الثلاثاء ، ولقد استغرقت دراستنا للخطط التي يجب اتباعها كامل النصف الاول من ليلة

الاربعاء وساعات من صباحها .

وكان اهم مقرراتنا ، هو احكام وسيلة ارسال النشرات السرية للحزب، وتزويد اخواننا بعين الصفا بكل التعاليم التي تساعدهم على تكوين الخلايا والشعب في مختلف القرى والمداشر ، ولقدكنا ـ ونحن نزود الاخوان بهذه التعاليم ـ نحس بانهم كانوا يتقدون حماسة وشجاعة وعزما صارما على العمل الوطني والتضحية الغالية في سبيل هذا النشاط الوطني .

وكان ابرز هؤلاء الاخوان : المرحوم الاخ احمد بن معزوز الكعواشي ، فهذا الاخ الكريم كان ذا حيوية رائعة ونفس ابية عربية عظيمة ، وهمة سامية لا تنال منها الاحداث كيفما كان اثر سلطانها .

محنـــة الاخ احمـــد بـــن معـــزوز

كان هذا الاخ على الرغم مما خلعته على شخصيته الكريمة من اوصاف هو جدير بها : كان الى جانب ذلك رجلا حيبا يعلوه الوقار وتطبعه الحشمة واللطافة ، لا ينقطع عن تلاوة القرآن الكريم اينما حل وارتحل .

وقد اكسبته هذه الخلال الحميدة نفوذا واي نفوذ ، لا بين اقاربه وسكان فرقته ، ولكنه كان مهاب الشخصية محترما لا تستطيع العيون ان تنظر اليه مليا .

وقد ساعدته هذه الاخلاق على فرض شخصيته في جميع سكان ناحية عين الصفا ، وذلك بالاضافة الى قوة جلده وصبره على البؤس والفقر ،فلقد طرد من وجدة وخلف كل ما كان يملكه في دكانه هناك واصبح فقيرا مدقعا لا يكاد يجد ما يبل به شفتيه .

واذا كان رحمه الله قد ساعده التوفيق على العمل في سرية محكمة . فان هذا التكتم المحكم الهادىء قد غرر بالفرنسيين الذين كانت تقاريـــر أذنابهم تؤكد لهم أن السيد أحمد بن معزوز رجل هادىء يشتغل بما يعنيه .

وبناء على تلك التقارير ، استدعاه القائد السيد المكي اليعكوبي الى مكتبه بعين الصفا وعرض عليه ـ ازاء المراقب الفرنسي ـ ان يرجع الـــى وجدة على ان يتنازل عن عقيدته الاستقلالية ، او نشاطه على الاقل . وقال له المراقب الفرنسي : ان وعدتني بذلك ، ففي استطاعتي ان اتوسط لك لدى برونيل لارجاعك الى وجدة ، ثم قال له ايضا : انني فكرت في حالتك السيئة ، وعلمت انك رجل «طيب» فاردت ان انقذك من هذا البؤس الذي تعاني منه الامرين .

وحاول المرحوم احمد بن معزوز ان يترفق في الجواب فيتملص من هذا العرض في رفق ، ولكن المراقب الفرنسي قال له: واذا لم توافق على العرض فاني مستعد لاصب على رأسك العذاب .

والى هذا الحد خرج الاخ أحمد بن معزوز عن ترفقه وتحفظه وغلت دماء العزة العربية اليزناسنية في عروقه وتمثلت العقيدة الاستقلالية الجبـارة أمام عينيه فاجاب :

« اسمع » ، يا سيدي المراقب « انني أفضل العيش بالبقول كما تعيش الحيوانات على أن أتنازل عن عقيدتي ، وأنبهك الى أنني لست في حاجة الى وساطتك لي مع برونيل فانا أعيش في قريتي كما اتفق لي العيش ، أما اولادي الذين خلفتهم بوجدة فلهم الله الذي يطعمهم ويكسوهم ويسقيـهـم ، وانني مستعد لكل تضحيـة في سبيل عقيدتي الاستقلالية ولتفعل ما تشاء فستجدني مستعدا لكل شيء .

ولقد اغتاظ المراقب من هذا الجواب فاخذ منذ ذلك الوقت يوقفه تارة ويعتقله اخرى ويحصي عليه كل أنفاسه . ولكن هيهات : فقد كان السيد أحمد بن معزوز أسمى من أن تؤثر عليه تلك الالوان من العذاب ، فبقي رحمه الله ثابتا على عقيدته ثبوت الجبال الراسخة .

وبمجرد ما بلغني الخبر بهذه المحنة حررت مراسلات « للعلم » وكانت مراسلات نارية ضمنتها هذه المواقف الوطنية الرائعة وعلقت عليها تعاليق قيمة.

وقد أبى صاحب « النافذة » الاخ أحمد زياد الا ان يعلق عليها تعليقا كان له ابعد الآثار في نفس الاخ أحمد بن معزوز واخوانه وجميع تلك الناحية من جهة ، وفي نفس الدوائر الاستعمارية من جهة ثانية .

ونتج عن ذلك أن تحقق المراقب الفرنسي باحفير بقيمة شخصية الاخ أحمد بن معزوز فصار يخفف من محاولات اقلاق راحته ، ريثما تحين الفرصة للتنكيل به .

وعلي أن لا أنسى بصدد الحديث عن الاخ أحمد بن معزوز : الجهود التي كان يبذلها في سبيل مواساته فرح حزب الاستقلال بوجدة الذي كان على رأسه الاخ المرحوم الدرفوفي .

فعلى الرغم من الحصار الذي كان مضروبا على وجدة بصفـة عامة ، وعلى الاخوان بعين الصفاء بصفة خاصة : فانه كان ينتقل من وجدة الى عين الصفا ليزور هؤلاء الاخوان ويساعدهم معنويا وماديا .

وهكذا بقي الاخ أحمد بن معزوز ورفاقه مشردين عن وجدة مفارقين أهليهم وذويهم يقاسون آلام الفراق عنهم وحرمان الحياة وقساوتها الى أن امتحن مرات أخرى في أواخر الازمة مما سنذكره فيما بعد ، والى أن استرجعت البلاد حريتها واستقلالها .

« في تافوغالت »

لقد اعتدت في هذا الكتاب أن أترجم باختصار لقائد القبيلة قبل أن أتحدث عن وجوه النشاط الوطني فيها فاقول :

ان قيادة تاغوغالت كان على رأسها السيد الحاج محد بن ميمـون بن بولنوار العتيقي التغاسروتي المعروف بـ « الهبيل » .

لم يكن هذا القائد يحفظ القرآن ولكنه يكتب بطلاقة ، ويقرأ بسرعة وفهم . وهو من أصل عائلة عريقة في الحكم ، وقد سبق لي أن تحدثت في فصل خاص عن عائلته ، وكل ما أريد ان اعيده هنا : انه ابن عم الرئيس البكاي بن مبارك الشهير ، والذي اعقد له فضلا خاصا فيما ياتي :

وقد اشتهر هذا القائد كما اشتهرت عائلته بخلال الشجاعة والكـرم واحترام الكلمة وتوقير العلماء والطلبة والشرفاء ، ومراعاة آراء الحاشية في حكمهم بالخصوص .

وهناك عنصر آخر يجب اعتباره عند كل من حاول ان يدرس عائلة اولاد الهبيل على العموم ، والسيد الحاج محمد بن ميمون الهبيل على الخصوص .

ففي عهد ما قبل الاستعمار كانوا اصحاب حكم وكلمة وسلطان ونفوذ واشهرهم القائد الكبير السيد بولنوار الهبيل الذي تولى القيادة العليا لبني يزناسن عقب اعتقال جلالة السلطان مولاي الحسن الاول القائـد الوريمشي الكبير الحاج محمد بن البشير بن مسعود كما ذكرت ذلك سابقا في القسم الاول من هذا الكتاب . ولقد انتهى هذا الخصام وتمت تلك الـحـروب بيـن العائلتين الحاكمتين الكبيرتين بقتل القائد بولنوار ، واذا كانت هذه المعركة التي قتل فيها القائد بولنوار قد رشحت كفة اولاد البشير ، واذا كانت عائلة أولاد الهبيل قد انطوت على نفسها في ذلك العهد وذاقت من آلام الثكل والانهزام الشيء الكثير ، فانها لم تنس أبدا هذه الكوارث التي ألمت بها .

ولم يكن حنقها ناشئا فقط عن هزم اولاد البشير لها ، بل انها كانت حانقة ايضا على كل من استهان بها عقب هزيمتها ، اذ ان أعظم ما يصاب به الانسان الحاكم ، انه بعد عزله ونكبته يتنكر له معظم الناس ، فلقد تنكر لاولاد الهبيل اصدقاؤهم القريبون والبعيدون ، فكانت النكبة بذلك اضعافا مضاعفة ، وفي أوائل الاحتـــلال الفرنسي حاولت الادارة الاستعماريـــة ـ بمقتضى خططها الاستعمارية ـ ان تحيي ذلـك التنـافس بيـن العائلتيـن : عائلـة أولاد الهبيـل ، وعائلـة أولاد البشيـر فنصبـت القائـد السيـد الحـاج سعيد بـــن بولنـــوار الهبيـل علـى بنـي عتيـق قبيلته ونصبت السيـد الحـاج محمـد بن الحـاج محمـد ابـن الحـاج محمـد بن البشير أمسعود علـى بنـي وريمش قبيلتــه ، محاولة الحصول علـى ما قدرتــه من ربح محقق من وراء هذه العملية التي اعتقد جازما ان العائلتين لم تفطنـا الى هذه اللعبة أصلا .

ولكن القائد سعيد قد وهب كثيرا من الذكاء واللباقة وبعد النظر ، فكان يحاذر ان يصطدم مع القائد المنصوري .

وذلك بالاضافة الى أن القائد المنـصوري كان قائدا على قبيلته فقط ، ووضعية قيادته على قبيلته ليس من شانها أن تبرز مواهبه وذكاءه ، اذ ان قبيلته بطلة الجود والاقدام ، فلا يستطيع أن يقوم باي عمل من شانه ان يغضبها كما هو الشأن في القائد سعيد بالنسبة لهذه النقطـة .

ثم ان عهد الحروب القبلية التي كانت تتيح الفرصة للانتقام قد مضى وولى فلم يبق في امكان اية من العائلتين أن تجند قبيلتها لخوض معارك الانتقام.

ومن أجل هذه العوامل المتجمعة ، ساد الهدوء على الاقل بين العائلتين الحاكمتين ولا سيما اذا راعينا عاملا آخر في الموضوع .

ذلك ا ن القائدين : سعيد ، والمنصوري يتلاقيان كل اسبوع في تافوغالت لان تافوغالت سوق في بلاد بني عتيق ، ويتلقى فيه العتيقيون والوريمشيون على السواء .

ومن شان هذا اللقاء ان يخفف من حدة التوتر بين القائدين او العائلتين .

اذن : فالادارة الاستعمارية لم تنجح في لعبتها ! فما العمل ؟

حاولت ان تجرب تجربة ثانية فعزلت القائد سعيد الذكي البعيد النظر، وأتت بالسيد الحاج محمد بن ميمون الهبيل وكان خارج ابركان اي خارج بني يزناسن ونصبته في محل القائد سعيد .

وعلى الرغم من هذه العملية الجديدة فان شيئا مهما لم يقع .

فالقائد الجديد السيد محمد بن ميمون الهبيل رجل ذكي ايضا ، ولكنه يتميز بعدم قدرته على ضبط اعصابه كما هو الشان في القائد سعيد .

غير ان ثورة أعصابه وجموحها لم تات بجديد ، فالهدوء ـ نسبيا ـ لا يزال مخيما بين العائلتين :

اذن : فما العمل ؟ ان هؤلاء يتسالمون ولا يتحركون ، ولكن الفائدة قد ضاعت من وراء هاتين التجربتين الفاشلتين .

فقالت الادارة الاستعارية : فلتكن التجربة الثالثة ، فكانت تـجـربة شيطانية محكمة ، وأتت أكلها مائة في المائة .

لقد اوعزت الى القائد المنصوري كما اوعزت الى القائد الحاج محمد بن ميمون الهبيل ان يتفاوضا في أن ينتقل احدهما الى قيادة الآخر ، لان القائد المنصوري اذا كان في ابركان يكون قريبا من عائلته القريبة ويمكن أن يستغل أراضي والده بالمحل المسمى بالحمري باولاد بوخريص الذين هم من بني وريمش .

ولان القائد الهبيل يكون قريبا من قريته تغاسروت ويمكن له ان يسكن فيها بين أقاربه وعائلته .

« فكرة طيبة حلوة صادفت كل قبول بين القائدين » فاتفقا بينهما على ذلك واوصى كل واحد منهما الآخر خيرا بمن سيكون من قبيلته تحت نفوذه اذ ان قبيلتي بني عتيق وبني وريمش كانتا قد قسمتا قبل هذه العملية بقليل بين القائدين .

فكل منهما كان تحت نفوذه قسم من بني وريمش وقسم من بني عتيق ، أما بنو منقوش فقد كانوا تحت نفوذ عائلة « الكرارجة ».

الان توفرت معظم عناصر اللعبة الشيطانية . فكلا القائدين يحكم قسما من عائلة الآخر ، فليسرع في تنفيذ الخطة الجهنمية .

فكانت أول قذيفة رمت بها الادارة الفرنسية بين القائدين ، أن أشاعت أن القائد المنصوري قد « شمت » أي خدع القائد الهبيل ، فالقيادة التي تحول اليها القائد المنصوري ثرية على عكس ما تحول اليها القائد الهبيل فهي قيادة جدبة .

وبعد ذلك اخذت الادارة تذكي نار العداوة بينهما وتثير الاحقاد القديمة فكل حادثة تقع في بني عتيق الموجودين تحت سلطة القائد المنصوري تؤولها الادارة الى أنها ضد القائد الهبيل وكذلك العكس اذا وقعت حادثة ببني وريمش الجنوبيين الذين تحت سلطة القائد الهبيل . بالاضافة الى انتهاز كل فرصة لتاكيد العداوة بينهما .

وحينما نشأت الحركة الوطنية : نشات في ابركان قيادة القائد المنصوري فاستغلتها الادارة الفرنسية لتضغط على القائد المنصوري وتتظاهر «بالاهتمام» بالقائد الهبيل .

بل ان الادارة منحت وساما ساميا للقائد الهبيل لكونه شارك في حرب الريف مع الفرنسيين . مع أن القائد الهبيل المسكين لم يشارك في هذه الحرب، وقد تحدثت عن هذه المشاركة في القسم الاول من هذا الكتاب فليرجع اليه .

وهكذا كانت الادارة تغذي التنافس والعداوة بينهما طول عهد الاستعمار .

غير انها وان نجحت في عزل القائد الهبيل عن الاجواء الوطنية ، فانها لم تستطع أن تنجح مائة في المائة بالنسبة للقائد المنصوري .

فالقائد المنصوري تميزه عن القائد الهبيل ميزتان اساسيتان :

اولهما : استقلال الراي ، فلا يتاثر بالعوامل الخارجية ، وهذه الميزة لم يتخلص منها القائد الهبيل .

وثانيتهما : ان القائد المنصوري استطاع ان يثقف نفسه ثقافة عامة نسبيا ، فهو يقرأ الصحف والمجلات ويجالس المفكرين والعلماء ومختلف الشخصيات ذوات التجارب والحنكة .

وبذلك اكتسب خبرة ودربة ومرونة .

وعلى عكس ذلك نجد القائد الهبيل لا يتعدى تنكيره أجواء قيادته ، وهذه العزلة ابعدته عن محاولات التكيف مع ماجريات الاحداث المتجددة .

وبهذه الدراسة المختصرة لنفسية القائد السيد الحاج محمد بن ميمون الهبيل يمكن للانسان ان يستنتج من الآن انواع مواقفه ازاء الحركة الاستقلالية.

ولو قدر له ان يستقل في آرائه بالتخلص من الآراء الخارجية ، ولو قدر له أن يخرج عن عزلته بتكوين نفسه تكوينا ثقافيا عاما ، وهو الذكي الخصب المواهب ، لكانت مواقفه ازاء الحركة الاستقلالية اخلد المواقف .

فكرمه وشجاعته وعراقة بيته من أقوى العناصر التي كانت ستجعل منه رجل المواقف الخالدة فلعنة الله على الاستعمار الذي ادخله في صندوق محكم وكسر المفاتيح ، فحرم بذلك الحركة الاستقلالية من مواهبه الفطرية النبيلة .

ولذلك عاش طول عهد الكفاح دون ان يجد منفذا للخروج من محبسه الذي وضعته فيه الادارة الاستعمارية .

ولقد قام بعض اولاده بمحاولات اشعاره بخطورة مواقفه ، ولكن لم تكن تلك المحاولات ذات جدوى ، فولداه عيسى ، وحماد ، قاما بشتى المحاولات للتاثير عليه ــ وخصوصا عيسى ــ فلم يكن لذلك الا اثر قليل . على اننا لم نغفل محاولة الاتصال به فلقد كان السيد علي بن الطاهر السعيدي من الاشخاص الذين انتدبناهم اليه لانقاذه من المخاطرة بتلك المواقف ، وذلك بالتكيف شيئا فشيئا مع الاحداث .

وقد روى لي السيد علي المذكور انه كثيرا ما كان يتأثر بالافكار الوطنية ويذرف الدموع المتواصلة ويعرب عن ندمه عما وقفه من مواقف .

ولكن سرعان ما يقول للسيد علي المذكور : « آه... ان القائد المنصوري هو الذي يخلط علي ويحاول عزلي من القيادة ، والا فهل أنا أكره الاسلام والمسلمين ؟ انني أقوم بتأدية فرائض الاسلام وازيد على ذلك بالنوافل والاوراد ، وأحب العلماء والشرفاء والطلبة ، وأقدر المجاهدين في سبيل الله ، فهل أنا لست بمسلم؟ هل تعرف هذا مني يالسي علي ؟ قل الحق بالله عليك ! وحينما يودع السيد علي هذا يقول له : سلم على السي قدور وقل له لماذا تلمزونني بكيت وبكيت . خافوا الله فاني مسلم .»

والحقيقة ان القائد المنصوري وان كان في الغالب يستطيع التخلص من الاثار القديمة بين العائلتين ، ولكنه كان في غير الغالب بدافع عن نفسه ما يحسه من هجمات القائد الهبيل عليه ، وكان القائد المنصوري متعففا فلا يتجاهر بلمز القائد الهبيل .

غير ان « وسائط السوء » كانت تتصرف وتشوه كل مواقف القائدين وتصبغهما بما يوسع الشقة بينهما . ولكم حاول القائد المنصوري المصالحة

مع القائد الهبيل ، واقيمت مآدب لذلك ، ولكن الادارة الاستعمارية كانت تقف لكل وفاق بينهما بالمرصاد .

ولقد كان القائد سعيد من الذين يبذلون جهودا تشكر في هذا الصدد .
ومع ذلك بقي سوء التفاهم مستمرا .

أما ما كان يتخيله القائد الهبيل من حملات الوطنيين عليه ، فقد كان مخطئا ، فالحركة الاستقلالية كانت توجه حملاتها الى الاستعمار لا اليه .

فلو كانت المراسلات التي كنا نحررها للعلم في ابركان مثلا كانت تعني شخصية القائد المنصوري لكانت بيننا وبينه حرب متواصلة .

ولكن القائد المنصوري كان يفهم جيدا أهدافنا ، فلم يكن يتأثر بمراسلاتنا ولا بمظاهر نشاطنا بل اني اذكر للتاريخ ان القائد المنصوري كان كثيرا ما يوعز الي بتحريرمراسلات في موضوعات مختلفة .

ولكن القائد الهبـيـل ـ عفا الله عنه ـ كان منعزلا عنا وعن الاجـواء السياسية الوطنية وبذلك كان الفرنسيون ينجحون في اقناعه بان المراسلات موجهة الى شخصه .

وبناء على هذه التحليلات لشخصية القائد السيد محـمـد بن ميمون الهبيل ، فقد كان عملنا في تافوغالت يحتاج الى تصميمات محكمة ووسائـل متينة نستطيع بفضلها فسح المجال للفكرة الاستقلالية في قيادته وذلك مـا سنتحدث عنه في الفصل الآتي والفصول الاخرى حسب الظروف التي كانت تفصل بين ما قررناه من أعمال في هذه القيادة .

الـنـواة الاولـى

ان قرية تافوغالت قريبة من ابركان ، فهي لا تبعد عن طريق ابركان زكزل الا باربعة وعشرين كيلومترا وعن طريق عقبة سيدي عبد الله الا بواحد وعشرين كيلومترا .

ولم تكن مظاهر النشاط الوطني واحداثه لتخفى على قيادة تافوغالت ، وخصوصا افراح عيد العرش بابركان التي كانت مضرب المثل ، ومـا كانت العلم نشره من مراسلات نارية .

فلقد كانت تافوغالت تتبع باهتمام فائق تطورات نشاطنا في ابركان ، خصوصا اذا لاحظنا ان سوق ابركن يقصدها مئات المواطنـيـن مـن قيادة تافوغالت ، وكذلك العكس بالنسبة لسوق تافوغالت .

فهذه الاسواق كانت تساعدنا على الاتصال بكثيرين من المواطنين من تافوغالت ، كما كانت وكان الجميع يستفيد من هذه الاتصالات وغيرها من الفرص المتكررة في كل يوم تقريبا .

ثم انه كان يسكن بابركان كثيرون من قيادة تافوغالت ، وخصوصـا

من بني بويعلي .

ولكننا مع ذلك لم نكن لنطمئن الى مجرد هذه الاتصالات ، فكان علينا ان نبذر أول البذور في تلك القيادة ريثما تتاح الفرصة لانشاء فرع هناك .

ولقد اتصلنا اول ما اتصلنا ، اي نحن اعضاء مكتب الفرع بابركان ، بالاخوان الآتية اسماؤهم .

فمن بني وريمش الجنوبيين : الشاب النشيط محمد بن ميمون قشيح، الطالب السيد محمد بن المقدم عمرو ولهدار البوخريصي العباوي ، عبد القادر ابن عمرو وحماد بن لالتهامي ، عبد السلام بن محمد القاضي الوونوتي ، اخوه محمد ، محمد بن عبد الرحمن بوحوت ، عمرو بن عبد الرحمن الـكـرياوي المعروف بابن الكنار ، ميمون بن الماحي السعيدي ، محمد مغريو السوسي ابن اخ السيد عبد الله السوسي الذي كان ساكنا بسيدي بوهرية رحمه الله اي السيد عبد الله ، وأما السيد محمد مغريو فهو يسكن الآن « 1964 » بالرباط « كارطي لوسيان » . ومن بني عتيق الاخوان : محمد بن عيسى الموساوي ، عبد العزيز النسب .

اما بنو بويعلي ، فقد كان يتصل بهم مباشرة المرحوم السيد عبد القادر ابن الحاج أحمد اليعقوبي الذي كان عضوا في المكتب وخليفة كاتب الفرع وكان يساعده في ذلك الاخوان الساكنون بابركان وهم : عزيزي احمد بن عبد الله البويعلاوي ، عبد المومن ابن ابراهيم العبد الكريمي ، محمد بن برابح «الحلاق» ، السيد الطيب البويعلاوي .

وكان رسول الفرع الى بني عامر الاخ مبارك بن محمد بن عمرو «الجزار» واخوه محمد وغير هؤلاء كثيرون وكان عمل هؤلاء الذين كنا نتصل بهم او نرسلهم الى هذه القيادة . دراسة النشرة «والعلم»من حيـــن ـ لاخر في دائرة ضيقة ولا يقبلون احدا للانخراط الا بتحفظ شديد .

كان ذلك لاجل ان لا نصطدم بالقائد الهبيل فنتسبب في حمله علي اتخاذ مواقف من شأنها ان تضر بسمعته كمواطن مغربي ، وكشخصية من ابرز عائلة يزناسنية .

ومن جهة أخرى فقد قررنا أن لا نحرر مراسلات الى العلم فيمـا يتعلق بتافوغالت الا نادرا وحينما تفرض الظروف علينا ذلك ، وقد كنا آنئذ نتحرى كل التحري لابعاد أي نقد من شأنه أن يمس بالقائد الهبيل أو أن يوحي اليه بذلك .

كان ذلك محافظة منا من أن يتورط في معاداتنا اكثر ، وليس ذلك من صالحه ، وما كنا بذلك الا مؤملين في الوقت المناسب ان يوفقه الله الى محاولة تكيفه مع الظروف . ولكن كان كما شاءه القدر له «انك لا تهدي من احببت ، ولكن الله يهدي من يشـــــاء» .

موقفنـا مـن الزوايـا

من المعلوم ان الحركة الوطنية كانت في اوائل امرها حركة سلفية وليست الا تطهير الاسلام من كل ما علق به من اوهام وخرافات لبعث روح الاسلام الحق من جديد في نفوس الشعب المغربي ، التي من شأنها ان تدفع به الى المغامرة في سبيل اعلاء كلمة الله .

ومن المعلوم ايضا ان انحطاط الشعب المغربي كان يتمثل في عدة ميادين ، ان لم نقل انه كان يتمثل في جميع ميادين حياته .

فلا الفلاحون ولا التجار كلهم كانوا يؤدون واجب الزكاة ، ولا العلماء كلهم كانوا يؤدون ما حملهم الله من مسؤولية نشر العلم والدعوة الى الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولا القضاة كلهم كانوا يحكمون بالاسلام المحض فيما يعرض عليهم من دعاو ، ولا القواد كلهم كانوا يسيرون وفق كل ما تقتضيه مسؤوليتهم . ولا .. ولا .. الى آخر ما تتكون منه ميادين حياة الشعب فكل ميدان كان قد طرأ عليه انحراف نسبي ، او تقاعس في اداء الواجب.

ومن هذه النواحي ما انشيء من زوايا في مختلف مدن المغرب وقراه ، فهذه ايضا كانت قد انحطت عن مستواها السامي الذي كان له تاريخ حافل بالخدمات العظمى بنشر قواعد الاسلام وتعاليمه لا في المغرب فقط ، ولكن في افريقيا اجمـع .

فهذه الزوايا اصبحت بعيدة عن تأدية رسالتها التي كانت تؤديها من قبل في سبيل خدمة الاسلام والمسلمين فاعتراها ما اعترى الميادين الاخرى من حياة الشعب المغربي من تدهور وانحلال وابتعادها عن الخطة التي رسمها لها الاولون الامجاد .

فلقد غشتها خرافات وضلالات حادث بها عن الصراط المستقيم ، ولم يقف بعض منها عند حدود تلك الخرافات والضلالات الناشئة اما عن جهل رؤسائها واما لغرض استغلال العامة للمصالح الشخصية .

ولكن هذا البعض قد تعدى هذه الحدود الى مساندة الاستعمار شيئا فشيئا الى أن دعت الظروف لكشفها عن القناع كشفا واضحا بوقوف بعضها في صفوفه ضدا على الحركة التحررية من جهة ، وعلى جلالة الملك محمد الخامس من جهة ثانية .

وهذه المواقف من بعض الزوايا قد ايقظت الوعي الوطني في كثيرين من اتباعها فانضموا الى صفوف الحركة التحررية .

وفي سنة 1947 اصدر الملك المقدس الروح مولانا محمد الخامس ظهيرا كريما يتضمن منع انشاء اية زاوية الا باذن خاص ، ونشرت الصحف الوطنية نص الظهير المذكور وعلقت عليه باسهاب ما شاء الله .

وكان لهذا الظهير صدى واي صدى .

ففي اوساط الحركة الاستقلالية كان ذلك الظهير من اعظم تطعيمات نشاطها وفي الاوساط الاستعمارية كان اقسى صفعة تلقاها المقيم العـام الجديد الجنرال جوان ، فاذا كان الظهير موجها مباشرة الى الزوايا ، فهو في الحقيقة موجه الى المقيم الجديد الذي اخذ يزبد ويرعد بمجرد ما وطئت اقدامه تراب المغرب .

واستغلت الحركة الاستقلالية في ابركان كما في غير ابركان هذا الظهير الخالد فاكتسبت به قوة ومناعة كما اكتسبت به انصارا عديدين جدا .

والحقيقة اننا لم نكن في ابركان كما في غيره نستمد نشاطنا من خصوص تعاليم حزب الاستقلال ، فلقدكانت مواقف جلالة محمد الخامس عليه رضوان الله تقذز بنا قفزات خاطفة الى الامام فاذا كان الشعب المغربي يفيض محبة واخلاصا وولاء لجلالة الملك محمد الخامس فلان هذا الملك الخالد كان ـ عليه رضوان الله ـ يعيش حقيقة آلامنا وءامالنا ، ويعبر بمواقفه الصادقة التي لا تعد ولا تحصى عن كل ما نشعر به من احزان وافراح ، وما نؤمله من غايات واهداف ، فرحم الله تلك الروح الخالدة وقدس سرها وافاض على قلوبنا من ايمانها ما يساعدنا على بناء المغرب الجديد تحت قيادة وارث سره وأمانته مولانا الحسن الثاني حفظه الله .

وللتريخ يجب ان اسجل هنا ان فرع ابركان كان يدرس ذلك الظهير الخالد لشعبه وخلاياه وظل يتابع مدارسته وتفهيم اغراضه القريبة والبعيدة عدة شهور .

وكان له من الاثار ما لا يستطيع القلم أن يأتي على وصفها وتعدادها ، فاذا كان من الممكن احصاء الماديات فان طبيعة الروحانيات تسمو بها عن العد والاحصاء .

حفـلات عـيـد العـرش

ولاختم هذا الباب ختم خير وبركة بحديث مختصر عن حفلات عيد العرش سنة 1948 . فعلاوة على التعاليم المبكرة التي وردت على فرعنا من مركـز الحزب في الاعتناء بهذه الحفلات هذه السنة ، سنة المقيم اجوان ، علاوة على ذلك فقد كان الفرع مهد لها من قبل الدعاية الواسعة في جميع القرى والمداشر .

ولقد احتفل بعيد العرش هذه السنة في مظاهر لم يتقدم لها نظير ، فزيادة على الاحتفال به في كل قرية وفي كل مدشر ، فقد تدفقت سيول جارفة من المواطنين من سكان البادية على مدينة ابركان واكتسحت كل الشوارع والزقاق بمظاهر الافراح ، حتى اصبحت مدينة ابركان في النهار عبارة عن حديقة غناء تتلألأ الزهور في كل جزء من اجزائها وتحولت في المساء الى

مدينة من نور لما كان قد اعد لذلك من مختلف الانوار الكهربائية وما فرشت به الازقة والشوارع والواجهات والسطوح من فرش رفيعة زاهية .

وفي كل حفلة من سلسلة الحفلات المتصلة المتزاحمة جهاز او جهازات من الراديوهات ، واستمرت الهتافات بحياة جلالة الملك محمد الخامس وولي عهده اذ ذاك مولانا الحسن وسائر اعضاء العائلة الكريمة وبحزب الاستقلال كل ايام حفلات عيد العرش .

اقول : «ايام» لان البركانيين كانوا يحتفلون بعيد العرش ثلاثة أيام ، 16 ــ 17 ــ 18 نوفمبر .

ولقد حاولت المراقبة ان تجبرنا على قصر الاحتفالات على يوم 18 ــ ولكنها لم تنجح فواصلنا الاحتفال بعيد العرش طوال ثلاثة ايام .

ولم تكن هذه العادة متبعة الا في خصوص ابركان من سائر اقاليم المغرب.

وشاء الله تبارك وتعالى ان يرجع جلالة الملك محمد الخامس مع اسرته من منفاه ، ويقرر ايام 16 ــ 17 ــ 18 من نوفمبر لاقامة معالم الزينة والافراح ودعاها الايام الثلاثة المجيدة .

لقد قرر فرع الحزب بابركان الاحتفال بــ 16 ــ 17 ــ 18 ــ سنة 1948 .

وقبل ان اودع سنة 1948 ، اذكر هنا ان المراقبة الفرنسية في عيد العرش لهذه السنة بعثت برجال المخزن صباح العيد ليبلغوا الينا ضرورة تعليق الرايات الفرنسية ازاء الرايات المغربية وقد امتنع الجميع امتناعا كليا عدا مقهى وحدة في ملك الحاج مصطفى بن الحاج رشيد البكاوي بشارع باريز والتي كان قد اكتراها منه احد قدماء المحاربين المغاربة فقد علق هذا المكتري اربع عشرة رابة فرنسية . ؟!

وقد حاولنا معه نزعها فأبى ، وواعدناه «خيرا» عقب انتهائنا من حفلات عيد العرش .

ولما علمت السلطة بامتناعنا من تعليق الرايات الفرنسية اوعزت الى القائد المنصوري بذلك لتورطه معنا فارسل الينا القائد المذكور يطلب منا تعليق ولو راية واحدة في كل حفلة ، فامتنعنا من ذلك فطلب ان نوجه اليه في منزله بعض الاشخاص ليتذاكر معهم ، فانتدبنا اليه واحدا منا ، وسألنا عن امتناعنا عن تعليق الراية الفرنسية فعللنا ذلك باسباب ثلاثة .

اولاها : اننا لم نفعل ذلك من قبل .

ثانيهما : ان هذه الحفلات شعبية وليست «حكومية» والشعب بواسطة حزب الاستقلال قد حكم على الحماية بانه قد مضى وقتها وانه يطالب باعلان الاستقلال ، فالشعب بذلك يعد نفسه منذ 11 يناير 1944 غير ملتزم ببنود

الحماية ، فالحماية منذ ذلك التاريخ اصبحت مرفوضة ، فلا موجب لهذا المظهر الذي يقتضي استمرارنا لقبول الحماية .

ثالثهما : ان رئيس المراقبة «رامونة» قد انتزع الراية المغربية من واجهة مكتب المراقبة ، وانتزعها من واجهة منزله ، منذ مقدم اجوان .

وبما انه قد تحدى الشعب المغربي بذلك فاننا كذلك نتحداه بعدم تعليق الراية الفرنسية .

وهنا تغيرت سحنة القائد المنصوري وقال : هل هذا صحيح ؟ المراقبة قد انتزعت الرايتين المغربيتين من واجهتي المكتب والمنزل ؟ فأكدنا له ذلك ، فقال لنا : اذهبوا الى حال سبيلكم فسانظر في الامر .

وبعد حصة من الزمن جاء خليفة القائد المنصوري وكان اذ ذاك : السيد عبد القادر بن الماحي الوريمشي الاكزناي الخرخشي . وصحبته بعض رجال المخزن واخذ يطوف على الحفلات ويطلب من المواطنين ان ينتزعوا صور الزعيم علال الفاسي ، والامين العام الحاج احمد بلافريج وعبد الرحمن عزام ، والبطل محمد عبد الكريم . وان يعلقوا ولو راية واحدة فقط من الرايات الفرنسية مع الرايات المغربية فاصررنا على عدم الامتثال . فاخذ رجال المخزن ينتزعون الصور بانفسهم فقامت ضجة ، وكاد الامر ينتهي الى ثورة ، فاحجم الخليفة عن متابعة عمله بنفسه وذهب الى القائد ليخبره بذلك ، ولكن القائد امره بالكف عن متابعة عمله حتى ينظر في الامر . ؟

وبعد حصة من الزمن ارسل الينا القائد مبعوثا من «اقاربه» وطلب الينا ان نتوسط في الامر وذلك بان نزيل غير صور الملك وعائلته ، ونعلق بعض الرايات الفرنسية في المساء حالما يقوم هو ورئيس المراقبة بجولتهما عبر الحفلات فلم نقبل ذلك ، وضجت المدينة بالهتافات بجلالة الملك وعائلته واصحاب الصور المشار اليها ، فسكت القائد ولم يجدحلا لهذه المشكلة ولكن بعض «وطنيي عهد اريك لابون» علقوا رايات صغيرة جدا على ابواب حفلاتهم عندما شرع القائد والمراقب ينجولان ، وكانوا ينتزعونها بمجرد مرورهما ، وما كادا ينتهيان من اتمام الجولة ، حتى كانت تلك الرايات الفرنسية قد طويت ولم يظهر لها اثر .

واذكر جيدا انه حينما وصل المراقب والقائد الى الحفلة التي كنت فيها ، قال المراقب : لا حق لكم في عليق ما عدا الصور الملكية والعائلة المالكة ، ففرنسا لا علاقة لها مع الخارج «بمقتضى وضعيتها هنا اما علال ، فانه « أهرب » اي أنه ذهب الى القاهرة .

فتقدمت اليه أنا شخصيا محاولا تجاهل كلامه وقلت له : كان عليكم ان «تتفضلوا» لتشربوا معنا الشاي ثم نتذاكر في هذا الموضوع فانتم الان بمنزلة ضيوف الشعب فما كان للضيوف ان يأتمروا في اسلوب تأثيث مضيفهم ،

فاجابني : ولكن لم لم تعلقوا الراية الفرنسية ؟ فانا لا أشرب في حفلة تتجاهل وضعية فرنسا في المغرب ! فقلت وانا ابتسم « ولكن « سيادتك » تجاهلت الراية المغربية قبلنا ، فذكرته بانه ازال الرايتين من مكاتب المراقبة ومنزله، فاغتاظ لهذا الجواب وذهب الى حال سبيله .

وبعد هنيهة جاءني رئيس الشرطة وكان شابا معروفا بلطافته وتعقله، وقال لي : انني اهنيك بانتصارك على « رامونة » ان لكم الحق فيما فعلتم ، فانتم شعب تفرحون بعيدكم كيف شئتم .

ومما زاد في احناق المراقبة في ذلك المساء ان جريدة العلم كانت توزع في المساء اثناء تجوله على الحفلات وكان من بين موادها مراسلة طويلة تصف هذه الافراح وما كان فيها من زينة وصور .

وقد اندهشت المراقبة لنشر هذه المراسلة في نفس يوم عيد العرش لان نشرها في هذا الـيــوم بالذات لا سبيل له في نظرها الا أن يكون المراسل « الرقيب » قد ابرق بذلك الى الجريدة أمس .

ولكن المراقبة تراقب البريد بل ان البريد يخبرها بكل شيء ولم تكــن هناك أية برقية !

والحقيقة انني كنت ارسل المراسلة يوم 16 نفانبر بناء على التصميمات التي كنا نهيئها لحفلات عيد العرش وانا متيقن باننا سنطبق تلك التصميمات بكل دقة ، فلذلك كنت احرر مراسلتي بكل دقة وارسلها قبل يوم العيد .

وكانت « العلم » تطبع نسختين ، نسخة تطبع قبلا وترسل الى الاقاليم البعيدة ، واخرى تطبع حتى صباحها للمدن القريبة ، وبذلك كانت الجريدة تصلنا في ذلك العهد في نفس مساء اليوم وكنت آخر المراسلات حول « الذيول » حتى ما بعد الانتهاء من الحفلات .

وكانت اسرة « العلم » تهتم كل الاهتمام بنشر مراسلاتي في وقتها .

اذ ان حزب الاستقلال كان يهتم ببني يزناسن وبما كان يجري فيهم من نشاط وطني منقطع النظير .

وكان قد اعطى تعليماته الصارمة بالاعتناء بكل ما يرد على العلم من مراسلات ويحررها « الرقيب » .

وعلى الاخص اذا اعتبرنا انه كان يوجد حينذاك على رأس قلم التحرير الاخ الاستاذ احمد زياد ، صاحب «النافذة» وهي عمود طويل يقوم بتحريره الاخ زياد ، وقد كان له اهتمام متزايد فيما يجري من نشاط في بني يزناسن.

فلنودع الان سنة 1948 ، ولنستقبل سنة 1949 .

توسيع دائرة الفرع بأبركـان

لقد علمنا فيما سبق ، ان دائرة النشاط الوطني قد اتسعت ، وأصبـح المكتب بذلك مدعوا لتعهد نشاط أحفير ، وعين الصفاء ، وتافوغالت ، ومداغ. كما أن عهد جوان ضاعف من اتعاب أعضاء المكتب .

والامر ايضا يقتضي تقوية المكتب بادخال عناصر جديدة لمواجهة عهد جوان من جهة ، وتوثيق الروابط بين مختلف الجهات الجديدة من جهة ثانية.

وبذلك قرر المكتب توسيع دائرة اعضائه في انتخاباته السنوية لامناء وكتاب الشعب ، ثم انعقاد المؤتمر المحلي لانتخاب أعضاء مكتب الفرع .

وكان من عادة المركز ان يكتب الينا في كل سنة لاجراء هذه الانتخابات ويخبرنا بارسال مبعوث من المركز للحضور في المؤتمر المحلي . وما زلنا الى عهد الاستقلال ننتظر ذلك المبعوث ... ومن كان في ذلك العهد يستطيع أن يزورنا ؟

ومن جهة اخرى كان ينبهنا الى اقرار وضعية الشعب اذا لم تدع الحاجة الى اعادة الانتخابات . غير أنه على الرغم من أننا لم نكن نشعـــر بضرورة هذه الانتخابات فقد كنا نجريها في كل دورة ونرسل ملف محضر جلسات المؤتمر المحلي السنوي .

فقد عقد اعضاء المكتب عدة جلسات لتهيئة هذه الانتخابات من القاعدة الى القمة وأضاف الى ترشيح الاعضاء القدماء ترشيح أعضاء جدد ، وكانت التعاليم تقضي باجراء القرعة أولا للابقاء على نصف اعضاء المكتب .

وفعلا فقد اعيد انتخاب النصف الذي اراد ترشيح نفسه من جديد بعد عملـية القرعــة التي اسفـرت عن اسقاطه كما نجح اعضاء جدد من الذين رشحـوا انفسهم ، وقد كنا محتاجين الى زيادة ثمانية اعضاء فقط ، ولكن الذين رشحوا انفسهم كانوا اكثر من ذلك مما يزيد على نصف العدد المرغوب فـيـه .

وأسفرت النتيجة عن تاليف المكتب كما يلي :

1) قدور بن علي بن البشير الورطاسي : كاتب الفرع

2) عبد القادر بن الحاج أحمد اليعقوبي : نائبه

3) عمرو بن محمادي الوكيلي : أمين الصندوق

4) محمد بن الحاج المصطفى البكاوي : خليفته

الاعضـــاء المستشارون

5) عمرو بن الحسين بن الحاج علي الوكوتي مدير مدرسة النهضة الحرة 6) جلول بن محمد بن محمد بن جلول الوكلانـي الجديدي 7) عزيزي أحمد ابن عبد الله العتيقي البيعلاوي 8) عبد القادر بن الحاج محـمـد ابن البشير المنقوشي العبدلاوي المعروف بالوجدي 9) الحسن بن محمد « فتحا » بن الحاج

علي الوكوتي 10) الحسن بن الحاج محمد شاطر الوكوتي 11) بوزيان بن احمد بن اعمارة العتيقي الوشكرادي 12) محمد بن علي الوريمشي الوونوتي السعيدي المعروف بالدرقاوي 13) القندوسي بن القندوسي الهواري .

ثم اضيف الى هؤلاء الاعضاء المستشارين السيد احمد بن الحاج مولاي محمد بن بنسعيد الورطاسي ، « السرجان » لقبا .

وكان يعاد انتخاب هؤلاء الاعضاء كلهم كل سنة ولم تتغير وضعيتهم في المسؤولية اصلا الى أن وقع نفي الاخ السيد عمرو بن الحسين متم غشت سنة 1951 ووقع نفيي 17 غشت سنة 1952 كما سياتي ذلك ان شاء الله .

وفي اول جلسة عقدها أعضاء المكتب الجديد ووزعت المسؤولية على الاعضاء المستشارين كما يأتي :

عمرو بن الحسين والحسن بن محمد بن الحاج علي ، مكلفان بناحية « الركادة » جلول والسيد عبد القادر اليعقوبي باجدير ، واحباين ، واملوكن، واكدال ، وأكدفان وتامزيرت وبوزعبل ، واجداين وأولاد العباس وامجنيون .

وانفرد السيد عبد القادر اليعقوبي بالاتصال ببني بويعلي كما انفرد الاخ جلول بالاتصال ببني موسى بمساعدة الطالب السيد محمد بن عيسى الموساوي .

وكلف الاخ أحمد بن عبد الله بتعزيز الاخ السيد عبد القادر اليعقوبي في بني بويعلي كما كان الشاب النشيط السيد عبد المومن بن ابراهيم يساعد الاخ أحمد بن عبدالله المذكور في اولاد عبد الكريم من بني بويعلي واولاد الراحي وحبان « بفتح الحاء وتشديد الباء » ، يؤازر الجميع المناضل الصادق، الدعابي الشهير السيد الطيب البيعلاوي .

وكلف الاخ محمد بن علي الدرقاوي ببني وريمش الشماليين والجنوبيين يساعده الاخ بوزيان في بني وريمش الشماليين ، كما كلف الاخ بوزيان المذكور بالاتصال ببني يشكراد والجواهرة وورطاس ، وتيزي يخلف وتزغين ، وتقربوصت وأولاد مولاي أحمد بن العياشي ، ويساعده في تاقربوصت الاخ السيد عمرو بن الحسين لان له أصهارا في هذا المدشر .

وكلف الاخوان : عمرو بن محمادي ، والقندوسي بناحية مداغ والسعيدية وكبدانة الزخانين الساكنين على نهر ملوية بقيادة الدخيسي .

أما الاخ عبد القادر الوجدي فقد كلف داخل المدينة بالاستعلامات لانه كان مشغوفا بالتقاط الاخبار ، كما كان مكلفا باستقبال مكتب بني ادرار كما سيأتي .

وأما السيد الحسن شاطر ، فقد كلفته طبيعته بالاتصال « بمن في الارض وبمن في السماء » وأما كاتب الفرع قدور الورطاسي ، فقد كلف برئاسة لجنة

الدعاية والاستخبارات التي كانت في نفس الوقت لجنة الحفلات ، وبمراسلة العلم ، وبالاتصال بمكتب أحفير ، وعلى أي حال فهو بطبيعة مسؤوليته عن كتابة الفرع يتصل بالجميع .

أما الاخ محمد بن الحاج المصطفى فكان حسبه ان يؤدي مهمة ضبط حسابات الفرع ومباشرة الانفاق وبهذه التشكيلة الجديدة لمكتب الفرع استطعنا أن نخفف من اعباء أعضاء المكتب الاولين وان ننوع نشاطنا ونوسعه

انتخابات الغرف الفلاحية

حاول المقيم العام الجديد الجنرال جوان ان يتقدم باعمال «من شأنها» أن تلهي المغاربة عن مضاعفة جهودهم لتقريب أمد اعلان استقلال البلاد من جهة ، وان تذر الرماد في العيون بالنسبة للرأي العام الدولي من جهة ثانية وان تغطي على تصريحاته القاسية من جهة ثالثة .

ومن أجل ذلك اعلن عن تاسيس هيأة شعبية استشارية عليا ، وسماها : « مجلس شورى الحكومة » .

ومهمتها كما اعلن عنها ان تقوم مقام « برلمان شعبي » تعرض عليه الميزانية العامة لمناقشتها سواء في ميدان التسيير ، أم في ميدان التجهيز

وان هذه المؤسسة تعد كمرحلة لاشراك الشعب المغربي في تسيير شؤونه. وتدخل في ضمن سلسلة الاصلاحات « الجوهرية » التي ينوي القيام بهالتطوير الشعب المغربي وتدريبه على أساليب الحكم الديموقراطية .

وامعانا في تغطية نواياه السيئة ، أعلن أن هذه المؤسسة الاستشارية ستكون عن طريق الانتخابات السرية الحرة. والحقيقة انه لم يكن صادقا فيما اعلن عنه .

ولكن تقارير ونظريات مساعديه في الاقامة العامة قد ورطته للمغامرة بنفسه في هذه « المؤسسة الاستشارية » . فلقد قررت لاحباط « هذه المؤسسة » ثلاثة وسائل كاشفت المقيم باثنتين منها : وأخفت عنه الوسيلة الثالثة وهذه الاخيرة هي القنبلة الخطيرة التي وضعتها تحت أقدام المقيم الجديد اجوان .

اولا : انها قدرت ان حزب الاستقلال سوف لا يشارك في هذه المؤسسة بترشيح أعضائه للانتخابات المنوي اجراؤها ، لان حزبا يطالب باعلان الاستقلال قبل الدخول في أي مفاوضة لا يمكن أن يشارك في هذه المؤسسة ، واذا ما امتنع من المشاركة فان الاقامة العامة يسهل عليها أن تعلن عن عدم نواياه الحسنة نحو بلاده ،وانه ليس الا « طائفة متمردة عن النظام » والمقيم الجديد بالمرصاد لكل متمرد ، كما يسهل من هذه الوجهة اقناع جلالة الملك محمد الخمس بسوء نوايا حزب الاستقلال ، وذلك يساعد المقيم العام على الضرب على يد الحزب كما هو هدف فرنسا من تعيينه على رأس الاقامة العامة .

العامل الثاني : انه بناء على عدم مشاركة الحزب سوف لا يتقدم للمشاركة الا اشخاص « متعاونون » أو هزيلون ، وكلا النوعين يصلحان للمخادعة والتمويه في الداخل والخارج

العامل الثالث ، وهو والذي اخفي عن المقيم العام بدون شك ، انه في حالة ما اذا شارك حزب الاستقلال في هذه الانتخابات فستكون مواقفه مستمدة من مبادئه وأهدافه ومن شان هذه المبادئ والاهداف ، ان توتر الحالة بينه وبين المقيم الجديد توترا من شانه ان ينسف المقيم والحزب ، وتلك هي سنة أعضاء الاقاملة العامة لا عم لهم الا نسف كل عمل من شأنه أن يسهل أي تقارب بين المغرب وفرنسا .

وكم من مقيمين نسفوا ولم يستقر بهم المقام ، وكم من مشاريع «تقاربية» نسفت ولما تزل في مهدها . فجنرالية جوان الاستعمارية ، وشخصيته العصبة من جهة ، وصرامة أفكار حز بلااستقلال ومواقفه التي لا تتزعزع من جهة ثانية . ليس من شان ذلك أن يخلق أي توافق بين الجهتين ، فيكون المآل نسف الجميع ، وهكذا قدر مساعدو الاقامة العامة وفقهاؤها الاستعماريون .

نعم ان حزب الاستقلال درس بكل تدقيق كل ما يمكن ان يجول في خواطر فقهاء الاستعمار وقدر لكل موقف نتائجه بكل ضبط كما هو الشان في خططه التي يرسمها لكل موقف مثل هذه المواقف .

وسرية دراساته لنفسيات المعمرين كانت أعظم خطر عليهم ، فهم كلما حاولوا القيام بلعبة حاروا على الرغم من تخميناتهم — في الموقف الذي سيتخذه الحزب من لعبتهم ، وكان من المستحيل عليهم أن يتعرفوا على موقفه قبل ان يبرز بها ، لانه كان من التكتم في المواقف الخالدة بالمستوى الذي كان يحول دون تسرب اية رائحة لانو فالاستعماريين .

وعلى عكس الحال فيما يخص جانبهم ، فقد كان « طابور » الحزب في الادارات المختلفة يقوم بدوره احسن قيام فياتي اليه بكل شاذة وفاذة حتى ما يدور في كواليس المستعمرين .

والى جانب ذلك كان للحزب « قانونيون » يدرسون ما يروج لدى المستعمرين من اسرار دراسة قانونية فيهيئون تصميمات المواق فالواجب اتخاذها باسلوب قانوني مدعم بالحجج التي لا مجال للشك في منطقيتها وقانونيتها .

فكر حزب الاستقلال في الموقف الواجب اتخاذه ازاء لعبة « مجلس شورى الحكومة » فقرر المشاركة في الانتخابات باسلوب لم يخطر على بال فقهاء الاستعمار .

فلقد قرر ان تكون هذه المشاركة بصفة شخصية لا بصفة حزبية رسمية، وبذلك اعطى تعاليمه الى كافة فروعه في مختلف الاقاليم .

وحينما وصلتنا هذه التعاليم ـ ويؤسفني هنا ـ أن أسجل أنها وصلتنا في آخر يوم. أذكر جيدا أنها وصلتنا صباح يوم الاثنين وكانت عملية الانتخاب ستجري يوم الاربعاء بدون شك ، لقد كان من عادة مكتب الفرع ان يعقد جلسته الاسبوعية العادية مساء كل اثنين ولكنه عقد جلسة طارئة لدراسة تعاليم الحزب صباح يوم الاثنين .

وعلى الرغم من قصر الوقت وضيقه فقد قرر المشاركة في الانتخابات امتثالا لاوامر الحزب ، ووقع الاختيار على الاخ الحاج بنعامر بن الحاج لخضر الهواري ، لانه من أكبر الفلاحين واعرفهم بميدان الفلاحة ، وبعد ان وزعنا مناطق العمل بيننا كان من نصيبي أن أخبر الاخ الحاج بنعامر بهذا القرار وان اتصل بفلاحي مداغ .

وفور افتراقنا توجهت الى دار الاخ القندوسي بابركان شارع طنجة، فوجدت الاخ الحاج بنعامر في منزله ، وكان محموما ، فافضيت اليه بقرارنا فاندهش لهذا القرار ، وطلب مني ابلاغ المكتب عدم استعداده لذلك لامرين اثنين :

اولا : انه مريض كما رايت .

وثانيا : ان ضيق الوقت لا يكفي للدعاية الضرورية .

ولكنني أعلنت له استحالة رفض القرار ، وان المكتب قد وزع فيما بينه مناطق العمل ، وليس له الا الخضوع لمقتضى القرار .

فلم ير بدا من النهوض من فراش المرض والتوجه الى المراقبة حينا لترشيح نفسه في آخر ساعة .

وكم كان اندهاش المراقبة من هذا الترشيح ، ولكن بعض مساعدي المراقبة قالوا لرئيسهم : إن الحاج بنعامر لا ينجح لانه رشح نفسه في آخر ساعة ولان كل فلاح « مداغ » معنا ؟

فابتسم الرئيس « رامونة » واجابهم بقوله :

« انكم تجهلون قوة حزب الاستقلال ، واساليبه المحكمة ، ان ترشيحه في آخر ساعة كان مقصودا لاخفاء « ترشيحه بتعاليم من فرع الحزب هنا ، وفي نفس الوقت ، فان الفرع ـ لزاما ـ كان قد هيأ كل شيء لانجاحه وستعلمون النتيجة » .

« فعقبوا على قول رئيسهم هذا بقولهم : نحن لا نفترض أن أعضاء فرع ابركان بلغوا في تفكيرهم واساليب تسييرهم الى هذا المستوى الذي تفترضه فيما نعتقد .».

فاجابهم بقوله : لن يكون الا ما قدرت لكم ، وانا اعلمكم باساليب هؤلاء الاستقلاليين البركانيين ، فهم أعمق سرا ، واحكم خططا ، فلا تغتروا .. وختم كلامه بقوله : عليكم ان تتذكروا أن تعاليم الاقامة العامة تفرض علينا النزاهة في الانتخابات ، اياكم ومحاولة التزوير » . فافترقوا وكل على نظريته.

أما من جانبنا نحن أعضاء المكتب فقد قمنا يوم الثلاثاء اي بيوم قبل عميلة الانتخاب بجهود يكاد العقل يكذبها ، فقد استطعنا ان نتصل بكل فلاح ، وأخيرا وقع الاتفاق على أن يعقد اجتماع فلاحي مداغ ليلة الاربعاء ، وذلك في منزل الاخ رمضان بن محمد بن سليمان بمداغ .

وعلى الرغم من تهاطل الامطار ذلك اليوم وكامل تلك الليلة ، فقد تم عقد الاجتماع وافترضنا النجاح للاخ الحاج بنعامر مائة في المائة لاننا أحصينا احصاء دقيقا كل فلاحي مداغ ، وتحققنا من الفلاحين الاستقلاليين والعاطفين والمناصرين ، ومن الفلاحين الجبناء ، او الخصوم .

وفي مساء الاربعاء فاز الاخ الحاج بنعامر بالمقعد وكان يوما عظيما اهتزت له نفوس الاخوان الاستقلاليين في كامل بني يزناسن بمقدار ما سقط في ايدي أغمار السياسة .

والآن ليس من شان هذا الكتاب التدخل فيما كان من وراء هذه النتيجة لان شانه هو اعطاء ما يمكن منصور كفاح بني يزناسن ليس الا .

« شعبة الشغليين ».

واعني بهذا الاطلا قالاخوان الذين قررنا تكوينهم لدراسة نشرة الحزب السرية مع شعب الفرع .

فعندما اتسعت دائرة العمل لم يكن في امكان بعض اعضاء المكتب ان يطوفوا على جميع الشعب اسبوعيا لدراسة النشرة المذكورة .

ولذلك قرر المكتب تكوين لجنة الشغلين ودراسة النشرة معهم دراسة متقنة وتوسيع آفاق أفكارهم باساليب الحزب في ميدان التربية الوطنية ، رتقرر انتدابي لهذه المهمة فكنت أعقد اجتماعا اسبوعيا في كل مساء يوم الجمعة مع اخوان عددهم لا يتجاوز خمسة عشر .

ومن بينهم الاخوان : محمد معي « بفتح الميم وتشديد العين » المنقوشي الصفراوي . حماد بن محمد بن يوسف الورطاسي ، والعربي بن محمد بن قدور الورطاسي ، محمد بن عمرو الواونوتي السعيدي ، أحمد بن عبد اللـــه البويعلاوي ، أحمد بن مولاي محمد بنسعيد الورطاسي .

ولم تكد تمر بضع أسابيع على تكوين « هذه المدرسة » حتى تكون اولئك الاخوان تكوينا كان له أبعد الاثر في التسيير التربوي الوطني .

ولتسهيل الاتصال بشعب الفرع في البادية كان المكتب قرر الزيادة في عدد الدراجات المكتراة ليستعملها أولئك المشغلون في تجولاتهم وكان الاخ سعيد محمد بن بوزيان الورطاسي العمراوي صاحب الدراجات هو الذي يسلم اليهم ما يحتاجون من الدراجات « غير النارية » ونؤدي له ثمن الكراء .

وكان كثيرا ما يرفض تلك الاجرة جزاه الله خيرا .

وأخيرا قررنا شراء دراجات في اسم المشغلين فاستقام عملهم ايما استقامة.

ومن جهة اخرى فقد كان بعض الطلبة ممن يحفظون كتاب الله يتعيشون بامتهان تعليم كتاب الله في المسائد ، وقد اخترنا من بينهم من كان في عهد الفتوة والشباب ، وتذاكرنا معهم في القدر الذي ياخذونه من الاطفال ، وحينما عددنا المبلغ عرضنا عليهم اداءه من صندوق الفرع وعلي ان يلتحقوا «بمدرسة التكوين الوطني» المشار اليها ، ويدفع لهم الفرع ذلك المبلغ مشاهرة لا سنويا، فقبلوا عرض الفرع ، وانضموا الى المدرسة واصبحوا يقومون بالتوجه الى القرى المختلفة في السهول والجبال ليجتمعوا بشعب الحزب ، ويدرسوا النشرة معها وبهذه الوسائل كون الفرع جيشا عرمرما من « المشغلين » وأصبحت نشرة الحزب الاسبوعية تدرس في السهول والجبال في اسبوعها الاول .

ثم انه تسهيلا لالمهمتهم وضع الفرع رئيسا منهم على كل عشرة ، وهذا الرئيس كان يتوجه الى الاخ السيد علي بن أحمد بن علي بن عبد الله اليعقوبي ويأخذ منه النشرة ويوزعها على مرءوسيه وذلك بعدما قررنا انتداب السيد علي المذكور لهذه المهمة ، وكان بزنقة طنجة وفي ملك السيد بـومـدين بن الطيب اليعقوبـي . وقريبا من دكاني الذي كان في ملك السيد محمد بن الطيب الورطاسي .

وكانت القاعدة ان لا يأخذ الرئيس نشرة جديدة حتى يرجع النشرة التي قبلها للاخ السيد علي المذكور محافظة على سرية النشرة .

محنـة السيد العربـي الورطاسي

أشرت فيما سبق الى أن السيد العربي بن محمد قدور الورطاسي كان ضمن المسيرين المكلفين بدراسة نشرة الحزب مع الشعب في البادية ، ومن الذيـن سلم لهم المكتب دراجة لهذا الغرض . وقد كان المكتب عيـن لـه منطقتـي « الحمري » ، « التوميات » .

وخلال قيامه بهذه الوسيلة سافرت يوما الى فاس بعد ان اخذت رخصة خاصة للسفر حيث كنت ممنوعا من مغادرة المدينة الا باذن خاص منذ حوادث اليهود 1948 ولم احصل على الرخصة الا بعد أن أدليت بشهادة طبية للعلاج بمياه مولاي يعقوب ، والحقيقة انني لم أكن في حاجة الى السفر الى فاس، بل كنت في حاجة الى حضور مؤتمر كتاب الفروع الذي انعقد لاول مرة في الرباط ، بدار السيد الحفيان الشرقاوي .

فبعد أن وصلت الى فاس تركت أمتعتي هناك ثم ذهبت الى الرباط للغرض المذكور ، واذكر أن الفقيه السيد محمد غازي قال لي : « طلقوك ولا هربـت » ؟

ثم رجعت الى فاس حيث توجهت لمولاي يعقوب ثم رجعت الى ابركان . ولما وصلت الى ابركان أخبروني بان المراقبة تبحث عني .

ولكنني لم اتوجه اليها حتى أرسلت الي مخزنيا لاستدعائي وكان ذلك ما بين المغرب والعشاء ولما دخلت الى مكتب رئيس المراقبة الذي وجدته صحبة الترجمان المدني السيد عبد الحميد الرمعون الندرومي فناولني الترجمان مكتوبا فتأملته لحظة عابرة جدا فعرفت انه خطي ، ولكني قلت له بكل حماس: لا . انه ليس بخط يدي ؟

فقال لي : وما رأيك اذا أحضرت لك شخصا يشهد بانه خطك ؟ ج : في امكانك احضاره ؟

وبينما كنت افكر في هذا الشخص ، اذا بالشاوش موح ادخل علينا السيد العربي المذكور ، فسأله الرئيس هل هذا خط السي قدور الورطاسي؟ فأجاب : لا ، وسأله ولكن قلت لي قبل هذا بقليل ، انه خطه ! فاجاب: قلت ذلك تحت سوط العذاب ، فلقد ضربت حتى أغمي علي ولم اكن قد شعرت بانني قلت شيئا من هذا القبيل !

قال السيد العربي هذا وهو يعلم انني ناولته يمين الحزب بخط يدي، ولكنه على الرغم من اعترافه به قبل ذلك تشجع وحاول ان يقصيني من القضية ايثارا للعذاب على اعتقالي الذي لم يكن يجديه في اطلاق سراحه .

وأنا ـ شخصيا ـ لو كنت متيقنا بأن ذلك من شانه أن يحرره من السجن لما ترددت في الاعتراف بخطي ، ولكن من الناحية العملية لا فائدة في اعترافي .

وبعد أن أنكر انه خطي قال المراقب : اذن ، فالسي قدور بريء وليذهب الى حال سبيله وأنت يالسي العربي الى السجن ، وستعرف مصيرك ؟

وشهادة تاريخية ، فان الترجمان السيد عبد الحميد الرمعون الندرومي كان يساعدني في الترجمة ، والسيد عبد الحميد هذا اكرم ترجمان عمل ببركان منذ الحماية الى الاستقلال ، فلقد كان من اللطافة والتدين ما كان مضرب المثل وموضع الاعجاب والتقدير .

فهنيئا له بتلك الشهور القليلة التي قضاها بين اظهرنا في ابركان .

وهنيئا له بتلك الروح الاسلامية التي أكرمه الله بها .

ومن المؤسف أن روحه الاسلامية هي التي حملت المراقبة على نقله الى وجدة فكان نقله ضربة قاسية لنا في بني يزناسن باجمعها . اذ فقدنا فيه الترجمان المسلم الطيب الاخلاق .

خرجت من مكتب المراقبة وانا متالم لمصير السيد العربي الورطاسي ، فلقد كان بمكتب الشرطة شرطيان من أقسى رجال الشرطة ، وتحققت من أنهما سوف يذيقانه أنواعا شتى من العذاب .

وهذان الشرطيان هما : بنعيسى لهياوي من عرب انجاد ، والفرنسي دو أجوان .

وخصوصا بنعيسى هذا فقد كان وجهه تتمثل فيه كل أنواع القساوة ، ولم يكن ينفع السيد دالعربي الورطاسي انه كان من جوار بنعيسى في الاكرابة العليا (1).

ولما وصلت الى دكاني اخبرت بقصة اعتقال السيد العربي المذكور وهي كما يلي :

توجه السيد العربي كعادته الى منطقتيه المشار اليهما ، واثناء المسير أو الرجوع شاهده المخزني العربي لقرع أخ بنعيسى المذكور ، وكان هذا المخزني مشهورا بعدائه للحركة الاستقلالية ففتش السيد العربي الورطاسي ووجد عنده « يمين الحزب » فساقه الى المراقبة على الرغم من شتى المحاولات معه لتخلية سبيله .

قضى السيد العربي الورطاسي أربعة أشهر كاملة تحت عذاب الشرطة، وذات يوم استدعتني الشرطة الى مكتبها واستنطقتني من جديد حول هذا الخط فاكدت انكاري ، وأثناء هذا الاستنطاق جيء بالسيد العربي وجسده منهار ولا يتذكره الا من عرفه معرفة جيدة .

فسأله رئيس الشرطة والشرطي السيد أحميدو العجرودي من السعيدية واقف على رأسه ـ لمن هذا الخط ؟ فاجاب للسيد قدور الورطاسي!

فسألني رئيس الشرطة هل سمعت ؟ فأجبت : ان صورة السيد العربي قد تغيرت تماما من جراء ما قاساه من أنواع العذاب ، وله الحق ان يخفف عن نفسه ولو بضع لحظات ياتي فيها الى هذا المكتب ، ان السيد العربي حينما كان لا يزال تام العقل انكر أن يكون هذا خطي ، وقد قال ذلك ازاء رئيس المراقبة والترجمان ، والشاوش موح .

فاذا شئتم ان تعتبروا هذه الشهادة الآن وتلغوا قوله من قبل فلكم ذلك .

وزيادة في محاولة تضليل رئيس الشرطة قلت له :

هل بامكانك أن تضعني موضعه فتعتقلني الان وتطلق سراحه ؟ فقال لا : أنا لا اكتب الا ما سمعت وللمراقبة الكلمة الفاصلة .

وبعد اربع ساعات من استنطاقي « دون أن أمس بسوء حتى بالكلام النابي عن الاخلاق خلي سبيلي وارجع السيد العربي الى السجن » .

ومن غريب حكم القدر أن العربي لقرع المذكور سابقا ارتكب سرقة دراجة فاعتقل وكان في زنزانة جوار السيد العربي المذكور أو كان صحبته ، نسيت ، كما كان مصفدا ومشدودا بالسلاسل الى سلسلة في حائط الزنزانة.

---

1) ومن أغرب وضعيتنا في عهد الاستقلال أن يستمر بنعيسي في عمله من غير أن يفصل حتى عن الشرطة .

وكان السيد العربي الورطاسي المذكور كلما أخذ في تلاوة كتاب الله الا ويصرخ العربي لقرع هذا صراخا عاليا ويلتمس من السيد العربي ان يكف عن قراءة القرآن لان ذاك كان عنده بمثابة اسواط تنزل على جلده ، ولكن السيد العربي يابى الا الاستهزاء به ويقول له : ذق يا عدو الله ، ثم يواصل قراءة القرءان الكريم ، ولا يك فالعربي لقرع عن الصراخ حتى يكف السيد العربي عن تلاوة القرءان .

وكان السيد العربي قد شافاه الله من جروحه المختلفة وتمتع بصحة لم يسبق لها مثيل ، وقد اطلق سراحه ، والعربي لقرع في سجنه وعذابه الى أن توسط أخوه بنعيسى فاطلق سراحه وقد أراد الله خيرا بالعربي لقرع الذي طرد من وظيفته اذذاك ، فانضم الى الحركة الاستقلالية مومنا بانها حركة اسلامية صادقة ، وتاب الى الله . وكان يصور للناس شعوره عندما كان السيد العربي الورطاسي يقرأ القرءان : ويقول : ان الاستقلاليين مسلمون حقا ، وانهم اولياء الله .

ويجب التنبيه الى أن السيد العربي المذكور لم يطلق سراحه الا بعد أن عرض ملفه على وكيل الدولة فقاضي التحقيق بالمحكمة الفرنسية واعطيا نظرهما بانه لا يستحق العرض على المحكمة .

كما يجب التذكير بان ما قاساه السيد العربي الورطاسي كان بايعاز من القبطان الاعور بيير الذي كان رئيس مكتب المراقبة ، فلقد كان هذا القبطان متغطرسا أحمق استثقل تصرفاته حتى مساعدوه من الفرنسيين وكذلك رئيسه « رامونة » .

كما يجب التنصيص على أن السيد العربي لم يعترف بخطي أمامي الا بعد أن أثر عليه بعض أخواله عفا الله عنه .

فلقد استأنف نشاطه في الميدان الوطني في عزم صارم كما لو لم يتجرع كؤوس الشقاء علي يد بنعيسى لهياوي كما انه امتحن امتحانات شتى من بعد، فلم يكن لها اي اثر على عقيدته جزاه الله خير الجزاء .

ملحوظة

لا يفهم من التنصيص على قصة السيد العربي الورطاسي انه هو وحده الذي امتحن في عقيدته ، فلقد امتحن كذلك مئات الاخوان امتحانات مختلفة ، وادناها السجن ويمكن لي ان اسجل هنا وانا متاكد مما اقول — ان السجن لم يخل في يوم من الايام من معتقلين وطنيين .

وكان بعضهم لا يخرج معه فراشه من السجن حينما يطلق سراحه ، لانه يعتقد انه راجع لا محالة الى السجن ، وذلك لما كان له من مغامرات في الميدان الوطني ، منهم السيد محمد بن ادريس الوكيلي .

وانما اقتصرت على ذكر بعض الاشخاص لـ افي ذلك من اعطاء بعض ألوان ما كان يقاسيه بنو يزناسن من العذاب اثناء الكفاح السياسي ليس الا، على انني سانص على ذكر اسماء بعض الاستقلاليين الذين ابلوا بلاء بارزا ، وما زلت اذكرها ، ومن نسيت أكثر مما اذكر .

ولعل مما يساعد على الاشارة الى ما كان يقاسيه بنو يزناسن في عهد الكفا حالسياسي ، أن أسجل هنا باختصار قصة اعتقال بعض الاخــوان في أبــركــان .

« في هذه السنة 1948 ، كان من جملة العشرات الذين ألقي عليهم القبض لنشاطهم السياسي السيد القندوسي بن القندوسي الهواري عضو مكــتــب الفــرع بابركان .

وعقب اعتقاله ببضع ساعات ، توجه لزيارته الاخوان : الحاج أحمد شاطر وعزيزي أحمد بن عبد الله البيعلاوي ، وعبد المومن بن ابراهيم، ومحمد الغربي التزغيني ، وقبل ان يصلوا الى السجن ليطلبوا الالتقاء به كان وراءهم الشاوش موح يراقبهم من بعيد ، فتوجه بسرعة الى اخبار رئيس مكتــب المراقبة القبطان الاعور ببير ، فاصدر أمره اليه بالذهاب الى السجن ، فاذا وجدهم هناك ادخلهم الى السجن .

وفعلا ، فتح لهم باب السجن وأمرهم بالدخول بتهمة انهم جاءوا لزيارة معتقل سياسي وهو السيد القندوسي ، واعطيت الاوامر لجعل كل واحد في زنزانة على حدة ، وان لا ياكلوا الا خبز السجن وقد مكثوا هناك ما يقرب من شهر ، واثناء هذه المدة جمعوهم في بيت واحد .

وذات ليلة ، واثناء هذه المدة ، زارهم القبطان المذكور في السجن وقال لهم : هل انتم مسروورون ؟ فاجابه الحاج احمد شاطر ـ وهو يضحك كعادته ـ ولم لا نكون مسرورين ؟ فنحن حزب الاستقلال لا نرهب السجون في سبيل عقيدتنا الاستقلالية كما اننا لا نحس بالم الجوع ، ولكي يبرهن الحاج أحمد شاطر على أنهم لا يزالون أقوياء رغم الجوع ، عمد الى القبطان الاعور وضمه الى صدره ورفعه من الارض ثم انزله ، وقال له : والان ؟ هل نحن اصحاء على الرغم من انك امرت بعدم دخول طعامنا الينا ؟ فضحك القبطان الاعور وكان يتوفر على قسط مهم من الحمق وقال : يا شاطر لا تلعب ولا تمزح لقد كنت عزمت على اطلاق سراحكم ولكن « قدور » الورطاسي حرر مراسلة الى « العلم » في شانكم ، وانا لا اخشى « العلم » ولا اخشى « قدور » .

فاجابه الحاج احمد شاطر : نحن لا يهمنا أن تعتقلنا ، ولا يهمنا ما كتبه السي قدور الى العلم » ، فنحن استقلاليون ، ولا بد من الاستقلال والسلام ، هـ لفهمت ؟ ام لا ؟ ثم حاول شاطر هنا كعادته في مداعبة المراقبين حتى في الظروف الجدية أن ينكت على القبطان باسلوبه السخري الذي يفرغه

في اسلوب الدعابة معتمدا في ذلك على ما اشتهر به من التحامق ، فقال للقبطان : انا شاطر أحمق وانت قبطان أعور ، وعسكري أحمق ، والله يحفظ بركان مني ومنك .

وبعد بضعة أيام اطلق سراح الاخوان المذكورين .

ان مجرد سرد هذه القصة تكفي القاريء لتصور مدى التعسف البالغ النهاية الذي كان يعانيه بنو يزناسن على العموم والاستقلاليون منهم على الخصوص .

وبهذه المناسبة أحلل ــ باختصار ــ شخصية الاخ الحاج أحمد شاطر المذكور ، لانه من اولئك الاشخاص الذين استفادت منهم الحركة الاستقلالية عن طريق اسلوبهم التحامقي وكم لهذا النوع من الاشخاص من فوائددون خسارة تذكر .

الحاج أحمد شاطر

الحاج أحمد شاطر هذا يبلغ من العمر ما بين الستين والخمسين عاما ــ « 1964 » وهو من شرفاء ءال وكوت ببني منقوش ، ومشيخة بني عبد الله.

وقد كان في شبابه معروفا بنوع ما من الحمق ، ولكن الحمق العاقل ، وقد استغل اكبر استغلال هذا التحامق الذي اشتهر به .

ومعظم هذا الاستغلال كان اما في سبيل الدعوة الاستقلالية ، واما في سبيل الآخرين .

فالحاج أحمد شاطر هذا قد يكون متجولا داخل سوق الخضر مثلا ، فياتي اليه شخص او اشخاص ضعفاء يستنجدونه على فقرهم ، فيعمد في الحين الى الاتصال ببائع الخضر والفواكه واللحم وغير ذلك من الباعة فيجمع شتى انواع المواد ويوزعها على اولئك البؤساء .

وقد يقع أن يكرمه أحد بفاكهة مثلا ، فياتي رجل ما ويطلبها منه فيسلمها له عاجلا ويرجع الى منزله فارغ اليد .

وفي ميدان النشاط الوطني قد يحدث ان يقرر المركز بعث برقيات الى القصر أو الى جمعية الامم المتحدة فيحجم بعض الناس في اول الامر عن ارسال البرقيات ، فيأتي الحاج أحمد شاطر الى مكتب البريد ويكون هو المرسل الاول للبرقيات فيشجع ذلك البعض المحجم .

وقد يقع ان يعتقل بسبب هذه « الزعامة » ولكن تحامقه لا يلبث أن يشفع له فيطلق سراحه . ولو قام أحد غيره بمثل ما قام به من هذا النوع لحكم عليه ــ على الاقل ــ بثلاثة اشهر أو أكثر .

وهكذا كانت الحركة الاستقلالية تستفيد من « حماقات » الحاج أحمد شاطر حفظه الله ، وكم من مرة سألني ما رأيك في العمل الفلاني الذي قمت به ؟ فأجيبه :

ان تصرفاتك لا تخضع للمنطق العادي ، وليست جارية طبق أساليب الحياة العادية، فلتتصرف بميزتك التي اشتهرت بها، فلا موضع لرأيي ولا لرأي غيري الذين يحكمون المنطق فيما ياتون وما يذرون ، فلتواصل أعمالك بأسلوبك الخاص ، فان نجحت فلنا ولك ، وان خسرت فعليك الغرم وحدك وفي سبيل الله ، نعم متى خسرت سهل علينا في ميدان الصحافة ان نلتمس لك الاعذار وان نرمي كل من حكم المنطق فيك بسوء التصرف والتدبير .

وهكذا شاء الله ان يخلق الحاج أحمد شاطر ، وهكذا عرفناه وهكذا كان الحزب ينتفع باسلوبه التحامقي ، والذي يحتمل منه ومن امثاله ، ولا يحتمل من ذوي الجد والمنطق ، وذلك أمر الله ، له الامر وله الخيرة ، وهو قدير على خلق من يشاء من أمثال الحاج أحمد شاطر جزاه الله خيرا .

المجالس الجهوية

منذ اواسط سنة 1945ز ، كان اعضاء المكتب هم الهياة الوحيدة التي تفكر وتطبق تعاليم الحزب وتقترح ما تقترح من اعمال مستمدة من روح مبادىء الحزب واهدافه وتعاليمه ، حتى أن دارسي نشرة الحزب مع الشعب هم من اعضاء المكتب .

ورويدا رويدا ، اخذ المكتب يوسع دائرة اعضائه من جهة ، ويشكل مختلف اللجان من جهة اخرى ، غير ان اللجان قلما طال عمرها او اتت بفائدة منظمة .

لذلك كانت تلك اللجان اما ان تنحل شيئا فشيئا وإما أن ينخفض مستوى نشاطها المعلق عليها ، وفي كلتا الحالتين كان اعضاء المكتب يستردون المسؤوليات التي كانت منوطة بها ليباشروها بانفسهم .

وفي هذه السنة ، وفي احدى جلسات أعضاء المكتب خططت مشروعا بانشاء مجالس جهوية وقدمته لاعضاء المكتب لدراسته والموافقة عليه بما يرونه في ذلـك .

والمجالس الجهوية ، تعني منظمة تتكون من كتاب وأمناء بعض الشعب لا تزيد على عشر شعب ، أي من عشرة كتاب وعشرة أمناء ، بالاضافة الى « مشغلي » تلك الشعب اي الذين يقومون بمهمة دراسة النشرة فيها .

ويباح انشاء هذه المجالس في كل مجموعة من الشعب متقاربة السكن ومهمتها : ان تنتخب كاتبا وامينا لها في اول جلسة تعقدها ، ومسؤولية الكاتب تتلخص في تحرير محاضر جلساتها وتسجيلها في كناش خاص

وارسالها الى المكتب لدراسة ما تتضمنه من اخبار ونشاط واقتراحات في دائرة تلك المجموعة من الشعب سواء فيما يتعلق بالناحية المعنوية ، أم فيما يتعلق بالناحية المادية .

ومسؤولية أمين المجلس تتلخص في استلام المبالغ المالية من أمناء تلك الشعب ، واعطاء بيان عن كل ما يتعلق بذلك .

وفي كل شهر يصل مبلغ اشتراكات تلك الشعب داخل تقرير الكاتب، ثم يسلم من طرف كاتب الفرع الى أمين الفرع .

وبهذه العملية تمكنا من حصر مداخل الاشتراكات والتبرعات والزكاوات وثمن جلود الاضاحي بحيث لا يجوز جمع تبرع ولا ما اليه الا بواسطة ذلك المجلس .

وعندما يدرس مكتب الفرع تقرير كاتب المجلس يجيبه عن اقتراحاته ومطالبه كتابة .

ففيما يخص الناحية المعنوية أو التعاليم ، فالكاتب هو المسؤول عن تبليغها الى اعضاء مجلسه وهم بدورهم يبلغونها الى شعبهم .

أما الناحية المادية، فانه اذا ما اقترح المجلس قدراً من الاعانة لاحد الضحايا فان المكتب يدرس هذا الاقتراح ويبلغ الكاتب ما تقرر في ذلك .

فاذا تقرر مبلغ ما ، فامين المجلس هو وحده الذي يبلغ ذلك لمن تقرر له.

وخلاصة القول ، ان كاتب المجلس مسؤول عن معنويات جهته بمساعدة كتاب الشعب ، وأمينه مسؤول عن ماديات جهته بمساعدة أمناء تلك الشعب.

وفي الوقت نفسه فان مسؤولية المجلس مشتركة .

وكل التعاليم التي يراد تطبيقها من طرف مكتب الفرع لا تطبق الا بواسطة ذلك المجلس ولاجل أن يتدرب المجلس علي دراسة مشاكله واقتراحاته ومظاهر نشاطه في دائرة تعاليم الحزب العامة ، أو في دائرة تعاليم المكتب الخاصة والمستمدة من روح تعاليم الحزب العامة ، انتدب المكتب عضواً من أعضائه ليحضر جلسات المجلس كمستشار ، كما أن هذا المندوب هو الذي يحمل الى المجلس الجواب عن تقريره معنويا او ماديا .

وليس لهذا المندوب الحق في الكلام الا عندما يطلب منه ذلك ... وعليه أن ينقل الى المكتب ملاحظاته وارتساماته عن جو جلسات المجلس .

وعلى ضوء ارتساماته ، زيادة على تقرير المجلس ، يتمكن المكتب من أخذ نظرة محلية عن جو ذلك المجلس سواء من الناحية المعنوية ، ام من الناحية المادية .

وكان المكتب كلما شكل مجلسا من هذا النوع انتدب له عضوا للمهمة المذكورة ، وعندما تعددت هذه المجالس ، ولم يبق أعضاء المكتب كافيين

للحضور في كل مجلس ، قرر المكتب اضافة بعضها الى بعض بحيث يحضر مندوب المكتب جلسات مجالس لا تتعدى سبعة مجالس عدد ايام الاسبوع ، وبطبيعة الحال فان المكتب نظم جلسات تلك المجالس بصفة تجعل في امكان المندوب أن يحضرها بصفة عادية .

وبهذه التنظيمات كان يمكن للمكتب أن يجتمع في الواحدة نـهـارا مثلا لدراسة تعاليم وردت عليه من المركز ويكتسي تطبيقها صبغة الاستعجال ، وبمجرد انفضاض اجتماع المكتب يستدعي مندوب المجلس أو المجالس المكلف بها لعقد اجتماعات مستعجلة وينضمها في أوقات متقاربة ليبلغ تلك التعاليم المستعجلة .

فمثلا يصبح في امكان المندوب أن يعقد مع سبعة مـجـالس جلـسات استثنائية في ظرف ساعة ونصف ويبلغهم اتلك التعاليم .

وفي الوقت نفسه يكون كتاب تلك المجالس قد استدعوا جماعاتها بعقد اجتماعات غير عادية .

وعندما ينفض اجتماع كل مجلس يتوجه كل كاتب وأمين الى شعبتهم ليبلغها تلك التعاليم وهذا فيما يخص المدينة وما جاورها .

أما النواحي البعيدة فتستعمل السيارات والدراجات والخيول والبغال لاجل القيام بنفس العمل في البادية ولا يطلع الفجر حتى تكون تعاليم الحزب قد بلغت الى جميع أعضائه في جميع قبائل بني يزناسن .

وازاء هذه الوسيلة لتبليغ تعاليم الحزب بكيفية سريعة الى اعضائه، كان للمكتب أيضا « هياة البريد السريع » التي يستعملها عند حالة الاستعجال الخطيـــرة .

وهذه الهياة عبارة عن أشخاص يمكنهم ان يبلغوا التعاليم في مدى ساعتين أو ثلاثة ، وكيفية ذلك ، ان تقسم المسافة التي بين ابركان وبين آخر مداشر بني يزناسن الى مراحل ، وكل مرحلة يكون فيها شخص ذو مركب : دراجة، أو سيارة ، أو بهيمة ، وكل سلسلة من هؤلاء الاشخـاص متصـلة بمندوب مجالس تلك الناحية .

فاذا تلقى مندوب المكتب أمرا يبلغه الى المتصل به من أعضاء البريد السريع وهذا يبلغه للاخر الى أن يبلغ الى مجلس آخر مدشر .

وكلما بلغ الامر الى مدشر الا وعقدت الاجتماعات المستعجلة للاستماع الى تلك الاوامر ثم توزيع المسؤولية للقيام بتنفيذها عاجلا .

وازاء هذا البريد ايضا يوجد البريد المنظم ما بين كاتب الفرع ومندوب الحزب بوجدة وفروع دائرة بني يزناسن . وذلك بحيث يكون شخص مرابط أمام كاتب الفرع بابركان ، وآخر أمام منزل مندوب الحزب بوجدة كما يكون

هنا أشخاص مرابطون أمام كاتب الفرع ببركان وكتاب الفروع الاخرين .

والعملية هي العملية ايضا فيما يخص بقية الفروع ، وفيما يخص ما بين كاتب فرع براكان ومندوب الحزب بوجدة .

وبهذه الوسائل كنا نطبق تعاليم الـحـزب في أسرع وقت ، وكنا ايضـا نستغل هذه السرعة للتظاهر أمام السلطة بان هذه التعاليم لم تعط من ابركان ، ودليل ذلك انها طبقت في نفس اليوم والساعة في جميع بني يزناسن . « اذ غير ممكن » ان تكون صادرة من ابركان لان صدورها من ابركان يقتضي يومين أو ثلاثة لتبليغها إلى جميع مداشر بني يزناسن ، وكانت السلطة تصدقنا في دعوانا هذه ، لانها لم تكن تعلم دقة التنظيمات التي أحكمناها للاتصالات في بني يزناسن ، وقد توسعنا في انشاء هذه المجالس الى أن جاوزت أربعين مجلسا . والحقيقة ان هذه المجالس ادت مهمتها بصورة لم تكن منتظرة . فلقد مكنت مكتب الفرع في ابركان من مضاعفة نشاطه السياسي والتربوي حتى استحال بنو يزناسن عبارة عن قنبلة واحدة خطيرة لا يحتاج تفجيرها الا الى يد حكيمة تعرف كيف تفجرها لتاتي على الاخضر واليابس .

وقد كان السبب الذي أوحى الي باقتراحها على المكتب ، يتلخص في عاملين اثنين .

أولهما : احكام الاتصال بين المكتب ومسيري الفرع وشعبه .

ثانيهما : اعطاء استقلال ذاتي للقرى والمداشر حتى تشعر بأنها تشارك مباشرة بجميع أعضائها في التسيير والتوجيه، ويمكن لها بواسطة تلك المجالس أن تبدي آراءها واقتراحاتها ، ويمكن لها أن تطلع بواسطة المجالس على مالية الفرع أثناء انعقاد المؤتمر السنوي لاعادة انتخاب نصف اعضاء المكتب اذ ان كل مجلس يكون في امكانه أن يدلي بمنتهى الدقة بالمبالغ المالية التي سلمها للمكتب ، وعندما يدلي كل واحد بذلك ، يدلي ايضا بما توصل به فسلمه الى ضحايا جهته ، فتجمع مداخل المجلس وما صرف من المكتب عليها ، فتعرف نتيجة المجموع . وازاء هذه العملية التي تقوم بها المجالس في المؤتمر فيما يخص الناحية المالية يقوم أمين الصندوق ليعطي الحسابات التامة عن كل ما تحصل داخل السنة وما صرف منها ، ونوع النفقات وذلك بعد أن يستمع اعضاء المؤتمر الى التقرير الادبي الذي يلقيه كاتب الفرع .

وبهذه العملية يطلع كل عضو في الحزب على المداخل والمصاريف وكيفية تسلمها وانفاقها بواسطة النواب . وفي حالة ما اذا كانت الحالة خطيرة فان المؤتمر يقرر سرية كل ما راج اثناء انعقاده ولا يفشو منه اي شيء حتى تتغير الظروف الخطيرة ، ويتخذ المكتب موقفا ملائما لها ، ولقد نشأ عن تنفيذ

مشروع تشكيل المجالس الجهوية أن اصبح فرع حزب الاستقلال منظما تنظيما محكما تساعده المجالس على تادية مهمته على احسن حال .

ومن جهة اخرى فان كل شعبة اصبحت تجد لها في هذه المجالس مؤسسة في نفس مدشرها تزودها بكافة المعلومات الضرورية ، وتعتني بتنوير افكارها

كما ان اعضاء المكتب ـ خففوا ـ بهذه المجالس ـ أعباء المسؤولية المباشرة عن كواهلهم ، فقد يحدث أن يقع القبض على عضو في الشعبة بسبب نشاط وطني فيضغط عليه للاعتراف بمن أمره بذلك ، فاذا لم يثبت ازاء الضغط ، فانه يعترف بكاتب شعبته أو أمينها ، واذا لم يثبت الكاتب أو الامين أمام التعذيب في حالة الاعتراف باحدهما أو بهما معا ، فانهما يعترفان بكاتب المجلس أو أمينه ، واذا لم يثبت هذا او ذاك فيقع الاعتراف بمندوب المكتب ، واذا لم يثبت مندوب المكتب فانه يعترف بكاتب الفرع .

غير انه لم يثبت ـ عمليا ـ قبل حوادث 1953 ـ ان الضغط وصل بهذه السلسلة الى حد الاعتراف حتى بكاتب المجلس فضلا عن اعتراف أمين صندوق المكتب بكاتب الفرع .

فلقد كان الوطنيون يختارون للتسيير اشخاصا قادرين على الصمود أمام كل انواع العذاب ولم تتسلسل الاعترافات الى النهاية الا في حوادث 1953 كما سيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله .

وأذكر جيدا أنه وصلتنا رسالة شكر وتهنئة من المركز على مشروع المجالس الجهوية الناجح والذي لم يفكر فيه ولا في مثيله في أي اقليم من اقاليم المغـرب .

وتتميما لموضوع الحديث عن هذه المجالس ، اضـيـف هنا : ان هذه المجالس قد اخذنا منذ تاسيسها في تعهدها وتطويرها الى أن أخذ بعضها يتوفر على مستوى يؤهله لدرجة الفروع .

وحينذاك انشأنا منها شروعا في مداغ، والركادة، وتافوغالت ، وكان أول كتاب الفروع بهذه الجهات الثلاثة المذكورة ، محمد الشاوش الوريمشي التميمي النكاوي الادريسي في مداغ .

2) الحسن بن محمد فتحا بن الحاج علي الوكوتي اليحييوي في الركادة،

3) محمد بن عمرو والهدار الوريمشي العباوي البوخريصي في تافوغالت.

وكانت هذه الفروع مستقلة استقلال اداريا معنويا وماديا ، ولكن اتصالاتها بمندوب الحزب بوجدة ، كان عن طريق خصوص كاتب فرع ابركان « قدور الورطاسي » .

فلقد كانت ترسل تقاريرها « الى » فاطلع عليها واكتب ما تدعو الضرورة اليه من الملاحظات والتعاليق ، ثم أرسلها الى المندوب بوجدة .

كما ان كتاب هذه الفروع كانوا يعتمدون في نشاطهم على خصوص استشاراتي ، وان كان هذا لم يكن يمنعهم من الاتصال الوطني والسياسي بالاخوان الاخرين من أعضاء فرع ابركان ، غير انهم لا يعتمدون الا على توجيهاتي الخاصة ، وذلك بقرار مجمع عليه من مكتب الفرع بابركان بقصد حصر المسؤولية وضبطها .

في بنـــي أدرار

وطبقا لعادتي المتبعة في هذا التاليف هنا من تقديم نبذة مختصرة عن القيادات ، أقدم هنا نبذة مختصرة عن قيادة قبيلة بني ادرار ، في هذه الظروف ، كا نالمسؤول عن قيادتها السيد محمد الوريمشي الفكاوي التميمي الادريسي ، وقد تولى هذه القيادة على اثر نقل السيد البكاي بن مبـــارك الهبيل الذي عين « باشا » بمدينة صفرو « فاس » .

والسيد التميمي هذا ، كان قد انخرط في الجندية حوالي سنة 1920 تقريبا ، وقد ارتقى الى رتبة « كومندار » .

وحينما احيل على المعاش ، اتخذ مدينة وجدة سكنا له ، وقد عرف أثناء مقامه بوجدة بالاخلاق الفاضلة والسلوك الرشيد ، فكان يداوم على أداء فروضه في المساجد ، ويخشع ويبكي لذكر الله ، يسالم كل من اتصل به ، وفي الوقت نفسه كان قليل الاتصال بالناس الا لضرورة .

وما قيل عنه في وقت من ذلك العهد والذي بعده والى الآن : انه ما سرق، ولا زنى ، ولا شرب الخمر ، ولا تدخن ، ولا انتشى بما يشـبـه ذلك من المـخـدرات .

وفي سنة 1946 اتصل بمندوب الحزب بوجدة الاخ المجاهد الكبير السيد بناصر بن الحاج العربي وأدى يمين الاخلاص للحزب ، وانضم الى شعبة بـوجـدة .

وهو في حد ذاته قليل الكلام ، جدي الاسلوب لا تسمع منه نكتة ولا هزلا ، يبتسم كثيرا ويضحك قليلا ، مفتول العضلات ، قوي الارادة ، يقدر أوامر رؤسائه تقديرا عسكريا فلا يؤول الاوامر والتعاليم ، ولا يتصرف فيها فاذا قيل له قل هذا أبيض ، فانه يقول : أبيض ، واذا قيل له هذا اسود، يقول : هذا اسود ليس الا .

وهو يتكلم الفرنسية ، وضعيف الكتابة بها كما هو الشان بالنسبة للعـربيــة .

ولما ولى هذه القيادة كان ثاني القواد الذين تنزهوا عن استغلال هذه القيادة لا من ناحية الرشوة العادية ولا من ناحية استغلال النفوذ بالنسبة لغيرها ، فهو ينفق على نفسه من راتبه العسكري وما يحصل له من نصيبه في الضرائـب .

وأول القواد الذين شرعوا هذه الخطة في بني ادرار السيد البكاي بن أمـبـارك .

وبذلك فان هذين القائدين السيدين : البكاي ، ومحمد التميمي سيحتفظ لهما التاريخ بامجد خلة في المغرب الشرقي على العموم ، وبني يزناسن على الخصوص ، تلك الخلة : هي التنزه والتعفف عما في ايدي الناس .

فهما أول من باشرا مهمتهما في هذه القيادة ، ولم تثبت عليهما رشوة، ولا استغلال نـفـوذ .

وبهذه المناسبة ، اسجل لهما هنا تهانئي الصادقة ، وتهانيء التاريخ الخالدة ، وتهاني الاسلام والعروبة على هذه المأثرة التي شرفا بها حينا في هذه الدار ، ونرجو أن يشرفا بها في تلك الدار الاخرى ان شاء الله .

تكوين فرع حزب الاستقلال ببني ادرار

أما وقد جلت باختصار نفسية وعقلية القائد التميمي ، فلم يبق الا أن أتحدث عن تكوين فرع الحزب بهذه القيادة .

ان بني ادرار اقرب بني يزناسن الى وجدة ، وبطبيعة هذا القرب ، وبطبيعة اتصالهم بوجدة لقضاء حاجياتهم ، وبطبيعة وجود اخوان لهم قد استوطنوا وجدة ، وآخرين كانوا طلبة بمعهدها التقليدي ، والذين بقى منهم البعض في وجدة يمتهن الحرف ، ورجع البعض الآخر الى القبيلة لامتهان التجارة وهي نسبة قليلة ، وامتهان الفلاحة وهي أخرى نسبية .

قلت ، بطبيعة ذلك ، كان عدد مهم منهم قد انخرط في حزب الاستقلال علي يد فرع وجدة ، وكان من انخرط منهم تحت تسيير « لجنة شؤون الـبـادية» بوجدة .

غير انه ـ نظرا للخلافات المستعصية الحل ـ التي اجتاحت « قادة وجدة » ضعف الاتصال بما كان يسمى « بلجنة شؤون البادية » .

وحالما شعر اخواننا في بني ادرار بما كان يجتاح قادة وجدة من خلافات لم تجد فيها تدخلات المركز المتوالية .

وحالما شعروا بان انحلال الحالة بوجدة ، سرى ايضا اليهم في بني أدرار .

وحالما شعروا بان فرع ابركان اصبح مضرب المثل في التآخي والتصافي بفضل تبصر اعضائه ونشاطهم المتواصل .

حالما شعروا بذلك ، ولوا وجوههم شطر فرع ابركان ولاسيما وقـــــد كان انضمامهم تحت لواء قيادة ابركان شيئا طبيعيا تدعو اليه ضرورة رئاسة الادارة المشتركة .

رحب بهم مكتب الفرع وعقد اعضاء المكتب معهم أول اجتماع بمنزل المرحوم الاخ السيد عبد القادر الوجدي عضو المكتب .

فمدينة ابركان هي محل رئاسة بني يزناسن ، وليس بنو ادرار الا قسما من بني يزناسن ، ومهما يكن من امر ، فان انضمامهم الى فرع ابركان كانت تدعو اليه عوامل مختلفة أساسية ، وحينما عزموا على ذلك ، قرروا ارسال وفد منهم الى فرع ابركان لتمهيد الطريق الى تلك الغاية ، وفعلا

وبعد عقد سلسلة من الاجتماعات معهم تكون — باقتراح من مكـتب الفرع بابركان — مكتب موقت وكان اعضاؤه كما يلي :

السيد محمد بنعيسى : كاتب الفرع

السيد لخضر الميموني : خليفته .

السيد عمرو : أمين

السيد علي : خليفته

محمد بنعيسى ، عبد القادر بن عربية مستشاران .

ومنذ تكوين هذا المكتب اخذ فرع ابركان يتصل به اتصاله ببقية الفروع ببني يزناسن ويكون شعبا هناك طبق النظام الداخلي للحزب .

كما اشترط عليهم مكتب فرع ابركان عقد اجتماع شهري في ابركان بحضور كاتب الفرع وبعض اعضاء المكتب .

وكل تلك الاجتماعات كانت بمنزل المرحوم الاخ عبد القادر بن الحاج محمد بن البشير المنقوشي العبدلاوي المعروف بالوجدي .

موقـف القائد من الحركة هنا

لا زال القاريء يذكر ان القائد ببني ادرار الآن : هو السيد محمد التميمي الذي ترجمت له في الفصل السابق لهذا الفصل .

لقد اطلع القائد على انه يوجد نشاط وطني في قيادته ، وتعرف بوسائله الخاصة على ان من قادة هذه الحركة بعض اعضاء المكتب المشار اليه .

وكان من عادته انه في كل مساء يوم الخميس يستدعي طائفة من حفظة كتاب الله لاكرامهم ، ومن هؤلاء الطلبة الاخوان اعضاء المكتب ، لانهم كلهم الا المستشارين — فيما اذكر — كانوا يحفظون كتاب الله .

وعندما اكتشف القائد بعض المسيرين من تلك « الطائفة من الطلبة » صارحهم بما في علمه من نشاطهم الوطني ، وقال لهم : اني كنت استقلاليا

وانخرطت على يد السيد بناصر بن الحاج العربي ولكن وضعيتي كقائد تمنعني من القيام باي نشاط ، كما تفرض علي معاقبة كل من اخل بالامن العام في القيادة ، ولذلك ــ يقول القائد ــ في امكانكم أن تنشطوا سريا ، ولا تقوموا بشيء يخل بالامن العام حتى لا تورطوني .

وعندما اخبرنا اعضاء هذا المكتب بموقف القائد المذكور ، قلنا لهم: عليكم ان تلاطفوه كما يلاطفكم وتخفوا عنه كل نشاط ، ولا تخبروه حتى بنشاط غيركم من الفروع لانه مضطر ان يدرج ما تخبـروه به في تقاريره الاسبوعية السياسية المرفوعة الى السلطة الفرنسية طبقا للمسطرة الادارية.

ثم لكم ان تلبوا دعوته الاسبوعية الى منزله في جملة الطلبة ، ولا تتخذوا اي موقف مخالف لهذه التعاليم حتى ندرس معكم مواقف أخرى التي توحي بها ظروف مغايرة .

ولكن نشاط المكتب قد وصل الى السلطة الفرنسية ، وهذه اخـذت تضغط على القائد لاتخاذ المواقف الملائمة ، والقائد قد تحرج موقفه ، الرجل العسكري لا يعرف ــ كما قلت سابقا ــ أن يؤول أو يتصرف فاخذت الحالة تتأزم وخصوصا والازمة المغربية تتأزم يومـا عن يوم ، ومع ذلك ، وجهنـا أعضاء المكتب توجيها خفف من حرج الموقفين موقفهم ، وموقف القائد .

ومن جملة تلك التوجيهات : ان يوقفوا اجتماع الشعب من حين لآخر، ويكتفوا بالاتصال الفردي المباشر . كما اننا زودناهم بتلك الوسيلة التي كنا نستعملها في ابركان .

فلقد كنا حينما يتحرج عقد اجتماعات الشعب الاسبوعيـة ، نعقد اجتماعات مصغرة في المقاهي ، وكيفية ذلك ان يتوجه عدة اعضاء الى المقهى ويتظاهرون بشرب الشاي ولعب الورق ، و ما يشاكله من الالعاب ، ويكون من بينهم العضو المكلف بدراسة النشرة .

وحينما ياخذون في لعب الورق ، ويشعرون بان الاعين لا تراقبهم سياسيا ، وانه تسرب الاعتقاد الى الاذهان « الرقباء » بان هذه الجاماعة انما هي جماعة تتسلى بلعب الورق مثلا ، يأخذ صاحـب الـنـشرة في امـلاء خلاصتها عليهم ويزودهم بكل التعاليم والتوجيهات الضرورية .

وهناك ايضا وسيلة اخرى ثانية ، وهي تتلخص في استغلال حفلات الولائم وذلك بافراغ بيت في المنزل للاخوان المدعوين لتناول الطعام وحدهم، واثناء ذلك تدرس معهم النشرة عن طريق الاملاء .

ذيـــول عـيـد الـعـرش

على الرغم من انواع الضغط التي جربتها المراقبة الفرنسية بابركان طوال هذه السنة 1949 ، فانها لم تستطع أن تنال من معنوية فرع الحـزب .

بل انها قوت من عزائمه فكون المجالس الجهوية التي انتشرت في كل قرية وفي كل مدشر ، ولم يمر عليها أمد طويل حتى اصبح كل مجلس يدير شؤونه الداخلية ادارة محكمة .

وأصبحت تلك المجالس بالنسبة لمكتب الفرع ، عبارة عن حكومات فيديرالية .

وبهذا الجهاز القوي كان الفرع يبذل كل جهده ليظهر في حفظلات عيد العرش بقوة اكثر من قوة سنة 1947 و 1948 حتى يتيقن « رئيس اقليم وجدة برونيل » ومقيمه الجديد الجنرال جوان . حتى يتيقن هذان الطاغيان بان ليس لضغطهما من نتيجة الا تقوية معنوية الشعب المغربي ودفعه الى الامام لحظة فلحظة .

لان حفلات عيد العرش كانت اعظم مظهر تتجلى فيه قوى حزب الاستقلال

وكالعادة ، فقد ابتدأت الحفلات من 16 نفانبر ، غير ان يوم 18 هو اليوم الاكبر الذي تعج فيه المدينة بالامواج البشرية المتلاطمة .

فقد كان الزوار في هذا اليوم يفدون علينا من معظم مدن المغرب الشرقي وقراه ، وذلك ليشاهدوا روائع الحفلات التى يقيمها فرع ابركان .

اذ لم تكن هناك قرية أو مدينة تحاول أن تقلد ابركان فضلا عن أن تقوم بمثل عملها في حفلات عيد العرش .

فحفلات ايام العرش في ابركان قد ضربت أعلى رقم قياسي في الروعة والزينة ودقة التنظيم واطعام الطعام ، فانك لن تستطيع ان تجد شخصا واحدا يجول في الازقة بعد الثانية عشرة بقليل ، عدا اولئك المكلفين بحراسة الحفلات. لان جميع الشعب في المدينة تكون قد هيأت أنواع الطعام لذلك اليوم. فبمجرد ما تقترب الساعة الثانية عشرة يكون غداء كل واحد مضمونا ومنظما . ومثل ذلك في طعام العشاء .

حوادث غير منتظرة

وفي صباح هذا اليوم 18 وعلى الساعة العاشرة بالضبط خرج تلاميذ المدرسة الحرة من مدرستهم قاصدين حفلة المدرسة التي كانت على مقربة من ملك اليهودي بوستة قرب السوق ، وكان على رأسهم شقيقي الاستاذ السيد الحسين ، وحينما وصلوا الى الشارع الرئيسي اعترضتهم قوة رجال المخزن والشرطة ومنعتهم من مواصلة السير الى حفلتهم في نظام ونشيد وطني طبعا ، وطلب رئيس الشرطة من شقيقي المذكور ان يصرف التلاميذ ، فامتنع وبعدئذ القي القبض على شقيقي المذكور ، وشاب صغير هو الحسين بن الحاج مولاي محمد بن بنسعيد الورطاسي .

أما التلاميذ فقد تابعوا سيرهم في نظام الى النهاية .

واثناء هذا ايضا حضر رئيس المراقبة بنفسه ليصرفهم ، وهنا قامت قيامة الناس فاختلط الحابل بالنابل ، ولما صار رئيس المراقبة يسب الناس تسارع اليه اشخاص ليقتلوه ، ولكن مدير المدرسة الحرة السيد عمرو بن الحسين حال دون ذلك فانقذ رئيس المراقبة من موت محقق .

وروى لي السيد عمرو المذكور ان الشخص الذي كان حاول ذبح رئيس المراقبة في ذلك اليوم هو : الفقيه السيد احمد بن المصطفى العتيقي الميموني، فلقد أخرج مدية كبيرة واستعد للانقضاض على رئيس المراقبة ولكن السيد عمرو رآه فحال دون تنفيذ عزمه .

واثناء هذه الحوادث حضر القائد المنصوري الذي اخذ المراقب واعوانه في سيارته فارجعهم الى مكاتبهم ثم رجع الى محل الحوادث وطلب من الناس ملازمة الهدوء .

ولكن لم تمض غير بضع دقائق حتى كانت المراقبة محاطة بآلاف الناس يهتفون ويطالبون باطلاق سراح شقيقي الحسين ، والشاب الحسين المذكور.

ولكن المراقبة عاندت في اطلاق سراحهما ، ومضت الواحدة بعد الزوال وهما لا يزالان موقوفين بالمراقبة ، وفي الوقت نفسه كانت المراقبة استدعت فرقة من الجيش بالدبابات والرشاشات ، وآلات الوقاية متاهبة برحاب المراقبة استعدادا للتدخل اذ اما تطورت الاحداث .

وفي الثالثة بعد الزوال نظمت مظاهرة أكثر من المظاهرة المنظمة في الصباح احتجاجا على اعتقال الشقيق الحسين ورفيقه .

ولم ينفع اي تهديد في تشتيت المظاهرة ، ولذلك طلب القبطان الاعور بيير ان يتذاكر مع اشخاص ينتدبهم المتظاهرون ، فكنت على رأس المنتدبين ولم نصل الى النتيجة حتى ما بعد العشائين حيث أطلق سراح الشقيق ورفيقه واستؤنفت الافراح حتى الساعة المتأخرة من الليل .

المحاكمة

وبعد مرور بضعة أسابيع على حفلات عيد العرش لهذه السنة 1949 استدعت المحكمة الفرنسية بوجدة : الاخوان الحسين بن علي بن البشير الورطاسي ، الحسين بن الحاج مولاي محمد بن بنسعيد الورطاسي ، عبد القادر بن عمرو الوكوتي المعروف بالشراك ، مالك الهواري ، عمرو بن الحسين الوكوتي ، قدور الورطاسي ، البلقاسمي العتيقي التقربصتي .

وبطبيعة الحال فقد دعينا أول مرة الى قاضي التحقيق الفرنسي .

وعندما مثلت أمامه للمرة الاولى ، قابلني بجفاء لم يقابل به اي أحد من أصدقائي .

فلقد دام البحث اربع ساعات وقوفا ، وكان اليوم يوم رمضان ، وفي حرارة قاسية .

ولم يترك اي نوع من انواع التهديدات الا واستعمله ، وذلك بعدما أعيته الحيلة لحملي على الاعتزاف بانني الذي اوعزت بالمظاهرة الاولى والثانية .

وعندما حار في الوسيلة التي تحملني على الاعتراف ، هددني بالاحالة علي الشرطة ، ثم الحكم علي بسنتين سجنا ، وكان ينطق بهذا التهديد وهو يتصفح قسمات وجهي فلم يظهر له مني اي تاثر من تهديداته ، ولم يلبث ان قا للي : يظهر انك متمرن على الاستنطاق والسجون .

فاجبته وانا ابتسم ـ هو ذاك ، ولكن هناك شيئا ربما يخفى عليك ، فقال : وما هو هذا الشيء ؟ فقلت : لعلك لا تعلم انني مارست خطة العدالة» وان أساليب البحث والاستنطاق العربية أحكم من أساليبكم معشر قضاة التحقيق الفرنسي ، فعليك أن تستحضر اثناء استنطاقي انــي : كــذلــك في مستوى قاضي التحقيق : فلا تطمع في أن تحملني على الاعتراف بطريق اللف والدوران ، فانا اذكر كل عناصر الحادثة واذكر اسئلتك بكل ضبط ، واذكر أجوبتي بكل تدقيق فاذا ما كانت نيتك متجهة الى أخذ الاعتراف فاسهــل طريق لذلك أن تحيلني عل ىالشرطة لعلها تحصل مني على اعتراف حينما أكون مغميا علي ، ثم انك تجهل انني عزمت عزما صارما على مواصلة الكفاح من أجل تحرير بلادي ، ولا أبالي أن يكون هذا اليوم ، هو آخر يوم من حياتي ، فورائي عشرة ملايين على رأسهم جلالة الملك محمد الخامس الــذي أحاكم اليوم من اجل الاحتفال بيوم جلوسه على عرش اسلافه الكرام .

وختمت تصريحي هذا بقولي : خير لك أن تستفسرني كما استفسرت اصدقائي باسلوب خال من كل سخرية وتهديد الامر الذي من شانه أن يحفظ لك كرامة القضاء ، اذا ما كنت حريصا على حفظ كرامتك .

لقد كان هذا القاضي يعرف العربية ، وفهم ك لما قلت ، ولكن اعصابه كانت في غليان . ما عليه من مزيد وحينما سمع مني ذلك التصريح اخــذ يعتقد انه ليس أمام مجرد متهم ، ولكنه أمام رجل مستميت في عقيدته لذلك أذن للمترجم ان يترجم تصريحي ليتمكن من ضبط اعصابه ، ثم يعلق علــى تصريحي ، واثناء عملية الترجمة كان واقفا يعبث بساعة جيب تارة ، وبقلم أظافره تارة اخرى .

وحينما سمع ترجمة تصريحي ، ابتسم ابتسام سخرية وقال لي :

« يظهر من « سيادتك » انك تامل أن تصبح قاضي تحقيق بعد ان يحصل المغرب على الاستقلال ؟ فقلت : ليس ذلك اليوم ببعيد ، سواء كنت أنا هو قاضي التحقيق أو كان غيري من المغاربة ، فالامر عندي سواء ، فان الذي يهمني ان تتحرر بلادي من هذا الوضع الذي يحاكمنا من أجل الاحتفال بيوم مليكنا المعظم .

واردت أن أرد على سخريته ايضا ، فقلت : بالامس كانت فرنسا محتلة ، وبما ان احتلال الشعوب ليس بطبيعي فقد تحررت فرنسا اليوم ، ولم لا نتحرر غدا ؟

وهنا بدا عليه آثار الغضب ، ولكنه كتمه ليقول : هل تعيرنا باحتلال المانيا ؟ فاجبت : ولكنني اضرب لك الامثال حتى تعلم انني لست مطلق متهم امامك .

فابتسم ابتسام الغاضب وقال في سخرية : يبدو لي انك سياسي محنك مطلع ؟ فاجبت : ولكنني وطني مغربي صادق العقيدة .

وهنـ اسالني اي شيء بينك وبين رئيس الناحية « برونيل » ثـ فاجبت: بيني وبينه الشيء الذي بيني وبينك ، فقال : أنا ليس بيني وبينك شيء : ولكن رئيس الناحية أمرني بأن اشدد البحث عنك ، فقلت : واين استقلال القضاء الذي تزعمونه هنا ؟

وهنا قال لي : حسبك.... وسادعوك مرة اخرى فخرجت بعد ان وقعت على ما قلت ورقة ورقة . وكان الملف ضخما .

وحينما خرجت توجهت الى المحامي « مارسي نارو » فطلب مني عشرة آلاف فرنك وقدمت له نصفها وفي المقابلة الثانية مع قاضي التحقيق لم يكن القاضي هذا جافا كما كان من قبل ، ولم يطل امد الاستفسار .

وفي ليلة يوم انعقاد المحكمة للمحاكمة توجهت الى المحامي المذكور الذي خرج الى وقال اذهب عني فانا لا أدافع عن اعداء فرنسا ، فطالبته بارجاع الخمسة آلاف فرنك فامتنع .

وعندئذ توجهت الى محامي الاخوان وهو المحامي اليهودي « ليفي » فقصصت عليه القصة وتعجب من هذه المعاملة وقال انني مستعد للدفاع عنك بخمسة آلاف فرنك فقط ، ولولا ضيق الوقت لتدخلت لدى العميد ليجبر محاميك على الدفاع عنك أو ارجاعه اليك الخمسة آلاف فرنك .

فقلت : لا علينا هذا هو شأنهم ، انهم لا يحترمون أنفسهم .

وكان المحامي هذا « ليفي » من أمهر المحامين ، ومن الذين لا يعبئون برئيس الناحية « برونيل » وقد دافع عن الجميع دفاعا طيبا .

وبعد ثمانية أيام أصدرت المحكمة حكمها كما يلي :

قدور الورطاسي ، عمرو بن الحسين ، عبد القادر الشراك ، ثلاثة أشهر سجنا مؤخرة التنفيذ وعشرة آلاف فرنك غرامة .

الاخ مالك ، البراءة . اما الباقون بشهرين مؤخرة التنفيذ ، وخمسة آلاف غرامة . واستأنفنا الحكم الى الرباط . وعندما مثلنا أمام محكمة الاستيناف سألني رئيس المحكمة ، هل سبق لك ان سجنت سياسيا ؟ قلت نعم ، عامين ، ومنذ حوادث اليهود وأنا تحت الاقامة الاجبارية لا أفارق مدينة ابركان الا برخصة وحتى مثولي أمامكم كان برخصة !

وسأل الاخ عمرو بن الحسين وأنت ؟ فأجاب عامين نفيا الى الصحراء ، وستة أشهر سجنا شهران منها في كلميمة واربعة أشهر في سجن أغبيلـــة بالدار البيضاء .

ولما أتم اسئلته على باقي الاخوان : انحنى على الترجمان السيد رحال وقال له : هدان السيد قدور الورطاسي ، والسي عمرو بن الحسين يريـــد رئيس المراقبة ان يصطادهما فقط .

وقد دافعت عنا محامية فرنسية شيوعية اقامها حزب الاستقلال علـــى حسابه فاسمعت المحكمة من لاذع دفاعها ما أوقفها به الرئيس مرارا .

وبعد ثمانية أيام أبرأت المحكمة ساحتي وساحة الاخ عمرو بن الحسين وأقرت باقي الاحكام .

وأثناء مقامنا بالرباط احتفل بنا فرع الحزب احتفالا رائعا ، وقد زارنـــا في منزل المجاهد الكبير الفقيه السي محمد غازي ، أمين الحزب العام الاستاذ المجاهد الكبير السيد ج أحمد بلافريج،وهنأنا بما نلاقي من مضايقات وما نقوم به من نشاط وطني منقطع النظير .

عضويتي في اللجنـــة العليـــا

لشـــؤون البـــاديـــة

وفي سنة 1948 ، شكل حزب الاستقلال لجانا عليا في مختلف الميادين وقد وقع الاختيار على عضوا في اللجنة العليا لشؤون البادية ، وأرســـل الى المركز رسالة تعيين بذلك .

وفي أول اجتماع عقدته اللجنة بمنزل المجاهد الكبير والامين العـــام بالنيابة الاستاذ السيد محمد اليزيدي ، قيل لي : ان اختيارنا وقع عليك نظرا لكفاءتك التي أظهرتها في تسيير شؤون الحزب في تلك الناحية التي هـــي أصعب النواحي لا من حيث النفسية اليزناسية الصعبة المراس ، ولا مـــن حيث الضغط القاسي الذي تعانيه من السلطة الفرنسية هناك .

وقبل انعقاد هذا الاجتماع كان المركز طلب مني ان أقدم له اقتراحـــات حول ما أراه صالحا من الوسائل لنشر الفكرة الاستقلالية في البادية .

غير انني اكتفيت في اقتراحاتي بما حصلت عليه من تجارب ناجحة ، وقلت في تقريري : ان بادية بني يزناسن هي غيرها في الجهات الاخرى ، وبينت ذلك بالحجج القاطعة .

وقلت في الاخير ان وسائلنا هنا في بني يزناسن لا يمكن تطبيقهـــا في غير بني يزناسن ، حيث البيئة غير البيئة . فبنو يزناسن متدينون جدا ، وخصوصا انهم مخافظون اكثر من اللازم وان بني يزناسن ليس فيهم « لا شيوخ ولا شيخات » ولا يستطيع احد ان يجهر بشرب الخمر ولا أن يجهـــر بالسفـــاح .

وختمت تقريري بان نشاطنا في البادية أيسر واسهل من نشاطنـــا في المدن على عكس ما يلاحظ في غير بني يزناسن .

والى جانب هذا ، اضفت بعض الاقتراحات التي ظننت انها قد تكون نافعة اذا ما استطاع المسيرون في البادية ان يحافظوا على مستوى الخلـق الاسلامي ، أو على مظاهره بصفة خاصة .

الاضـــراب عـن المسجـد الاعظـم

في هذه السنة 1948 وقع اضراب عام عن الصلاة في المسجد الأعظم ، ذلك ان شكوكا حامت حول الامام اذ ذاك ، ودام هذا الاضراب أربع سنوات .

كما وقع الاضراب عن المقاهي الاوروبية وعن كل حفلات السلطة الى ان استقلت البلاد .

وفي هذه السنة بدأت انظار قادة الحزب تتجه الى تحويل قيادتـــــه بالمغرب الشرقي من وجدة الى ابركان .

فلقد عقد الحزب بالرباط اجتماعات مع الاخوان الوجديين لتصفية الجو فيما بينهم ، ولكن لم تسفر تلك الاجتماعات عن حلول مرضية ، وأخـــذت الاحوال في وجدة تتفاحش في الفوضى والاضطراب، وعلى عكس الامر، فيابركان، فقد كان النشاط يتضاعف والتجانس بين المسيرين يتقوى يوما عن يوم .
كان النشاط يتضاعف والتجانس بين المسيرين يتقوى يوما عن يوم .

وأسجل بمداد الفخر انه لم ترفع الا قضية واحدة من أبركان الى المركز أحال دراستها على مكتب الفرع ، وقبل أن الخصها هنا ، الخص الجو الذي كان سيئا بالنسبة لقيادة وجدة .

تـاريـخ قيـــادة الحـــزب بـوجـــدة

لقد سبق لي ان قلت في فصل سابق : ان الاستاذ المجاهد الكبير المؤرخ الشهير سيدي ابراهيم الكتاني ، كان أول من تزعم انشاء مدرسة قرآنيـــة حرة بـوجـــدة .

وان قيادة الحزب في فاس اذ ذاك ، أرسلت العلامة الكبير السيد عبد السلام الوزاني مديرا لهذه المدرسة ومسؤولا في نفس الوقت عن شـــؤون الحزب ، هذا ما رواه لي الاستاذ السيد ابراهيم الكتاني في شهر سبتانبر 1964 .

نعم : لقد استطاع السيد عبد السلام الوزاني ان يقوم بالمدرسة خير قيام فكون تلاميذ وشبابا أصبحوا قادة للحركة بعد ذلك ، وذلك بما وهبــه الله من قوى وصلاح وصبر على بأساء الحياة وضرائها ، ومجالدة آلام الدهر ونكباته ، فقد كان أطال الله حياته مثالا للمسلم المومن الصادق ، للعمــل

المتواصل في سبيل الله والوطن .

ولكن كان يظهر في تلك الظروف أن بعض العناصر الوجدية لم تكن راضية كل الرضى عن كل أساليبه فتطرفه البالغ النهاية كان يوحي ــ بكل أسف ــ بشيء « من الاعتزاز بالنفس » .

واعتزاز الانسان بنفسه بصورة من الصور اكبر عائق له عن تسيير مواطني المغرب الشرقي ، فهم يأنفون من كل نوع من أنواع محاولة اظهار التفوق والمقدرة والكفاءة . هذا ما روى لي ليس الا ..

ومع ذلك ، فقد شاء الله ان ينفجر الجو في ذلك الوقت .

وفي حوادث سنة 1937 ، كان مجموع المعتقلين من وجدة واحدا وسبعين وطنيا، ومن بينهم السيد عبد السلام الوزاني والسيد بناصر بن الحاج العربي.

واثناء مقام الجميع بسجن اغبيلة بالبيضاء واتصالهم بمختلف قادة الحزب هناك ، ومن جملتهم الشهيد السيد عبد العزيز بن ادريس رحمه الله ، درست قضية مندوب الحزب بوجدة ، فوقع الاتفاق سريا هناك على تعيين السيد بناصر .

وحينما أفرج عن الجميع تعين السيد بناصر مندوبا للحزب بوجدة .

وفي سنة 1944 ، وداخل سجن عين مومن اخذ بعض الاستقلاليين يتدارسون فيما بينهم سريا قضية نزع السيد بناصر من مندوبية الحزب .

واتخذوا قرارا داخل السجن بذلك ، ولكن قبل مطالبة المركز بعزل السيد بناصر، اتفقوا على تكوين مكتب الفرع ولا يخبر به السيد بناصر حتى يعقد أول جلسة له ، بحيث يجعلونه أمام الامر الواقع . وحينما يشرع المكتب في مباشرة نشاطه ، تكون المطالبة بعزل السيد بناصر من جملة هذا النشاط

وبعد ان وقع الافراج عن معتقلي وجدة وكنت أنا من بينهم ، ولم أحضر ما كان يدور في السجن حول هذه القضية ، ولكنني كنت على علم منها عن طريق الكواليس .

بعد ذلك تأسس مكتب طبق اتفاقية السجن ، وكان الاستاذ محمد فتحا الجندي هو المكلف بكتابة الفرع .

ولم تمر عدة اسابيع حتى اخذ هذا المكتب يستقل باعماله دون مشاورة المندوب ، وفي الوقت نفسه أخذ يقدم التقارير للمركز تلو التقارير لاقصاء المندوب السيد بناصر ، كما كان يحارب السيد بناصر داخليا لعزله عن شعب الحزب .

ولقد تفاحش الخلاف بين المكتب بوجدة والمندوب ايما تفاحش ، ولم يقتصر المكتب على عزل الشعب عن المندوب بل تجاوزت محاربته له الى عزل كتاب فروع الناحية عنه ، ما عدا كاتب فرع ابركان : قدور الورطاسي، فقد احتفظت باتصالي الرسمي بالمندوب كالعادة مع اتصالات ثانوية بالمكتب

وعندما تفاحش أمر الخلاف انتدب الحزب الشهيد سيدي عبد العزيز بن ادريس لدرس القضية في عين المكان .

وقد عقد اجتماعا مع كتاب فروع الناحية ، وسألنا عن رأينا في المندوب السيد بناصر فأجبت أنا بان فرع ابركان لا تهمه شخصية المندوب ، فهو يعتبر المندوب واسطة بينه وبين الحزب ، ويقوم باعماله طبق بيئته ويرسل التقارير الى المندوب بقصد الاطلاع فقط ، وللمندوب ان يرسل ذلك الى الحزب ان شاء أولا يرسله ، مع ان المندوب يعتني بشؤون ابركان كل الاعتناء .

وفيما يخص المراسلات فنحن نراسل « العلم » مباشرة .

واذا ما تأخرت النشرة لدى المندوب أو لدى المركز فنحن مستعدون لتشغيل شعبنا بانفسنا مستوحين وسائل تنمية الوعي الوطني من روح تعاليم الحزب ومبادئه وأهدافه ، اما مواقفنا ازاء الاحداث فاننا نستمدها من قوتنا ومن بيئتنا ، فلنا الرجال ، ولنا المال .

ولما رجع الشهيد السيد عبد العزيز الى المركز واعطى بيانه عن الحالة تقرر تعيين السيد بناصر على مندوبية النواحي وتعيين الاستاذ السيد عبد القادر الازرق مندوبا على وجدة فقط .

ولكن ما كادت تمضي ستة أشهر على ذلك حتى عادت الفوضى ، وعاد الشقاق ما بين المكتب والمندوب القائم ، الامر الذي استوجب من المركز ارسال السيد عبد العزيز بن ادريس مرة ثانية لدراسة الحالة في عين المكان ، وللقيام مدة من الزمان بمهمة المندوب .

وأثناء مقامه بوجدة قام بحملات قاسية ضد السيد بناصر .

ولقد حضرت ليلة في محاضرة القاها في شعبة ، حمل فيها على السيد بناصر حملة شعواء .

ولما خرجنا من المنزل الذي قام فيه بتلك الحملة ، سألني الاخ الجندي رأيي في تلك الحملة فأجبت بانها في غير محلها ، وانها ستأتي بالنتيجة المعكوسة ، ونصحت الاخ الجندي ان يجنب السيد عبد العزيز بن ادريس تورطه في هذا الجو حتى لا يصبح جزءا في الخلاف الناشب بين اعضاء المكتب والاخ السيد بناصر .

ولكن الاخ الجندي ـ عوض أن يسر بذلك الى السيد عبد العزيز بن ادريس ـ أخبره ـ بحضوري ـ بما رأيته في عمليته .

فسألني السيد عبد العزيز عما حملني على هذا الرأي .

فقلت له : ان الجماعة التي حاضرتها الليلة ، كان اعضاؤها اما من أقارب السيد بناصر ، واما من اصهاره ، كما انهم كانوا من ذوي السن المتقدمة ولو كانوا شبابا لهان الامر .

وأقاربه وأصهاره يعرفون مكانة السيد بناصر ومكانة عائلته في العلم والقضاء والشهرة الواسعة ، ومن جهة اخرى فان السيد بناصر قد باع كل ما يملك في سبيل القضية المغربية ، كما صودرت بعض أمواله من السلطة ، ومن الذين أسسوا الحركة الوطنية ، فكيف يمكن تحطيمه خصوصا أمام

هـــؤلاء .

ان السيد بناصر الان ، يعاني من بؤس الدهر ما لا يحتمله العقـــل ، والى ذلك فقد افتقد صحته والكل في سبيل القضية الوطنية .

ومع هذا البؤس والمرض يبذل فوق طاقته للاتصال بالشعب وكتـاب الفروع ، عدا مكتب فرع وجدة وبناء على هذا التحليل فاني أصارحك بـــان نجاحك في تحطيمه الان غير مضمون ، بل اني أنصحك بالاستعداد لتحمـــل قالة الناس فيك من الآن ، فعليك ان لا تنسى انه أصبح الناس يلوكـــون وجودك هنا باسلوب لا يرضيك ، وان قلم المخابرات برئاسة الناحية يغذي هذه الاشاعات بواسطة اذنابه .

ولكن السيد عبد العزيز كان عصبيا فرماني بعدم النضوج والتبصر .

غير انه لم تمر بضعة أيام حتى وصلته الاشاعات المختلفة ، فلقــد تناولت الاشاعات ذات نفسه بأسلوب قاس ، الامر الذي حمله على مغـــادرة وجـــدة فجـــأة .

وعقب ذهابه استؤنفت الحرب على أشدها بين أعضاء المكتب للسيد بناصر ، ثم قرر مركز الحزب استدعاء الجميع الى فاس بمنزل السيد أحمد مكوار وكان مترئسا الجلسة أمين الحزب العام الاستاذ الحاج أحمد بلافريج يساعده الاستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل وأعضاء آخرون من اللجنـــــة التنفيذية والمجلس الاعلى .. ومع ذلك فقد بقي المشكل هو .. هو .

وهنا يجب ان اذكر بعض أعضاء المكتب الذين كانوا في خلاف مع السيد بناصر وهم الاخوان : محمد الجندي ، محمد بن رياح ، محمد بن عبد القادر بن تاهلة ، مولاي التهامي لوديي ، محمد اليزناسني د محمد بنمنصور ، احمد بندالي ء اما السيد بناصر فقد كان يعاضده الاخوان : أخوه الطيب ، الصافي، وكان لهما نشاط واضح متواصل ، اما الاخ الدرفوفي رحمه الله فكان غيـــر متحيز لاحدى الجهتين ، بل انه كان يسالم الجميع .

وما بين سنتي 1948 و 1949 انتقل من وجدة الى فاس والدار البيضاء الاخوان : محمد الجندي ، ومحمد بنمنصور وكان هذان الاخوان أشد علـى السيد بناصر بالاضافة الى شدة الاخ المرحوم بندالي .

وبكيفية تلقائية وجد الاخ الدرفوفي كاتب الفرع ويقوم بتسيير الشؤون في وجدة ولم يقم الاخ بناصر بمعارضته بل ساعده على ذلك .

كما ان الاخ بناصر اعتزل الميدان بعض الشيء ، وقطع اتصالاته بمركز الحـــزب .

وفي هذه الفترة قام الاستاذ السيد محمد غازي بزيارة الى وجـــــدة واستدعاني من أبركان ، وبعد اجتماعه بمختلف العناصـــر طلـــب من الاخ الدرفوفي ان يستدعي له الاخ بناصر الى منزله ، وكنت أنا حاضرا بمنزل الاخ الدرفوفي ، ولكن الاخ بناصر امتنع من تلبية الدعوة فلم يجتمع بالاستاذ

محمد غازي .

وعقب رجوع الاستاذ محمد غازي الى الرباط شاعت اشاعة مفادهـا ان المجلس الوطني الاعلى قد قرر تعييني كاتبا عاما باقليم وجدة .

وفي احدى زياراتي للاخ المرحوم بندالي أكد لي هذه الاشاعة وقال لي ، ولكني عارضت في ذلك ، لانك ممنوع من زيارة وجدة فضلا عن اتخاذها سكنا. وان برونيل لا يسمح لك بالزيارة الى وجدة فكيف يسمح لك بالاقامة فيها ؟

وهكذا وقف المشروع الى ان يأتي الحديث عنه فيما بعد .

أسبـاب الخـلاف

وهنا يتساءل القاريء عن أسباب الخلاف بين مكتب فرع وجدة وبين المندوب السيد بناصر ، فأجيبه بما رويته عن الاخ محمد الجندي حينما زارني بمكتبي بوزارة الشؤون الاسلامية مساء الجمعة تاريخ ثامن رجب الفرد الحرام عام 1383 ، موافق 13 نفامبر 1964 .

ومن غريب المصادفة انه حينما دخل علي في المكتب كنت انتهيت مـن تلخيص النزاع المذكور ولم يبق لي الا ان أعلق عليه !

وعلى الرغم من اطلاعي الشخصي فقد حبب الي ان أروي عناصر الخلاف من الاخ الجندي لانه كان على رأس ذلك الخلاف حيث كان كاتب الفرع .

قال الاخ الجندي : ان عناصر الخلاف تتلخص فيما يلي :

1) ان السيد بناصر لم يقم بواجبه في حوادث سنة 1944 ، حيث أمـر بالاستعداد وكتم عنا هذا الامر ، حتى ان وجدة لم تقف موقفا يلائم وطنيتها العميقة الصادقة .

2) انه كان على العموم يكتم تعاليم الحزب عنا ، بـل يكتـم حتـى نشـرة الحـزب .

3) انه كان « بارد الطبع » ووطنية الاقليم الشرقي لا تتلاءم مع هـذا الطبـع .

4) انه كان يتجنب الاتصال مع العناصر الحية من بني يزناسـن ، وفجيج ، والفاسيين خوفا على نفوذه .

5) انه كان يحارب المكتب بفصل الشعب عنه حتى يعطل نشاطه . هذا ما رواه لي الاخ الجندي .

أما نظري في ذلك فسأعطيه عندما تسمح لي الظروف بتأليف كتاب عـام يتناول النشاط الوطني باقليم وجدة كله ، لان هدفي الان هو تأليف كتاب عن نشاط بني يزناسن فقط . فالي اللقاء .

وفي ختام الفصل ، الخص للقاريء ما أشرت اليه سابقا من رفع قضية خلاف واحد من فرع أبركان الى المركز منذ سنة 1945 الى رجوع الاستقلال :

والقضيـــة كمـا يلـــي :

ان شرفاء وكوث أولاد سيدي الحاج لحسن ينقسمون الى قسميـــن ، قسم يسكن ازاء الضريح بمشيخة بني عبد الله بني منقوش قرب المحـــل المسمى بالمنزل .

وقسم يسكن بالمحل المسمى « افرى عدي » ويدعى بايحيبيون ، ومن القسم الاول الاخوان : عبد القادر بن عمرو الشراك ، والحاج « أحمد الشهير : باحمد عيشـــة .

ومن القسم الثاني الاخ عمرو بن الحسين .

وقد كانت طائفة من القسم الثاني قدمت طلبا الى الاوقاف بواسطـة قاضي المحكمة الشرعية لمعونة لاصلاح مسجد بقسمها ، وسمت هذا القسم بوكوت العليـــا .

ولما لبت الاوقاف طلبهم بمساعدة قدرها ثمانون الف فرنك بلغ الخبر الى القسم الاول من شرفاء وكوت فاغتاظ لامرين .

الاول : كون القسم الثاني اطلق على نفسه : وكوت العليا .

الثاني : ان مسجد الضريح هو احق بهذه الاعانة وأحق بان يطلق عليه وكوت العليـا .

ومن أجل ذلك توجهت طائفة من شرفاء الضريح وعلى رأسها الاخوان عبد القادر الشراك والحاج أحمد عيشة الى القاضي الشرعي وطالبت بايقاف تلك المعونة ، وقد قام نزاع طال أمده بين قسمي الشرفاء واستغلت السلطة الفرنسية هذا الخلاف ، وياما كان أبزده عى قلبها ، فابغض الناس اليهـــا شرفاء وكوت بقسميهم .

ويكفي ان يكون من بين هذين القسمين ، الاخ الحسن شاطر من القسم الاول ، والاخ عمرو بن الحسين من القسم الثاني .

ولما رأى الفرع ان الحالة لا تزداد الا خطورة تدخل حبيا في فض الخلاف بين الفرقتين فعمد أولا الى محاولة اقناع القسم الاول بانه لا حق له في ايقاف معونة طلبها القسم الثاني ، وان للقسم الثاني الحق في ان يطلق على نفسه أي وصف أراد ، وان المعونة وردت في اسم مسجده فلا موجب لعرقلتها وايقافها .

ولكن الشق الثاني عارض كل المعارضة الى حد العزم على اراقة الدماء في أن يستلم القسم الثاني تلك المعونة .

ولاسيما يقول القسم الاول ـ انه سجل دعوى بالمحكمة الشرعية على قسم ايحيبيون بدعوى ان الاراضي التي يسكنها كلها هي لقسمه وكـــوت الساكنين ازاء الضريح .

واخيرا طلب الفرع من الاخ عمرو بن الحسين المذكور ان يتنازل عـــن تسليم تلك الاعانة على شريطة ان ترجع الى اولاقاف ولا ينتفع بها احـــد حسبما اشترط شق الخلاف الثاني .

وبهذا الحل كان ختام الخلاف فيما يتعلق بالقضية المذكورة مع كامل الاسف .

لكن بعض شرفاء وكوت الضريح دفعهم هذا الانتصار غير الحق الى اثارة نزاع في الميدان الوطني فطالب باجراء انتخاب للمكتب ، وكان المكتب قرر ابقاء ما كان على ما كان هذه السنة نظرا للظروف القاسية التي لا تسمح بعقد مؤتمر محلي .

ومع ذلك ابى ذلك البعض الا اجراء انتخاب وكان على رأسه الاخوان عبد القادر الشراك واحمد عيشة .

وكان المقصود من اجراء هذا الانتخاب اسقاط عضوين من أعضاء المكتب وهما الاخوان عمرو بن الحسين لانه هو الذي طالب بتلك المعونة لمسجد فرقته، والحسن شاطر من قسم وكوت الضريح لانه جامل الاخ عمرو بن الحسين في قضية المعونة فلم يقف موقفا صارما .

غير أن المكتب لما أيقن بان المطالبة باجراء الانتخابات ليست ناشئة عن قصد سياسي ، ولكن كانت ناشئة عن قصد شخصي ، رفض طلب اجراء الانتخاب .

ومنذ قرار الرفض أخذ الاخوان عبد القادر الشراك وأحمد عيشة يوعزان الى بعض أفراد الشعب بالمطالبة باجراء الانتخاب والا انفصلوا عن شعبهم ، ولكن هذه المحاولة لم تؤثر على موقف المكتب ، بل ان المكتب اتخذ قرارا ضد السيد عبد القادر الشراك .

وملخص القرار ، امتناع كل عضو استقلالي من التحدث مع السيد عبد القادر الشراك فيما يتعلق بالشؤون السياسية ، وما عدا ذلك ، فلهم ان يخالطوه في أي شيء .

وقد وزعت نسخ من هذا القرار على جميع المجالس الجهوية ونفذتها مائة في المائة وكان السيد عبد القادر الشراك يقف مع اي عضو يتحدث معه ، وبمجرد ما يتطرق الى موضوع الخلاف ، او الى الميدان السياسي على العموم يودعه مخاطبه « بالفتح » ويقول له : ليس من حقي ان اتحدث معك في هذا النوع من الحديث .

وقد تألم السيد عبد القادر الشراك كل الالم من هذا القرار القاسي ، اذ وجد نفسه وحيدا في ابركان لا يشاركه اي أحد أحاديثه السياسية او الخلافية .

وأخيرا قدم الي شكوى من ذلك بصفتي كاتب الفرع ، وقال لي : ان غرضه وغرض رفاقه هو اقصاء الاخوين عمرو بن الحسين والحسن شاطر من عضوية المكتب ، لانهما غير صالحين في نظره ونظر رفاقه فأجبته بأن المكتب قرر عدم اجراء اي انتخاب في الظروف الحالية ، وحينما تتحسن الظروف هاتوا ما عندكم ، وسألني عن قرار المقاطعة فأجبته بأنه شيء اتخذه

الفرع ، ولا سبيل الى نقضه الا برجوعكم الى الجادة ، فالفرع لا يقبل من اي أحد استغلال الميدان الوطني لاغراض شخصية ، وقد تحققت لديه هذه الاغراض من طلبكم اعادة الانتخابات ، لذلك فلا مجال لاي انتخـــاب في الظروف الراهنة .

فطلب مني ان أعقد معه ومع بعض رفاقه اجتماعا للمفاهمة فأجبته بان اجتماعا مثل هذا يتوقف على قرار يتخذه المكتب ، فلا حق لي في الاجتماع معكم بدون ذلك القرار .

ولما وافق المكتب على عقد هذا الاجتماع الذي كان بمنزل السيد عبد القادر ابن الفقيه السيد الازعر البكاوي صهر السيد عبد القادر الشراك والذي كان أيضا من أنصاره اقنعتهم باحقية قرار المكتب فيما يتعلق بعدم اجـــراء الانتخاب ، وتوصلنا بعد ذلك الى رفع محضر الجلسة الى مركز الحزب ولما وصلت الى منزلي بعد انفضاض الاجتماع ، جاء الي الاخ عبد القادر الشراك وقال لي : انك ان رفعت محضر الجلسة الى المركز فانه سيؤيد موقفكم لان ماسجلته من اعترافات على السيـــدمحمد المرابط وهو من انصاره، خطير جدا .

فابتسمت وقلت : في امكاني ان لا أرفعه على شريطة ان تعودوا الى شعبكم ، فقال لا ، ولكنه سيتوجه الى المركز برفقة الاخ أحمد عيشة ليشرح الموقف شفاهيا للفقيه محمد غازي .

وكنه طلب مني ان أزوده بكتاب توصية لان الفقيه محمد غـــازي لا يعرفهما ! فكتبت اليه كتاب توصية وقلت له خذ معك محضر الجلسة فان لي كامل الثقة بكما ، فابتسم وقال : أجاد أنت في ان نأخذ معنا محضـــر الجلسة ؟ قلت : والله اني لجاد .. خذه .

فلما تناوله قال : انك رجل طيب تصلح لقيادتنا ، فأجبته : شكرا ، ولكن ليست طيبوبتي كما تقول هي التي حملتني على تسليمك محضـــر الجلسة ، ولكني موقن بانكما وطنيان صادقان ، غير أن البشرية سامحها الله ـ تغلبت على نفسيكما ، فما كان لكما ان تعارضا في قيادة الاخويـــن عمرو بن الحسين والحسن شاطر وهما من أقدم الوطنيين وأكثرهم بـــلاء في سبيل الله ، أما تخافان الله ؟

فأجابني : النهاية في هذه القضية ما عسى ان يقوله الفقيه غازي فيها .

قلت : صاحبتكما السلامة ، وبعد يومين زارني الاخوان المذكوران في دكاني وأبلغا الي جواب الفقيه غازي الذي قال فيه انه لا حق للاخوين فيما طلباه من اجراء الانتخاب في الظروف الراهنة ، ولا حق لهما في تكوين فرع مستقل وختم كتابه بقول الله تعالى : **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله .**

وبعد ان وصفا لي المقابلة التي كانت بينهما وبين الفقيه غازي سألتهما ما رايكما الان ؟ فأجابا : انهما عند أمر الحزب، ولكن كيف يقنعان اتباعهما؟..

فأجبتهما بقولي : دعوا لي هذا ...

فخرجت من دكاني وانا أفكر في وسيلة للاتصال باتباعهما ، وفجأة لمعت في رأسي فكرة ، فقلت : ان السيد بولنوار الوكوتي ، والسيد احمد الخضار الوكوتي من أطيب خلق الله ، فلماذا لا اتصل بهما اول الامر .

وفعلا ، توجهت الى السيد بولنوار ولما رءاني عبس في وجهي ولكنني ابتسمت وقلت له ، لا تعبس يا أخي فليس بيني وبينك الا الخير ، وما زلت الاطفه حتى قال لي : ان رجع مولاي احمد الخضار فأنا أضمن لك رجوع الاخرين .

ثم ذهبت أبحث عن السيد مولاي أحمد الخضار فوجدته في مقهى كانت بشارع محمد الخامس اليوم ، وكانت تحت تصرف المرحوم مولاي محمد بن الحاج الصديق الاحمدي ، فلما رآني مولاي احمد المذكور ادرا عني وجهه ولكنني أيضا ابتسمت وقلت له : لماذا تدير وجهك عني با مولاي احمد ألست صديقا لك وأخا لك ؟! انك على الرغم من ادارة وجهك عني فلا بد أن تؤدي لي ثمن كأس شاي ، فنهض من مقعده أطال الله حياته وضحك ضحكته المعهودة وقال : مرحبا .. مرحبا .. **الله يلعن الذي لا يحبك ، ثم قال : انا معك ولو في النار .**

ولم تكد تمضي بضعة أيام حتى رجعت المياه الى مجاريها ولم يبق أي خلاف داخلي .

زيارة الكاتب العام للاقامة العامة لابركان

قرر المقيم العام الجنرال اجوان ان يقوم بزيارة تفقدية الى اقليم المغرب الشرقي ، ولاجل انجاز هذه الزيارة ، بعث الكاتب العام للاقامة العامة الى الاقليم لدراسة برنامج هذه الزيارة مع المسؤولين عن الاقليم .

وشاءت السلطة بابركان ان تهيىء له استقبالا يليق بمقامه ، فامرت القائد المنصوري على الخصوص باقامة مادبة غداء فاخرة يكون من ضمنها عدد كبير من « المشاوي » وان يقوم خمسة وعشرون شابا من شباب ابركان بخدمة الضيف ورفاقه اثناء تناول طعام الغداء وان يلبس أولئك الشباب أفخر الثياب ، ويرتدوا فوقها معاطف بيضاء ، والى جانب ذلك مهرجان فلكلوري .

وكان القصد من المراقبة بهذه المظاهر اعطاء نظرة حية للكاتب العام على ان بني يزناسن من أنصار الحماية الفرنسية ، وان ما يقال عنهم من نشاط معاد للحماية ، انما هو مجرد ادعاءات من طرف بعض اعداء فرنسا ليس الا .

المكتب يعقد جلسة خاصة لدراسة وسائل محاربة هذه الزيارة

وكعادة مكتب الفرع ، فقد عقد جلسة خاصة لدراسة وسائل محاربة هذه الزيارة ، وبعد مداولات بين اعضائه اتخذ عدة قرارات من شأنها ان تكذب

افتراءات المراقبة المحلية فيما زعمته من كون بني يزناسن يناصرون وضع الحمايـــة .

أولا ، ارسال تعاليم مشددة الى جميع القرى والمداشر المجاورة لابركان بعدم المجيء ذلك اليوم الى ابركان ، وان يستغنوا عن كل حاجياتهم ذلك اليوم كيفما كانت هذه الحاجيات .

ثانيا ، ان لا يجلس أي أحد في المقهي ، بحيث تظل المقاهي ذلك اليـوم خالية من روادهـــا .

ثالثا ، على سكان المدينة ان يقضوا كل حاجياتهم قبل ذلك اليوم ومن لم تكن له حانوت في المدينة فلا يذهب اليها ، واذا احتاج الى شيء مـــن حاجياته فليأخذها من الاحياء العربية .

رابعا ، على أصحاب الدكاكين ان لا يفارقوا دكاكينهم .

خامسا ، ان يمنع كل شاب من الاسهام في نشاط تلك الحفلة .

سادسا ، يمنع كل فارس من لعب البارود اذا ما دعى الى ذلك .

سابعا ، ان يمنع النساء من اقامة أي فلكلور بهذه المناسبة .

ثامنا ، أن لا يعلق التجار أي راية أمروا بذلك ، فليمتنعوا وليقولـــوا لرجال المخزن ان يعلقوها بايديهم ان شاؤوا .

تاسعا ، ان كل مخالفة لهذه التعاليم تعرض أعضاء الحزب الى المحاكمة والطرد من العضوية أما غير الاعضاء فان عقابهم يكون بمقاطعة دكاكينهم ومقاهيهم وعدم مشاركتهم في افراحهم ومآتمهم ، فلا حضور في اعراسهم ولا في جنائزهم .

ولتنفيذ هذه التعاليم أصدر المكتب قرارا لعقد اجتماعات خاصة للمجالس الجهوية وتلاوة هذه القرارات عليهم وتوصيتهم لتنفيذها بكل تدقيق .

وكما هي العادة فان هذه المجالس تتصـــل بالشعـب وتبلغها تلـك القـــرارات .

والى جانب هذا استدعت لجنة الدعاية والاستخبارات للقيام بابلاغ هذه التعاليم الى الافراد والجماعات .

وكان المقصود بطبيعة الحال منع سكان القرى والمداشر من الاتيان الى المدينة ، ومنع سكان ابركان من الدخول الى المقاهي، والزام التجار بملازمة دكاكينهم ، كان المقصود من ذلك ان يجد الكاتب العام للاقامة العامة مدينة ابركان خالية الا من بعض افراد قلائل لا يعتد بوجودهم ، وبذلك يشاهـــد بعينه أنه قد مر وسط رجال المخزن اثناء عبوره للشارع الرئيسي ، ويشعر بان المدينة حزينة ليس فيها ما يشير الى الترحيب به الا أعوان السلطة .

وقد كان مقدرا لهذه التعاليم ان تنفذ حرفيا .

وذلك انه سبق لمكتب الفرع ان اتخذ قرارات بمقاطعة بعض المقاهي

المغربية لسبب أو أسباب مختلفة ، وبالمقاطعة ـ كليا ـ للمقاهي الفرنسية ، وبمقاطعة الصلاة في المسجد الاعظم ، وغيد ذلك من مثل هذه القرارات ، فنفذت حرفيا .

وقبل حلول يوم الزيارة اخذت السلطة تستعد لتلك الزيارة ، فاستدعت بعض الشباب للخدمة في مأدبة الغداء فامتنعوا .

وطلبت من شيخ تزغين المرحوم السيد وسعيد ان يكلف الناس باحتطاب الحطب مجانا لتهيئة المشاوي فامتنعوا فهددهم بالعقاب فامتنعوا ، وان كان الشيخ وسعيد رحمه الله كان رجلا طيبا مسلما مومنا بالعقيدة الاستقلالية ومن انصارها سريا ، فلذلك لم يكن في ذلك التهديد قاسيا ، وانما اكتفى بالتبليغ مع تظاهر خفيف بالتهديد .

وأذكر جيدا ان القائد المنصوري لما بلغه امتناع الناس من الاحتطاب ابتسم وقال : أبلغ الاستقلاليون الحد الاقصى من مستوى محاربة الفرنسيين؟

ثم قال للشيخ وسعيد : طيب ، اذن ، عليكم أنتم أيها الشيوخ أن تبحثوا عن الحطب بالثمن ، او ان تحتطبوه بأنفسكم لانكم أنتم أعوان السلطة ، أما الناس فلهم الحق في أن لا يقوموا بأي عمل اجباري .

وأثناء هذا بلغه الخليفة السيد عبد القادر بن الماحي الوريمشي الاكزنايي الخرخشي ان الشبان قد امتنعوا من الخدمة اثناء تقديم الطعام للضيف ، وانهم قالوا له : بانهم يانفون من خدمة الفرنسيين وان على السلطة ان تستدعي أندال المطاعم لهذا الغرض كما هو الشأن في مثل هذه المناسبات، وانهم يفضلون السجن على خدمة الفرنسيين واقترح الخليفة اجبارهم أو السجن ، ذلك لان الخليفة أبى أن يظهر بمظهر العاجز ازاء القائد .

فقال له القائد ، وعندما تعتقلهم فماذا تكون النتيجة ؟ فأجاب الخليفة : لكي نؤدبهم فلا يمتنعوا مرة أخرى ، فقال له القائد : وبماذا تجيب اذا مانشرت « العلم » خبر اعتقالهم ؟ فقال الخليفة : ذاك لايهم ! فقال القائد ولكن سيطلع الرأي العام على أننا أجبرنا أشخاصا على العمل بدون قانون ، وان يقول الرأي العام ان البركانيين قاطعوا الكاتب العام ، وان القائد لجأ الى اعتقال الناس بهذه المقاطعة ، وعمل من هذا النوع يحط من قيمتنا ، ومن شأنه أن يغضب الاقامة العامة ، وهذا ليس في صالحنا ، فالرأي عندي ـ يقول القائد ـ : ان نكتفي باستخدام جهاز الدولة في شؤون الدولة وهذا هو الحق، فلا ينبغي ان نخالف موجب هذا الحق فنهزم أمام الحق .

فقال الخليفة : ولكن ما جوابنا للسلطة التي طلبت منا استخدام شبان ابركان ؟ فأجاب القائد : نقول لها ان جميع الشبان مشغولون بمصالحهم الخاصة وان الحالة الاقتصادية سيئة، كما نذكرها بان عهد العمل الاجباري قد مضى وولى ، وان من شأن ذلك ان يحدث ضجة في قيادتنا وهذا ليس في صالحنا ولا في صالحها ، ولا في صلح الضيف ، فهز الخليفة رأسه وقال : لكم النظر ... ان القائد المنصوري كان بعيد النظر فلم يكن يريد أبدا أن

يصطدم بسكان قيادته وكان يعرف حق المعرفة قوة الاستقلاليين ، وكانت له رغبة في عدم الظهور بمظهر المعارض لهم، وكان يعلم ان هذه المقاطعة قد تقررت من الحزب، ولعله كان مومنا بانها من قرارات المركز ، كما كان يتحاشى ان يعلم السلطان عنه أنه يتصرف مثل هذه التصرفات التي لا تتلاءم مع ما كان مشهورا به القائد المنصوري من اخلاصه للسلطان .

أما الخليفة فقد كان قصر نظره هو الذي أملى عليه ما قاله للقائد المنصوري حول هذه الزيارة ، والا فالخليفة معروف بمحافظته على فروض دينه وحضور صلاة الجمعة والجماعة وعفيف الازار ، ومتجنب لمواقف التهم الدنيئة ، شأنه في ذلك شأن جميع قواد بني يزناسن وخلفائهم كما كررت ذلك مرارا وتكرارا الا ما استثنى من ذلك مما كانت العادة جارية به من بعض التقاليد : « رشوة المتخاصمين فقط » .

المدينة الحزينة

لنه لحق ان اطلق على مدينة ابركان يوم زيارة الكاتب العام للاقامة العامة لها : المدينة البطلة الحزينة فلقد فوجىء الكاتب العام بمنظر مدينة خالية من الناس، وانه يمر فقط ـ وسط رجال المخزن ـ فلا جمهور، ولا رايات ولا زغاريد ، ولا فلكلور ، فانما المدينة في مأتم ، أو أنها غاضبة الى أبعد حدود الغضب .

وهكذا شاهد « ضيفنا » من مقاطعة بني يزناسن له ما قضى به العجب العجاب .

المقيم الجنرال اجوان في المغرب الشرقي

رجع الى الرباط من ابركان الكاتب العام للاقامة العامة وهو يحمل في قلبه مرارة هذه الزيارة لابركان الذي لم يكن يتصور انه سيقاطعه السكان بهذه الكيفية المنقطعة النظير .

وقد ظهرت آثار هذه المرارة في برنامج الزيارة التفقدية التي قام بها الجنرال اجوان في اقليم المغرب الشرقي ، فلقد امتنع من زيارة ابركان واكتفى بزيارة مدينة وجدة والاقامة فيها مع زيارة بعض الملحقات غير ابركان .

ولكن سلطة المراقبة حاولت ان تصلح ما أفسدته زيارة الكاتب العام للاقامة العامة فأمرت جميع القواد بأن يشاركوا في مساعدة الجنرال اجوان في القيام باصطياد « الخنزير بألمو » بفتح الالف وسكون اللام ، أوفوغال.. « وهو من قسم جبل بني عتين بني يزناسن » .

ولاجل ان تؤثر على الناس أدعت بأن اصطياد « الخنزير » هو لفائدة السكان الذين تضرروا بالفساد الذي يقوم به في حقولهم وبساتينهم .

ولكن فرع حزب الاستقلال بابركان كان أيضا قد قرر مقاطعة هــذا الاصطياد فلم يحضر من قيادة ابركان على الخصوص الا ثلاثون شخصـا وهم أقل من عدد الشيوخ والمقدمين .

ولما وصل المقيم المذكور الى الجبل المذكور وشاهد قلة الناس الذيـن جندتهم المراقبة لمساعدته على الاصطياد ، غضب غضبا شديدا ، وامتنع من تناول الطعام الذي كان معدا له ، ومن جملته عدد كبير من المشاوي «30» ورجع الى وجدة حيث تناول طعاما عاديا .

وبموقف بني يزناسن من الكاتب العام ومقيمه ، أعطوا درسا قاسيـا لرجال الحماية الفرنسية في معاداتهم للوضع القائم من جديد .

ولقد قامت المراقبة ببحث طوال مدة لا بأس بها لتعثر على اسماء «المهيجين والمشاغبين » ولكنها لم تستطع ان تعثر على أي أحد ، ولو أنها اعتقلت بعض الاشخـاص ثم عادت فاطلقت سراحهم .

والواقع ان القائد المنصوري كان في استطاعته أن يتعرف على كثير من دعاة المقاطعة ولكنه اكتفى بالتظاهر بالغضب وبحث هذا وذاك ، ثم تخليـة سبيل الجميع .

فرع حزب الاستقلال بابركان وقبائل

كبـدانة بالشمـال

قبائل كبدانة تكون تقريبا نصف الناضور ، ويفصلها عن بني يزناسن وادي ملوية ومصبه ، ولهجة شلحتها أقرب الى لهجة شلحة بني يزناسن .

وتشتمل قبائل كبدانة ، ومنها عرب أولاد ستوت ، على ثلاث قــرى صغيرة حديثة العهد بالوسائل المدنية وان كانت هذه الوسائل بسيطة .

فهناك قرية زايو ، وهي قريبة من مكتب جمارك واد ملوية ببضـع كيلومترات .

وهناك اربعاء اركمام على بعد عشرين كلومترا تقريبا من مدينة الناضور، وهي واقعة على شط البحر الابيض المتوسط ، وهي دون زايو حضارة .

وهناك ، البرج ، او ما كان يدعى في عهد الحماية الاسبانية بقابويوا ، وهذه على صغرها اكثر حضارة من سوق اربعاء اركمام وقرية زايو .

وكل هذه القرى غير آهلة كثيرا بالسكـان ، لانها فاقدة لوسائـل العيـش .

وكل ما فيها تقريبا دكاكين تشتغل تقريبا في خصوص أيام الاسواق .

وكثيرون من قبائل كبدانة وخصوصا أهل زايو والبرج يرتادون مدينة ابركان ايام اسواقها على الخصوص .

كما ان كثيرين من بني يزناسن يرتادون قرية زايو .

وان كان الجميع كان ممنوعا بارتياد هذه الاسواق حسب قوانين الحمايتين الفرنسية والاسبانية ولكن هذا الاتصال كان على هامش القانون بحيث كان الكل يجتاز نهر ملوية بطريقة غير مشروعة .

وتشتد الرقابة على هذا الارتياد والاتصال وتخف ، حسب الظروف السياسية .

على ان الرقابة من الحمايتين معا ، لم تكن تستطيع منع بعض هذا الارتياد والاتصال حتى في أحرج الاوقات ، فوادي ملوية طويل لم تكن مراقبته بالضبط ميسورة .

وبطبيعة الجوار كانت قبائل كبدانة تتبع بكل اهتمام ما يجري من نشاط وطني وسياسي في ابركان وكان كثيرون من الكبدانيين يشترون « العلم » من ابركان ، ومنهم من كان يبعث من يشتريها له اذا ما لم يتمكن من ارتياد المدينة .

وكانت « العلم » قلما تخلو من مراسلة من : أبركان ، وكانت هذه المراسلات ضد السلطة المحلية تلهب حماس اخواننا الكبدانيين .

كما انهم من جهة أخرى كانوا يشترون الصحف الوطنية من المنطقة الشمالية ويسلمونها الى بعض الافراد منا خصوصا « المؤلف والاخ الحسن شاطر الوكوتي » .

وتطور هذا الاتصال بين القبيلتين قبيلة كبدانة ، وقبيلة بني يزناسن الى ان التمسوا منا الانخراط في حزب الاستقلال .

ولكن مكتب الفرع استشار رجال المركز برسالة فاشار علينا المركز بعدم قبول طلبات الانخراط ، وعدم تسليمهم نشرة الحزب .

وقد علل رجال حزب الاستقلال رفضهم لذلك بسببين اثنين :

أولهما ، عدم التدخل في شؤون حزب الاصلاح الداخلية .

ثانيهما ، المحافظة على ما يتظاهر به الحزب من استقلال كل حزب بشؤونه ازاء السلطتين الفرنسية والاسبانية ، حتى لا يتورط احدهما في احداث الاخر .

فاذا ما قام أحد الحزبين بنشاط ونتجت عنه اضطرابات ، لا يتورط الجميع فيها ، بل يبقى الحزب الذي لا اضطرابات عنده يؤيد ويساعد الحزب المضطهد بما يراه من وسائل تمليها عليه الظروف .

وبعبارة فقد فهمنا من امتناع حزب الاستقلال من قبول انخراط اخواننا الكبديين معنا ، ان يحافظ على الحزبين كجيشين مستقلين في المظاهر ، واذا ما هجم احدهما كان الاخر بمثابة جيش احتياطي .

كما فهمنا من تعاليم حزب الاستقلال في هذا الموضوع انه كان يتجنب الاعلان عن وحدة الحزبين ء في تلك الظروف حتى لا تتوحد الدولتان

الاستعماريتان لمطاردة الحزبين معا ، غير اننا لم نقتنع بهذا الجواب ، وان كنا احرص الفروع على طاعة الحزب ، لاننا رأينا ان سلطتي الحمايتين وان كانت كل واحدة منهما مستقلة في وسائل محاربة الحزبين ، ولكنهما كانتا تتفقان في الاهداف ، بل انهما في بعض الظروف ، وخصوصا ظروف الجنرال جوان كانتا تدرسان معا خططا موحدة لمحاربة الحزبين .

لذلك رأينا ان نستشير رئيس حزب الاصلاح وزعيمه العظيم الاستاذ عبد الخالق الطريس فكتبنا له رسالة في الموضوع حملناها أحد المخلصين من اولاد ستوت السيد الحاج المامون عم الاستذ السيد نوري معمر خريج دار الحديث الحسنية .

ولم ننتظر كثيرا حتى جاءنا الجواب من لدن الاستاذ الزعيم المذكور بالاذن لنا في قبول انخراط من شاء من الاقليم المجاور لنا ، ويشكرنا على هذا الاهتمام باخواننا المجاورين لنا من المنطقة الشمالية .

ولا زلت اذكر ان هذا الجواب تسلمه الاخ شاطر في يوم سوق الثلاثاء وارسله الي وقرأته على اعضاء المكتب ، وكانت ليلة سعيدة بهذا الجواب .

ونحن اعضاء المكتب لم نكن تعرفنا بعد على عين شخص الاستاذ الزعيم سيدي عبد الخالق الطريس ، الا عن طريقة كتاباته في صحيفتيه : الحياة ، والريف ، وقد تعرفنا على صورته التي تظهر من آونة لاخرى على صفحات هاتين الصحيفتين .

ومع ذلك فقد كان الرواد يحدثوننا عن بطولته وفصاحته وخالد مواقفه وغريب كرمه وجوده وما اكرمه الله به من حسن الخلق وطيب المعاشرة ، وما خصه الله به من سرعة اقبال الناس على احترامه وتقديره الى أبعد حدود الاحترام والتقدير .

وذلك علاوة على اصالة مجده ، وعراقة بيته ، وعمق ثقافته ، وحسن طالعه ، وعذوبة اسلوبه ، وبعد نظرة وقوة تأثير شخصيته على عامة الناس وخاصتهم ، ورباطة جأشه في أخطر الاحداث وو ...

وعلى كل حال فليس في امكاني ان آتي على كل الاوصاف المحبوبة التي كان يخلعها الرواد على الاستاذ الطريس .

فالذي كان يحدثنا عنه يخلل حديثه بقوله : ان الاستاذ الطريس فوق الوصف ، وما هو الا هبة من الله اكراما للشعب المغربي المجيد .

وكان محدثونا يقولون لنا : لا تعجبوا لشخصية الطريس الخالدة ، فشعب على رأسه جلالة الملك الخالد الذكر محمد الخامس لا يمكن ان يخلو من مثل هؤلاء الابطال .

فقد اكرم الله شمال المغرب بالطريس كما أكرم جنوبه بالزعيم الكبير الاستاذ سيدي علال الفاسي ، فكلاهما فرسا رهان ، وان كان لكل منهما خصائصه الذاتية .

وبناء على هذه المعلومات فقد كنا نتوقع اذن الاستاذ الطريس لنا في الاتصال بمن امكننا من اخواننا الشماليين على الاطلاق ، لذلك لم نندهش من جوابه المتضمن لموافقته لنا .

وعلى القارىء ان يطيل النظر جيدا في موقف الاستاذ الزعيم الطريس من طلبنا ، فلم يكن موقفه هذا مجرد موقف ازاء مجرد جزئية من الجزئيات الوطنية البسيطة .

لذلك كان من المتوقع عادة من غيرة رؤساء الاحزاب على مناطقهم ان يمتنع الاستاذ الزعيم السيد عبد الخالق الطريس من اعطائنا الاذن المذكور .

ولا حاجة بنا الى التدليل على امتناعه ، لان ذكرنا « للغيرة » يكفي لفهم كل شيء فالاستاذ الطريس ليس الا بشرا ، ولكن سمو اخلاقه رفعته عن « غيرة » رؤساء الاحزاب ، واستطاع بذلك ان يتخلص منها ويصدر اذنه المذكور ، مراعيا المصلحة العليا للوطن فوق كل الاغراض البشرية .

وعقب هذا الاذن التاريخي تجاوزنا تعاليم الحزب وقبلنا اخواننا الكبديين في صفوف حزب الاستقلال واسسنا شعبا عدة هناك في كبدانة، واسسنا هناك ايضا مجالس جهوية تابعة لفرع الحزب بابركان وكنا نسلمهم نشرة الحزب .

وحدث انني زرت الاستاذ الكبير والمجاهد العظيم سيدي محمد غازي بالرباط وأخبرته بكل ما جرى ، وقلت له : ان فرع ابركان يتحمل مسؤولية ذلك .

وهنا يجب أن أذكر بمداد الفخر ما اظهره الفقيه سيدي محمد غازي من ارتياح لاذن الاستاذ الطريس وما غامرنا نحن فرع ابركان في سبيل توحيد كلمة الشعب بطرفيه .

وبهذه المناسبة ، فانني لا أريد ان اختم هذا الفصل دون ان أسجل هنا ملاحظة عجيبة ، فلقد شاء الله ان يستقل المغرب ، ويتوحد الحزبان وان يزور الاستاذ الطريس مدينة ابركان في أواخر سنة 1962 م ، ويلقي هناك خطابا تاريخيا بمناسبة الاستفتاء في أول دستور عرضه على الشعب جلالة الملك المعظم مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني حفظه الله .

وقد نال خطاب الاستاذ الطريس بالغ اعجاب بني يزناسن ، فصاحة في لقول ، ولهجة قوية مدوية ، وسلاسة في التعبير ، ويسر في الفهم ، وقوة تأثير في الاسلوب الخطابي . وو ... الخ ما وهب الله الاستاذ الطريس من مواهب نهنيه بها .

ولقد استطاع بهذا الخطاب التايخي ان يمتلك قلوب بني يزناسن ، ولقد مرت الآن « 1964 » سنتان على خطابه ولا يزال بنو يزناسن على الاطلاق ماخوذين بذلك الخطاب الخالد وشخصية الاستاذ العظيمة .

وفي شتنبر سنة 1964 ، زرت اربركان بقصد الاتصال على الخصوص بعائلتي فحملني البركانيون تحياتهم الى الاستاذ الطريس ، والتماسهم

العميق ان يقوم بزيارة اخرى لابركان لينثر عليهم درره الخالدة . والعجيب في الامر ان بني يزناسن ، استقلاليين وشعبيين ، وجبهويين ، واتحاديين معجبون بالاستاذ الطريس .

ولكن يجب التذكير هنا بان هذا كله لا ينقص أبدا في نقطة واحدة من عظمة شخصية الزعيم الكبير الاستاذ سيدي علال الفاسي ، فشخصيته تحتل مكانا أعمق في قلوب الجميع .

غير ان الامر الذي زاد في مكانة الاستاذ الطريس في قلوب البركانيين انه كان يذكر الزعيم الاستاذ سيدي علال الفاسي بكل احترام وتقدير .

وقبل ذلك وبعده ، فان الاستاذ الطريس كان يبدأ ويختم باجلاله له وتقديره وولائه ومحبته واخلاصه للعرش وللجالس عليه مولانا أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني أيده الله ونصره .

وقد اتفقت كلمة الناس في ابركان على ان الاستاذ الطريس كان يصدر من أعماق ما كان يصدره حيال أمير المؤمنين من اجلال وولاء واخلاص وتعلق متين صادق .

وبهذه الروح الطيبة كانت كل كلمة من الاستاذ الطريس تنفذ توا الى أعماق القلوب ، وبذلك استطاع ان يخلد شخصيته في قلوب بني يزناسن كما خلدها في كل الجهات التي زارها وخطب فيها كزعيم مخلص لا يغفل رئيس حزبه ويرفع مكانة أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني الى أعلى درجات السمو والتقدير في البلاد على الاطلاق .

وتلك لعمري هي الوطنية الصادقة التي استطعنا ان ننتصر بها على الاستعمارين الفرنسي والاسباني ، فلقد كنا نرفع زعماءنا الى درجات عليا من التقدير والاحترام، ولا نضع في المرتبة الاولى من قلوبنا الا المكانة السامية لشخصية المغفور له جلالة محمد الخامس رضى الله عنه .

وكان شعارنا الشعب بالملك ، والملك بالشعب ، وبهذا اغلقنا كل نافذة في وجه الاستعماريين ، وبهذا توحدت صفوفنا ، واتفقت كلمتنا ، وقويت عزائمنا ، وتوسعت آفاق أفكارنا ، ونمى وعينا ، واستطعنا أن نتجاوز كل اعتبار قبلي واقليمي الى اعتبار خصوص الوحدة المغربية المقدسة ، آه.. ثم الف آه من لنا بهذه الروح ؟.

نعم الى حد الان لم أصرح ب « تلك الملاحظة العجيبة » فلقد عاودني ذلك العهد الخالد وما كان فيه للروح الوطنية الصادقة من متعة وجمال فاطلقت القول بعض الشيء من عقاله .

لذلك أقول الان : ان كل ما قمنا به نحن فرع ابركان طوال تلك السنوات من نشاط وطني في قبائل كبدانة رده الينا وأضعف منه الاستاذ الطريس بخطابه الخالد ى أواخر سنة 1962 م . في مدينة ابركان .

ثم انني بهذه المناسبة ايضا أذكر منها ما علق بذهني منذ ثلاثين سنة تقريبا عن قضية قرأتها في مجموع مجلة العروة الوثقى الشهيرة .

ذلك ان الفيلسوف الفرنسي رينان الشهير كان يتبادل النقد في الصحف مع حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني صاحب العروة الوثقى .

وذات يوم طلب رينان مقابلة السيد الحكيم ، وحينما رجع رينان الى أصحابه فقالوا له : كيف وجدت جمال الدين ؟.

فأجابهم بقوله : كنت أتحدث معه وأنا أشعر كأنني اتحدث مع أولئك الدهاة « الملحدين » العظام العرب مثل ابن سينا وابن رشد .

ثم قال : اذا كانت شخصية الانسان تدل على قيمة دينه واحقيته ، فان شخصية جمال الدين تدل على عظمة هذا الدين الاسلامي وأحقيته .

هذا ما قاله رينان مع تصرف ، لانني اعتمدت في ذلك على ما كان عالقا بذهني منذ ثلاثين سنة ، وأنا أقول هنا اذا كانت عظمة الملوك تدل على عظمة شعوبهم فشخصيتا صاحبي الجلالة محمد الخامس رضي الله عنه ، وجلالة مولانا أمير المومنين الحسن الثاني تدلان حقا على عظمة الشعب المغربي المجيد .

وان شخصيتي الزعيم علال الفاسي والزعيم عبد الخالق الطريس تدلان على عظمة حزب الاستقلال .

وان عظمة الزعيمين وعظمة حزبهما جزء من عظمة اميري المومنين محمد الخامس ووارث سره الحسن الثاني حفظه الله .

نعم ، مرة ثانية ، اذني بعد ان فرغت من تصميمات هذا الفصل التقيت بطريق الصدفة بالاستاذ الطريس في مقهى باليما بالرباط مساء عاشر رجب الفرد الحرام عام 1384 موافق خامس نوفمبر سنة 1964 وذكرته بجوابه لفرع حزب الاستقلال بابركان فابتسم وقال : انني لا زلت أذكر جيدا وانه في أواخر سنة 1948 ذ أو في اوائل سنة 1949 م ثم بلغته التماس الاخوان البركانيين منه للقيام بزيارة أخرى لهم ليتملوا خطابه الساحر فواعدني بذلك .

سنة 1950

ممثل الحزب في المغرب الشرقي

لقد اشرت فيما سبق الى ان ممثل الحزب في اقليم المغرب الشرقي الاول هو العلامة السيد عبد السلام بن ابراهيم الوزاني وكان ذلك في سنة 1936 .

وان الممثل الثاني كان هو السيد بناصر بن الحاج العربي الوجدي وكان ذلك عقب سنة 1939 .

وإن الممثل الثالث كان هو الاستاذ السيد عبد القادر الازرق الفاسي أصلا ، الوجدي سكنا وكان ذلك سنة 1947 ولكنه كان ممثلا له في خصوص مدينة وجدة .

أما ممثل الناحية فقد كان السيد بناصر المذكور .

ثم وقع النزاع حول التمثيل أي حول شخصية الممثل ، فعاشت وجدة اي المدينة في فترات مختلفة ، طورا بدون تمثيل ، وآخر مثل الحزب مدة قصيرة المرحوم السيد عبد العزيز بن ادريس ، ومع ذلك فقد كان الى جانبه السيد بناصر المذكور ممثلا للناحية .

وبعد ان فارق السيد عبد العزيز بن ادريس وجدة عقب فترة تمثيله للحزب هناك بقيت وجدة بدون ممثل ، وواصل السيد بناصر مهمته في الناحية . غير ان نفوذ السيد بناصر أخذ يضعف شيئا فشيئا في الناحية حتى انحصر في دائرة أبركان وكان سبب انحصاره في دائرة أبركان حسن سلوك فرع الحزب بابركان وعدم تأثره بما كان يجري في مدينة وجدة من خلافات اشرت اليها فيما سبق .

واما غير ابركان من بقية فروع النواحي فقد تأثر كتابها بتلك الخلافات فقطعوا اتصالهم بممثل المركز السيد بناصر .

على ان السيد بناصر يظهر لي ان تلك الخلافات قد استنزفت قواه، أو على الاقل أخذ يشعر بان رجال المركز لم يعودوا يعززون جهوده ، ولذلك عمد الى بيع ما كان تبقى له من بعض العقار الموروث من أبيه واشترى ضيعة قرب وجدة وأخذ يديرها حسب وسائله الخاصة وعاكسه الحظ فلم يجن من تلك الضيعة ما كان يامله ويعلقه عليها فسرى الى نفسه فتور جديد انضاف الى فتوره المتسبب عن تلك الخلافات الشاقة فأخذ ينكمش على نفسه شيئا فشيئا الى ان توارى نشاطه من الميدان اسياسي والوطني .

واذا لاحظنا ان صحته اساسيا كانت ضعيفة ، وان حياة السجون قد عملت عملها هي الاخرى في جهازه الصحي ، تبين لنا جليا ان مثل هذا الشخص لم يكن في استطاعته ان يواصل كفاحه داخل الميدان الاستقلالي المحدد التعاليم ، وان اختفاءه منه كان نتيجة حتمية للعومل التي اشرنا اليها باختصار وهناك عوامل اخرى نشأت عن نوع النظرة التي كان يلقيها السيد بناصر على احداث الحياة .

فالظاهر ان السيد بناصر كان يعتقد ان عراقة مجد عائلته ومستوى ثقافته وشديد امتحانه ووفرة دراسته لاساليب الكفاح ومما كان له من منزلة عند رجال المركز ما بين 1936 وبين سنة 1946 وما تحمله من خطير المسؤوليات اثناء هذه المدة وما غامر به في سنة 1944 من امضائه على وثيقة المطالبة باعلان الاستقلال من وجدة هو المرحوم الاخ احمد بندالي .

قلت ، فالظاهر انه كان يعتقد ان هذه العوامل وحدها كافية لان تؤثر على رجال المركز للوقوف بجانبه ازاء الخلافات التي كانت بينه وبين اعضاء مكتب فروع الحزب بوجدة .

وحينما شاهد بعينيه خلاف ما كان يعتقد اخذت الصدمات المتوالية تحطم من معنويته التحزبية وان كانت لم تؤثر على عقيدته الوطنية .

وانضافت هذه العوامل الى ما اصطدم به في حياته الشخصية من اسوأ الطالع ، وما كان يقاسيه من بؤس الحياة ، في حين ان أولاده قد كبروا وحالتهم تتطلب منه نفقات لم يتيسر له منها حتى القليل فكان ضروريا ان ينهار امام هذه المفاجأة والصدمات ، فكان اختفاؤه من ميدان الحياة السياسية مع كامل الاسف ، ولم يستطع مقاومة تلك المفاجأة والصدمات لكي يواصل كفاحه الى النهاية .

وليس الاخ بناصر وحده الذي صرعته تلك المفاجآت والصدمات ، فهناك في المغرب ، وفي غير المغرب شخصيات نالت من اجهزتها تلك المفاجآت والصدمات فانعطفت الى ظل شجرة الانعزال لتتمكن من تصعيد زفراتها والترويح على أفئدتها وافكارها مما عانته من شقاء الحياة وتنكراتها .

والظاهر عندي ، ان أمثال هاته الشخصيات لم تفسح لها احداث الحياة مجالا للاختلاء بانفسها بالتفكير العميق في تصرفات الحياة واساليبها المتنوعة الغريبة والقاسية معا .

ولو فسحت لها مجالا واحدا واختلت بانفسها لوصلت الى ما عرفت به الحياة من أنها لا تعتبر ماضي الانسان الا اذا استطاع ان يفرغ نفسه في قوالب أساليبها المتجددة في كل لحظة .

فالحياة تنبذ كل انسان لم يستطع ان يتكيف بأساليبها المتجددة بتجدد دورانها السريع ، وكلما شعرت بابتعاد الانسان عن التكيف باساليبها المتجددة سلمته الى التاريخ ، لانه المرفأ الذي يستقبل الذين لا يجارون أساليب الحياة المتجددة .

فماذا كان يضر الاخ بناصر لو انه غيد نظرته الى الحياة سنة 1945 ، وفسح المجال لاخوانه قادة وجدة لمنح مواهبهم ونشطاتهم للشعب ؟ واكتفى بالاشراف على ذلك من أعلى ، واستمال قلوب أعضاء الفرع وبرهن لهم عن دقة تفكيره وبعد نظره ، وهو المفكر البعيد النظر ؟!

ولو فعل ذلك لتفادي كثيرا من المفاجآت والصدمات .

ولاكن ألم يكن الاخ بناصر يحسن هذا التفكير ؟ وقد قلت قريبا : انه المفكر البعيد النظر ؟

لا أظن ذلك ، ولكن الذي أظنه هو ان الاخ بناصر أوتي في تفكيره من ثغرتين اثنتين .

أولاهما : انه لم يقدر للاجواء المتجددة قدرها ، وذلك بان يفهم ان عهد التكتم الكبير قد مضى وولى يوم ان طالب الحزب باعلان الاستقلال قبل

الدخول في أية مفاوضة .

ثانيهما : انه تعمق في دراسة المبادىء ووقف عند حدها ، ولم يسمح لفكره ان يتعمق في دراسة نفسيات رجال تلك المبادىء ، فلو فسح المجال لفكره لعرف انه ليس من الاعتقاد السليم ان المبادىء هي الرجال ، والرجال هي المبادىء ، فهذا لا يتوفر عليه الا ذووا العصمة الالهية صلوات الله عليهم.

ثم ان الوقوف على حرفية المبادىء ليس من طبيعة أية مبادىء ، وهذه الطبيعية غير محتاجة الى أدلة وبراهين ، ثم ان الانسان قد يرغم في بعض الظروف على تناسي أوتجاهل المبادىء وهذا ايضا غير محتاج الى أدلة وبراهين.

فرجال المركز لم يكن منتظرا منهم ولا ينتظر منهم ولا من أمثالهم ان يهملوا عناصر حية كعناصر وجدة ويكبتوا تفكيرهم ويجمدوا مواهبهم ويعرقلوا نشاطهم بالوقوف الكامل الى جانب شخصية واحدة مهما كانت قيمتها ، لان ذلك في غير صالح الميدان السياسي .

والى جانب هذا فانهم بعد سنة 1945 ، لم يكن في امكانهم ان يستمروا على المحافظة على نشاطهم الضيق فلقد انضافت الى جانبهم عناصر جديدة كان من الضروري ان يفسح المجال لمواهبها وأفكارها ، على ان أسرار الاحزاب في العادة لا يبقى منها في طي الكتمان الا النوع الذي لم يتم طبخه وافراغه في القالب النهائي ولم يحن وقت الاعلان عنه لتنفيذه .

فللاحزاب ـ بطبيعة قيادتهم ـ الحق ، كامل الحق ، ان يبقوا في طي الكتمان ما كان في طور الدراسة او ما كان وقت الاعلان عنه لم يحن بعد ، وهذا ليس من حقهم فقط بل انه من واجبهم ، والا أفسدوا على انفسهم كل عمل يحاولون انجازه .

وهناك لدى الاحزاب أو قادتها على الصحيح ، أسرار لا فائدة أن يطلع عليه الاتباع ، بل قد تكون هناك مضرة محققة في الاطلاع عليها وهذه ضروريات الكتمان الى أن يطالب بها التاريخ بكل الحاح ، ويكون من حقه ان يطالب بها لان ظروفها أصبحت مغايرة مع ظروف تسلمها للتاريخ ، فلا ينشأ عن الكشف عنها أي ضرر بل يكون الكشف عنها اذ ذاك مما يساعد على تلقيح الوعي النفساني والفكري .

وبعد : فمهما يكن من أمر فان ظروف سنة 1950 باقليم المغرب الشرقي كانت تستدعي تعيين ممثل جديد للحزب ، اذ ان وجدة لم يتدارك أمرها في هذه الظروف الاخ المرحوم محمد الدرفوفي ، فقد بقي وحده في الميدان ولكنه كاتب فرع موقت ليس الا ،

والظروف القاسية التي كنا نجتازها في هذه السنة لم تكن تسمح بهذا الوضع غير المنظم ، بل انها كانت تستوجب انشاء قيادة عليا في المغرب الشرقي لمواجهة الاحداث التي كانت الظروف حبلى بها وينتظر وضعها .

اجتمـــاع المجلـــس الوطنـــي الاعلـــى

وأثناء انعقاد المجلس الوطني الاعلى بالرباط درست نقطة تمثيـــل الحزب باقليم وجدة وقد وقع أول مرة ما يشبه الاجماع على تعييـــن الاخ محمد الدرفوفي كاتبا عاما للاقليم ، وقدور الورطاسي مساعدا له ، وقد روعي في هذا الاختيار أقدمية الاخ الدرفوفي وسكناه بوجدة وحسن مبادرته الى تدارك تلك الفوضى التي كانت ضاربة أطنابها في وجدة أثر ذلك الصــراع الذي كان قائما بين مناديب الحزب وأعضاء المكتب .

ولكن احد الاعضاء « المهدي بن بركة » لم يوافق على هذا التعيين علــى هذا الشكل ، فاقترح العكس بان أكون كاتبا ويكون الدرفوفي مساعدا وعلل وجهة نظره بشتى العوامل وأيده على ذلك الاخ محمد بن زيان الوجدي الذي يسكن بالربـــاط .

وقد اقتنع اعضاء المجلس الوطني الاعلى بما علل به المقترح « كســرا » وجهة نظره وتراجع عن قراره الاول الى اتخاذ قرار جديد حسب ما أقترحـــه ذلك العضو وقد عينت فعلا كاتبا عاما باقليم وجدة وعين الاخ الدرفوفـــي مساعدا ، ولا داعي هنا لسرد تعليقات المقترح « كسرا » لاني لا أريد ان أسجل هنا ثناءه على نفسي بقلمي .

واذكر جيدا ان الاخ المرحوم محمد الدرفوفي أرسل الي القرار مع رسالة تهنئة بهذه الثقة واعرابه لي عن كامل استعداده للتعاون معي بكل صـدق واخـــلاص .

ولم يكتف بهذه الرسالة بل انه زارني في ابركان وأعرب لي عـــن سروره بذلك القرار ، وحيث ان الظروف في أبركان كانت قاسية فقد اتفقنا على عقد جلسة ثنائية بمنزله في وجدة لوضع الترتيبيـــات اللازمة لاداء مهماتنا في دائرة القرار المذكور .

وفعلا عقدنا تلك الجلسة ودرسنا وسائل العمل على ضوء الظـــروف التي نجتازها ، كما انا لم نغفل دراسة الاسباب والعوامل التي أدت الـــى الخلافات التي كانت في وجدة ما بين الفروع والمندوبية ...

ولذلك فقد وصلنا في دراستنا الشمولية الى التصميم الاتي :

1) عقد اجتماع شهري بحضره ممثلو جميع فروع المغرب الشرقي .

2) ان تحصر اولا نقط جدول الاعمال ثـم يشرع في دراستهـــا نقطـة فنقطـــة .

3) دراسة مشروع ميزانية اقليمية عامة وحصر أنواع النفقات الخاصة بالصوائر المشتركة .

4) ان تكون مداخيل هذه الميزانية من تطوعات الفروع بما يلائم ميزانيته الخاصة وذلك بعد حصر النفقات العادية والاضافية .

5) في كل شهر يعطي بيان للفروع بمبلغ نفقات الشهر وانواعها بالضبط، ولا يسلم الفرع مبلغ اشتراكه حتى يطلع على لائحة الحسابات الشهرية وأنواع النفقات .

6) ان ترسل كل الفروع تقاريرها العادية وغير العادية الى الاخ الدرفوفي الذي يدرسها ويلخصها ثم يرسلها الى المركز مع ارسال نسخة منها الي بابركان بقصد الاطلاع ، عدا فروع بني يزناسن فانها ترسل تقاريرها مباشرة الي ثم أرسلها الى الاخ الدرفوفي ، أو أرسل اليه خلاصتها .

7) واذا وصلت الى الاخ الدرفوفي من الفروع مشاكل ولم يتمكن من اعطاء النظر فيها او حلها فعليه ان يكتب الي بذلك لاجيبه عن طريق البريد السري ، او أن يستدعيني الى وجدة لدراستها أو أن يقدم عندي الى ابركان لنفس الغرض .

8) الموافقة التامة على تطبيق النظم التي اخترعها فرع ابركان كانشاء المجالس الجهوية وتطويرها الى ان تبلغ مستوى الفروع ليعطى لها استقلالها كما هو الشأن في ابركان .

9) يعقد الاجتماع الشهري المذكور في أول يوم من كل شهر ولا يحتاج الى استدعاء .

وبعد ان انتهيت وأياه من وضع هذا البرنامج استدعينا كتاب الفروع لعرضه عليهم لكي يعطوا ءاراءهم فيه من جهة ولكي يصرحوا بالمبلغ المالي الذي يساهمون به من جهة ثانية .

وعندما انعقدت اول جلسة وقع الاجماع على جميع نقط البرنامج وحرر مشروع الميزانية في نفس الليلة ومهر بامضاءات كتاب الفروع .

وفي حدود هذا البرنامج اخذنا نمارس نشاطنا وكنا نجتمع على الساعة السادسة مساء في كل شهر ، وبمنزل الاخ الدرفوفي ، ونفرغ من تناول طعام العشاء على السابعة بالضبط وننهي الجلسة في التاسعة الا ربعا بالضبط .

ولاجل ضبط هذا الوقت والوقوف عند حده كان الاخ الدرفوفي يعطي نظرة عامة عن الحالة في جميع الفروع حسب تقارير الفروع الاسبوعية لاعطي أنا نظرة عامة عن حالة الحزب والاحداث التي يصطدم بها مع الاستعمار ولا يتعدى زمن حديث الاخ الدرفوفي ربع ساعة كما لا يتعدى زمن حديثي ربع ساعة ثم يسأل كل عما عنده من زيادة عما ذكره الاخ الدرفوفي حتى اذا تمت هذه المرحلة يلقي كل واحد ما يريد من الاسئلة علي فيما ذكرته عن حالة الحزب .

وبعد ذلك أوجه لكتاب الفروع ما أراه ضروريا من التوجيهات وانبههم الى ما لاحظته من أخطاء في التصرفات الواردة في تقاريرهم والتي سمعتها منهم ، ويكتب كل واحد ما يخصه من توجيهات وملاحظات ليبلغها الى مكتب الفرع بقصد الاطلاع والتنفيذ .

ثم يشرع في دراسة نقط جدول الاعمال .

ونظرا لالتزامنا باختصار القول فقد كنـــا ننتهي من كل اعمالنـا في الدقيقة المحددة ، وتارة ننتهي قبل ذلك بقليل او كثير .

وأثناء كل ذلك يكون الاخ الدرفوفي يسجل كل ما دار في هذه الجلسة ثم يحرر بعد تقريرا بذلك ويرسله الى المركز غد الجلسة .

وعندما ننتهي من أعمالنا نتفرق وأتوجه أنـا والاخ الدرفـــوفي الى السينما وذلك بقصد التعمية على الشرطة وأذناب الاستعمار وايهامهم باننا تناولنا فقط طعام العشاء وتوجهنا الى السينما .

وبعد الخروج من السينما افترق أنا والاخ الدرفوفي ليذهب هو الي منزله. وأذهب أنا الى حجرتي في النزل التي كنت حجزتها من قبل .

وعلى هذا المنهاج سرنا الى ان نفي الاخ الدرفوفي كما سياتي ذلـــك بعـــــد .

ولم يقع اي خلاف من نوع ما سبق ان وقع بين الفروع وممثلي المركـز فلقد كنا نسير شئوننا في أجواء أخوية وكان كل واحد منا ينتظر يـــوم الاجتماع بفارغ الصبـــر .

ومن حين لاخر كنت أقوم بجولات بين شعب وجدة والقي عليها كلمات توجيهية وافسح لها المجال لالقاء ما تريده من اسئلة . وكان يتم ذلك رفقـــة الاخ الدرفوفي بطبيعة الحال .

ولقد كان لاحداث المجالس الجهوية بمدينة وجدة ارتياح وأي ارتياح ، اذ أصبح عشرات الاخوان يساهمون في تسيير الشؤون العامة بوجدة .

كما سرى عامل التنافس في الاعمال بين تلك المجالس ولم تلبث تلك المجالس بعد ان انحصرت ءافاق تفكيرها في حدود مجالسها ان أصبحـت لا تجد الوقت للتفكير وراء دائرة تلك الافاق المحلية .

فانقطع القيل وأصبح كل واحد غارقا فيمـــا يعنيه من شــــؤون مجلسه الجهوي وأصبحت القيادة العامة تجد الوقت الكافي للتصميمـــات والمشاريع والتوجيهات فلا يقلقها أي أحد بانتقاداته .

وكنا كلما أحسسنا أنا والاخ الدرفوفي بقلق من مجلس من تلك المجالس من حيث الانتقادات التي يكون معظمها بسيطا ، أغرقنا ذلك المجلس في بحر من الاعمال حتى لا يجد ما ينفق من الوقت في سبيل الانتقاد .

كما أنه لم يكن يقبل اي انتقاد الا عن طريق المجالس الجهوية وبطريق الكتابة ، فالشعبة لها ان توجه ما شاءت من انتقادات وأسئلـة ولكن الـى كاتبها وأمينها فقط ، وهذان يدرسان ذلك في المجلس الجهوي وهذا يبلغ ما استعصى عليه كتابة الى كاتب الفرع الذي يجيب في الحال أو يعرض ما يراه أهلا للعرض في مجلس كتاب الفروع .

وبهذه الطريق جعلنا حدا لكل قالة وحديث .

في بنـي ادرار أيضـا

لقد تطورت مظاهر النشاط الوطني والسياسي في هذه القيادة تطـورا طبيعيا ، فلقد كان مكتب الفرع بابركان يتعهد هذه الجهة بعناية فائقة .

وزاد من تقوية الحركة هنا ان السلطة الفرنسية بوجدة أبعدت مـن مدينة وجدة الى بني ادرار الاخ موهوب الصافي .

والاخ موهوب الصافي من أصل بني خالد القسم الرابع الشرقي لبنـي يزناسن ، وهو من بطن عرب الساقية وفرقة الهنادزة ، وقد سبق لي فـي القسم الاول من هذا الكتاب ان اشرت الى عرب السقاينة .

ومنذ باكر عمره درج في احضان الوطنية الصادقة ونما وعيه نمـوا طبيعيا مطردا فتحول الى الرجولة ولما يزل في عهد اوائل ربيع حياته .

في سنة 1944 كان من الشبان الذين ساهموا في نشاط حزب الاستقلال بمناسبة المطالبة باعلان الاستقلال وحكم عليه بستة أشهر سجنا قضاهـا ما بين سجن وجدة وسجن اغبيلة بالدار البيضاء وسجـن العذير قـرب مدينـة الجديدة .

وكان من الذين قاسوا أقسى المحن والشدائد في سجن العذير .

ولم تكد تمضي مدة سجنه حتى تضاعف نحوله وانهدت صحته ولكن بقدرما ضعف جسده وتحطمت صحته ترعرع وعيه وتقوت عقيدته واشتدت عزيمته ، واتسعت آفاق أفكاره .

وخرج من السجن وكله عزم صارم على مواصلة الكفاح ..

وحينما اخذت الازمة المغربية تشتد يوما فيوما منذ تعيين الجنـزال اجوان على رأس الاقامة ، كان الاخ الصافى «أطال الله حياته» من عناصـر الشباب الحية التي شملها ذلك البرنامج الابعادي فابعد ، أو ارجع الى أصل قبيلته بني ادرار .

وضمن هذه النكبة التي شتت شمله مع عائلته وتجارته ، وفرقته مع اخوانه المكافحين الاولين في وجدة .

وضمن هذه النكبة ، كانت تكمن حكمة الله في انضمامه الى اخـوانه المكافحين ببني ادرار فاشتد عضد اخوانه هنك بخبرته ، فاتسعت باعماله الوطنية القيمة دائرة نشاط فرع بني ادرار .

وعلاوة على ما كان عليه المكافحون من بداوة الاخلاق بوجه عام فقد كان الاخ الصافي أعظم في الاخلاق وأقوى افكارا في هذه القبيلة من اخوانـه المحليين .

فضاعف ذلك من نفوذه ، فتغلغل نشاطه الى أعماق مختلف الاوساط التي لم يكن في استطاعة اخوانه المحليين من قبل ان يتغلغلوا فيها .

وبوجوده في هذه الجهة ، اطمأن فرع ابركان على ما كان بذره من بذور الوطنية الصادقة وان لم يستطع تعهده لها من بعد .

وأثناء هذا العهد « الصافي »، فكر مكتب فرع ابركان في ان يغير اسلوب توجيهاته الى الاخوان هناك من مرحلة الملاينة والمداراة لرجال السلطة الى مرحلة المواقف الصادقة العلنية .

ولذلك فقد استدعينا اعضاء المكتب ببني ادرار كالعادة الى ابركـــان وعقدنا معهم اجتماعا بمنزل الاخ المرحوم السيد عبد القادر الوجدي السابق الذكر ، ودرسنا معهم النقط الاتية .

1) بيع جريدة « العلم » في احدى متاجر بني ادرار بدل شرائها مـــن احفير او وجدة .

2) تعيين السيد محمد بن عيسى مراسلا للعلم على اساس ان يرسل الى مراسلاته الى ابركان بقصد تلقيحها وافراغها في قالب صحافي خاضـــع لدائرة القانون الصحفي ، ريثما يتمرن على ارســـال ذلك الى الجريـــدة مبـــاشـــرة .

3) رفض الاخوان اعضاء المكتب قبول دعوة القائد السيد محمد التميمي الادريسي الى طعام العشاء كل خميس .

4) التصريح له بانهم اعضاء فرع بني ادرار عوض ما كانوا يصرحون به من انهم مجرد اعضاء في الحزب تابعين « لفرع وجدة » .

وقد وقع الاتفاق التام بيننا على كل النقط المذكورة .

وبالشروع في تطبيقها تحرج موقف القائد وأصبح موضع ضغط متوال من ابرونيل ومع ذلك « والشهادة لله وللتاريخ » فقد كان يكتفي بتهديد الاخوان فقط .

واذا لم تخني ذاكرتي فانه لم يعتقل هناك اي أخ لعقيدته الاستقلالية .

وكل ما قام به هناك انه خلق جوا من المضايقة لتبرير قيادته ومؤقته من « ابرونيل » وذلك على الرغم من المراسلات التي كانت تنشرها العلـم باستمرار حول احداث بني ادرار ، وحدث ذات يوم ان ضاق بتلك المراسلات لانها احرجت مواقفه مع «ابرونيل» وقدم الى ابركان وقدم شكاية حبية الى القائد المنصوري يتهمني فيها بانني أنا الذي احرر تلك المراسلات .

وقد استدعاني القائد المنصوري في يوم الثلاثاء ولا اذكر التاريـــخ بالشهر ولكن ذلك في سنة 1950 م ، وقد وجدت القائد التميمي عنده وهو غاضب فابتسم القائد المنصوري وقال لي : ان القائد التميمي يشكو مـــن مراسلاتك ، فانشأ القائد التميمي يذكرني أولا بأنه وطني وانـــه كـــان استقلاليا على يد السيد بناصر بوجدة وانه رجل مغربي مسلم ، وانه يبذل كامل طاقته للعمل في صالح قيادته ، وانه لا يضطهد الاستقلاليين ، ثـم قـــال لـــي :

ولم تحرر تلك المراسلات ضدي ؟

فأجبته : وأنا صادق بعض الشيء ـ انني مراسل ابركان ولســـت

مراسل بني ادرار ، وأدليت بورقة الجريدة التي تنص على انني مجــرد مراسل لها من ابركان ، فأجابني : ولكنك أنت الذي تحرر ذلك لمراسل بني ادرار ان صح ان هناك مراسلا ؟

فأجبته : ان مراسل بني ادرار هو المسؤول عن مراسلاته ولك ان تحيله على المحكمة فسألني : ومن هو ؟ قلت بعد ان تحيل القضية : أية قضية على المحكمة تستطيع ان تتعرف على المراسل ، قلت ذلك لانني أعلم انه لن يقيم دعوى بذلك حيث انني متحقق من أنه لا يستطيع ان يجاهر بعداوتـــــه للوطنية على العموم .

فأجابني ـ وهو مغتاظ ـ انني متيقن من أنك المراسل من بني ادرار وانه في استطاعتي ان اعاقبك بثلاثة أشهر سجنا، كان يقول ذلك، وأنـا متحقق من انه لا يفعل ولو انني لم أكن ـ والحمد لله ، أخشى اي عقـــاب منه او من غيره .

فأجبته : لك ان تفعل ما تشاء . ولكنني اصرح لك مع كامل الاسـف ـ بانكم معشر القواد تعتقدون اننا نحاربكم أنتم أنفسكم مع اننا في حرب مع الاستعمار ، فلماذا تدخلون أنفسكم في هذه الحرب ؟ انظر ... ان القائد المنصوري لم يوجه الي اي لوم على مئات المرسلات التي أحررها من ابركان لانه يعلم الحقيقة وهي اننا لا نحاربه هو ، وانما نحارب الاستعمـــار ، فالى متى وأنتم تجهلون حقيقة كفاحنا ؟ فأجابني : هل تظنون أنتم معشر الاستقلاليين ـ اننا معشر القواد ضد استقلال البلاد ؟ فأجبته اتمنى ان لا تكونوا كذلك ، بان تدعونا وشأننا مع الاستعمار ، فأجاب : ولكن أنتـــم كذلك دعونا من هذا الحملات الصحفية ، فقلت : اذكرك بما قلته لك من قبل: اننا لسنا ضدكم بل اننا ضد الاستعمار ،، فقال : وعلى كل حال فانني طلبت من القائد المنصوري بصفته قائدك ان يجعل حدا لك في هذه المرسلات لانني مرغم على الدفاع عن شؤون القيادة ، فقلت : ان مراسلتي لو كانت مني ، او من غيري لا تضرك في شيء .

فهي منصبـــة علـــى الوضـــع .

وهنا تدخل القائد المنصوري وقال له : يا القائد محمد ، لا يجـــب ان تغضب لهذه المرسلات فالسي قدور يحرر مئات المرسلات من ابركان ، ولكنني مع ذلك لم ألمه ولو مرة واحدة ، ان الفرنسيين لا يمكن ان يوقفوا عنـــد حدهم بعض الشيء الا بمثل هذه الانواع من الكفاح ، والمراسلون يقصدونهم، ولا يقصدوننا هذا الشيء محقق ، فمالك ولهذه المراسلات ؟ دع الصحـــف الوطنية تحمل على الاستعمار .

فعلق القائد التميمي على ذلك بقوله وهو يبتسم بعض الشيء ، أي نصف ابتسامة ! هذا حق ولكن قبح الله « ابرونيل الخبيث » فانه يستدعيني تقريبا كل اسبوع ويوبخني ، وأنا مضطر لان أتف هذه المواقف والا فهل أنا ضد الوطنيين ، ما شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ومن خلال هذا الحديث يعلم القارىء ان القائد التميمي لم يكن اذ ذلك من لون اولئك القواد الذين يقفون عن عقيدة مع الاستعمار على الرغم من كل تهديداته التي صرح بانها كانت عن اضطرار .

ولا ينس القارىء هنا ، ما ذكرته قبل من ان القائد التميمي رجـــل عسكري وعسكريته كانت تحول دون توسيع آفاق فكره افهي لا تعرف الا تنفيذ الاوامر من الرؤساء كما هو الشأن داخل الاجواء العسكرية . على انـه كان يعاني من نفسه العسكرية الامرين فقد كانت عسكريته لا تتلاءم مــع شخصيته كقائد . فالقائد شيء والعسكري شيء آخر ..

فالقائد من شأنه ان يمارس تنفيذ الاوامر العليا ولكن لا بطريق المنهـج العسكري بل عليه ان يراعي ان تنفيذ الاوامر العليا في القبائل يفتقر الى روح من المرونة والملاطفة وعليه ان يراعي ان تنفيذ الاوامر العليا في القبائل حرفيا من شأنه ان يثير الاضطرابات ، واثارة الاضطرابات ليس من صالحه ولا من صالح رؤسائه ، فاذا حاول ان يعاقب معاقبة سياسية فليغطيا مــا استطاع بسبب أو أسباب ادارية او باسباب تمس بالامن العام حقيقة وهذا هو الاسلوب الذي كان يسير القائد المنصوري بمقتضاه ، فلم يكن يعاقب لحدث سياسي بصفته سياسيا ولكنه في معظم الاحيان يعاقب لاسبـــاب بعيدة بعض الشيء عن الميدان السياسي الا اذا صرح له الشخص أمـــام المراقبة بانه فعل كذا وكذا تنفيذا لمقتضيات عقيدته السياسية ، ومع ذلك فقد كانت احكامه « ما قبل 1953 » لا تتجاوز الثلاثة أشهر وكان في بعــض الاحيان ، يتمارض ويوحي الى خليفته بالمواقف التذبذبة اثناء محاكمتـه للوطنيين وقد تذوق الخليفة اسلوب القائد المنصوري ، من جهة ، وآمــن بصدق الوطنية من جهة ثانية ، فكان أسلوبه في الحكم من بعد ،، يقـارب اسلوب القائد المنصوري .

ان ما كان يجري من نشاط وطني وسياسي في قيادات ابركان وهوارة، وأحفير وبني ادرار اثار حماس الاخوان بتانوغالت ، وكانوا الى هذا التاريخ 1950 م يكتفون بمجرد الاتصال باعضاء فرع ابركان ، وتابعون له فـــي الجملة ، وان كانوا قد انشأوا لهم مكتبا موقتا ومجالس جهوية ولكنهــم لم يكونوا يتظاهرون بأي نشاط علني فلا تباع عندهم الصحف الوطنية ، ولا يشاركون في حملة البرقيات التي كنا نرسلها الى الحزب والقصر والمنظمة الاممية ، وحتى في حفلات المغفور له محمد الخامس عليه رضوان الله .

وبناء على الحماس المشار اليه بعث اخواننا بتانوغالت وفدا يطلــب من أعضاء مكتب الفرع بابركان ان يزودهم بجميع وسائل العمل التي مــن شأنها ان تترجم عن استقلاليتهم المتغلغلة في نفوسهم .

وفعلا ، استدعى المكتب بابركان جماعة من الاخوان بتانوغالت تضم مكتبهم الموقت وكتاب وأمناء مجالسهم الجهوية وبعض الاعضاء البارزيـن عندهـــم .

وقد عقدنا معهم اجتماعا خاصا في يوم الثلاثاء من هذه السنة ولا اذكر الشهر بالضبط ، وكان الاجتماع بمنزل الاخ محمد ماضران ، ودام الى الساعة الثانية عشرة ليلا بكل ضبط .

وأثناء هذا الاجتماع درست معهم جميع الوسائل وذكروا بجميع ما يمكن ان يتحملوه من عواقب فوافقوا على كل ذلك بكل حماس واستعداد .

محاكمتي بابركان

في تاريخ 28 افريل سنة 1950 . بكل ضبط وقعت حادثة بالمحكمة الشرعية كان فيها القاضي موضع حراسة من لدن المراقبة خوفا عليه !؟ وكنت في وقت الحادثة في فاس لاشغال تجارية وللاتصال ـ كالعادة ـ بالمرحوم السيد عبد العزيز بن ادريس .

ولما رجعت طلب مني اعضاء المكتب ان احرر مراسلة في الموضوع ، وعلى الرغم من البيانات التي مكنوني منها حول هذه الحادثة فقد امهلتهم لزيادة البحث .

وعقب فراغي من اتمام البحث ، تبين لي ان حادثة المحكمة كانت مدبرة ـ وان اتخذت مجرى الحقيقة ، لذلك اكتفيت بارسال مراسلة موجزة اخبارية لم ادخل فيها في اي تفصيل ولا اكدت تلقائيتها ، ولا نفيت واقعيتها ، وانما قلت فيما أذكر :

وقعت حادثة اخلاقية بالمحكمة الشرعية كان رئيسها موضع حراسة ونحن نتمنى ان يجعل حد لهذه الحادثة حتى لا يستمر الناس يشيرون بالاصابع الى المحكمة التي نتمنى لها الاحترام الذي يلائمها كمحكمة شرعية اسلامية .

هكذا كان مضمن مراسلتي .

وعلى اثر نشرها استدعتني المراقبة وهددتني بالعقاب ان نتج عن مراسلتي ما من شأنه ان يمس بالمحكمة .

وفي عاشر يونيه 1950 ، كان يوم السبت اضرمت نار خفيفة بباب منزل القاضي قام بها شخص عرفت اسمه من بعد غفر الله له فقد صار الى عفو الله .

وصباح الاحد على الساعة العاشرة تاريخ 11 يونيه سنة 1950 جاءني الشاوش بن قدور الذي كان عون القائد المنصوري وطلب مني ان أصحبه الى المراقبة بدعوى ان القائد ينتظرني هناك .

وبمجرد ما سمعت منه ذلك تحقق لدي انني ذاهب الى السجن لانه لا معنى لاستدعائي الى المراقبة في يوم الاحد ، وكان بلغني ان رئيسها توجه الى وجدة للحضور في مباراة رياضية .

ولما وصلت الى المراقبة سلمني بن تدور الى الشاوش موح الذي أمر بارسالي الى السجن ، وكانت الاوامر بعدم السماح لزيارة أي احد لي وان زنزانة على انفراد واعطيت الاوامر بعدم السماح لزيارة اي احد لي وان امنع من قراءة أي شيء .

وبعد ان أغلقت علي باب الزنزانة نمت على ارض عارية ، وحينما اغرقت في النوم استيقظت بعد قليل حيث وجدت الشاوش موح واقفا على رأسي ومع طائفة من رجال المخزن الاداري مدججين بالسلاح . ففاجأني هذا المنظر والنوم لا يزال يعقد اجفاني . فأصبت بانحراف في عقلي ، فقضيت هناك خمسة وخمسين يوما فريسة هذا الانحراف وقاسيت منه انواعا شتى من الآلام ، فمن مرة لاخرى كنت استقبل القبلة واتشهد اذ يخيل الي ان سقف الزنزانة سيطبق على ولا تمر بضع لحظات حتى استرجع رشدي وآخذ في الاغراق في الضحك على نفسي .

وحينما حكم علي بشهر سجنا مع تنفيذ الحكم علي بشهر سابق لمراسلتين تحت عنوان : الكينة في كل شيء ـ مقابرنا ومقابرهم ، طلبت استئناف الحكم .

وبعد مرور خمسة وخمسين يوما علي في تلك الزنزانة بسجن ابركان، نقلت الى سجن وجدة كمرحلة للذهاب الى سجن الرباط بقصد الوقوف أمام محكمة الاستيناف .

ولما وصلت الى سجن وجدة وكان اليوم يوم اثنين ساقني احد الحراس الى رحاب السجن وقد أمر أحد الحلاقين بالسجن من المسجونين طبعا ان يحلق رأسي ، وعندما وضع الحلاق الموسى على رأسي وحلق طرفا من اعلاه جاء رئيس السجن وأمر الحلاق بان لا يتمم حلق رأسي (1) وقال لي : سترجع الى بركان نفس هذه اللحظة لانه ليس من الحق ان تذهب الى الرباط سجينا ولم تبق لك الا أربعة أيام ، فمكثت ما يقرب من ساعة ارسل الي خلالها الاخ الدرفوفي بعض المواد الغذائية .

وأثناء اقامتي القصيرة بهذا السجن التقيت مع الاخ بوطيب بن الشيخ محمد بن رابح البخريصي الذي كاد يقضي شبابه وكهولته معذبا بين السجون والمنافي .

(1) منذ ذلك التاريخ حدث صلع باعلى رأسي الى الآن !

وبينما كنت اتحدث معه اذ نودي علي فمثلت أمام رئيس السجن الذي أخبرني بانه اتصل بمراقبة ابركان واقنعها بعدم سفري الى الرباط لقصر المدة الباقية .

ولما خرجت من باب السجن مخفورا طبعا ، وجدت الاخ الدرفوفي وصديق الجميع الاخ الهاشمي ينتظران خروجي لرؤيتي .

وعلى عادة مغامرات الاخ الدرفوفي فانه استطاع ان يحتال على الحراس للسماح له بالوقوف معي هنيهة من الزمان ، سألني فيها عن حالتي فاجبته

بانني غير طبيعي فكريا ، ولكن حديثي العادي معه حال دون تفهم مما اخبرته بــه .

وصلت الى بركان ، وبت بزنزانتي كالعادة .

وفي مساء الغد الثلاثاء أطلق سراحي ، وأنا أشعر بحالة عصبية

ولكن هذه الحال النفسية لم تكن ذات استقرار . فقد كانت تنتابني من حين لآخر ، وأقاسي من تقلبات النفس آلاما غريبة .

وكمثال لذلك افتح جهاز الراديو ، ولا أكاد أسمع أغنية أو خبــرا ، حتى أقفله تخيلا مني أن رجال الشرطة يحوطون بمنزلي وانهم يباشرون اعتقالي فئاخذ في انتظارهم وأنا أفكر في المصير القاسي الذي ينتظرني .

وقد استغرق قليلا او كثيرا في هذه الخيالات ثم لا البث ان استيقظ وأرجع الى حالتي العادية قائلا لنفسي : وأي ضرر أدبي أو مادي اذا القي علي القبض ؟ الست من الذين وهبوا أنفسهم في سبيل الله والوطن ؟ الســت من الذين خضوا معمعة الكفاح وأنا أطلب الاستشهاد ؟

وهكذا آخذ فى مساءلة نفسى عن هذا «الخوف» الذى لا مبرر له من جهة ، والذي يخالف عقيدتي المتينة من جهة ثانية ، ثم اخذ في الضحــك من نفسي ، وبعد هنيهة أقول في نفسي : لا .. انني مريض بالاعصاب بدون شك ، ولكن هذا « المرض » لا يفهمه عامة الناس بل وخاصتهم ، وكنتيجة لجهلهم به فانهم سيلمزونني بالخوف .

وكذلك كان ، فما وجدت احدا ممن كانوا يرفعونني الى أعلى مراتــب الزعامة الوطنية في بني يزناسن تعرف علي مرضي ، بل انهم كلهم كانــوا يرمونني بالخوف العادي ، بمعنى ان 55 يوما من السجن قد ارعبتني وانني أصبحت أخا فمن الاستعمار محافظة على نفسي ، وقد صارحني بهذا مــن كان بخيل الي انه أعز صديق في الحياة .

وقد عرضت على اطباء في وجدة فلم يهتدوا الى ارشادي الى حــل ، وزاد عدم اهتدائهم الى حل ما ، من مضاعفة حملات متوالية ضدي من مختلف العناصر الخاصة ، فضلا عن العامة .

وقد كنت أكاد انتحر حينما ارجع الى حالتي العادية وأتذكر تنكرات الاصدقاء لي في هذه المحنة التي يجهلون أسبابها لعدم خبرتهم بهذا المرض المتغلغل في كل الاوساط الوطنية .

على ان بعضهم ــ عفا الله عنه ــ انتهز هذه الفرصة للتقليل من نفوذي

وقد درست قضية مرضي من طرف اللجنة التنفيذية فقررت استدعائي الى الرباط لترسلني الى افران بقصد علاجي ، ولكن كتم هذا القرار مــن طرف بعض الاخوان المحليين لحاجة في أنفسهم عفا الله عنهم .

نعم ، اصبت بهذا المرض يوم اعتقالي بالذات « 11 يونيــو 1950 » وفي ثامن عشر نفامبر من نفس السنة كنت اكاد اعافي منه .

ومن هذا التاريخ « 18 نفامبر 1950 » اخذت استرجع حالتي وحياتي العاديتين ، ثم أخذ ذلك المرض ينجلي عني شيئا فشيئا الى ان شفيت منه نهائيا ، واستأنفت نشاطي الوطني باسلوب اقوى مما كان .
الامر الذى قطع الطريق على كل شائعة حولي ·

في تافوغالت أيضا

منذ ان عقد اعضاء مكتب الفرع بابركان ذلك الاجتماع التاريخي بمنزل السيد محمد ماضران مع اخواننا بتافوغالت وهؤلاء الاخوان يستعدون للقيام بنشاط علني ملحوظ للاعلان عن وجودهم كفرع له عزائمه وعقائده ورجاله الذين بايعوا الله ورسوله على الاستماتة في سبيل وطنهم المنكوب .

فرصة سانحة

وفي شهر شتانبر 1950 م ، سافر جلالة المغفور له محمد الخامس الى فرنسا باستدعاء من الجنرال دوكول واشيعت حول هذه الزيارة انباء سارة بان دوكول سيقوم بعمل ما ، في سبيل القضية المغربية بهذه المناسبة، ولكن شيئا من ذلك لم يكن .

والمهم هنا ان نذكر ان هذه الزيارة قوت من عزائمنا على العموم ، وعزائم اخواننا بتافوغالت على الخصوص لذلك حينما ارسل الحزب ـ كعادته مذكرة للامم المتحدة حول القضية المغربية ، ووزعت مئات النسخ منها في كافة انحاء المغرب وكان لها الحظ الاكمل في ابركان،وجاءت تعاليم الحزب القاضية بارسال برقيات الى الامم المتحدة لتأييد المذكرة المشار اليها قام فرع تافوغالت بارسال برقيات من نفس بريد تافوغالت ومن بريد سيدي بوهرية ووصل عدد تلك البرقيات الى عدة مئات ، الامر الذي فاجأ السلطة المحلية لاول مرة في تافوغلت .

ولقد شنت السلطة المحلية حملات هوجاء على اخواننا هناك ، فكان الضرب المبرح امام الملا وكان السجن الانفرادي والجماعي ، وعاشت تافوغالت أي ملحقتها شهورا سوداء ، وعلى الرغم من تلك الحملات الهوجاء، فقد اظهر اخواننا بملحقة تافوغالت من الجلد ومكابدة الشدائد ما أصبح حديث المجالس ، وما كان له اثر عميق سواء في الاوساط الاستقلالية أم في غيرها ، أم في الاوساط الاستعمارية .

ومنذ هذه الأحداث كشف الاخوان الاستقلاليون بتافوغالت اللثام عن وجودهم واخذوا يعلنون في صراحة تامة عن عقيدتهم الوطنية وفكرتهم الاستقلالية. (1)

---

(١) لم يكن لصفة الوطنية أى اعتبار بدون مذهب الاستقلالية التى ظلت ذات المبادىء والوسائل والاهداف الوطنية الواضحة ، ولم يستمر فيها الامن اعتنقها لذات مبادئها ووسائلها وأهدافها «المؤلف»

جريدة العلـم في بنـي يزناسـن

لقد كنت مكلفا ببيع جريدة العلم ومجلة الرسالة منذ صدورها لاول مرة وكنت أبيع سبعين عددا يوميا في خصوص مدينة ابركان ، كما كنت أبيع عشرة اعداد من مجلة الرسالة .

والى جانب هذا كان السيد ادريس لهبيل باحفير يبيع خمسة عشـر عددا من العلم . وخمسة اعداد من الرسالـة .

وفي سنة 1950 م ، وبعد ان اعتقلت الاعتقال المشار اليه ، وحينمـا اطلق سراحي وجدت حالة بيع العلم قد تدهورت فلم يكن يباع منها أكثـر من خمسة عشر عددا ـ ووجدت منها كمية المرجوعات متراكمة في دكاني ، فاندهشت لهذا المستوى الذي لم يكن منتظرا .

ومن سوء الحظ انني خرجت مريضا من السجن ولم يكن في استطاعتي ان اعالج هذا المشكل ، وعندما شفيت عقـب 18 نفامبر 1950 . كان أول عمل لي مهم ان أخذت افكر في علاج المشكل ، ولقد كان لانخفاض عدد المبيعات من العلم اثر سيء في نفوس الوطنيين وارتياح كبيـر في نفـوس الاستعماريين ، وقد ضاعف من ارتياح الاستعماريين تسامعهم بمرضي .

غير انهم ، ـ أي الاستعماريين ـ لم يكونوا يعرفون ما كانت الاقدار تخبئه لهـم .

فلقد تقدمت بمشروع الى اعضاء مكتبنا لدراسة واصدار قرار حـول معالجة هذا المشكل وكان المشروع يتضمن ما يلي :

1) على كل شعبة ان تشترك ولو بثلاثة أشهر في الجريدة ، وكل شعبة رفضت هذا الاشتراك تحل وتطرد من حضيرة الحزب وعلى اللـه الاتكـال .

2) دعاية واسعة واتصال بالافراد الذين تمكنهم حالتهم المادية من اداء اشتراك ما .

3) ان تقوم فروع تافوغالت ومداغ والركادة واحفير وبني ادرار بنفس العمـل .

4) ان يتجول ابرز اعضاء المكتب في الازقة لبيع العلم (بانفسهم وكنت انا في مقدمة المتجولين بالعلم للبيع .

5) ان تباع العلم في مختلف دكاكين ابركان والحيين العربيين الاعلى والاسفـل .

6) ان نطلب من ادارة العلم مائة عدد يوميا ، ويجب ان تباع كيفما كان الامر ، ويجب ان لا تكون أية مرجوعات أصلا .

7) ان يزهد كل بائع في ثمن القبض للصبيان المتجولين بالعلم .

8) الاشتراك في مجلة الرسالة .

ولقد صادق مكتب الفرع على المشروع برمته، ووزعت منه نسخ على المجالس

الجهوية وبقية الفروع التي وزعت نسخا منه أيضا على مجالسها الجهوية
ولم تمض مدة طويلة حتى كانت تباع في خصوص ابركان مائة عدد من العلم يوميا .

وكانت الاشتراكات مائة وأربعينا عدد في خصوص ابركان .

واشتراكات الرسالة ثمانية وأربعين .

وعدد المبيع منها على يدي عشرين عددا .

وبهذه العملية ضربت العلم والرسالة الرقم القياسي في الروجان .

وانني لاذكر جيدا ان اعداد الاشتراكات وصلت في يوم واحد وفوجىء رئيس مكتب البريد بها وأخبر المراقبة التي أمرته بتوزيعها على أصحابها .

ولاجل تقوية ترويجها أخذت أحرر عدة مراسلات حول أحداث ابركان وتافوغالت والركادة ومداغ وأحفير وبني ادرار والسعيدية ، الامر الذي حمل الناس على اختطاف اعداد العلم .

فكان الناس يتجمهرون في كل اصيل لدى باب البريد ليشتروا العلم. والا فاتتهم قراءتها ، فالمراسلات المتوالية المتنوعة وفي كل جهة كانت تعمل على ترويج العلم ترويجا مدهشا .

فلقد كان الانسان يمر على المقاهي والمتاجر حوالي الساعة الخامسة مساء فيشاهد عشرات القراء منكبين على قراءة العلم .

ويتضاعف عدد القراء حالما تصدر مجلة الرسالة وجريدة الاستقلال بالفرنسية لسان حال حزب الاستقلال .

وتتكون بذلك مناظر وطنية عجيبة وممتعة ومدهشة في نفس الوقت .

ويضاعف من روعة هذه المناظر ان القراء في المقاهي لاالمتاجر كان يجتمع عدد مهم من حولهم ليطلعوا على ما تقوله الصحف الوطنية المذكورة .

وزيادة في العمل على ترويج العلم ، فتحت لي بابا في الجريدة ، فلقد لخذت أحرر مقالات توجيهية وأخرى في الثقافة والاقتصاد المحليين .

فكتبت سلسلة تحت عنوان الانتعاش الثقافي في بني يزناسن تحدثت فيها عن نشاط بني يزناسن في ميدان الثقافة في مختلف العهود .

وكتبت سلسلة تحت عنوان الانتعاش الاقتصادي المحلي أيضا .

وهكذا كانت العلم تشتمل على عدة مراسلات من مختلف الاحقات وسلسلة مقالات توجيهية وثقافية واقتصادية وأبحاث متنوعة .

وكل ذلك كان يضاعف من ترويج العلم .

وازاء هذافكرت في استجلاب الصحف الوطنية منالجزائر وتونس وكنت ابيع البصائر والشعلة من الجزائر والاسبوع ومجلة المباحث من تونس .

وكتبت في «الاسبوع» والبصائر والشعلة فكان اسم ابركان في العلم في الاسبوع ، في البصائر ، في الشعلة ، وكان ذلك مما يضاعف من تنمية الوعي الوطني .

ذيول أواخر هذه السنة

أشرت فيما سبق الى المذكرة والبرقيات التأييدية المبعوثة الى جمعية الامم المتحدة من طرف الحزب والفروع وان المذكرة وزعت بمجموع دائرة بني يزناسن .

ويجدر القول هنا ان توزيع هذه المذكرة بابركان كان رائعا بديعا محكما كل الاحكام ويكفي كمثال لذلك ــ ان رئيس المراقبة وجد نسخة منها في سرير نومه ــ وما من معمر الا ووجدها في حجرة نومه ، ولتضليل السلطة الاستعمارية فقد القيت المذكرة تحت ابواب جميع دكاكين ومنازل ابركان كما وزعت مناشر صغيرة في جميع قرى ومداشير بني يزناسن بحيث لا يمر الانسان من طريق من شبكات طرقات ابركان ، الا ويعثر على المناشير المطروحة على الارض أو تتطاير كأسراب الفراشات .

وقد اندهش المعمرون ايما اندهاش بوجود هذه المناشير المختلفة في كل جهة من جهات بني يزناسن ورأوا فيها نذير شر مستطير .

واذكر جيدا ان احد المعمرين واحتفظ الآن باسمه بمقتضى المجاملات السياسية التي تقتضيها الظروف (1) ، ان هذا المعمر زار رئيس المراقبة في مكتبه فكان حاضرا في ذلك الوقت القائد المنصوري ، وقال للرئيس أي المخمر قال لرئيس المراقبة وهو غاضب ، ما هذا الذي يقع هنا ؟.. ان حياتنا أصبحت في خطر ، وسلم نسخة من المذكرة المحررة بالفرنسية الى رئيس المراقبة ، فأجابه هذا الاخير بانه هو الآخر وجد مثل هذه النسخة في سرير نومه .

فقال له ذلك المعمر ، يجب ان نعلن الحرب ! فأجابه رئيس المراقبة « رامونة » على من ؟

على قدور الورطاسي والحسن شاطر وعمرو الوكوتي هؤلاء الثلاثة يجب ان يقتلوا في شوارع ابركان بالرشاشات فقال له رئيس المراقبة : ولكي هؤلاء لم يعلنوا علينا حربا ، ولا ضربونا ، أما المناشير فانهم لا يعترفون بتوزيعها ولاسيما وقد وزعت في المغرب كله .

ثم تدخل القائد المنصوري الذي «طمنه» بقوله : لا تخش فانني ساقوم بالواجب .

اعتقال السيد عبد القادر اليعقوبي

سبق لي ان ذكرت ان المرحوم السيد عبد القادر اليعقوبي كان ــ علاوة على عضويته بالمكتب وخلافته لكاتب الفرع ــ مكلفا بالاتصال ببني بويعلي الزناتيين من ملحقة تافوغالت ، واثناء اعتقالات بتافوغالت في ظروف توزيع المناشير المشار اليها ، وقد كانمن الذين اتهموا هناك بقيادة حملة هذه المناشير الموزعة، اذ كان يقوم بنشاط متواصل .

ولذلك اعتقلته السلطة المحلية أي انها استدعتــــه من أبركان حيــث مسكنه ، وحيث كان يزاول التعليم بالمدرسة الحرة ، والقت به في السجن. ثم حكم عليه بثلاثة أشهر سجنا منفذا ولم يجد الدفاع الذي تكلف فـرع ابركان بالنفقة عليــــه .

ونظرا الى أن سجنه هذا كان سببا في القضاء على حياته من بعـد ، فسأعقد فصلا خاصا لترجمة هذا الشهيد اتحدث عن حياته بشيء كثير من التفاصيل ان شاء الله .

اعتقـــالات في ابـركــــان

ولقد أعقب توزيع هذه المناشير شن حملة اعتقالات واسعة النطاق في صفوف الوطنيين وخصوصا من بني منقوش ، وأخص منهم مسيري فـرع حزب الاستقلال بالركادة ومن هؤلاء المعتقلين السيد عبد الكريم بن السيد علي العروسي ، والسيد محمد بن الشيخ حمدون اليجدايني وعدد آخر لم استحضر الآن اسماءهم .

وما زلت أذكر انه استدعى هؤلاء الاخوان للحضور الى مكتب المراقبــة وانهم اصطحبوا معهم فراشهم ووسائل الطبخ والشاي وأخذوا يتناولونــه فوق فراشهم الذي اثثوا به ساحة المراقبة ، وهم يضحكون ويمرحــــون وكأنهم في نزهة ربيعية .

وقد كان بالمراقبة فرنسي من نواب رئيس الدائرة يدعى : «روبينيري» ولما شاهد المنظر اندهش وأرسل الى الخليفة السيد عبد القادر بن الماحــي يسأله عن شأن هؤلاء .

فاجابه الخليفة وهو يبتسم ، انهــم الاستقلاليـــون الذين أمرتنــي باستدعائهم ، فسأله هذا المراقب : ولكن لم أتوا بفرشهم والآت الطبــخ والشــاي ؟ فأجابه الخليفة : لاعتقادهم انهم سيذهب بهــم الى السجن ! فسأله ايضا : وهل هم مستعدون دائما للدخول الى السجن ؟ فأجابه : نعم انهم لا يخشون من السجن .

فعجب المراقب لهذه الاستقلالية التي بلغت الى هذا المستوى من التضحية الصادقة ، فبادر الخليفة قائلا : انهم أشجع من هذا ، ولو تلقوا تعليمات للقيام باي عمل كان ، ما تأخروا عن تنفيذه . لا تعتقد ان السجن سيؤثر على عقيدتهم الاستقلالية ، انهم اقوى وأشد من ذلك . وكانت النتيجة ان أطلق سراحهم. واذا لم تخني ذاكرتي فقد كان عددهم يقارب العشرين استقلاليا .

أزمــة سنـــة 1951

في أوائل هذه السنة كانت الازمة المغربية على أشدها ووصلت الـى مرحلة ينتظر انفجارها من لحظة الى اخرى فالزيارة التي قام بها المغفور له

جلالة محمد الخامس رضي الله عنه الى فرنسا لم تأت بأية نتيجة كما كان منتظرا فالجنرال جوان واساطين الاستعمار كانوا يحولون دون أية مفاهمة حول صلب الموضوع الامر الذي ارغم الحكومة الفرنسية على مسايرة نظريات المستعمرين فرجع جلالة الملك رحمه الله بما ذهب ، فراغ في فراغ .

اذ أنه رحمه الله كان صلب العقيدة وصلب الموقف فلم يتزحزح قيد أنملة عن أهدافه التي كان يامل تحقيقها وحينما رجع الى المغرب أخذت الازمة تشتد لحظة فلحظة بتصلب كلا الطرفين لمواقفه ، فلقد كانت للاقامة العامة مشروعات ظهائر كثيرة قدمتها لصاحب الجلالة وأبى المصادقة عليها لمساسها بالسياسة المغربية من جهة ولحيلولتها دون حصول المغرب على ما كان عازما عليه من استرداد حريته واستقلاله من جهة ثانية .

وفي أواخر يناير 1951 ، او في أوائل فبراير 1951 دعت اللجنة التنفيذية للحزب الى عقد اجتماع من ممثليها ومساعديهم في الاقاليم .

الى الدار البيضاء

في مساء يوم الجمعة زارني أحد الاخوان من وجدة في دكاني وسلم الي استدعاء اللجنة التنفيذية للحضور في مؤتمر ينعقد صباح الاحد الموالي .

وفي صباح يوم السبت سافرت الى وجدة حيث وجدت الاخ المرحوم بالله محمد الدرفوفي ينتظرني في دكانه ، فاستقبلني بابتساماته الشهيرة قائلا : هاذي ،، هي هاذي « يالخوى »

واخذنا في دراسة كيفية السفر الى البيضاء لان الشرطة السرية كانت مسعورة في جميع الجهات وخشينا أن تحول دون سفرنا . ولم يكن يهمنا ان نعتقل من بعد اداء مهمتنا ، وقد اتفقنا على ان السفر في القطار فيه خطر وان الاسلم لنا بعض الشيء ان نسافر بواسطة احدى سيارات النقل المتواضعة والتي لا تستلفت الانظار كثيرا .

وكان نوع من ذلك بطريق مراكش فامرنا صديق الدرفوفي على الخصوص الشاب الهاشمي ليحجز لنا مقعدين فيها ، وكان من المقرر ان تخرج السيارة على الواحدة بعد الزوال .

وقبل حلول ميعاد خروجها ذهبنا الى منزله حيث تناولنا طعام الغداء ، وارتدينا ثيابا متواضعة ولم نصطحب معنا أية حقيبة حتى لا نلفت الانظار بعض الشيء .

وكانت السيارة لا تتجاوز فاس ، ومن هناك كان يجب علينا ان نقل القطار .

وفعلا وصلنا صباح الاحد الى البيضاء بعد ان قضينا كامل الليل في مراوغة رجال الشرطة بتنقلنا من عربة الى أخرى .

وقد تناولنا طعام الفطور بالبيضاء عند الاخ محمد بنمنصور الوجدي وقد افتتح الجلسة الاخ المجاهد الاستاذ سيدي الحاج عمر بن عبد الجليل قائلا :

أيها الاخوان : اننا مسرورون جدا بعقد هذا الاجتماع في هذه الظروف العصيبة والتي لم تحل دون حضور جميع الممثلين للحزب من سوس الى ابركـــان .

والمقصود - اخواني - من هذا الاجتماع ان نخبركم بان سلامة محمد الخامس مضمونة تسعين في المائة اما سلامة الحزب فهي مهددة بالخطر .

والذي يهمنا ان تضمن سلامة صاحب الجلالة الذي هو قائدنا الاعلى والذي هو رمز كفاحنا وبطل قيادتنا فعليكم ان تستعدوا للتضحيات المتبلة تربيا ، فالاقامة العامة على وشك تنفيذ برنامجها الجهنمي .

على انه من الممكن ان يقع ما ليس في الحسبان فلا تتعرض سلامة الحزب للخطـــر .

ثم قال : اننا - أيها الاخوان - نعمل قليلا ، والله يعمل كثيـرا واذا اضطهدنا فنحن مؤمنون بأننا سنخرج من المعركة أقوى مما كنا ، كما كان شأن الله معنا ولا يزال ان شاء الله معنا .

وحكى لنا أن صاحب الجلالة محمد الخامس رضي الله عنه قال : المغرب سيارة ، والدريكسيون « أي القيادة » عند الله ، حكاها لنا هكذا بالحـرف . وابتســـم .

ثم أخذ يسألنا واحدا فواحدا عن الحالة في كل اقليم فقدم كل واحد منا عرضا شفويا مختصرا عن الحالة في الاقليم الذي يمثله .

وقد ظهر من استعراض الحالة ان الاستعماريين هيأوا جوا قاتما مسموما استعدادا لشن حملة قاسية على الشعب المغربـي .

فلقد كان الاجانب على الاطلاق عبوسي الوجه ، قليلي الكلام ، شديدي اللهجة لا يتسامحون حتى في أتفه الاشياء ، يبادرون المغربي بالسبــاب والشتام لاقل سبب .

نشعر بهذه الحالة في وسائل النقل والمقاهي والفنادق والمطاعم والازقة والشوارع في كل ميدان من ميادين الحياة

وقد كان للشرطة نشاط لا يعرف طلوع الشمس ولا غروبها فهي تلتقط كل حركة وتسجل كل سكنة ، ولا يقف اثنان الا والشرطي ثالثهم .

وشمر أذناب الاستعمار عن سواعدهم فاخذوا يساعدون الشرطة بكل ما يملكون من وسائل حتى كادت النوادي العمومية والمقاهي والمطاعم والفنادق تخلو من الزبناء المغاربة ، على ان المكلفين بهذه القطاع كانوا يرفضـــون مباشرة أو بطرق مختلفة استقبال المغاربة ومن استقبل منهم عومل معاملة الاحتقار أو الاذلال واحصيت عليه انفاسه .

وسرى هذا الجو المسموم الى افئدة المغاربة الاحرار ، فكانوا يواصلون الوجوم ولا يتحدثون الا لضرورة وبكل اختصـــار ، بل اصبح الاحرار يتفاهمون بالاشارات والعيون والحواجب والى هذا كانت السلطة في ابركان

تستدعي كل يوم عدة أشخاص الى مكتب الشرطة أو الى المراقبة لتأخذ عنهم حالتهم المدنية ونزعتهم السياسية (1) مع الحرفة التي يمتهنونها كما كانت تستدعي اليها اشخاصا تعتقد أنهم من مسيري الفرع بابركان ، أي مجموع دائرة بني يزناسـن .

أما المؤلف هذا فقد كان يستدعى للمراقبـة ثـلاث مرات أو أربع فـي كـل أسبـوع .

نعم ، بعد ان انتهينا من أعمال مؤتمر الدار البيضاء المشار اليه وخرجنا من محل الاجتماع لاحظنا جيشا من رجال الشرطـة السريين والعلنيين والاذناب ، ورجال القوة المساعدة على دراجاتهم يعبرون الازقة والشوارع جيئة ورجوعا ، وكانت الزقاق والشوارع القريبة من « الضيعة » بالخصوص تعص بهذه الانواع من الملاحظين والمتجسسين .

اذكر جيدا انني والاخ الدرفوفي ركبنا الى الرباط مع المجاهد الكبير الاستاذ سيدي أبي بكر القادري في سيارته الخصوصية .

وحينما وصلنا الى الرباط وجدنا القطار على أهبة التوجه الى وجدة فركبته وبقي الاخ الدرفوفي في الرباط لاشغال تجارية ووصلت الى ابركان على الساعة الثامنة ونصف صباح يوم الاثنين . وبمجرد ما دخلت المنـزل جاء الي المرحوم السيد عبد القادر الوجدي وسألني عن حالي فأخبرته باختصار عن حالة سفري . ثم عقد المكتب اجتماعا طارئا قدمت له فيه عرضا مفصلا عن الاجتماع وعن ارتساماتي واستنتاجاتي .

وكانت ارتساماتي واستنتاجاتي قد عودت أعضاء المكتب ان يستعجلوني في العرض لاقدم لهم ملاحظاتي الخاصة ، ويقولون لي : دعنا مما سمعـت ومما قلت وهات ما لاحظت .

ذلك أننا كنا تعودنا من قادة الزحب ان يشيروا بطرف خفي الى أخطر الاسرار أكثر ممايصرحون به وكنا نعتمـد في تعاليمهـم وعروضهـم على مستوى لهجاتهم من الحرارة والبرودة ، وما كان يفهم من اسارير وجوههم الطليقة والمنقبضة ، ومن شفاههم الرطبة والجافة ، ومن أنفاسهم العاديـة وغير العادية ومن استعداداتهم وعدم استعداداتهم للمناقشة والاجوبـة عن الاسئلـة .

وبناء على ذلك صرحت لاخواني اعضاء المكتب باننا مقبلون على حوادث خطيرة فعلينا أن نستعد لذلك كل الاستعداد .

وعلى الرغم من هذه الاحواء المسمومة فقد كانت شئون فروع الحـزب بابركان تسير طبق التعاليم المقررة ولكن في سر واحتياط كبيرين .

فلقد كنا في بعض الاحيان نلجأ الى الحالة الاستثنائية التي قررتهـا

---

(١) لا يفهم من هذه الجملة انه كان هناك نزعات سياسية مختلفة ، بل هناك حزب الاستقلال ليس الا ٠٠ «المؤلف»

مكاتب الفروع، وذلك بالتفويض لكتاب الفروع أن يختصروا من أعضـاء المكاتب في اجتماعاتهم الطارئة ويبلغوا لبقية الاعضاء ما تقرر في الاجتماع .

25 فبـرايـر 1951

وفي فجر يوم الاحد خامس وعشـري فبراير 1951 ميلادية سمعت طرقات على باب المنزل الخارجي وعرفت ـ للحين ـ انها طرقات رجـال الشرطـة .

فهيأت من نفسي وأيقظت زوجتي فقط وودعتني دون أن أوقظ والدي وأولادي خديجة ، وراضية ، ورشيدة ، وفريدة ، وحفيظة ، وكانت زوجتي حاملا قريبة الوضـع .

فوجدت قرب باب المنزل الشرطيين السريين بنعيسى المهياوي ، واحميدو العجرودي من السعيدية باولاد منصور قيادة القائد الدخيسي الهواري .

فقالا لي بعد التحية : ان المعلم اى رئيس الشرطة يريدني الآن ، فذهبت معهما واركبني المعلم مع الشرطيين المذكورين سيارة الشرطة الى وجدة .

وخارج مكتب شرطة الامن الاقليمي أمرت بركوب سيارة « جيب »

وبعد هنيهة رأيت الاخ المرحوم محمد الدرفوفي خارجا من مكتب الشرطة الاقليمي وكان يدتدي معطفا غليظا في حين انني كنت ارتدي جلبابا ، ولا شيء لي غيره ، دخل علي في السيارة فابتسم وحياني فسألني فور التحية ؟ فأجبت ساخرا وأنا أضحك الى سيدي بوبرنوص .

وسيدي بوبرنوص هذا كان في مطاوي صحراء فجيج ، وكان برونيـل يهددنا أنا والاخ الدرفوفي بالنفي اليه وكانت المواصلة بين فجيج وسيدي بوبرنوص بطريق الجمال فقط ، وكان هناك ضابط اوروبي يقوم بالحراسة الصحراويـة .

فقال لي الاخ الدرفوفي : ويلك .. الى سيدي بوبرنوص ؟. انه الموت المحقق ، فقلت : وماذا ننتظر من الاستعمار غير الهلاك والدمار ؟.

فقال لي : قل بالله عليك الى أين تظن المصير ؟ فأجبته جادا ، لا اعتقد أننا سنتجاوز فكيك ولكن تجاوزنا فجيج الى سيدي بوبرنوص متوقـف على الظـروف .

ويظهر ان جلالة الملك محمد الخامس سوف « لا يقطع الخيوط كلها مـع الجنرال جوان اليس كذلك ؟

انظر ... ان كل شيء في السيارة يدل على ان رجال الشرطة الذيـن سيرافقوننا على نية الصيد وهذه الحالة لا تعدو سببين ..

اما أنهم أرادوا بالاصطياد الظاهر بانهم لا يحملون في هذه السيارة أي معتقل سياسي لتضليل من يراهم حتى تنقطـع أخبارنـا عن العائلـة والحـزب ..

وأما أنهم يعرفون ان وضعيتنا الآن غير قاسية ، وهذا السبب أظهـر

عندي فقال لي رحمه الله ما دام أننا مجتمعان يؤانس بعضنا بعضا فلا عسر ان شاء الله .

فسألته ومتى اعتقلوك ؟ ج بالامس قضيت ليلتي في الزنزانة .

س : وهل نالك مكروه بالامس ؟ ج : لا .. فقلت اذن ، فالامرسهل ان شاء الله وبعد بضع دقائق اتجهت بنا السيارة الى أحد المكاتب التي كنت أجهلها وعندما نزل رجال الشرطة السرية منها قال لي الاخ الدرفوفي هل تعرف هذه البناية ؟ ج : لا .. انها بناية الشرطة السرية السياسية التابعة للاجنة السياسية التي لها مكتب بعمالة الاقليم وتحت اشراف رئيس الناحية انها : البست « بكسر الباء وسكون السين وكسر التاء انها الشرطة التي تتوفر على جميع أنواع التعذيب ، وقد سبق لي ان كنت ضيفها فهل سنكون ضيوفها اليوم ؟

فابتسمت قائلا : دع عنك الوسواس ، ان جهاز السيارة لا يزال يتحرك وهذا دليل على ان رجال الشرطة سيرجعون قريبا لمواصلة نقلنا الى جهة ما ، واظنها جهة صحراء وجدة وما دخلوا الا للحصول على متممات لملفبنا وكذلك كان : فلم نتم حديثنا حتى رجعوا .

وفعلا اتجهت السيارة نحو صحراء وجدة : طريق بركم .. وحينذاك ابتسم الاخ الدرفوفي وقال الحمد لله : ان المسافة قريبة فقلت له : **شرف رخيص .**

وأردنا ان نجس نبض رجال الشرطة فسألتهم هل في الامكان ان نتناول طعام الفطور في مقهى ما ؟ فأجابونا بكل أدب واحترام : لا مانع من ذلك ، ولكن لا توجد مقهي مفتوحة الآن ، فالى قرية كنفودة ، وهنا اشتروا لنا خبزا وسمنا وعلبا من السجائر .

ولم نصل الى تندرارة حتى كانت أسناننا تصطك اصطكاكا من البرد القارس ، علاوة على اتعابنا من ركوب تلك السيارة التي كانت مثقلة بأكياس من الرملة التي لم تحل دون قفزاتها .

في تندرارة

استلمتنا سلطة تندرارة ووضعتنا في محل خاص ولما دخلنا المحل قال لي الاخ الدرفوفي : انه محل محترم ، بيتان : احدهما يفضي الى الآخر ونوافذ عصرية وأرض مزلجة وكهرباء ، ان هذا المحل مرح جدا وهو دليل على يسر وضعيتنا ! فضربت على كتفه وابتسمت وقلت : انني معروف بالتفاؤل ولكنك أكثر مني تفاؤلا لا تتخيل انهم سيتركوننا في هذا المحل ان محلا آخر ينتظرنا .

وفي الساعة الثالث عشرة ، أي بعد ساعتين من وصولنا سلموا لنا « شربة وخبزا » فقال الاخ الدرفوفي : وهذه ؟ اليست دليلا على يسر وضعيتنا ؟ قلت لا تعجل ان الامر أمام ...

وفي الساعة الثانية ، لاحظنا ان مساجين « ينظفون » اصطبلا قبالة المحل الذي كنا فيه فقلت له : ذاك هو مأوانا يا أخي الدرفوفي ، انها تندرارة ذات البرد القارس حتى في فصل الصيف .

وحوالي الساعة الثالثة مساء جردونا من نقودنا ، او على الاصح جردوني من نقودي أما الاخ الدرفوفي فلم يكن يحمل معه نقودا اللهم الا من بضع دريهمات فيما أذكر .

وفي الساعة الرابعة تقريبا ادخلنا الى الاصطبل الذيكان سقفه من الزنك وكان طول الاصطبل عشرة امتار وعرضه خمسة امتار وارضه ترابية ، لا فراش فيه اصلا ، وهنا قلت للاخ الدرفوفي : هل رأيت ؟ هذا المكان الذي يتلاءم ودناءة المستعمرين ، على اننا نحمد الله ونشكره على سعته وطوله على الرغم من رداءة سقفه وعدم فرشه فهو على كل حال أفضل من زنزانة مظلمة ندية ضيقة .

وبعد لحظات او دقائق طرقنا الباب فجاءنا « شاوش » المراقبة وذكرناه بعدم وجود أي فراش فأجابنا : لا شيء عندنا من ذلك ، ولكن انتظرا ، ثم جاء بكيس من الحلفاء غير اليابسة لا يسعنا طولا ولا عرضا ، ثم أوتي لنا « بشربة وخبز » .

وعندما أسدل الليل رداءه أخذت قطرات الندى تنزل علينا مباشرة . وتذيقنا من برودتها آلاما وآلاما .. فاقترح علي الاخ الدرفوفي ان نتلهى باملائي قصة بوليسية وكان يعرف ان ذاكرتي تزدحم بهذه القصص ، وقصص « شيكاغو » على الخصوص ،فاخذت أسرد له واحدة مما كنت أذكر، وكان ـ رحمه الله ـ يستسلم الى النوم على أي حال بمجرد وضع رأسه على الارض ، ويشخر شخيرا منكرا ، فكنت أقطع سرد القصة لاوقظه وأقول له : انا اسليك بالقصة البوليسية ، وأنت تؤذيني بهذا الشخير المنكر ؟ كيف استطيع النوم على هذا الحال ، فيقول لي : انني طربت بموسيقى قطرات الندى وتلذذت بمتعة القصة فاسلمت نفسي الى النوم ، ولادخل لي في الشخير انه يأتيني عفوا كما تعلم ، وأنت تصول وتجول مع ابطال قصتك في شيكاغو ، فلماذا لا أنام ؟ انك بمثابة والدة تهدهد ولدها لينام ،،، استمر ،، استمر ،،، ودعني أنم .. ولا تشغل بالك بالشخير انه أيضا من متممات «الجوق » وتنقطع الكلمات بين شفتيه ويسلم نفسه الى عالم الاحلام ، فابقى أنا جالس لا يراودني النوم .

لقد كان وسادنا من نعالنا ، أما الغطاء ، فكنا نضع معطفه على ارجلنا، وجلبابي على صدورنا ، ولا يزال يغط في نومه ، وأنا أستمع الى قطرات الندى بل قطرات الجليد التندراري ، وأتلقى منه ما كان يجافي النوم عن عن جفوني ويذيقني عذابا غير محدود .

وبمقدار ما يخطو الليل ليقطع المسافة الطويلة بينه وبين الفجر ، بقدر ما تسرع قطرات الجليد في النزول على اجسادنا ، وتتضاعف السرعـــة ، وتتضخم القطرات حالما يهب «نسيم» ليالي فبراير ، وليالي فبرايـر فـــي تندرارة كانت تذكرني بما قرأته عن « سبيريا » اي الشعب العربي السلم الذي كان على عرشه الامير صابر ، ومن اسمه اشتقت كلمة سبيريا الشهيرة

وبطول الليل ،، ويطول جدا ،،، وأشعـر بتفكك مفاصلـي وآلامهـا . وباتعاب جفوني وكثرة فتحها وأطباقها وبآلام الجوع يجلد معدتي دون ان أجد شهية لتناول شيء من الخبز الذي كان بجانبـــي ، والذي استحال الـى حجرة صلداء من قساوة البرودة ، وكلما شعرت بانني أكاد استسلم الـى النوم هجمت قطرات الجليد فايقظتني ، وهكذا تضيت تلك الليلة « البيضاء » في صراع مع الطبيعة القاسية والجوع والنوم وشرود الفكر . ولا يعزينـي الا تلك العقيدة الوطنية الطاهرة .

استيقظ الاخ الدرفوفي عند الفجر وسألني ما اذا كنت ذقت طعم النوم ؟ فأجبته بالسب ، فقال لي : اما أنا فقد نمت ، فدونك معطفي ، والبـــس جلبابك لعلك تستريح بعض الشيء فشعرت بعد ذلك بشيء من الدفء ونمت قليلا بينما كان هو جالسا يتلوى من آلام البرد ومن مرض الاعصاب الـــذي يضاعف البرد من اشتداده .

لم أنم كثيرا فقد استيقظت لنتيمم ونصلي الصبح معا في وقت الغلس

قضينا مساء الاثنين 26 فبراير 1951 على هذا الحال الى مساء الخميس 29 منه فزارنا المراقب بطلب منا وقدمنا له احتجاجنا علـى هـذه الحـــال . فاجابنا بان الامر ليس في يده ، وسيتصل برئيس الناحية برونيل .

وفي زوال يوم الجمعة 30 ببراير المذكور نقلنا على متن القطار الـى بركم وعرفنا اثناء هذه المسافة ان صاحب الجلالة محمد الخامس رحمه اللــه أمضى على البروتوكول بالحروف الاولى وان هدنة ما ، وقعت بينه وبيـــن اجـــواز .

أخبرنا بذلك المخزني الذي كان يقود بنا سيارة «جيب» الى محطـــة القطار ، نقلا منه عن « السعادة » كما قال ،،،

فـــي بـــركـــم

وصلنا الى بركم مخفورين برجال المخزن الاداري ووقفنا ساعة كاملة في رحاب الملحقة في انتظار استقبالنا من طرف الترجمان ابن السيد عبــد القادر « فرينة » الجزائري أصلا الوجدي منشئا ومنزلا ، وكان علـى رأس المراقبة هناك القبطان الاعور : بيير الذي كان رئيس المكتب في ابركـــان وكان يعرفني جيدا .

وبعد ان استقبلنا الترجمان امر بوضعنا في زنزانة من زنزان الملحقة وكانت هذه الزنزانة ملبئة ببعض مواد البناء من خشب وغيره ، والى قرب

الباب محل فارغ جلسنا فيه ، حيث وجدنا هناك سجينا غير سياسي من بني كبـل .

وكان له فراش غليظ دافىء اقتسمناه معه وطلبنا من رجال المخزن ان يهيؤوا لنا شايا ففعلوا .

شربنا الشاي كثيرا حتى دفئنا وذهبت عنا تلك البرودة القاسية التي نالتنا في رحاب الملحقـة .

وقد كلف بنا مخزنيان : ابراهيم وباسو .

وقد ساعدنا الفقيه كاتب فرع بركم السيد محمد التسولي ، او التزاني كما يعرف في قبيلة التسول باكثر مما يمكن من المساعدة أكلا وفراشا ، وان كان كثير من الفراش لم يصلنا وعرفنا من بعد أنه أخذ من طرف رجال المخزن ، اما أخذوه لانفسهم واقتسموه مع الغير ، أو سلموه الى الغير لا ندري ؟ .

وكان باسو المذكور يتصل فقط بالاخ الدرفوفي ، وقد رابني هذا الاتصال فقلت للاخ الدرفوفي ان اتصال باسو بك فقط يريبني فيه، انها محاولة للتغرير بك فاحذر ،، فاجابني : ولا عليك انه مجرد رجل طيب !

وفي يوم الاثنين حادي عشر مارس 1951 اسر باسو الى الدرفوفي بان « سلام » بتشديد اللام « أخ زوجة الفقيه التسولي يريد مقابلته مساء اليوم وذلك على اثر الرسائل المتبادلة التي كان يزعم « باسو » أنه ينقلها اليهما نحذرت الدرفوفي من ذلك ولكنه اصر على الخروج لمقابلة « سلام » بباب الملحقـة .

ولم يكد الدرفوفي يقف مع « سلام حتى فاجأهما الشاوش والترجمان فهرب الدرفوفي الى الزنزانة والقي القبض على سلام الذي وضع في زنزانة بعد ان ضرب في مكتب الترجمان ، ضرب برجله تلك القفة التي كان فيهـا طعام العشاء ، وعلق مع ذلك تعليقا ساخرا !

وبعد هنيهة اخرج الكيلي من زنزانتنا ودخل مخزني مسلح من بني كبل علينا واغلق الباب ، بينما كان مخزني مسلح خارج الباب يحرسنا .

فقلت للدرفوفي : هـل علمـت الآن دور باسـو ؟ ج : نعم ،، غرر بنا قبحه اللـه .

والتفت الى المخزني وسألته ، هل معك سجائر ؟ فرفع سبابته اليمنى وهو يقول : أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمد رسول الله ، فكررت السؤال فكرر التشهد ، وتناولت علبة السجائر « نافوريت » من يده دون ان يقاوم وصرت ادخن أنا والاخ الدرفوفي الذي استغرق في الضحك حتى كان يسعل سعالا متواصلا وكاد يتقيأ من « متعة » المشهد .

وعلى كل حال بعد ان اتينا على سجائر العلبة طوينا تلك الليلة جوعا ونمنا الى الصبـاح .

وعند شروق الشمس جاءنا ابراهيم وسألنا ما اذا كنا في حاجة الى شراء شيء ما ، وحكى لنا « مأساة » باسو الذي بات ليلة « في الزنزانة » فاعطيناه دراهم لشراء السكر والزبدة والسفنج ، فافطرنا وقبل الزوال جاءنا « باسو » يبكي لانه حكم عليه بغرامة قدرها الفا فرنك ؟! فطلب مني الدرفوفي ان أعطيه الف فرنك فاخبرته بانني فارغ اليد الا من خمسمائة فرنك فسلمها له « ونحن نعرف الحقيقة » .

وفي مساء الثلاثاء ثاني عشر مارس 1951 ميلادية استدعى القبطان الاعور الاخ الدرفوفي ودار بينهما حديث حول قضية ليلة الثلاثاء وكان القائد السهلي حاضرا في ذلك ثم استدعاني القبطان ايضا وسألني عن القضية فأجبته بما كنا اتفقنا عليه انا والدرفوفي .

وفي صباح الثلاثاء تاسع عشر مارس 1951 نقلنا مسلسلين الى دائرة احواز وجدة ، ومنها الى السجن المدني ، حيث وجدنا هناك اخوانا لنا معتقلين وهم :

محمد بن زيان ، أحمد بندالي ، محمد بن التهامي براداة ، عبد الرحمن حجيرة ،مولاي أحمد بن الهاشمي الفيلالي عبد الله ابن عمه ، عبد القادر الزيزي

وعرفنا بواسطتهم ان التهمة الموجهة للجميع عقد اجتماع بدون اذن ، وهذه هي التهمة القانونية التي اعطتها السلطة الاستعمارية للاحتفال بالمولد النبوي الكريم الذي اقمناه في منزل الاخ السيد عبد القادر الزيزي بالقصبة.
وقد اصدر علينا الباشا الحجوي الاحكام الآتية :

قدور الورطاسي ستة شهور مع حرمانه من دخول وجدة ، محمد الدرفوفي ، عبد القادر الزيزي ستة شهور محمد بن زيان بما قضاه من السجن « 21 يوما » مولاي أحمد النيلالي ستة شهور ، ابن عمه عبد الله أربعة شهور محمد بن التهامي برادة شهران ، أحمد بندالي شهر واحد .

وبعد مكوثنا عدة أيام بوجدة نقلنا الى سجن فاس ، ثم الى سجن لعلو بالرباط .

وفي سابع عشر غشت 1951 اطلق سراحنا .

ملاحوظة :

لقد ذكرت قصة الاعتقال في « كتيب » وضعته للاخ الدرفوفي وبين ما حكيته هنا ، وبين ما حكيته هناك زيادة ونقصان واختصار وتوسع ، ولكن الحقيقة واحدة ، فلا عبرة بتقديم وتأخير وتغيير في أسلوب الوصف ، فمرة عبرت هنا وهناك بجمل ، وأخرى عبرت هنا وهناك عن المعنى بجمل مغايرة لفظيا فقط .

وازيد هنا ايضا انه بعد انتقالي من سجن وجدة في هذه الظـــروف وضعت زوجتي ولدي عبد الحميد ، ولم أره الا بعد أربعة أشهر تقريبا مـرت على ولادتـــه .

وقد اقامت له جميع فروع بني يزناسن حفلات بمناسبة عقيقته لانـــه هو الولد الذكر بعد خمس بنات ، ودامت الحفلات نيفا وعشرين يوما .

كما انني استلمت مئات البرقيات والرسائل في سجن لعلو بهـــذه المناسبة من الاخوان . ولن أنسى ابدا صباح يوم في سجن « لعلو » زيارة من الفقيه السيد احمد العميري الضرير الذى جاءني من ابركان لخصوص هذه الزيارة في هذه الظروف ، فالله يتولى جزاءه الاوفى . فلله ما أسماها مـــن استقلالية اسلامية خالدة .

ابعـاد السيد عمر بن الحسين

مديـر مدرسـة النهضـة

تحررت من سجن لعلو في سابع عشر غشت 1951 ، وفي 29 غشت ابعد الاخ عمرو بن الحسين الوكوثي مدير مدرسة النهضة الحرة بابركان كما اذكر .

وقد ابعد في صباح الاربعاء وكان في نيته ان يفتح الدراسة صبـــاح السبت فاتح شتنبر الموالي ، وفي مساء الثلاثاء السابق ليوم الاربعاء الذي أبعده فيه تذاكرت وأياه طويلا ونحن وقوف أمام منزلي في ابركان ، وكنا قد توقعنا ان يصدر امر بابعاده ، ولكننا لم نتوقع ان تكـــون وقفتنا تلـــك هي آخر وقفة في ابركان ، وبعد بضعة أيام علمنا انه في قرية تازرين اقليم ورزازات .

وفي صباح السبت توجهت الى المدرسة لاشتغل فيها ريثما يفكر المكتب في تعيين مدير بالنيابة .

« مـــع روبينـــيـــري

وفي مساء الاربعاء استدعاني روبينيري الخليفة الثاني لرئيس الدائرة، وكان الاستدعاء بواسطة المخزني ولد قدور بلحاج المنصوري .

ولما دخلت على روبينيري أخذ ـ كالعادة ـ يتظاهر بعمل ما مع الترجمان الزرهوني الصغير .

وكرد فعل على ذلك ، ادرت وجهي الى الحائط حيث صرت انتظاهر بتفحص بعض الرسوم والخرائط ، ورفع رأسه مرارا فوجدني ما زلت اتأمل الصـــور والرسوم والخرائط ، وضاق صبرا بهذا الاستخفاف وقال : لماذا تدير وجهك ؟ الست أمام حاكم ؟ فأجبته أنني متأسف على هذا الاسلوب الذي يروقكـــم معشر المراقبين « لا الحكام » وذلك لاجل الاستخفاف بمن تضعهم الاقدار بين

بديكم فلماذا استدعيتني وتأذن لي بالدخول واحبيك فلا تستقبلني ولا تـرد تحيتي ؟؟! فهل هذا يليق برجل ذي مسؤولية مثلك ؟ انكم معشر المراقبين تتخيلون انكم تحكمون العبيد لا مغاربة احرارا تعثر بهم التاريخ ، وعما قريب سيصلحون بانفسهم اخطاءهم لا أخطاء التاريخ .

فقال لي هل تريد ان تكون حاكما مثلي ؟ . هيا أجلس مكاني ،، فأجبته ان مكانك بسيط فهل تتخيل انك أعلم مني في بلادي ، انني أعرف مستوى ثقافتك ، وهي دون ثقافتي بكثير ثم قلت له : أياك ان تهددني بالحلقـي بالسيد عمرو بن الحسين الوكوتي ، أو ان تذكرني بانني خرجت من السجن منذ نصف شهر ، فأنا لا أخشى ابعادا ولا سجنا ولا غيرهما ، خفف على نفسك وقل لي بالضبط ماذا تريد من استدعائي ؟

لقدكنت أمطره بهذا الكلام الذي كان ينزل عليه كالقنابل حتى ان لونـه قد امتقع وضعفت لهجته حينما وقف من مقعده وضرب على كتفي وقال : أنت غاضـب ؟

فأجبته : يجب ان أغضب ما دمت حاولت احتقاري فضحـك وقـال : اجلس على هذا الكرسي لنتذاكر قليلا في موضوع مهم ، فقلت سأبقى واقفـا وان أدى الامر الى رجوعي الى السجن ، فقال لي : لا بأس ، لماذا فتحت أبواب المدرسة الحرة ؟ ج : ماذا يهمك من هذا ؟ انها مدرستنا كراء وأولادا واساتذة ومديرا ٪ فماذا يعنيك من هذا كله ؟ فقال لي : ولكن ليست لك رخصة بادارة المدرسة . ج : انني من جملة اساتذتها وعضو في لجنتها الثلاثية ، فاللجنة تتكون مني ومن المدير المبعد ، ومن الاخ الحسن شاطر ، ونحن لجنة رسمية ويوجد ملف لذلك في ملف المدرسة بوزارة الصدارة العظمى .

فقال : اننا باتفاق مع القائد المنصوري ـ سنعين للمدرسة مديرا جديدا هو السيد محمد الفسيري المعروف بالمحشي .

فقلت له : لن تستطيعوا ان تفعلوا ذلك ، انها مدرستنا ولا دخل لكم فيها. فقال لي : ولكن المحشي استقلالي فقلت : هذا يهمنا نحن ولا يهمكم انتم .

ثم غير مجرى الحديث حينما رأى احتدادي وسألني : من مراسل الرأي العام ؟ ، فأجبته : « وكنت اعرفه » اسأل عنه مساعديك المذنبين . س : ومن هو مراسل العلم ؟ قلت له : انه أشهر من نار على علم ، ألست أمامك ؟ انك تعرف ذلك ، ولكن تجس نبضي هل اثر السجن على نفسي أم لا . فلتعلـم أني «الرقيب» أمس واليوم وغدا . وكان من عادتي أن أمضي بالرقيب على مراسلاتي .

فلما شعر بانني أتحداه في أسلوب قوي ، قال لي بالسلامة وسو غـتعرف. .. فخرجت ولم تكد تغرب الشمس لذلك اليوم حتى دعوت اعضاء المكتب لعقد جلسة طارئة فقررنا ان يسافر الاخوان : جلون بن محمد بن جلون ، الوكلاني الجدبري ، والمرحوم عبد القادر بن الحاج محمد بن البشير المنتوشي العبدلاوي المعروف بالوجدي الى الرباط ويتصلا بالمركز الذي يمهد لهما الطريق لاخذ رخصة

الادارة بالنيابة لشقيقي الحسين .

واوصيناهما ان يصطحبا معهما نسخة من الكتاب الرسمي ، وان تكون مطبوعة بطابع المقري لاننا كنا متحققين بان الكتاب الرسمـــي ســوف لا يسلم اليـنــا .

وأكدنا على الاخوين ان يوضحوا للمركز الموقف بكل تدقيق ، وانهمـــا اذا رجعا بدون نسخة مطابقة للاصل وعليها طابـــع المقري فانــــه لا قيمـة لسفرهما أصلا .

وقد اكتريا في الحين سيارة خاصة سافرا عليها الى وجدة ثم أقـــلا القطار واصبحا في الرباط يوم الخميس سادس شتنبر 1951 .

وفي صباح الجمعة بينما كنت فيمنزلي اذ طرق الاخوان المذكوران الباب على حوالي الساعة الثامنة وسلما الي النسخة مطبوعة طبق الاصل فكـــان سروري عظيما لابعد غاية . وطلبت منهما ان لا يخبرا أي أحد حتى اعضـــاء المكتب ، الذي كان موعد الاجتماع معه مساء ذلك اليوم .

وفي مساء نفس يوم الجمعة استدعاني القائد المنصوري الى منزلـــه بواسطة السيد محمد بن علي الدرقاوي .

فلما دخلت عليه وحييته وجدته متكئاعلى جنبه الايسر بالضبط وعليه امارات القلق والغضب ,

وبعد تبادل الاسئلة العادية قال لي : ان هؤلاء النصارى عازمون علـــى شيء خطير ، لقد أصبحوا لا يقبلون من أحد كلاما انهم يسيرون وفق خطـــة مرسومة الى غاية لا يعلمها الا الله . بالامس ابعدوا مدير مدرسة فجيج الحاج محمد افرج ، ثم ابعدوا السي عمرو مدير مدرسة النهضة بابركان ، وهـــم يحاولون أن يعينوا مديرين بأنفسهم .

فقلت له : اذا عينوا بمدرسة فجيج مديرا جديدا لانه ربما لم يجد أهـــل فجيج مديرا . اما مدرستنا فلها مديرها وهو شقيقي الحسين ، فأجابني وهـو يبتسم من الالم ، ومن ذا الذي يقبل أخاك مديرا ؟ ان المراقبة تريد مديرا على يدها وباختيارها ، فقلت ولكن شقيقي قد عين بمرسوم من الصدارة العظمى ! فسألني ومتى ؟ قلت صباح اليوم تسلم نسخة من المرسوم مطابقـة للاصل وعليها طابع الصدر الاعظم المقري .

فحركته المفاجأة من مكانه وقعد وسألني مندهشا ؟ احقا ما تقول ؟ ومتى حصلتم على ذلك فقصصت عليه القصة من روبينيري الى الحصـــول على الرخصة ،، فازال نظارتيه وضحك وضرب بيده على رجله وقال : واللـــه ان هؤلاء النصارى لبلداء ولا يعلمون ما يدبر لهم ، أوصلتم الى هذا المستوى من الحزم ؟ انه شيء عجيب تحصلون على الرخصة بهذا الشكل في يوم واحد: ولماذا اتيتم بالنسخة المطابقة للاصل ؟

فأجبته : لاننا على يقين من أن المرسوم متى وصل الى المراقبة لا يسلم الينا بل يرد الى الصدارة وسيصدر مرسوم آخر .

فقال لي بالدارجة : هذا النصارى امشاوا في حالهم ما بقوا يعرفوا مايعملوا « بارك الله فيكم وهكذا يكونوا الرجال ، فهل لكم ان تعطوا اي نسخة من نسختكم ؟ فأجبته ستصلكم الليلة فقال لي ومتى وصلتني فانهم لا يستطيعون ان يزحزحوا السي الحسين من الادارة والله انني سأقف من ذلك موقفا صارما .

وعلى الرغم من أنه طلب مني ان اتناول معه طعام العشاء فانني استسمحته لشغل هام فوافق وودعني وانصرفت .

وهكذا امكننا ان نحافظ على حرية مدرستنا وكرامتها ، ولم تمس باي سوء أصلا ، وبعد هذا الانتصار الرائع حول المدرسة تابعنا نشاطنا التربوي والسياسي بكيفية ضاعفت من قوتنا المعنوية في جميع فروع بني يزناسن .

وكالعادة في كل دورة لجمعية الامم المتحدة ارسلنا مئات البرقيات اليها والى جلالة محمد الخامس وأمين الحزب العام .

وكالعادة أيضا احتفلنا بعيد العرش بصورة تفوق ما سبقها من صور الاحتفالات الرائعة .

وكالعادة ضاعفنا من الهجمات الصحفية ايما مضاعفة .

احداث 1952

تحدثت فيما سبق عن الاجواء القاسية التي تسببت عن الازمة الخانقة التي سعت فيها الاقامة العامة للضغط على صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس أولا . وللقضاء على حزب الاستقلال الذي كان وحده ـ كهيئة سياسية ـ بطبيعة الواقع ثانيا ، وأثناء سنة 1951 ، اخذت تنفذ برنامجها التمهيدي لعزل صاحب الجلالة عن شعبه المجيد بصفة عامة ، وعن حزب الاستقلال بصفة خاصة ، لان صاحب الجلالة رضي الله عنه امتنع كل الامتناع من تسليم حزب الاستقلال الى الاقامة العامة لتضطهده كيف شاءت .

لذلك عمدت في سنة 1951 م الى ابعاد بعض قادة الحزب .

وفي مساء الثلاثاء رابع عشر يناير 1952 على الساعة السابعة مساء اعتقلت الاخ محمد الدرفوفي من وجدة وابعدته الى ميسور اقليم فاس .

وكانت السلطات الاستعمارية تنتهز كل فرصة تعرض او تخلقها بنفسها لقنص الاحرار والقادة الى المنافي الصحراوية السحيقة .

والسبب الذي اعتمدت عليه السلطة الاقليمية بوجدة في ابعاد الاخ الدرفوفي اتهامه بانه الذي حرض جماعة من العاطلين على القيام باحتجاج لفائدة تشغيلهم !

وكان القصد من ابعاد الاخ المذكور التأثير بصفة عامة على قادة المغرب الشرقي ، وبصفة خاصة على مؤلفه .

أما الحالة بابركان صارت تسير عادية ، ولم يلحقها أي تعثر من جراء ذلك .

أما في وجدة فقد زارني بابركان الاخ عبد الله بن عبد الواحد الذي اعرب لي عن استعداده للقيام بالمهمة التي كان يقوم بها الاخ الدرفوفي .

وفعلا زودته بجميع المعلومات ، وأحللته محل الدرفوفي وصار يدير الشؤون كما كان يديرها الاخ الدرفوفي بالنيابة .

اضطرابات بمداغ

قبل ان اتحدث عن هذه الاضطرابات ، اذكر هنا بانه سبق للسلطة الاستعمارية ان وزعت اراضي جماعية على السكان هناك ، وأنشأت مركزا فلاحيا اسندت ادارته لاروبي يدعى : سكلابر الفرنسي الابروطاني، وكانت مهمته ارشاد الفلاحين الذين وزعت عليهم هذه الاراضي الى الوسائل العصرية وتزويدهم بالماء والبذور وغيد ذلك والاشراف على تطبيق التعاليم الخصوصية بهذه الاراضي .

وقد حاولت السلطة الاستعمارية ان تكون من هؤلاء الفلاحين « هيأة » تساعد المركز الفلاحي من جهة وتشغلها لفائدة الوضع من جهة ثانية .

وحاولت ان تفرض عليها بعض الاداءات « لمصارفها » ولكن سكان مداغ كانوا استقلاليين خمسة وتسعين في المائة ، فلم يوافقوها على تشكيل هذه الهيأة .

وذهبت كلمحاولاتها ادراج الرياح ، واستغلت رفض الفلاحين المشار اليهم لتروج اشاعة اتهامي بالايعاز اليهم بالامتناع . ولكنهم كانو يقنعونها بانهم يصدرون من تلقائياتهم وأنه لا دخل لرأي خارجي في الامر .

وقد كان الاخ السيد المنور بن المختار اكراد الرحماني من رافعي راية الكفاح بين فلاحي مداغ المشار اليهم .

وطالت هذه القضية بين المد والجزر ولم تحصل السلطة الاستعمارية منها على طائل وحاولت ان تلون اسلوبها لتخادع الفلاحين ، ففكرت في تكوين هيآت فيمجموع دائرة بني يزناسن مهمتها ان تكون مرجعا للاستشارة في اصلاح السواقي فوجدت نفس المصير وكان غرضنا بما ذكر ان نشعر السلطة الاستعمارية بان الشعب مصمم على المطالبة بارجاع الاستقلال ، ولذلك فانه يرفض كل تعاون معها كيفما كان نوعه ، وقد تحقق كل ذلك بارادة الله وقدرته فاخذت السلطة تتعثر في كل عمل تحاول القيام به في دائرة بني يزناسن ، حتى أصبحت تنظر الى بني يزناسن كقبيلة على وشك الثورة ضدها .

وفي تافوغالت

وبينما السلطة غارقة الى اذنها في هذه القضية المشار اليها ، اذا بسكان قيادة تافوغالت يقومون باضراب عجيب من نوعه احتجاجا على المظالم التي كانت السلطة الاستعمارية تذيقهم أياها للاعلان عن عقيدتهم الاستقلالية.

وهذا الاضراب كان على ارتياد السوق، ففي تافوغلت سوق اسبوعي تعقد كل اربعاء ، ويهدف هذا الاضراب الذي دام قرابة شهرين الى تعطيل هذه السوق حتى تتراجع عن مظالمها وتأثرت له السلطة ايما تأثر فاتخذت اجراءات قاسية ضد « القيادة » فاوقفت القائد الذي لم يكن سوى منفذ لما كانت توعز له السلطة بـــه .

برونيل في تافوغالت

وعقب هذه الاجراءات قام رئيس الاقليم برونيل بجولة في قيادة تافوغالت فاستدعت له السلطة المحلية عددا كبيرا من الناس .

وبعد تناول الغداء في انكاد خطب فيهم خطبة نارية مهددا وموعدا بانه سيتخذ كل اجراء صارم ضد المهيجين اي الاستقلاليين . وذكر اثناء خطابه هذا، الزعيم السيد علال الفاسي وقال : ان علال قد أخذ أموال الحزب ويعد هذا المال باربعين مليارا وفر به الى القاهرة ، وان من جملة أعوانه البارزين على جمع هاته الاموال : الدرفوفي وقد نفيته الى الصحراء ، وعمرو بن الحسين الوكوتي ، وقد نفيته الى الصحراء ، وقدور الورطاسي الذي سأنفيه الى الصحـــراء .

« حـــزب الشعـــب »

وفي هذه الظروف اخذت السلطة الاستعماريـــة تضغط على قوادهـــا وأعوانها بقصد ارغام الناس بشتى الوسائل للانخراط في حزب الشعب الذي كان يرأسه الزمراني ، والذي كان يطلق عليه الناس استهزاء حزب : منيدا او حزب : طام طـام .

ومن غريب امر هذا الحزب الذي قوبل في بني يزناسن بكل سخرية واستهزاء انه بمجرد ما قتل الشيخ ميمون الكرباوي وأشيع اذ ذاك بانه قتل لانه حاول ان يضغط على الناس بارغامهم على الانخراط فيه ، انه بمجـرد وقوع هذه الحادثة لاول ظهوره طويت صفحـة هـذه الحـــزب من دائرة بني يزناسن ، ولم يعد له ذكر فيها بعد .

وقد حاولت السلطة الفرنسية ان تصل خيوط هذه الحادثة ، حادثة قتل الشيخ ميمون بي ولكنها لم تستطع الى ذلك سبيلا ، وذلك على الرغم من انها اذاقت القاتل المعترف شر العذاب للاعتراف بي بأنني أنا الذي أمرته بقتـــل الشيخ . ومن سوء حظ السلطة الاستعمارية ان القاتل الذي اعترف بالقتل بل سلم نفسه بعد القتل الى السلطة لم يكن له بي سابق معرفة ، ولم يعرفني الا في سنة 1956 بعد اطلاق سراحه !

وازاء هذه الحادثة قتل شخص أيضا في قرية اولاد بوغنم من قسم بني منقوش ، واشيع اذ ذاك ان سبب القتل كان بسبب نشاط القتيل في حـزب الشعـــب .

وهكذا كانت الاحداث تتسابق ، ويتلو بعضها بعضا .

واثناء هذه الاحداث كانت المراقبة بابركان تستدعيني تقريبا يوميا وتتهمني بهذه الحوادث وامثالها وتهددني بالابعاد الى الصحراء .

وقد كنت علمت بان السلطة كانت تحاول ان تلصق بي تهمة ما للحكم علي بالسجن ، ثم الابعاد ، امعانا في التنكيل بي أنا الذي كانت تعتقدني في هذه الظروف بالخصوص ، القائم بالاشراف العام على سير النشاط السياسي باقليم المغرب الشرقي اجمع ، ولم تكن مخطئة في ذلك فلقد كنت منذ سنة 1950 المسؤول الاول للحزب في المغرب الشرقي ، ولكن الاحداث المشار اليها كانت « تلقائية » ولم تكن لي يد فيها لا من قريب ولا من بعيد ؟

وقد استطعت بتوفيق من الله ، ان اقوم بواجبي خير قيام في دائرة احتياط محكمة .

وفي رابع غشت 1953 استدعاني السيد ميمون الوريمشي البخريصي صهر القائد المنصوري الى طعام عشاء حضره معنا السيد محمد بن علي الدرقاوي ، والسيد عبد السلام بن مولاي محمد بن بنسعيد الورطاسي ، وأثناء هذا العشاء أخبرني السيد عبد السلام رحمه الله ان قرار ابعادي قد وصل الى رئاسة المراقبة ، وانه في القريب سينفذ هذا القرار علي .

ومنذ تلك الليلة جهزت جميع ما احتاج اليه في حقيبة خاصة واقفلتها انتظارا لليوم الموعود .

ومن جملة ما كان في الحقيبة بعض الكتب ، وعلب الكبريت وعلب سجائر افلور بريزيل وبعض علب الشمع ذو 12 شمعة ، ودواة ودفتر ، وعشرون الف فرنك .

ومساء يوم السبت ليلة 17 غشت 1953 زارني السيد احمد ابن مولاي محمد بنسعيد الورطاسي على التاسعة بالضبط . وعوض ان نجلس بمنزلي كالعادة للتحدث حول الاجواء السياسية فقد اقترحت عليه ان نخرج للتجول بعض الشيء .

ولما خرجنا من المنزل قلت له : أرأيت ؟ ان مكتب الشرطة المجاور لمنزلي قد أضيئت جميع حجراته انه نشاط غير عادي ! فسألني وماذا يفهم من هذا النشاط غير العادي ؟ فأجبته : انني متأكد من أعماقي بالهام فقط ، ان السلطة ستلقى القبض علي غدا صباحا وفي الساعة الخاصة العادية .

فعلق مستنكرا ، ما شأنك وهذه الخواطر السوداء ؟ وزاد قائلا : أنا اعتقد ان حفلات 15 غشت لا تزال مسترسلة في السعيدية وان الشرطة كالعادة على أهبة للحوادث التي تقع عادة اثناء هذه الحفلات ، هذا كل مايمكن ان يكون ولا شيء غير ذلك ، فقلت له : ان خواطري صادقة ، وتيقن انني معتقل غدا بدون شك .

ولما وصل بنا الحديث الى هذا الحد كنا قد وصلنا الى السينما القديمة القريبة من مكاتب البريد ، وكانت هناك مقاعد عمومية فجلسنا ، وبعد صمت رهيب قلت له ، خذ مفتاح المتجر وغدا ستكون فيه وحدك ولا تشك فيهذا ، ولما اثرت عليه سألني ماذا نفعل اذا اعتقلوك ؟ فأجبته ، يجب ان توفروا على نفوسكم كل مشقة ، فالمستقبل القريب محتاج الى جهود قاسية

فسألني وماذا تعني بهذا ؟ فأجبته : اعني : عليكم ان تؤلفوا وفدا للاحتجاج على ابعادي لدى القائد المنصوري ، ولا تزيدوا على ذلك لان المستقبل مليء بالمفاجآت . ان الفرنسيين سوف يقدمون على تنفيذ آخر نقطة من برنامجهم، انهم « سيقصون جلالة الملك محمد الخامس بدون شك ، ولكن بعد ان يحملوا حملات قاسية على حزب الاستقلال .

فسألني وماذا يجب ان نعمل اذ ذاك ؟ فأجبته : ان الظروف حرية بتوجيهكم الوجهة العملية لمكافحة الاستعمار ، ولكن لا بأس ان أقول لك في آخر لحظة من وجودي معك بان المقاومة المسلحة مستعدة الان لمواجهة تلك الظروف . فسيكون الفداء ، ثم جيش التحرير كما هي سنة جميع الشعوب المكافحة في سبيل عزتها وكرامتها .

ومن ضمن الاعمال ، قطع الخطوط التليفونية وتحطيم الجسور ، وغير ذلك من الاعمال التخريبية وفي مقدمة ذلك الاغتيالات ، وصدقني اذا قلت لك : ان الاغتيال سينال من أعوان الاستعمار اكثر ما ينال من الاوروبيين المستعمرين أنفسهم .

فسألني ولماذا ؟ فأجبته : ان علماء الكلام يقولون بوجوب التخلية اي انه تجب ازالة الاشواك والوسائل التي يعتمد عليها الاستعمار ، فكما ان الاستعمار اعتمد في احتلاله على الاذناب ، فتجب ازالة الاذناب من الطريق هل فهمت ؟

ثم زدت قائلا : لعلك تذكر انني منذ عدة شهور وأنا أقول للشعب وللمسيرين انكم قد نضجتم وطنية ووعيا وانكم احق بتجريب وطنيتكم ووعيكم في الميدان العملي ، وانه آن الوقت لقطع المرحلة الحاسمة من كفاحنا فكونوا على استعداد .

ولعلك تذكر انني سافرت الى الرباط باستدعاء من المركز وانني اتصلت بالاستاذ محمد غازي وذكر لي ان الاستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل يريد ان يسر الي بشيء، وانني قلت له : لقد فهمت كل شيء فدعني ارجع ابركان لابذر ما ترمز اليه ،

ومنذ ذلك التاريخ وأنا أشير الى الكفاح المسلح ، واعتقد ان الكل قد فهم ولم يبق الا ان تحل الظروف المناسبة للبروز بالمقاومة المسلحة ، وختمت كلامي معه بتذكيره بكفاح اندونوسيا المسلح، وغيرها من الشعوب التي كانت في مثل وضعيتنا .

الحالة قبل ابعادي الاخير

قبل ان انقل القارىء معي الى جولة باقليم اكادير اريد ان أتدم له هنا عرضا مختصرا عن الحالة في المغرب الشرقي على العموم وفي مجموع دائرة بني يزناسن على الخصوص ، لان مفارقتي لمسقط رأسي هذه المرة سوف تنتهي برجوعي اليه والراية الحمراء وحدها ترفرف عليه في زهو وكرامة وحرية واستقلال فأقول :

لقد شعرت أثناء هذه السنة شعورا صادقا من أعماق قلبي اننا قريبا سندخل الى معمعة المعارك الحاسمة في تاريخ كفاحنا الطويل في سبيل استرجاع حريتنا واستقلالنا ، وان المعمعة ليست من قبيل ما سلف من المعامع البيضاء والصفراء ، ولكنها معمعة الحديد والنار .

ومن أجل ذلك عملت طول هذه السنة بصفتي المسؤول الاول عن اقليم المغرب الشرقي من طرف حزب الاستقلال على تكوين العناصر الاساسية لضمان المحافظة على البذور الوطنية التي بذلنا في زرعها في القلوب والافكار جهودا اسأل الله تبارك وتعالى ان يعوضنا بها جزاء يكفر به عن خطايانا ويبيض به وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، ويوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

في القطاع التربوي

ففي القطاع التربوي الوطني قمت ـ بمساعدة جميع أعضاء الفروع ـ بعقد اجتماعات متوالية مع جميع أعضاء مكاتب الفروع ومجالسها الجهوية ، وعقدت اجتماعات خصوصية مع أبرز الاعضاء وان كانوا غير داخلين في أية لجنة أو هيأة من لجان الحزب وهيئاته ، كما طفت بمعظم شعب الفروع بابركان وزودت الجميع بما يجب من الاستعداد التام لخوض المعمعة الحاسمة المنتظرة .

وذكرت الجميع بأن المعارك المقبلة ستكون قاسية لان فيها التعرض الاقسى لانواع العذاب، ومعقدة لانهم سيفقدون من الميادين معظم القادة من الحزب وسيجدون أنفسهم وجها لوجه أمام الاستعمار ، وعليهم أن يتذكروا بأنهم او أن منهم يجب أن يكون قادة لتصريف الاحداث التي ستواجههم وهي أشق وأصعب مما مر بهم من أحداث .

وأسررت الى من آنست فيهم القوة والمناعة بصفة خاصة ليبتعدوا ما أمكنهم عن الميدان السياسي حتى يكونوا داخل الحزب جيشا احتياطيا يتسلم مقالد الامور بعد عمليات الاعتقالات التي ستباشر في صفوف الاستقلاليين بصفة جماعية .

لان ابتعادهم عن الميدان السياسي من الآن يخفف عنهم عادة عيون

السلطة الاستعمارية ، وذلك من شأنه أن يعفيهم من التعرض للاعتقالات ،بفسح المجال للعمليات المسلحة .

وقد وجدت «والحق يقال» كامل الاستعداد للعمل والتضحية من جميع ممن أجتمعت بهم .

وكان مجموع فروع بني يزناسن سبعة : ابركان ، مداغ ، الركادة ، أحفير ، بنو ادرار ، عين الصفا ، تافوغالت ، ومجموع المجالس الجهوية ما ينيف على أربعين مجلسا .

وقد سبق لي ان أوضحت معنى هذه المجالس بأنها عبارة عن هيـآت تضم كتابا وأمناء الشعب ومشغليها . وان فروع ابركان انفردت بهذا النظام عن جميع فروع الحزب .

وكانت بعض المجالس تضم ما يقارب الخمسين عضوا ، وأنها كانت بمثابة فروع ولكنها تابعة للفروع ، وان منها كانت فروع الركادة ومداغ وتافوغالت ، وكنا على نية تكوين فروع منها في كل قرية ومدشر ودوار .

هـــذا في ابركـــان .

وأما في وجدة ، فقد كنت متصلا باستمرار بالسيد عبد الله بن عبد الواحد الذي كان يتلقى مني التعاليم والتوجيهات التي كان ينفذها بكل أمانة واخلاص ، وبناء على ذلك ، فقد كون من مسيري الشعب بوجدة مجالس جهوية أخرى أصبحت بعد فروعا ، كما كان يتعهد جميع فـــروع الدوائر الاخرى ويرشدها الى السير على هذا المنوال .

وسبق القول باني ـ والدرفوفي كنا كونا بوجدة عدة مجالس جهوية .

«تكـويـــن المـراسليـــن »

وفيما يخص تكوين المراسلين ، فقد عملت على تكوين عدة مراسليـــن للعلم في هذه الظروف ـ اذ من المعلوم أنني كنت قبل هذا ، المراسل الوحيد للعلم في دائرة بني يزناسن .

ولكن الظروف التي اتحدث عنها الان فرضت على ضرورة تكويـــن مراسلين في مختلف الجهات ، وكانت طريقتي في تكوين هؤلاء المراسلين : ان يحرروا مراسلات ويسلموها الي لاحررها من جديد .

ثم أرسلها الى ادارة العلم مع رسالة تزكية مني .

وبهذه الوسيلة أصبح للعلم مراسلون في مجموع دائرة بني يزناسن .

ففي ابركان الاخوان : محمد العراص الوشكرادي ، محمد معي «بفتح الميم وتشديد العين» الصفراوي وفي مداغ الاخ محمد الشاوش الوريمشي التميمي الادريسي .

وفي الركادة الاخ كاتب الفرع الحسن بن محمد فتحا بن الحاج علي الوكوتي اليحييوي .

وفي احفير الاخ كاتب الفرع ادريس لهبيل الرحماني .

وفي بني ادرار الاخ كاتب الفرع محمد بن عيسى الدراري .

وفي تافوغالت الاخ كاتب الفرع محمد بن المقدم عمرو ولهدار «بفتح الواو وسكون اللام وفتح الهاء وتشديد الدال وسكون الراء» .

ولاجل تزكيتهم « وترسيمهم » سافروا معي الى الرباط وقدمتهم الى المدير الاستاذ عبد الجليل القباج في حفلة شاي بالادارة كان حاضرا فيها الاخ محمد بن زيان الوجدي .

وكونت لكل مراسل ملفا يشتمل على حالته المدنية وحرفته وعنوانه التام ، وقيمته الاجتماعية والثقافية والوطنية مع « رمز » الامضاء على المراسلات .

ومثل ذلك فعلت بمراسل وجدة الاخ عبد الصادق البوتشيشي اليزناسني الخالدي .

« مع رئيس المراقبة »

وقبل ان يحل يوم ابعادي كان المراقب الرئيس يستدعيني يوميا تقريبا ويهددني بالابعاد .

وسألني هل تعرف معنى الاقامة الاجبارية ؟ فأجبته : ساعرفها بعد ، ثم سألته ولماذا أخذتم تبعدون الاستقلاليين ؟ هل تتخيلون أنكم ستقضون على حزب الاستقلال بهذه العملية ؟ ان عقيدة الحزب متغلغلة في القلوب والافكار والمشاعر فلا سبيل الى القضاء عليها ، لانها مستمدة من قيمنا الروحية الخالدة .

فأجابني : أنامتحقق من أن الوطنيين هنا في ابركان سيواصلون العمل بمقتضى البرنامج الذي وضعته لهم بنفسك ، وأصارحك أنني مرغم على ابعادك ولو خيرت لما أبعدتك ، لان معنى ابعادك وابعاد أمثالك ، دخولنا معشر الفرنسيين في معركة مع الشعب وجها لوجه ، وهذا ليس في صالحنا ولكن لا راي لنا .

ثم سألته لماذا تستدعيني يوميا وتهددني ؟ انني أعلم يقينا ان قرار ابعادي هو الان تحت يدك ومؤرخ بخامس يوليوز 1952 ، ونحن الان في الاسبوع الاول من شهر غشت 1952 .

فسألني باندهاش من الذي اخبرك بهذا ؟ فأجبته وأنا أبتسم : انكم تتخيلون أن حزب الاستقلال يجهل برامجكم ، مع أنه يعرف كل شيء ، وقد أعد برنامج ما يقابله للقضاء عليه .

فسألني : وما هو برنامجكم ، فابتسمت قائلا : ستعرفونه في الوقت المناسب ثم زدت قائلا : انني مسرور بذلك اليوم الذي تنفذون فيه على قرار الابعاد ، فسألني ولم هذا السرور ؟ فأجبته : لقد مللنا من أسلوب هذا الكفاح،

لان الشعب قد وصل الى مرحلة من النهوض أصبح معها يتضجر من أسلوبنا السياسي ، فخير لنا أن نتركه لنفسه ما دام يعر ىكيف يواجه الظروف بما عهد فيه من بطولة عالمية .

فقال لي : هل تهددني ؟ ان فرنسا قوية وقادرة على القضاء على كل من « رفع رأسه » قلت ولكن متى كان الاستعمار ينتصر على القوات الشعبية ؟

وهنا قال لي : على اي حال ففي الايام القريبة ستجد نفسك في الصحراء وفي اقامة اجبارية فقلت له : يمكنني أن أآكد لك سروري بذلك لان الشعب سيقطع آخر مرحلة ان شاء الله ، وأخيرا سألني : ومن هو خلفك في أبركان؟ فأجبته بسرعة : كل بني يزناسن .

وكان القائد المنصوري حاضرا معنا ، ويقوم بالترجمة السيد بنعمرو بن عبد القادر بن أحمد بن عبد الله اليعقوبي .

الى سوس

وفي صباح الاحد سابع عشر غشت 1952 كنت قد استيقظت باكرا وتوضأت ، وبينما أنا أستعد لاداء صلاة الصبح اذ سمعت طرقات على الباب، فخرج والدي ليعود الي ويخبرني بأن رجال السلطة يطلبونني ، فطلبت منه أن يخبرهم أنني على أهبة لاداء مفروضة الصبح .

واستيقظت زوجتي على اثر هذا الكلام المتبادل بيني وبين والدي وجلست مشدوهة ، ولما أتممت صلاتي سألتني ماذا ؟ فقلت الى الصحراء ان شاء الله وأرجوك أن لا توقظي أبناءنا الستة ، دعيهم يناموا لنتفادى بكاءهم من جراء الفراق ، وعليك ان تبذلي جهودك للمحافظة على صحتهم وتربيتهم الى ان يمن الله علينا بالاستقلال ان شاء الله . فأخذت تبكي تأثرا بالموقف .

ثم حملت حقيبتي التي كانت مجهزة بكل ضرورياتي وخرجت من حجرتي لاجد والدي : أبي وأمي يذرفان الدموع في هدوء ، فعانقتهما وقبلت أيديهما وقلت : زوداني بالدعوات الصالحة ، وانني موقن بأنه آخر اعتقال، وان الله سيمنحنا هذه المرة استقلالنا ، ولا تقلقا فان استشهدت في سبيل الله ، فالى اللقاء بين يدي الله ، وان طال الاجل فسنلتقي ان شاء الله في عهد الاستقلال ؟ ثم خرجت بعدما طفحت أذني من دعواتهما الصالحة .

ولا زالت كلمة أمي ترن في أذني « سر يا ولدي في سبيل الله ، والله يكون معك »

ولما خرجت من المنزل وجدت الخليفة السيد عبد القادر الماحي والمراقب « ديما » ورئيس الشرطة مع أعوانه ورجال المخزن الاداري محيطين بالمنزل وهم مدججون بالسلاح بطبيعة الحال

فأخبرني « ديما » بأن شرطة وجدة تطلب حضوري لديها وأنه في امكاني ان أرجع الى المنزل لاخذ ما أنا في حاجة اليه » .

فابتسمت وقلت : منذ نصف شهر وحقيبتي هذه معدة فلا داعي الى الرجوع ، مع ذلك : قال : في امكانك على الاقل ان ترجع ولو لحظة قصيرة لتودع من جديد عائلتك فقلت لا بأس ، فرجعت وودعت العائلة أبي وأمي وزوجتي مرة ثانية وكان أولادي الستة لا يزالون نائمين وهم :

خديجة ، راضية ، رشيدة ، فريدة ، حفيظة ، عبد الحميد .

ثم اتجهت سيارة الشرطة الى منزل الاخ الحسن شاطر الوكوتي فخرج الينا حالا لانه كان هو الآخر على استعداد للخضوع لقضاء الله في سبيل حرية الوطن واستقلاله .

وقد رافقنا الى وجدة رئيس الشرطة ، والشرطيان آحميدو العجرودي من السعيدية ، وبنعيسى المهياوي من عرب انكاد الغربي باقليم وجدة ولما وصلنا الى وجدة فرقونا فكان الاخ الحسن حرا في رحاب بناية الشرطة وادخلت أنا الى حجرة خاصة .

وقد مكثنا هناك الى المساء فطويت اليوم كله جوعا وانتزع مني أول الامر أحد الشرطيين علبة السجائر .

وبعد برهة من الزمن دخل علي شرطي آخر وسألته في استنكار ، لماذا أطوي هذا اليوم جوعا ، وتنتزع مني علبة السجائر ؟ فقال في اندهاش مصطنع : لا ، أين علبتك ؟ قلت لا أدري ؟؟ فقال : هات النقود لاشتري لك السجائر من جديد وريثما اشتريها لك خذ هذه السجارة فامتنعت من أخذها .

وبعد ميقات صلاة العشاء ، أخذنا الى محطة القطار حيث سلكونا في سلاسل مع سلسلة في حجرة من حجرات القطار ، وبقينا على هذا الحال الى أن وصلنا الى البيضاء ، وكان من جملة الشرطيين اللذين رافقونا المدعو ممحد الزاوية الذي كان قبلا مستخدما في مكتب سيارات النقل ما بين ابركان ووجدة بطريق مراكش والذي مانع كل الممانعة في ازالة السلسلة من أيدينا عبر القطار ، والذي مات في حادثة سيارة بعد في طريق سيدي قاسم .

ولما خرجنا من البيضاء عبر القطار ، فكت الشرطة أيدينا من تلك السلسلة ويشهد الله أننا كنا نتبادل الفكاهات والتندرات ما بين وجدة والبيضاء على الرغم من الحالة التي كنا فيها .

ولما وصلنا الى مراكش وجدنا الشرطة في انتظارنا ، وداخل بناية الشرطة نمت قليلا على الدرج وكانت الساعة الثانية بعد الزوال .

ولما استيقظت سألني أحد الشرطيين من أين أتيتم ؟ ج من ابركان ، فقال : ان البركانيين طيبون ، فماذا تريدان أن تشربا ؟ لقد عشت في ابركان ولقيت من أهلها كل خير ، أشربا ما تريدان على نفقتي ، فقلت شكرا وشربنا قنينتين من الكوكاكولا ، فلقد كان الحر في مراكش على اشده ، ثم طلبنا الى رجال الشرطة ان يتناولوا شربا على نفقتنا فامتنعوا ، ولكننا ذكرناهم

بأنه من الضروري أن يتناولوا شربا ما ، والا أدينا ما شربنا ، ففعلوا ، وعلق الشرطي الذيسألنا أولا بقوله : هكذا البركانيون يبادلونك احتراما باحترام ، ورفع كأسه قائلا : هذا على شرف البركانيين .

وفي الساعة الخامسة بالضبط جاء الينـــا مفتش فرنسي وسألنـــا ما اذا كنا نرغ بفي ارسال برقية الى عائلتنا فسررنا بذلك وأرسلنا برقيـة حالا ، ثم سألنا ما اذا كنا نرغب في تناول طعام العشاء هنا ، أم نرغب في الذهاب الى احدى المطاعم فرأينا أن نتناوله هنا .

ثم جاءنا شرطي وأمرنا بالدخول الى احدى الزنازين وحينما كنا ننزع ما لا يجوز أخذه الى الزنزانة من سوائع ونقود جاء شرطي فرنسي شـــاب وقال ،، لا ،، لا ،، انهم ليسو بمساجين انهم مارون فقط وهم ضيوف عندنا فحسب ، فلا موجب لادخالهما الى الزنازين ، وبعد تناول طعام العشاء الذي كان من اللحم والبصلة والخبز والعنب ، وشربنا الشاي ، نمنا في رحاب البناية الى الفجر حيث خرجنامخفورين بثلاثة من رجال الشرطة وتناولنا طعام الفطور في احدى المقاهي ، وأقسم شرطي مغربي ان يؤدي علبنا ثمن الفطور ، ولما حاولت الاداء قال لي وهو يبتسم : احفظ نقودك يا فقيــه الى ما بعد ، فالزمان أمامك طويل .

خرجنا في سيارة ساتيام في اتجاه اكادير ، ونظرا لوقوع عطــب نيها في مدينة الصويرة ، فقد تجولنا في هذه المدينة مدة ساعتيــن ، أي مخفوريز بالطبــع .

ولما وصلنا الى أكادير قال لذا ذلك الشرطــي المغربــي : خير لنا ان نتناول طعام الغداء في أحد المطاعم قبل ان نسوقكما الى مكتب الشرطـــة فتناولنا طعام الغذاء ، وأدى كل واحد ثمن طعامه .

ثم سلمونا الى الشرطة ، وبعد جلوسنا بضع دقائق على مقاعد خشبية طويلة خرج علينا رئيس الشرطة وظهر الاندهاش في وجهه ثم قــال : آه سي قدور الورطاسي وسي الحسن شاطر ؟ ، انني أعرفكما ، وحقا كــان يعرفنا لانه كان رئيس الشرطة بابركان قبل وأمر لنا بمكتب ذي مقاعــد وثيــرة .

وأذكر جيدا أننا صعدنا الى احدى السطوح وأدينا صلاتــي الظهـــر والعصر ، « جماعة » أي أنا والسيد الحســن شاطـر ، وتبين لنا بعد أداء الصلاتين أننا انحرفنا عن القبلة ، فضحكنا لجهلنا بالقبلة وأعدنا صلاتنا من جديد .

وفي المساء خيرنا بين الذهاب الى المطعم أو تناول الطعام في مكتب الشرطة على نفقتنا ، وأعني أن ينوبوا عنا في شراء ما نحتاج اليه على نفقتنا ، فاخترنا الثانية ، خبز وزبدة وشاي وعنب .

وعند وقت فجر الاربعاء عشري غشت 1952 م ، افترقنا حيث ودعت الاخ الحسن شاطر هناك وذهبت مع أحد الشرطيين السريين الى مكتب الستيام حيث توجهنا الى تارودانت .

وكان هذا الشرطي شابا مغربيا متخلقا فقال لي بعد أن تناولنا طعام الفطور في اكادير على نفقته : ياسيدي لقد حجزت في الستيام مقعدين ومقعدي يبعد عن مقعدك احتراما لك ، وأرجوك ان لا تخبر أحدا من الركاب بانك مبعد ، وأخبرك بأنني رافقت كثيرين من اخوانك وسوف لا يطول عهد ابعادكم ان شاء الله .

وأثناء هذه المسافة كان جالسا بجانبي طفل « حوالي الثانية عشرة من عمره رفقة أبيه الذي كان في مقعد قدامنا ، وكان الطفل يطالع في كتاب عربي ابتدائي ، فاخذت أشرح له بعض الكلمات والجمل ، فتفطن والده وأشار الي بسؤال عن اتجاهي ، فاطبقت اجفاني ففهم كل شيء .

وفي زحمة الركاب بمحطة 44 وضع ورقة الف فرنك في جيبي وقال وهو يذرف الدموع ، في سبيل الله ماتلاقون .

ويشهد الله أنني ما سررت للالف فرنك ، ولكن كم كان سروري عظيما بهذا المظهر الاخوي الذي أنساني في ذلك الوقت أنني مبعد الى الصحراء وأنني فارقت أبي وأمي وزوجتي ولم أتحدث ولا كلمة واحدة مع أولادي الستة .

انني موقن بأن الشرطي قد رأى كل شيء ، وسمع كل شيء ، ولكنه لتخلقه تجاهل كل شيء ، فلقد اختلست نظرة اليه أثناء وضع الالف فرنك في جيبي فرأيته ينظر اليها في وجوم وهو متأثر لهذا المشهد الاخوي العظيم وودعني وعيناه مليئتان بالدموع .

« آه ثم آه على هذا التقدير العظيم الذي كان يلاقيه المجاهدون في سبيل الله والوطن من جميع أفراد الشعب ، ومن كان يدري يا ويلتاه ان نصبح نحن الذين قاسينا ضروبا شتى من الالام ، ينظر الينا بعين الاحتقار في عهد الاستقلال ، فنعيش على هامش الحياة كالمجرمين ، وتتناولنا السنة قذرة بالقيل والقال ، وهي التي كانت بالامس تتعلق بالاستعمار وأذناب الاستعمار ، وتلعن الوطنية والوطنيين وقد مد الله في عمرها الى عهد جددت فيه حملاتها القذرة على كل مخلص لوطنه فمن كان يدري هذا ؟ .

لم نكن ـ وأيم الله ـنكافح من أجل مقاعد في الحكم ، ولا من أجل مطامع غيرها ، وما كنا نكافح الا من أجل محو عار الاستعمار الذي لم يلحقنا عبر تاريخنا الطويل . الى ان لطخنا به الاستعماران : الفرنسي والاسباني .

وكافحنا وكنا نامل ان نستحق رحمات الاجيال ، فاذا بنا نلاقي عقوقا وتنكرا لما قاسيناه في سبيلهم من تضحيات جسام .

ولكن ، لا بأس فجزاء البشر تافه وما عند الله خير وأبقى ، ونحن ولله الحمد مومنون بالله حق الايمان لا يؤثر في ايماننا سباب ولا شتم ولا نكران لكفاحنا ، فقد خلقنا للفضيلة ، ويجب ان نعيش لها ، والله نسأل أن يردنا اليه ونحن متمسكون بها ، وان تخطتنا العيون ، وتناولتنا أقذر الالسن ، وفوتت علينا حقوقنا كمواطنيـــن فقط ، فلنفوض أمرنا الى الله والله بصير بالعباد ، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . وعند الله تجتمع الخصوم .

فـي تـارودانــت

عندما وقفت سيارة الستيام في تارودانت وجدت شرطيين من شرطتها في انتظاري حيث سلمني اليهما رفيقي الشرطي .

ولم أجد رئيس شرطة تارودانت حاضرا وعلمت أنه توجه الى « أثرم ليخفر » مبعدا » فنمت على مقاعد خشبية طويلة ، وأيقظني بعد ذلك شرطي ليقول لي قم ، ان المعلم قد حضر ، ففتحت عيني على فرنسي طويل القامـة غليظ الاعضاء عريض الاكتاف فقال لي : أبك النـوم ؟ قلت نعم . فقـال أصحبني وهو يبتسم فصحبته الى مكتبه ، وسرعان ما غيـر لهجتـه الى عبوس وشدة وسألني من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ وما هو سبب وجـودك هنا ؟ فأجبت وأنا أبتسم . بيدك ملفي لتعرف كل شيء فقال لي : أغضبت من لهجتي هذه ؟ لانها لهجة عادية فقلت : ولكنك كنت تبتسم خارج مكتبك والان غيرت لهجتك ! أتظن بذلك أنك تخوفني ، لا تفعل فعقيدتي أسمـــ ـــن ذلـــك .

فقال لي : هون عليك ، فسوف لا ترى مني الا الخيــر ! فقلت ذاك واجبك ، فلا داعي الى التهديد ، وهنا غير لهجته وقال لي : أنت مـــن مشيخة ورطاس ، ومـن دوار تزي يخلـف ومن الذين درسوا في جامعـة القرويين ، وتاجر الان ، وقد كنت عدلا .

فقلت له : ها أنت ذا تعرف كل شيء عني فلماذا كنت تسألني ؟ فسألني هل قمت بشيء ضد الدولة ، فأجبت : بل أنا جندي من جنود الدولة ، فلم يفهم عني هذا الاسلوب وقال : أعني هل أنك قمت بشيء ضد فرنسا ؟ فقلت : نحن لسنا ضد فرنسا ، ولكننا ضدالاستعمار الفرنسي لنا ، فقال لي : كيف تركت البركانيين ؟ فقلت : تركتهم على كلمة واحدة فابتسم وقال : ان بني يزناسن « اصعاب جدا » ! فقلت : عندما يحاول أحـــد اهانتهم والا فهم كرام نبلاء ، وأبطال في نفس الوقت اليس كذلك ؟

وبعد هذا الحديث سألني ما اذا كنت أفضل تناول طعام الغداء هنا أم في مطعم فاخترت الثاني فصحبني اليه .

وفي المساء عرضني على طبيب بطلب مني وسألني ما اذا كانت لـي رغبة في اخبار عائلتي فأجبت بالموافقة بعد أن سألته عن مصيري ، فأجابني

: « تركانت نيتموسي » ، ستين كيلو مترا على بعد تارودانت وهي قرية جبلية « جميلة » فأبرقت الى عائلتي وكان هو الذي حرر البرقية وكانت هكذا: وصلت الى تارودانت في طريقي الى أركانة وأنني بخير » وأديت مائة وخمسين فرنكا بالضبط .

وفي الساعة الرابعة صباحا من فجر الخميس واحد وعشري غشت توجهت مع رئيس الشرطة الى أركانة حيث وصلنا على الساعة الثامنة صباحا ووجدنا رئيس الملحقة الضابط الفرنسي في انتظارنا ، وبعد هنيهة قال لي الضابط يجب ان تكون هادئا والا حكمت عليك بستة أشهر سجنا ، أفهمت ؟ فلم أجبه ، وقال للشاموش الحسين بن عاشر من زمور الشلح خذه وضعه في احدى منازل المخزن ، واغلق عليه الابواب .

وأثناء ذهابي الى المنزل قال لي الشاوش : في يوم الثلاثاء المنصرم انتقل من هنا شخص يقال له : السي احميده الفجيجي الى أغرم بعد أن مكث هنا قرابة شهر ونصف وقد كان حرا في هذه القرية ، وزارته زوجته وبعض أفراد عائلته ولكنه اشتكى من شدة الحر ونقل الى أغرم ، ولست أدري – يقول الشاوش – لماذا أغلق عليك الابواب ؟ فأجبته : فليفعلوا ما شاءوا ، فانني مستعد لكل شيء .

وحينما وصلنا الى المنزل الذي كان في آخر منازل رجال المخزن الاداري قال لي : لا أغلق عليك الابواب حتى أراجع القبطان ، فرجع ليقول لي بانني حر في هذه القرية ولكن لا أبارحها ، وعلي ان أزور الملحقة مرتين في اليوم، في الصباح وفي المساء .

طفت بالمنزل فوجدته يشتمل على حجرتين احداهما تفضي الى الاخرى، وبجانبهما بيت آخر يستعمل كمطبخ ، ثم خرجت لابحث عما اذا كان في القرية ما يؤكل ، فوجدت ان الخبز لا يباع في هذه القرية ، فضحكت وقلت: حسن ، الخبز غير معروض للبيع ! هذه هي هذه ...

واشتريت بعض أجهزة المطبخ وعلبة من الشربة واحتطبت حطبا من أطراف المنزل واعددت طعاما من الشربة بالزيت فقط ولكنني لم استطع تناولها فاكتفيت بشرب الشاي مع شيء من الخبز صحبته معي من تارودانت .

وبعد تسعة أيام أمكنني ان أحصل على خبز من فرن المراقبة على أساس تأدية ثمنه في كل رأس شهر .

قراءة الصحف الوطنية

كان المراقب الضابط أمرني أن أكاتب عائلتي وأصدقائي بواسطته ليراقب ما أكتب ، ولكنه عاد في نفس اليوم الذي أصدر الى نية هذا الامر ورخص لي بالكتابة حرا .

وانتهزت هذه الفرصة فكتبت الى ادارة العلم لتوافيني بالعلم ، والمغرب .

وبعد أيام نصحني السيد محمد الوردي الكاتب بالمراقبة باخبار المراقبة بذلك فنزلت على نصحيته ولكن المراقب اتخذ قرارا غريبا : وهو يتلخص فيما يلي :

ان أترك الصحيفتين تردان على المراقبة على شرط ان يحرقهما الكاتب المذكور ولا يسلمهما الي :

ومع ذلك فقد كان الكاتب المذكور يسلمهما الي سرا ثم أردهما اليه .

وذات يوم استدعاني المراقب وكان مساء يوم أحد فوجدته مرتديا جلبابا مغربيا من الجلاليب التي تلبسها غرقة الكوم ، وجميع أعوانه المغاربة من كتاب وتراجم ورجال المخزن محيطون به ، وهو يزبد ويرعد ، ولما رآني خرج الي وقال : أهكذا يكون جزاء « الخير » بالشر . لقد رخصت لك في أخذ الخبز من فرني وسمحت لمخزني بتهيئة الطعام لك وتنظيف ثيابك ، وسمحت لك بحرية الكتابة ، وسمحت لك بالحضور في موسم سيدي أحمد بن الحسين « بفتح الباء » وهو على بعد 60 كيلو مترا من أزكانة ومع ذلك تجازيني بمثل هذا العمل !؟

وكان يتكلم وكأن به مسامن من الجنون وأعوانه قد امتقعت الوان وجوههم وفي انتظار ما عسى أن يكون لكلامه هذا من نتائج سيئة علي وعليهم ، وكان منهم من يشفق علي كثيرا وخصوصا الكاتب المذكور والشاب اللطيف المترجم السيد بنعيسى من عين اللوح دائرة آزرو .

ولما رأيته مسترسلا في كلامه لا يترك لي نرصة للجواب لزمت الصمت والهدوء ، وهو تارة يتحدث معي ويهددني وأخرى يجيب على المكالمات التليفونية

وقدشعر بعد حين انه يتكلم وحده ، فاقترب مني وقال : لماذا لا تجيبني ؟ ج : لانك لم تفسح لي المجال للجواب ، فماذا وقع ؟ فتضاعف غضبه وقال: ماذا وقع ؟ ماذاوقع ؟ الا تعلم ماذا وقع ؟ قلت لا . فقال : وما هذا العدد من « العلم » انه لك ، فاجبته وأنا أبتسم : يمكن ان يكون لي ، ولكن ما الدافع لغضبك وتهديدك ؟ قال : ألم أمنعك من قراءة « العم » ؟ قلت هو كذلك ،، فقال : ولكن هذا « العلم » لك . قلت نعم يمكن أن يكون لي ، ولكنه الآن في يدك ، وليس في يدي ، ولا وجدته بمنزلي ، هل فهمت ؟أنك خلقت هذا الجو العابس بدون سبب « فالعلم » يتسلمها بريد المراقبة وهو الآن بين يديك ، فما شأني أنا ؟

فاندهش لهذا الجواب ؟ وفجأة وجد نفسه جامدا في مكانه لا يتحرك، وأخذ ينظر الي في استغراب ، والتفت الى أعوانه فوجدهم واجمين وقد فارقت وجوههم تلك الصفرة وهم ينظرون الي نظرة اعجاب ، فاستيقظ من وجومه ليقول لي: كيف ؟ هذه الجريدة: العلم، ليست لك ؟ فاجبته بأنك تعيد

سؤالا أجبتك عنه عدة مرات ، واستمع الي ـ بارك الله فيك ـ : انه لم يكن لك أي حق في أن تمنعني من قراءة العلم وجريدة المغرب لانني مشترك فيهما ، وقد تسامحت في اجرائك رغبة في أن ياتي الوقت لتفهم واجبك وتعاملني طبق القانون ، فأنا هنا لست بمعتقل ولكنني مجرد مبعد سياسي تحت الرقابة من بعيد ، وانني أعلم ان الادارة قد خصصت مبلغ أربعمائة فرنك للانفاق على كل مبعد سياسي ، ومع ذلك فانتم لا تسلمون الي ذلك المبلغ وقد تغاظيت عنه اعتمادا على نفسي واعتقادا مني ان العدالة بعيدة عن أجواء الاستعمار ، فاذا عدل الكبير ، ظلم الصغير أو العكس ، وبهذا الاسلوب وبغيره ضاعت منا أبسط الحقوق .

أما « الجميل » الذي تتحدث عنه فلم أنكره ، وأما المخزني الذي أذنت له باعداد الطعام لي وتنظيف ملابسي فسأستغني عنه من الآن ، فأنا كما يجب ان تعلم أني قادر على اعداد طعامي وتنظيف ملابسي، ألم أكن من طلبة الجامعات والمعاهد ، وفيها نمارس حاجياتنا بأيدينا ، ثم انني بناء على أنني مشترك في الجريدتين فسأقدم رسالة الى ادارتهما ليرفعا دعوى عليك . ونحن الاستقلاليين لايهمنا الآن الا مواصلة الكفاح في سبيل حقوقنا ، سواء نجحنا ، أم لم ننجح .

وانك لا تفاجئني بهذه المؤامرة انها مجرد عملية مصطنعة ، والا فانت تعلم سلفا ان العلم والمغرب يصلان الى المراقبة منذ وصلت الى هنا بطلب مني ، وانك أمرت باحراقهما فاذا لم تحرقا ، فما ذنبي أنا ، انك لم تضبطهما لا في يدي ولا في منزلي ، مع ذلك ها أنت تزبد وترعد كانك وجدتني متلبسا « بجريمة » .

انني كنت أعلم انني ساتعرض لمثل هذه المؤامرة للضغط علي ، فدراستي لاساليب الاستعمار زودتني بكل الضروريات التي افتقر اليها ، وبكل أسف ، فانكم دائما تفشلون في مؤامراتكم ، وبهذه المناسبة أصرح لك ان ابعادي كان بمقتضى مؤامرة أو مؤامرات من هذا النوع الفاشل .

والآن ، ما رايك هل تسلم الي الصحف أم أسجل دعوى عليك ؟؟ فاقترب مني وضرب على كتفي وقال : لا تغضب يالسي قدور انني غلطت، ولك كامل الحق في قراءة الصحيفتين لانك دفعت ثمن اشتراكهما ، وان رئيس دائرة تارودانت « فيرو » أمرني بانصافك بعدما شرحت له القضية برمتها ، ولكن على أساس ان لا تفضي الى الناس بما تقرأه في الصحف !.

فاجبته « مغالطا » انني لا أفهم الشلحة لاترجم ما في الصحف للناس . واذا بقيت هنا عامين فيمكن اذ ذاك ان أقوم بهذه العملية اذا أردت ، لانني أكون قد تمرنت على الشلحة فأجابني ـ وهو يبتسم : من هنا الى عامين يدبر اللـه ،،،

وهنا قلت له : الى متى وأنتم تغالطون انفسكم ؟ فهل تظنون ان هذه الناحية لا تعلم شيئا عن الاجواء السياسية ؟ وهل تظنون ان الصحف

الوطنية لا تقرأ في هذه الناحية ؟ انني أعجب الفرنسيين كيف يلائمون بين هذه الافكار ، وما اشتهرت به فرنسا من ذكاء كأنكم لستم من بلاد «السين» التي انجبت : ميرابو ولامارتين ، وشاتوبريان ، وفيكتو هيكو ، ونابليون بونابرت ، وغيرهم من أعلام الثورات والفكر والادب .

فاندهش لقولي هذا وقال : ألم تقل لي انك لا تعرف الفرنسية ؟ فمن أين لك بمعرفة هؤلاء ؟ فقلت ، عن طريق الترجمة ، وان عالم الترجمة قد أدى رسالة ثمينة وخالدة للانسانية جمعاء منذ شعر البشر بانسانيتهم ، فالترجمة هي التي حافظت لنا على مدنية الفرس ، وعلم اليونان ، وفقه الروما ن، وصناعة الهند والصين ، وهي التي نقلت اليكم معشر الفرنسيين، مدنية العرب ، وعلوم العرب ، وحضارة العرب ، ولولا ضيق الوقت لامليت عليك الان عدة شهادات منكم معشر الاروبيين ، تؤكد ما أشير اليك به الآن.

وكان مقصودي من تبرعي بهذا الكلام ان أعرفه بنفسي شيئا ما ولاسيما وقد كان من أبسط الجهال فلا خبرة له الا الخبرة الجندية .

كما كان قصدي ان أجهز عليه ازاء أعوانه لابذر فيهم بذور الوعي الوطني والشجاعة الوطنية .

واختتمت هذه الحادثة باعطاء أمره الى صاحب البريد ان يسلم الي الصحف الوطنية بعد ان سألني لماذا لا تقرأ « الوداد » فابتسمت وقلت : الوداد والسعادة جريدتان استعماريتان شأنهما الهجوم علينا معشر الوطنيين والاشادة بالاستعمار . ثم سألته : هل هاتان الصحيفتان يقرؤهما المشتركون فيهما ؟ فأجاب : انهما تتكدسان هنا ولا يبحث عنهما أحد . معك الحق ، انهما وضيعتان ، ولو كان فيهما خير لما تكدستا هنا ! .

ان هذا الضابطهو القبطان ريشو

خرجت من مكتب المراقبة في اتجاهي الى منزلي ، وحاولت ان أعرف آثار هذه الحادثة فجلست — كعادتي — على صخرة كبرى على جانب الطريق العمومي وعلى مقربة من المنزل ، ومن حيث سيمر الشاوش الحسين بن عائش الزموري .

وبعد برهة حياني الشاوش وهو يبتسم ، فقلت : ما وراءك ؟ فقال لي حفظك الله ، لقد أشفيت غليلنا في ذلك « الكاوري » أي الاروبي ، ويعني به المراقب الضابط وزاد قائلا : انه اعجب بحديثك كل الاعجاب وانه صرح لنا بانك رجل ومرن وعاقل يعرف ما يقول ، انه لم يكن يظن انك ستجيب بتلك الاجوبة ، كما انه قال لي : — يقول الشاوش — لم لا يستدعي السي قدور عائلته لتعيش هنا معه ؟ وأنا يقول الشاوش — على هذه الفكرة فلا مانع من العيش هنا مع عائلتك ، فقلت له : قل لصاحبك ، أنني ذو خبرة بكم منكم ، فهو يريد بهذا الاقتراح ان يضعف من معنويتي لاحافظ على بقاء عائلتي معي .

فاذا كانت عائلتي هنا فانني لا استطيع ان اقف موقف اليوم حتى لا أتعرض الى سجن أو ابعاد مفاجيء فاترك عائلتي هنا غريبة كما فعل بالسيد احميدة ! لدى نقله الى أغرم وترك زوجته هنا ، ولولا وجود قريبه معها لصعقت من هول مفاجأة التفريق بينهما وبين زوجها ، ثم قلت له : قل لصاحبك ان مدة ابعادي طويلة ، وسوف تختم بتحقيق امالنا في الله برجوع حريتنا واستقلالنا الينا ، واذا أراد الله بنا خيرا عجلت الادارة الفرنسية العامة بتنفيذ مشروع اجوان ، وان صاحبك ليعلم مشروع اجوان .

فسألني ما هو مشروع اجوان ؟ فأجبته : الجواب تعلمه من صاحبك ان أراد قول الحقيقة لك ، فضحك وقال : لا أقول له شيئا مما قلته لي أصلا وأخبرك – يقول الشاوش – بان حديثك اليوم مع الضابط كان له أثر وأي أثر في هذه القرية فلقد انتشر كالبرق وأصبح الكل يقدر فيك الوطنية الصادقة ان ضابطنا يقول الشاوش ، لم يسبق له أن سمع مثل هذا الكلام وانه قال: لقد كنت أحسد، ان هذا الرجل بسيط ، ولكنني أخطأت في التقدير لست أدري لماذا يرسلون الي مثل هؤلاء ، ان الادارة العامة مخطئة في هذا الاجراء نكان من الفائدة ان يرسلوهم الى المدن خيرا من ارسالهم الى البادية لانهم هناك لا أثر لهم مثل ما يكون لهم هنا في البادية ، ساطلب من رئيس الدائرة ان ينقله محافظة على هذه الجهة التي احكمها حتى لا تصيبها عدوى الوطنية .

الى تارودانت أيضا

وفي مساء الاثنين ثامن دجنبر 1952 ، رمى الضابط بي الى السجن واطلق سراحي صباح الثلاثاء بعد ان نقلني من منزلي القديم الى معتقل برأس الجبل حيث مكثت هناك حتى مساء السبت 13 دجنبر المذكور .

وفي مساء هذا اليوم علمت ان حوادث وقعت بالمغرب تضامنا مع تونس في قضية فرحات حشاد المغتال من غلاة الفرنسيين ، فعرفت سبب اعتقالي وانه كان احتياطيا غير أني في نفس هذا المساء فاجأني رئيس دائرة تارودانت الكولونيل « فبرو » مع رئيس الملحقة الضابط ففتشوا منزلي وأخذوني الى الملحقة حيث اجريت لي عملية تفتيش فأخذ مني عشرون الف فرنك وسلم الي توصيل بذلك .

ثم توجهوا الى تارودانت حيث ادخلت الى زنزانة .

وفي صباح الاربعاء على الساعة العاشرة 17 دجنبر 1952 جمعوني مع السيد احميدة الفجيجي ومكثنا هناك الى 26 شتنبر 1953 حيث نقلنا الى قلعة مكونة باقليم ورزازات وكان يسمح لنا في تلك الزنزانة المظلمة تارة بفتح الباب نصف ساعة في الصباح ونصف ساعة في المساء ، وتارة ساعة في الصباح وساعة في المساء ، وأخرى ساعتين في الصباح وساعتين في المساء .

ولم يكن في امكاننا ان نتناول أي طعام داخل الزنزانة بدون ايقـاد الشمـع .

8 دجنبـر 1952 في ابركـان

وهنا اقطع الحديث حول مراحل منفاي لاتحدث عن حوادث ثامن دجنبر 1952 ثم أرجع الى مواصلة الحديث عن منفاي .
لا حاجة بنا الى التطويل في التعريف بحوادث ثامن دجنبر 1952 ، فاقد اغتيل الزعيم النقابي التونسي في تونس من طرف غلاة المستعمرين ، وقام حزب الاستقلال بواسطة النقابة الوطنية بنشاط تضامني فاستغلت الاقامة العامة هذا التضامن النقابي مع نقابة تونس . فقامت بعمليات اعتقالات فـي مجموع اقاليم المغرب .
وكان حظ بني يزناسن ستين معتقلا ، منهم الاخوان : أحمد بن عبد الله البيعلاوي ، وعبد المومن بن ابراهيم الخ ..
ونفت الى تندرارة الاخوان : الحاج بنعامر بن الحاج لخضر الهواري ، بعد مساومات متكررة لم يضعف ايمانه اثناءها .
الحسن بن محمد بن الحاج علي الوكوثي اليحييوي ، عبد السلام بن محمد ابن بولنوار الهبيل . ولد القائد بن يحيى البصراوي ، محمد بن علي الدرقاوي، محمد فتحا بن ادريس الوكيلي .
واذا كانت وضعية هؤلاء المبعدين القانونية الابعاد ، فلقد كانوا يعيشون عيشة المعتقلين تقريبا .
ثم نقلتهم الى حاسي العريشة ملحقة تندرارة ، ثم الى محطة «العقرب» في احواز تاوريرت ، ثم الى تاوريرت نفسها ، والنهاية تأتي من بعد .

طـريـفـة

ولنعد الآن الى اتمام الحديث عن منفاي ، ففي يوم الخميس خامـس وعشري شتنبر 1953 بينما كنت أنا والسيد احميدة الفجيجي في زنزانتنـا بسجن تارودانت منذ سابع عشر دجنبر 1952 اذ سألني من جديد السيـد احميدة المذكورة : الى متى تتوجه الى الله لينقذنا من هذه الوضعية المؤلمـة ان لم يطلق سراحنا ؟ وكان دائما يلقي علي هذا السؤال ، ويقسم لي بايمانه الشهيرة انه يسألني ذلك من خالص قلبه ، وكنت دائما اجيبه بانه لم يحن الوقت بعد مجاراة له فقط .
وفي ذلك المساء : مساء يوم الخميس 25 شتنبر 1953 ، قلت له : في هذه الليلة سأتوجه الى الله لينقذنا مما نحن فيه من الالم ، ونتوارى على الاقل من وجه هذا المخزني السرغوشني التاسي الذي ما كدنا نتنفس من سلفه الحطاب حتى ابتلانا الله به .

وبعد ان صلينا صلاة العشاء ، وقبل ان نصلي الشفع والوتر قلت له : لنصل ركعتين قبل الشفع والوتر ، وبعد الانتهاء منهما قلت : بالله الذي لااله الا هو حتى نخرج غدا من هذه الزنزانة الى جهة اخرى ، فقال لي الى منزلنا ، فقلت : لا ، الى جهة اخرى والسلام .

ثم صلينا الشفع والوتر ونمنا .

وفي فجر الجمعة استيقظت على فتح الباب الخارجي للسجن وسمعت حركة غير عادية فانتظرنا حتى طرق صاحبنا السغروشني المخزني صاحب زنزانتنا وفتح القفلين ثم قال لنا : بعد ساعة يجب ان تكونوا على استعداد ، يجب ان يجمع كل واحد امتعته ويلصق بها لائحة باسماء حوائجه .

وفي الغلس خرجنا من الزنزانة متوجهين الى المراقبة ، ثم قيدنا بالسلاسل من طرف رجال الدرك وركبنا سيارة صغيرة ، حيث توجهنا الى اكادير ، ومن ثم الى مراكش حيث بتنا في اسطبل هناك ، وفي صباح السبت سابع وعشري شتنبر 1953 توجهت بنا سيارة الدرك مخفورة الى ورزازات ، ثم الى قلعة مكونة .

وفي قلعة مكونة التقيت مع الاخ عبد الكريم بن الحاج التهامي البرحيلي الذي نفي من وجدة بعد ان اعتقل وحوكم في حوادث اجرادة ووجدة يوم الاربعاء تاسع اجوان عام 1948 وكان بقرية فم الحنش ثم نقل تلك الليلة الى قلعة مكونة ، كما وجدت هناك الاخ عمرو بن الحسين الوكوتي الذي نفي من غشت 1951 الى قرية تازرين ثم جيء به الى قلعة مكونة كما التقيت هناك بجماعة من اخواننا المراكشيين وزاوية الشيخ وآسفي وتنغير .

وخلاصة حياتنا هناك ، انه اعطى لكل ثلاثة اخوان حجرة ذات ثلاثة أسرة عليها فرش من تبن ، أما الغذاء فكان على نفقة الادارة وكان كثير الانواع قليل الجودة .

وهنا أريد من القارىء ان يعيش معي في قلعة مكونة بعض الوقت في جو أدبي من أدب السجون والمنافي التي يتأثر فيها الكاتب او الشاعر بما يعيشه من اجواء خاصة ، وبيد واثر ذلك في اسلوبه بشكل واضح ، وفي معانيه بشكل أوضح ، يعيش هذه الجولة معي ليستفيد كثيرا من الخبرة بحياة السجون والمنافي ، ويسهل عليه فهم اشارات ترد في الكتابة او الشعر اذا ما كان لم يقدر له ان عاش تلك الحياة ، والا فالوصول الى فهم ذلك فيه كثير من العسر ، لانه يشق علينا ان نتناول كل جزئية بالشرح والتفصيل .

نعم ، حينما نقوم بجولة من هذا النوع سأرجع به الى الحديث عن حوادث غشت 1953 في ابركان .

حدث ذات يوم انني تذكرت الاهل والاخوان وما عانيته في هذا المنفى من خطوب واهوال ، فنظمت القطعة التالية :

طال سجني وطال فيه مقامي ... يا ترى الدهر يستجد أيامي
وطوت غربة الديار زمانا ... كنت فيه ممتع الاحلام

وتتالت على الفؤاد خطوب ... هذه من خلفي وهذى أمامي
وخضم الهموم ، يرغى ويقسو ... وسهام حمراء اثر سهام
كنت احصي الشهور غب غيابي ... فاذا العام سابح اثر عام

وحدث ذات يوم وكان يوم 16 رجب 1974 الموافق 11 مارس 1953 ، ان وقع سوء تفاهم بيني وبين الاخ محمد السرغيني الاسفي « النائب البرلماني » ولما رأيته في حالة غضب بادرته بسؤالي : لم تغضب يا أخي السرغيني أغضبت لاننا تطعنا الحديث بعد ان دخلت علينا في حجرتنا رقم 15 ؟ فأجاب نعم : ، وحق لي أن أغضب ، فقلت انك غضبت لجزئية قد تكون بسيطة ، ولكننا نحن الوجديين شاهدنا كيت وكيت مرات متعددة ولم نغضب في وجوهكم ، فما رأي الاخ بعد هذا ؟ (1) فأخذ الاخ محمد السرغيني يبكي وهو يقول : نعم لكم كامل الحق . ولكن .. فقلت : ان : لكن لا يرفع الواقع ، انما الذي يجب على الانسان دائما ان يفكر جيدا قبل ان يلوم صديقه فقد يكون هذا الاخير اقوى منه حجة ، فقال : نعم هو كذلك — والآن ؟ قلت سامحكم الله وتلوت : ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا انك رءوف رحيم فتعانقنا طويلا وفي اليوم أو بعد يوم قدمت اليه القصيدة الآتية :

لا تسقني أكؤس العتاب مترعة ... اما تراءيت يوما شبه منحرف
ولتلتمس لسليم القلب معذرة ... فالود يخلد ما خلوت من كلف
« بيض المعاتب لاسود المعاتب قد ... تكون خير علاج خير مؤتلف
لاسيما — وحياة السجن قاسية ... يا طالما زحزحت اخلاق ذي شرف
اما كفى القلب ما يلقاه من ألم ؟ ... لولا التجارب ما سلمت من خرف(2)
كم كلفتني حياة السجن من ثمن ! ... أدينه من دماء القلب والسلف (3)
فكم تخيلت نبلا قبل تجربة ... لكن رجعت بلا تمر ولا حشف (4)
فما تخيلته جبنا ولا بلها ... لكن تخيلته عن طيب النطف
وكم تصاممت عن أشياء تؤلمني ... وكم تعاميت عن اشياء من شرفي
وكم حفظت لساني من مزالقه ... كيما أصون سمو الخلق من تلف
وكم تغافلت عن أشياء في بلة ... كيمابقي على الافضال والالف
لكن أبى الدهر ما خشيت من لدد ... بعداله من زمان غير ذي رأف
سلخت من عمري سنين مكتشفا ... أغوار قوم وما وقعت في قذف(5)
شغفت بالدرس والتحليل مذ صغري ... وازددت في كبري حبا على شغفي
فلا أكاد ارى أشباح عابرة ... حتى تبادرها أفكاري في لهف
كم مزقت فكرتي اسداف مشكلة ... واستخرجت درر الاسرار من صدف
تغوص في عمق الحياة باحثة ... عن الحقائق في صبر وفي زهف(6)
وكم تقنعت الحياة من سحب الاه ... سواء لكن عرفت الحق من غلف

1) اجملت القول حتى لا اثير ماضيا ذهب وهو يتعلق باشياء ذهبت بذهاب عهدها . (2) الخرف بالفتح فساد العقل .
3) السلف بكسر اللام : الجلد (4) الحشف بالفتح : رديء التمر
5) القذف بالفتح : المنزلق 6) الزهف فتحا : الاسراع الى الاشياء

وكم عكفت على تحليل ظاهرة ... وكم سهرت عليها الليل في سهف(7)
حتى تفتق نور السر منبلجا ... كما تفتق نور الصبح من سدف
مستخدما منطق الاشياء في حذر ... وقد ازل ، ولكن دونما جنف
اجرد الفكر من اهوائه سلفا ... واقصينها ـ بلا رفق ـ الى قذف(8)
وابحثنها على التجريد متهما ... نفسي، ومتهما لها بلا شنف (9)
اذ ذاك اخاو بها عذراء سافرة ... تنير فكري بلا دلس، ولا وكف(10)
ولو ارحت من التفكير غائصتي ... أتت الى حياة الناس من صدف(11)
ويحى ، استخرج الاسرار من عمق ... ويختفي عني مايطفو منالطلف(12)
تجري أمور على ميداء باصرتي ... ولا أمير بين الحجم والرعف
اصدقتك القول عن أشياء غامضة ... لربما .. كي تراني واضح الكنف

لقد أبعدت عن مسقط رأسي كما سلف يوم الاحد 17 غشت 1952 وأطلق سراحي مساء الخميس رابع عشر يوليوز 1955 كما سيأتي ذلك بعد .

لم ار أحدا من عائلتي طوال هذه المدة الا زيارة خالدة كانت من والدي حينما كنت بسجن تارودانت في فصل شتاء سنة 1953 ، ولم تدم أكثر من ساعة ، أما الاخ عمرو بن الحسين الوكوتي فقد أبعد كما سلف ، في غشت 1951

واما الاخ عبد الكريم البرحيلي فقد اعتقل منذ تاسع يونيه 1948 .

وكلاهما قد التقيت بهما في معتقل قلعة مكونة ولم يزرهما أي أحد حتى أطلق سراحهما يوم أطلق سراحي .

وحينما كنا بقلعة مكونة كان الاخوان الذين كانوا معنا في المنفى المذكور يستقبلون عائلاتهم : زوجات وأولاد وأقارب وأصدقاء ويصطحبون معهم أنواعا من المأكولات والملابس والهدايا ، ويمكثون معهم مددا مختلفة ، يتملون مشاهدة ومجالسة عائلاتهم ، وكل ما كان لنا من حظ بهذه الزيارات من أقارب اخواننا ، اننا كنا نقدم لهم تهانينا « مجانا ؟؟ » باستثناء الاخوين : الحاج احمد الشرقاوي الرباطي ومحمد العيساوي أخ الاستاذ المجاهد سيدي محمد غازي ، فهذان الاخوان كان لهم من المنة علينا ما لا ننساه أبدا ، خصوصا فيما يتعلق بي وبالاخ عبد الكريم البرحيلي .

وان مشاهد تلك الزيارات المتوالية لاخواننا من طرف اقاربهم كانت ـ بطبيعةالحال ـ تؤثر على نفوسنا فتحرك أشواقنا الى عائلاتنا وأقاربنا ، ولكن اين من يستطيع زيارتنا منهم والمسافة بعيدة ، والحالة السياسية حرجة .

وكانت تلك المشاهد مما اغراني بنظم كثير من القصائد سجلتها في جزءين خاصين ضاع احدهما ، ولا يزال ثانيهما بين يدي .

---

7) السهف فتحا : الظلام (8) القذف هنا بمعنى الناحية : وهو بالفتح ايضا (9) الشنف فتحا البغض (10) الوكف فتحا : الاثم (11) ج صدفة بضم الصاد (12) الطلف فتحا : الشيء الهين اليسير .

وذات يوم اشتد شوقي الى ابركان ـ وما أنا الا بشر ـ فنظمت القصيدة التالية تحت عنوان :

وفـــاء

شوقي الى موطن يدمي مآقينا ... يا عمرو ، ما للهوى دوما بناحبنا(1)

بركان ما ادكرت نفسي مباهجها ... الا وهاجت شجونا في منافذنا

فهل نسينا رواء في مناظرها ... وهل وجدنا لها ندا يصانينا ؟؟

كست مناظرها الغناء كاسية ... من السماء رشاقة وتلوينا !

هيفاء سابغة الذيول سافرة ... تختال على مهل تسبي المحبينا

وأبرقت برهيف من سنادسها ... ودملجت حليها نقشا وتزيينا

تفوح اردانها عطرا وغالية ... لكي تزيد بفوح العطر تليينا

رؤوفة بمحب لا يصانعها ... ختلا ليستقيها كأس المريغينا

غضوبة للشرى ما كان منتهكا ... طروبة لصداح من معالينا

ترعى المواثق ما راعيت حرمتها ... ولا تلين اذا نكثتها لينا

رقراقة الدمع ما اشتاقت لصفوتها ... وشجنتها لظى الاشواق تشجينا

× — ×

من لي بافيائها الولهى ممدة ... على الزهور تضوع من حوالينا

فنرشف الماء خمرا من جداولها ... نسقي به ظمأ يجتاج صادينا

ونرهف السمع للاطيار تنشدنا ... عذب الاناشد في أحلى مماسينا

وهالة من شباب جل خالقهم ... كساهم الله اخلاقا وتمرينا

أشبال مأسدة في شكل ناشئة ... ترتاد من حنكة الايام تلقينا

تسارق الطرف في ظرف وفي خفر ... وترسل القول طيبا لا يحافينا

لطافة ورثتها عن معارقها ... مصقولة زادها التلقيح تمكينا

لم تود مسمعنا بأي نابية ... عن الخلائق مذ صارت توافينا

ولا أعدت لجفوة لنا طرقا ... مغلة غفوة منا فتردينا

ولا اعانت على أهدار مكرمة ... نذلا يناصبنا العداء يبرينا

تزكو خلائقها في كل دارهة ... كالارض ينبتها الحيا رياحينا

ما للوفاء لها شيء نقدمه ... سوى القوافي، وهل تجدي قوافينا

قل لي ، بربك هل سلوت بهجتها ... في تازربن ،وتذوقت الكرى حينا ؟

أماؤنا العذب نابت عنه رامتها ... واخمدت لهيبا هاج الشرايينا

وذاك تفجره الالحان منبجسا ... من المنابع يثمل البساتينا

وتلك تسترحم السحاب غابطه ... بصيف منه يجرف الثعابينا !

أصيف بخطف الابصار بارقه ... كصيب يعجز الاوتار تلحينا ؟!

---

(1) قصدت بعمرو الاخ عمرو بن الحسين الوكوتي

اغورة من جحيم الكثب مطلعها ... تشوي الوجوه وتحرق المصاربنا ؟!
مثل الغزالة تغدو وهي رائفة ... بموطن الزهر تكرم الياميذ.ا ؟!
وهل مساربها القحلاء عابسة ... مثل المحاقل خضرا من تبارينا ؟!
أغفية من كثيب جد مضرمة ... مثل الخمائل في أعلى روابينا !

في اركانه

اما أنا ، وهواي ، بعد غربتنا ... عن الديار فما أقسى مآسينا
تلقفتنا وما رثت لحالتنا ... «اركانة» من لفوح الريح تشوينا
أجلت طرفي مليا في مغارسها ... وجلت فيها معاينا وتخمينا
فلا الكروم لها عذق ككرمتنا ... ولا الزياتين تشبه الزياتينا
ولا مجاري سيول الغيث طاهرة ... ولا السواقي تداني من سواقينا
فتلك تغمرها الازهار راقصة ... وتلك بالحماء المسنون تضوينا
ولا الغرابيب بالاطلال ناعبة ... مثل الحمائم بالانغام تشجينا
ننام والعقرب المشؤوم يفزعنا ... ليلا فيحرمنا أطياف ماضينا
اذا ضجعنا نرود النوم في سحر ... هاجت مشاعرنا بالبوم تصمينا
فيسرع الذئب من أدنى مغاوره ... يقفو نعابانعي ـ ظلما مساكينا
نضيق ذرعا بكوة مغلقة ... وان فتحنا اتى البعوض يؤذينا

في تارودات :

لم تكف ساخرة الاقدار معقرة ... حتى رمتنا الى سجن يناصينا
سجن أحق به الجرذان من بشر ... يبغي العلا ويحارب الداجينا
سجن تبطن من بق ومن حرش ... يمتص منا دماء لا يدارينا
قد رممته نفوس من قساوتها ... وأهلته لنا كهفا يعنينا
تئن من ثقل العصور أظهره ... فيرشح الترب حاصبا حواشينا
نسترحم النور من احداق ناغذة ... براعة شققت في السدف تهدينا
ان أنس ، لا أنس بيتا قلته نهبا ... اندت به النفس ترويحا وترنينا
رحماك ربي ما اقسى تغربنا ... حتى الضفادع قد صارت تؤافينا
وكم سعينا الى تخفيف وطأته ... لكن رجعنا بلا وعد يؤسينا
وكيف تثمر اعمال اذا مزج الوفاء ... بالغدر في أغلى مساعينا
والناس ما مزقت بالغدر وحدتهم ... الا غدا العز يندب المصابينا
لو عاش فيكتور في اجواء رودانة ... لها له الخطب في أقسى مآسينا
لله يا زهرة الاحلام معذرة ... اذا تصدع قلب في صياصينا (1)
من كل منتجع رسل تراوحنا ... ولا رسول من الاوكار يأتينا
ولو شهدت أخا مزكيط منصهرا ... بغربة عدها الاحرار غسلينا (2)
وشاهدا من شهود الصبر منبلجا ... كالشمس اذ تغمر الوجود تبيينا

---

(1) زهرة الاحلام : ابركان (2) اخو مزكيط عبد الكريم البرحيلي الذي تضى فيها اربع سنوات نفيا عانى فيها من الخطوب ما لا يصفه الواصفون.

لتاه فكرك في بيداء محنته
وضاع رشدك من أسرى نواحينا
اليك منا تحيات معطرة
تعفي اشتياقا يعج من «مفاتينا»
وموثقا صادقا ترسو دعائمه
على الوفاء وان شطت عوادينا

قلعة مكونة 1953/3/24

لم تكد تمر شهور في قلعة مكونة حتى اخذت الادارة تباشر عملية اطلاق السراح منا .

فلقد كان الكفاح المسلح تمكن من احتلال ميدان التحرير ، واختفت أساليب الكفاح السياسي منه الا في فترات متقطعة حيث نسمع بواسطة أخبار الزوار ، أو الصحف التي كنا نقرأها ، والتي يستفاد منها ان تصريحا سياسيا كان من جهة ما . عدا صوت الرئيس علال وحده الذي كان يدوي من القاهرة فيتساقط الفدائيون على الموت كما تتساقط الفراشات على النار .

ولذلك لم تر الادارة أية فائدة في بقاء المعتقلين السياسيين في هذه المعسكرات فاخذت تطلق أفرادا تلو أفراد .

وحدث ان اطلق بعض الذين كنت اقضي معهم فترات تحت أجواء أدبية، ونظمت القصيدة التالية وكان ذلك في فاتح ينابر 1955 :

ايها شاعر المعذب لا تخشى!
بعيش يلين آنا ويقسو ؟
فهو ءانا كالنسر ينقض قسوا
وهوءانا كالام يحنو ويأسو
كنت بالامس بيننا نتسلى
نبعث الدفء في الحياة ونأسو
نقطف السمر من مجان عذاب
ولوقع الجواء رن وجرس
فاذا بالحياة تقضي اعتسافا !
ذاك حر ، وهذا ضمه حبس
من لنا لونصير يوما فرادى
ذاك حي ، وهذا ضمه رمس

× — ×

فانثر الشعر من رباك زهورا
تغمر العيش غبطة وشعورا ؟
واصدح فوق أغصن تتهادى
كتهادي االظباء ملت خدورا
وأملا الجو من بخور شعور
قد تلظى على الخطوب عصورا
رتلن من تراتل الخلد لحنا
أودعته الحياة فيك صغيرا
لا تبالي اما الضفادع نقت
سوف لا تعدو ان تروذ غديرا
فقصاراها ان تعيش حيارى؟
وقصارانا ان نعيش نسورا
هدهد الشعر ، ناغه في هدوء
فهو ـ يا ويحي ـ لا يزال رضيعا
واحمه من صؤابة : بعبير
قبل ان يمسي في المهود صريعا
وانثرن حوله الزهور نشيدا
رددته السنون لحنا بديعا
واملان سمعه بمجد عريق
ظل حصنا على الزمان منيعا
واتركنه ير الحياة ربيعا
سلبته النكوب ثوبا لميعا

ايها الشاعر الذي غمر الكون بنـ ـور سنى أين اقاما
هذه الدنيا سعرتها خطوب وأعدت لذا الجحيم سطاما
فانشر الامن يارسول سلام طالما سقت للحياة سلاما
هو ذا الحق قد أزال قتاما وتسامى عن اللئام تساما
على رسول الصباح اما تراءى ينشر الليل عنبرا وجهاما ؟!
كن رسولا الى الحياة امينا يرسل القول : رحمة وسهاما
واستنبرن من عبقر يوم تحدو ركبها الجاني علقما وتتاما
لا تبارحه في غدو ، رواح أو تعهده في المسير لماما
وترفق اما رأيت كراما وتشدد اما رأيت لئاما
وتزود لذا النضال بروح بثها الله رقة وانسجاما
ان تحطم نايات سحرك يوما فسلاما على السلام سلاما

أخذ الاخوان يودعوننا فرادى وجماعات من حين لآخر متوجهين الى منازلهم وهم « يبكون » لفراقنا ويعانقوننا عناق الشفقة والتأثر فجفاني النوم ذات ليلة وخرجت اخطو بعض الخطوات في رحاب المعتقل فخيل الى انني أرى نجمة محجوبة بسحاب ، وانها تشبه غريبا يعاني عراكا نفسانيا ويمنعه اباؤه من أن يبوح بما يصطرع في نفسه من آلام واحزان وانها فقدت طعم النوم ، فقلت على البديهة :

يا نجمة في فضاء هالها الارق ما للمنام جفا ، والهم مندفق
عهدي بصفحتك الريا موردة أين الرواء ، وشأن الانجم الالق ؟!

فرجعت الى حجرتي ، وأتممت ما كان يختلج في قلبي من مشاعر الى ان وصلت الى مائة بيت ونظرا لطولها اثبت هنا بعض ابيات منها . المتصل بالبيتين المذكورين قولي :

أأنت من لوعة التغريب ساهرة مثلي يلوحك التضييق والسحق ؟
والشوق للاهل في الاعماق مضطرم والنفس من لهب الاغيار تحترق
كيف المنام ولي أم مسهدة ووالد بصروف الدهر ينسحق
كانه وسياط الشوق تلهبه والبعد يقعده قد ضمه الدهق (1)
فلا سبيل الى انقاع غلته بنظرة في قصى (2) مله الرهق
ولا مواقد نار الشوق خامدة ولا سواكب دمع القلب تختنق

الى أن أقول :

وزوجة انحلتها وحدة وضني لها بحبة قلبي مذهوت علق
يخضل مدمعها لغير ما سبب يبدو جليا ، لمن أصابه الزرق
كأنها في رحاب الدار أرملة ولا لها من مواس مرتجي شفق

(1) الدهق « فتحا » خشبتان يضيق بهما على سوق المذنبين ، وقد شبهت شوق الوالد عنى بهاتين الخشبتين .

(2) اقصد بالقصى نفسي

ما التف من حولها انجالنا وبكوا ... الا وكان بها من دمعهم بـرق
ولا يصيح بها عبد الحميد : أبـي ... أبي ،، فأين أبي ؟ قد مسني حمـق
الاهوت جثـة في الارض جامـدة ... وحاد يطفر من احشائها الرمـق
تذري النهار على غم يضايقيه ... والليل،، أين الليالي؟ دونها السذق1
تهفو الى أمها ، ووالد ردحـا ... فيسخر الدهر منها ثم تنسرق
فلا تزال نصيفا بين عائلتي ... وأمها وأب ونصفها شقـق
لكي تطارد ما بالقلب من الـسم ... ولا يسر بها « رغد » ولا ضيق
حتى تروح الى روحي تسائلها ... أين العزاء ؟ حياتي غالها الشفق !
اليس للوله المشبوب مخمده ... فتنطفي ناره ، والقلب يطلـق ؟
وقد تخف اليها الروح هاتفـة : ... لا تيئسي فالعزاء أمره رفـق
ما أنت وحدك من ذا الخطب ملهبة ... فالشعب اجمعه جنت به حـرق
فاين تلك التي باتت منعمـة ؟ ... وأين من اخطأته الاسهم الذلـق
ان تذكري ملكا مقصي وعترته ... تهن لديك حياة كلها قلـق
فالتذكريه وفيا فوق سدته ... ولتذكريه غريبا عرشه غلـق
ولتذكريه وفيا عهد سطوته ... ولتذكريه وفيا غله وثـق

الى أن أقول مخاطبا نجمتي :

اني ، وأنت على أسى نغالبه ... والدهر يعنق ، والاحداث تنغلق
فضاجعي غرر الاحلام غافيـة ... على سريرك ما شاءت لك الحـدق
تيهي بنورك عبر الفلك في مرح ... فسوف يختارنا رغم المدى السبق
أما أنا وجفون المجد ترقبني ... ولي به - رغم ما يجتاحني - عشق
فقد تسلقت طودا شامخا علتيا ... وقد هجرت جواء رامها الغمق
سريت في لبدات الليل منتطقا ... حزمي ومالي غير الحزم منتطق
نفضت عني غبارا بالنهي عالقا ... وصار لي عن هوى الاغرار منغلق
ورحت ارهف بالاشعار منتشيا ... كأن روحي ، رياض الخلد تخترق
مداعبا وجنات الحلم مقتبسا ... ذارت نبل اليه النفس تنتتـق
من رفقة كان منها النبل مرتقبا ... فكل فرد ، لطيف ماجد لبـق
محمدان ، وأحمد بجانبهم ... عبد الكريم ، وكلهم مني فنـق (2)
وشاعر في ربي امجادهم طرب (3) ... كبلبل هبجته للغنا فيـق
بنات نعش مدار الجود معبرها ... معبدا ، ليس فيه - الدهر - منزلق
قد روضتها خطى الايام وانترشت ... مفارش العز للخلود تنطلـق

---

(1) السذق بالذال المعجمة والفتح في الجميع : ليلة الوقود ، وهي ليلة مشهورة عند الفـرس

(2) محمد العيساوي اخ الفقيه المجاهد محمد غازي ، ومحمد الشوفاني الرباطي رحمه الله ، والمجاهد الاستاذ احمد الشرقاوي ، وعبد الكريـم البرحيلي اليزناسني (3) اعني به نفسي .

ما كدرت زحمة الرواد موردها — ولا تجافي عن الورود منعفق
طيب السرائر منها آية صدقتها — آية ليس فيها مبهم غلق
لا ينسخ الله آية لروعتها — الا باصدق آية لها ذلق

الى آن أقول في وصف هذه العشرة مع هولاء الاخوان :

في كل يوم لنا عيد نغازله — كما يغازل نحر الناهد العاشق
طورا نجد فيزهو الحفل من فكر — وآخرهمنا الاحماض ،، «والورق»
ما بين جد ولهو حالنا ابدا — وحاسد في لظى اضغاثه مزق
سعادة تلوها سعادة ابدا — وكاس افراحنا ــ امامنا ــ فهق
انسيت من نورها اشواق عائلة — فلا أصيح : متى بالاهل التحق

وختمتها بقولي :

يا رفقة وثق الاخلاص وحدتها — وليس فيها ــ على بيئتها ــ رتق
تيهي : فاحمد تاج فوق هامتها — وكل فرد على الاسعاد متفق (1)
لتحيى للمغرب الجديد ملتمعا — كالنجم يبدو ــ على الظلماء ــ يأتلق

وكان الفراغ من اتمامها في ثاني عشر فبراير سنة 1955 وهي مسجلة مع غيرها من القصائد في سجل خاص يوجد من بين ملفاتي الخاصة .

وحدث ذات مرة أي اثناء شهر مارس سنة 1955 ان زارت الانسة رشيدة والدها المعتقل معنا المرحوم الاخ محمد الشوفاني الذي كان كاتبا عاما اقليميا بالرباط للنقابة « الحرة » وأهديت لها هذه القصيدة التالية بعد تقديم هذه القطعة :

الاهـــداء

هناك على سرير الانتظار ...

تعبث مخالب النائبات بقلب ريم لا تزال في ريعان الشباب ، وتقض مضاجعها باخيلتها السوداء . وتراود اجفانها سنة هادئة لتطفر روحها الى عرصات الاحلام لتجاذبها احاديث اللقاء ، وتتسمع الى تراجيعها في طرب وانتشاء .

ولا تكاد تغفو تحت ظلل هذه اللحظات الساحرة ، حتى تتراءى لها أطياف والدها المحبوب كالآلالامع بين طيات الفضاء ، فتستفيق مذعورة تتلمس الاطياف الشادية ، فلا يقع بين اناميلها الا الهباء ...

وتجفوها سنتها ، وتراودها ،،، وتراودها ،،، وهيهات .

فترفع طرفها الى الكواكب المرتعشة بين انامل انفاس الطبيعة تبثها آلامها ، وتناجيها مترقبة تسمع أصداء احزانها وهيهات .

ثم تستلقي على سريرها تريق العبرات القانية ، واضعة أمانيها أمام الاقدار لتفعل بها ما تشاء .

---

1) المقصود باحمد : السيد الحاج احمد الشرقاوي الرباطي الشهير بالفضل والجهاد المتفاني .

تلك هي « رشيدة » ابنة اخي محمد الشوفاني الذي تتقاضاه معنا نكبات الغربة والمعتقلات ديونا ثقيلة . فاليها اهدي هذه القصيدة التي هي في الحقيقة نشير الى صورة من صور الالام العامة التي تجتاج كامل اسر البلاد في هذه الظروف القاسية .

وذلك تشجيعا لها على مغالبة أشواقها ريثما يتحرر والدها ، ويلتئم الشمل في أقرب آن واسعده .

منفي قلعة مكونة : 29 مارس 1953 – الورطاسي –

وهذا نص القصيدة بعد العنوان :

على سرير الانتظار

للـــه ريم تعـــانـي	من امرهـــا مـــا تعانـي
غلت مـراجـل حـب	فـي قلبهـا المتـفـانـي
تنام فـوق سريـر الهجـــ	ران غيـر ثـــوان
تقدهـا مزعـجـات	ببعـدا يـوم التداني
فتستـفيـق بـدمـع	علـى المحاجـر قـان
وآهـة مـن فـؤاد	يرثـي لهـا الملـوان
تعالـج النـوم خلسـا	والنـوم أخطـر جـان
فترفـع الطـرف حيـرى	الى النجـوم الغوانـي
تبثهـا نائبـات	قـد حطمـت غصـن بـان
تبـرى اللحـاء اعتسافـا	ومـالـه مـن مـران
ولا تـزال بنجـوى	دفاقـة بالمعانـي
ترجـو عليهـا اجـابـا	يـروق دون تـوان
فينتضـي اليـأس سيفـا	يقـد صلـب الصوان (1)
وهـل تجيـب نجـوم	وقـد تجيـب المغانـي !

— × —

« رشيدتـي » لا تروعـي	سيلتـقـي الابـوان
لعـل ذاك قـريـب	لعـل فـي رمضـان

---

(1) بتخفيف الواو من الصوان

لترشفي كــأس عطــف — من ورد قلب «الشفاني» (1)
وأســرة فــي ســـرور — علــى كريــم خـــوان
وكلهــا رهــن « حــاك » — يــذيــع أحلــى الاغــانــي
وتحلمــي فــي أمـــان — على سريـــر الامـــانـــي
وقــد أكـــون طليقـــا — ازف أغلـــى التهـــانـــي

ومن عجيب الصدف ان والدها اطلق سراحه في رمضان كما تنبــأت بذلك في هذه القصيدة : ومما يتصل بموضوع هذه القصيدة ، القصيــدة التي أهديتها لاخ رشيدة ، رشيد ، وذلك تحت عنوان :

« الاصــداء الملتهبــة » وهذا نصها

سـود النوائـب رشـــدا — أما كفــاك « رشيـــد »؟
رميتـــه بســـهـــام — وهـــو الفتـــى الفريــد ؟
فكـــان صـــدره درعـــا — عنـــه السهـــام تحيـــد
ولا يـــزال هـــلالا — علـــى الحيـــاة يميـــد
أبـــوه حلــف منـــاف — هامـــت بنفســـه بيـــد
اذا بكتـــه «نجـــود » — وصبيـــة منــــه غيـــد
بهـــم يصيـــح رويـــدا — هــل البكـــاء مفيـــد ؟
ومـــا علينـــا اذا مـــا — هاجـت نـوائـب سـود ؟
مـــا العيـــش الا نضـــال — تفـــك منـــــه قيـــود
ويصبـــح الشعـــب حـــرا — وليـس فـيـــه عبيـــد
وقـــد تجـــف دمـــوع — وكـــل فـــرد سعيـــد
وللمعـالـــي غـــــرام — قـــد يجتنيـــه « وليـد »
فليـــت نشـــأ بـــلادي — رشيـــدة ، « ورشيـــدة »

حدث ان أخبرني رفيقي في منفى قلعة مكونة شيبة الحمد المجاهـــد الاستاذ الحاج احمد الشرقاوي : ان صهره السيد الهاشمي بناني على نية اعداء ديوان العرائس لي ، ومنذ بلغني هذا الخبر وانا انتظر وصول الديوان، ولكنني اخشى ان تمانع الرقابة الفرنسية في تسليمه لي :

ولما تسلمت الديوان نظمت قصيدة في الموضوع اذكر منها ما يلي :

---

1) لقب والدها ، وأصله من زمور مولاي بوشعيب بل انه من صفوته كما رويت ذلك عنه مباشرة .

براعم عطفك الاريـــج تفتحـت
وراء خدورها الرقـاق « العرائس »

تهادي الي في وشـاح منمنـم
وتزهو بجيدها الرقـاق : النفائس

ومالتا لتغريني بلعس شفاههـا
وهدب باعذب الـدلال نـواعـس

فطارحتهـا الغـرام حتى تناعست
وطاب جناها ، واستبيحت ملامس

الى ان قلت :

فتاهت وتهت في حدائق حبنـا
وضاعت بسورة النجاء المقايـس

وطافت باريق المدام سقاتهـا
عليهـا بمطـرح الغـرام سنادس

ووقع الحـان الخلود طيورهـا
ورجع صداهـا رددتـه الاوانس

نهاج خمار كالنسيم بسحـرة
فملت ، ومالت للعنـاق الطنافس

وهمت ، وهامت في مسارح حبنا
وقد ركبتني من هواها وسـاوس

فلم يجدني انـي وليـد صبابـة
ولم يجدني اني خبيـر ممـارس

ثم تخلصت الى مدح السيد الهاشمي فقلت :

خليلي هذي نفحـة هاشميـة
ومـن لـي بمثلهـا ودهـري عابـس

جـرت خيل عطفك النبيل سوابقا
وكم خيل عطف عفرتهـا المقارس

فاتغـم وادي من سحائب عطفكم
وجنت بمثمـل الوداد الروائـس

عروس اذا زفـت الـى سعادتـي
فكيـف اذا زفـت الـى عرائـس

حللتـم بلا اذن عميـق مشاعري
وهل كان صدق الود دونه حـارس

ومن منح الالطـاف خـل ملاطـف
وما جمعتنـا منـذ كنا مجالـس

اليك على بعـد المـزار تحيـة
لها العطف مركب ، وصدقي سائس

وشكرا على مـر الليالي مخلـدا
كما خلدت بالنبـل منـك مغارس

وما زلت مورد النبالـة والنـدى
تطايب احلاس النوى وتؤانـس

منفى قلعة مكونة 17 ابريل 1953

وكما سبق فقد كانت السلطة الفرنسية تطلق بعض الاخوان من حيـن لآخر وفي كل مرة يشاع باننا نحن معتقلي المغرب الشرقي قد يأتي دورنـا قريبا ، وتمر الايام ، وتمر الاسابيع ، وتمر الشهور ، ولا يطلق منا سراح أي أحد ، على أننا كنا نعتقد ذاك ، لان سلطة المغرب الشرقي كانت اقسى كل سلطات الاقاليم ، ولاسيما اذا تصورنا ان اقليم المغرب الشرقي كـان مسرحا لاعظم نشاط الفدائيين ورجال جيش التحرير من اشاوس جبال بني يزناسـن .

فهذا الوضع المزدوج لم يكن ليسمح لنا باطلاق سراحنا . وفي موضوع هذه الاشاعات وما لابسها نظمت القصيدة التالية ، أخاطب فيها ابنتـي البكر ، خديجة تحت عنوان :

« وعـــود واشـاعـات »

تناقلـت الـرواة وعـد سراحنــا ... زمانا ،، ولكـن لا نزال بذا الاسر
وهبت اشاعـات تظاهـر اختهــا ... ترجعهـا الشفاه في السر والجهـر
فهب « أناس » يرتجون ثمارهـا ... على مصطلى الاشواق في السهل والوعر؟
فقلت ـ وانني خبير بشأنهـا : ... متى كانت الوعود تنجز بالفـــور
وعـود اذا شاعت فبرقها خلـــب ... ولكن جنى الايعاد من أيسر البسر
تعودت من دهري قساوة قلبـــه ... « فاسلمني طول البلاء الـى الصبر ؟
عجيب اذا ما الحز صدق « برقه » ... ولا عجب ، اما تضاحك من غـــر
فقـل للذيـــن خدرتهـم بروقـــه ... غررتم ـ وايم الحق ـ بالمخلف المغرى
سئمت من الوعـود منـذ تغربـــي ... نطلقتهـا تطليـق من مل بالعـذر
وفوضت امري للذي جـل وعـــده ... عن الخلف، واستراح من اجل ذا فكري

— × —

«خديجة» مهلا لا تلومني مشـــردا ... أباك ، اذا أفضى بمكتتم السـر
فاني خبرت الدهـر منذ طفولتـــي ... وجرعني الاهوال في سالف العمر
«فصبري» على التشريد أيسر وطأة ... على من التغرير في واضح الامـر
أعلل نفسي بالمنـى غير انني ... أحذر نفسي من مغبة ما يــزري
أحن الى وكري حنينـــا مؤرقـــا ... وليس مريبا ان أحن الى وكـري
بصرت به نور الوجـود وكيـف لا ... تراقصني اطيافـه كسنا الفجـــر
ولكنني خبرت كل اشـــاعـــة ،،، ... واشفـق من أهلي بشائعـة تسري
فليس لها ان تنعش النفس بالمنى ... ولكن لالهاب العواطف « بالصفر »
الا بلغي « عبد الحميد » واسرتي ... تحية قلب من تسامي على الدهـر
ولا تغفلي امي التي جل خطبهـــا ... فصارت مدى التشريد تحيى على الجمر
تصدق من أجلي مقالـة قائـــل ... يقول ولا يدري بأنه لا يـــدري
وخصي هبا « أم البنين » فانهـــا ... حليفة احزان تفوق على الحصـر
تسامر اطياف الكروب وانهـــا ... لتقضي الليالـي ما تحيد عن السمر
تجافي عن المنـام منهـا مضاجـع ... وتغفو على حلم تراقص كالزهـر
وتصبح ملها السهـاد وانهـــا ... على الم طي الجوانـح كالسحـــر

ولست بناس ـ ما علقت ـ أبـــوة ابانت على الخطوب عنموقف حر(1)

على حين ياسي من قريب قرابتـي ويأسي من الخلان في موقف النصر(2)

فلله ما أقسى عواطـف معشـر وأقسى قلوبـا في الشدائد كالصخر

كأنني ما عـرفت منذ طفولتـي قريبا ولا صهرا يروعهما أمـري

الا في سبيل الله غربة نــازح عن الاهل لا يحظى بخل ولا خمـر

— × —

نعم ابنتي اني ، وان كنت شاكيـا فليست شكايتي من تطاول ذا الاسر

واني ، لا والله ما كنت طامعـا في غير ذا الذي اقصى المطامع عنصدري

ولكنها اشجـان قلب تضايقـت فلاذت ـ على رغم التكتم ـ بالشعر

وتلك ـورب البيت ـ في الشعر سنة تضيق به النجوى فيعمد للجهـر

ويفضي بمكنون القلوب تخلصـا من الالـم الماسور في ظلم القعـر

ويفضي بها طورا جهارا ترنمـا ليسلب ما بها من الالم النكـر

— × —

فلا تجزعي بالله ما كنت فلذتـي فانـي كعـادي مشرق الوجه والثغر

اهدهد قلبـي باقتـراب وصالكـم واستنزل الثبات بالحمد والشكـر

وليس بعيـد ان يفـرج كربنـا قريبا وقد يحظى به موسم الفطـر

فاخلع عن نفسي ملابس غربـة اغالبهـا بالصبـر في مهمة قفـر

فلا زائر يروي غليـل مشاعـري ويا طالما غصت معاقل بالـزور

دعوا الامر للاقدار تفعل فعلهـا ولوذوا كما لذنا بملتجا الصبـر

قلعة مكونة 16 رمضان 1374 ، 9

---

1) خلال منفاي في 17 غشت 1952 الى 14 يوليوز 1953 زارني فقـط والدي حينما كنت بسجن تارودانت

2) مما يلفت النظر : ان الم اقل مما يدعو الى الاستغراب ان أي قريـب خئولة وعمومة لم يستطع ولا ان يكتب الي رسالة في منفاي

والى هذا الحد اريد ان اكتفي لارجع الى الحديث عن حوادث غشت 1953 فـــي ابركـــــان .

حوادث غشت 1953 في ابركان

لا حاجة بنا الى التمهيد للحديث عن اخبار حوادث ابركان ، فقد تكلف غيري بالحديث عن الازمة العامة التي وصلت الى اقصاها في غشت 1953 .

ولذلك فسأتحدث فقط عن حوادث ابركان في هذا الشهر مباشرة

عندما تحقق لدى قادة الحزب الذين لم يعتقلوا في حوادث ثامن دجنبـر 1952 ان العرش في خطر اصدروا تعاليمهم الى جميع فروع الحزب لاقامـة مظاهـــرات .

وحدثني الاخ محمد بن شقرون المعروف بالسطاتي الذي كان حينـــذاك عضوا في الهيأة المسيرة العليا للحزب عقب اعتقال اعضاء اللجنة التنفيذية ، ان الاوامر المعطاة بهذا الصدد كانت كما يلي : مظاهرات دموية اذا ما قامت السلطة كعادتها بأي قمع لها والا فمظاهرات سلمية ، ثم تعطي أوامـــر أخرى على ضوء الاحداث المتجددة .

وكان السيد عبد الرحمن احجيرة والسيد عبد الله بن عبد الواحـــــد الفاسي اصلا الوجدي منشئا وسكنا ، هما المسؤولين عن اقليم وجدة في هذه الظـــــروف .

وكانت العلامة التي بينهما وبين القادة بالرباط للشروع في المظاهرات كلمتا « الله اكبـــر » تلفونيا .

وقبل ان تعطى الاوامر بواسطة هاتين الكلمتين : الله أكبر ، قام السيد عبد الرحمن احجيرة بعقد اجتماعـات مع من امكنـــــه من فروع المغـــرب الشـــرقـــــي .

وكان اجتماعه في ابركان مع اعضاء الفرع يوم الخميس 13 غشـــــت 1953 ، وقد ابلغ السيد احجيرة اعضاء مكتب الفرع أمر الحزب بالمظاهـرات الدمــــويـــــة .

وفي هذا الاجتماع التاريخي بمنزل الاخ جلول بن محمد بن محمد بـــن جلول الوكلاني ، كان مع السيد احجيرة السيد محمد بن المقدم قضـــــاض الورطاسي الحاجي الحلاق الذي سكن وجدة وواصل قيامه بمهمة البريـــد بين ابركان ووجدة .

وحدثني الاخ جلول المذكور ان السيد احجيرة قال لاعضاء المكتب : تجب اقامة مظاهرات سلمية ثم استعمال العنف ان اقتضى الحال .

وبعد ان غادر الاخوان : احجيرة ، ومحمد بن محمد بن المقدم المذكور ابركان الى وجدة ، عقد اعضاء مكتب الفرع اجتماعات متوالية لدراسة كيفية تطبيق أوامر الحـــزب .

وبعد مناقشات متواصلة ودقيقة في وقت واحد ، اتخذ اعضاء مكتب الفرع القرارات الاتية :

نظرا الى ان مدينة ابركان يسكنها من الاروبيين ما لا يزيد على الالف باعتبار النساء والصبيان ، وان السكان المسلمين يزيدون على الخمسة عشر الفا ، وان المظاهرات سيشارك فيها أكبر عدد ممكن من السكان المجاورين لابركان ، وان هذا العدد الضخم الذي سيقوم بهذه المظاهرات في استطاعته ان يسحق كل الاروبيين بدون سلاح في بضع دقائق ، وان هذه المجزرة سيعقبها رد فعل من الادارة الفرنسية يمكن ان تأتي على حياة عدة آلاف من السكان المواطنين .

ونظرا الى ان عملا كهذا ليس فيه اي ربح للوطن ، بل فيه خسارة أرواح المواطنين دون ما فائدة فقد تقرر :

1 ـ ان تكون المظاهرات ضخمة وسلمية .

2) تهيئة منزل جلول للجرحى والموتى والادوية اذا ما تطورت المظاهرات السلمية بالرغم من القرار السلمي الى حركة دموية .

3) ارسال طائفة من المواطنين الى زايو والناضور لشراء الاسلحة عاجلا لاستعمالها في يوم المظاهرات اذا تطورت الى العنف .

4) وقع الاختيار لجلب السلاح عاجلا على الاخوان :

صالح شطو العتيقي ، بوزيان بن احمد بن اعمارة الوشكرادي العتيقي عبد السلام بن مبارك العبد الكريمي العتيقي ، عبد الله التاكمي الوريمشي، محمد بن عمرو الوونوتي السعيدي الوريمشي ، محمد التميمي ، ومحمد ابن أحمد القراط ، وميمون زروال .

وقبل ان يحل يوم المظاهرة كان السلاح موجودا ويشتمل على المسدسات والبناديق والرشاشات ، وقد تشكلت كوكبة من الاخوان المسلحين كانوا يرابطون بضواحي المدينة ويبيتون في حدائقها استعدادا للوقت المناسب لاستعمال السلاح .

وفي صباح الاثنين 17 غشت 1953 م اصبحت مدينة ابركان مغلقة الابواب وما كادت الثامنة في هذا الصباح تدق حتى اخذ السكان يتجمهرون ، وأخذت سيول المواطنين تتدفق من القرى والمداشر المجاورة ، وما يبعد على خمسة عشر كيلومترا .

وبلغ خبر هذه السيول الجارفة من المواطنين الى المراقبة ، وكان على رأسها المراقب « ابوير » بفتح الالف وسكون الباء والراء، بالنيابة عن الرئيس رامونة الذي كان متغيبا لقضاء رخصته السنوية ، وفي ضواحي ابركان ،،، طريق ورطاس ، وازاء المقبرة الاروبية بالضبط اعترض المراقب النائب المذكور والقائد المنصوري مع كوكبة من رجال المخزن تلك الجماهير من الرجال والنساء والصبيان القاصدين الى المدينة فصارحته بان يخلي

سبيلها للقيام بواجبها ، وفعلا واصلت سيرها الى المدينة وكانت الهتافات بحياة جلالة المغفور له محمد الخامس وسقوط « عرفة » وحياة الاستقلال تصم الاذان مشفوعة بزغاريد النساء المنبعثة من كل جهة ، ولم تبق امرأة ولا كهل ولا شيخ ولا اطفال ولا صبيان الا وخرجوا الى الشارع ، والكل ينادي بحياة جلالة محمد الخامس قدس الله روحه .

وكان العجائز من النساء ، والشيوخ يبكون ويصرخون : لا نريد بمحمد الخامس بديلا ، نريد سلطاننا الحقيقي نريد ملكنا البطل ، نريد رمز استقلالنا ، نريد رمز العزة والفخار ، نريد : درة الملوك ومفخرتهم ، نريد ،، ونريد ،،، يسقط الاستعمار ، ويحيى المغرب حرا مستقلا ، تحيى الحرية ، يسقط الضغط ، تحيى الكرامة ، ويسقط الذل .

واختلط هدير الهتافات ، والادعية الصالحة لمحمد الخامس ، وتلاوة الادعية والاذكار واللطيف ، وقراءة القرءان والاناشيد الوطنية الحماسية، واصبح من العبث من طرف السلطة واعوانها ان يجعل حد لهذا الهدير وان يتفاهم مع أي احد .

وقد هرب الاروبيون من الشارع ودخلوا الى منازلهم والى مخبا « لاكاب » للفرنسي « جالو » وسدوا الابواب على انفسهم وعائلاتهم وامتعتهم وصاروا ينتظرون المصير الخطير في كل لحظة .

فكما قلت سابقا : فقد كان في امكان تلك الجماهير ، بل في امكان طائفة منهم ان تسحق كل اروبي بدون استعمال اي سلاح ، وان تحرق المدينة عن آخرها ، بل كان في استطاعتهم ان يأتوا على حياة كل المعمرين وعائلاتهم ويحرقوا ضيعاتهم ، ويذبحوا انعامهم أو يسلبوها ، فلقد بلغ الحماس من الجماهير حدا لم يكن باقل من قوة قنبلة نووية متى انفجرت جعلت اعالي الارض اسافلها .

ولقد اختفى من هذه الجماهير كل من شعر بشبهة نحوه ، فرارا بجلده ان يمزق شر ممزق وعلى الرغم من ان مسافة مدينة ابركان تحتوي على كيلوين من الامتار ونصف طولا وعرضا فلم يكن منها ولا شبر واحد خاليا من الناس ، وكان الازدحام يبلغ في بعض الاحيان ان لا يستطيع الانسان ان يتحرك يمينا او شمالا ، فيبدو المنظر وكان الناس قد استحالوا الى جيش متراص المناكب لا تتحرك منه الا الرؤوس .

جمدت تلك الجماهير في امكنتها واستحال عليها اي تحرك الا تحريك الالسنة بالهتافات والصياح والنداء والزغاريد وتلاوة القرءان ومختلف الاذكار .

لقد حير المراقب النائب هذا المشهد الخطير ، ولم يهتد الى اي حل ليتصل بالجمهور بل انه لم يجد احدا يصغى اليه ليتكلم معه ولا كلمة واحدة .

وكان المراقب المذكور ابوبير يجمع الى شجاعته وثقافته ، دراسته للنفسية اليزناسية فما كان منه الا ان لمعت في دماغه فكرة ، وهي ان يرمي نفسه بين وسط الجماهير ويهتف : عاش محمد الخامس ، عاش الاستقلال، عاش المغرب ، عاش بنو يزناسن ، ثم اردف يقول : انني أحب جلالة الملك محمد الخامس ، ان لكم الحق في الاستقلال ، انكم ابطال يا بني يزناسن الاحرار ، انا واحد منكم ، لست فرنسيا ، اني مغربي ،،، انني استقلالي انني يزناسني ، هاهي روحي بين يديكم فافعلوا بها ما تشاءون ، ولكن ؟ ما قيمة ازهاق روحي وارواح الاوربيين ، ان عاقبة ذلك سيئة ، وستتجرعون منها كئوسا مريرة ، فانظروا الى عاقبة نسائكم واطفالكم ومنازلكم ، انني لست ارهبكم لانكم ابطال ، ولكنني انصحكم قولوا ما شئتم فانني مستعد لابلغ عنكم كل ما تريدون ، وتربصوا ... تريثوا ... الرزانة ،،، التعقل ،،، قدموا الي البعض منكم لاتفاهم معه ، ونادى الكل : نحن كلنا كلمة واحدة ليس لنا اي رئيس ، نحن استقلاليون ، نحن محمديون يحيى جلالة الملك ممحد الخامس ، وتقدم بعض الاشخاص وقال للمراقب : قل معنا يحيى جلالة الملك محمد الخامس فقال : يحيى جلالة الملك محمد الخامس ، قل يحيى حزب الاستقلال ، فقال : يحيى حزب الاستقلال ،، قل : يسقط « عرفة » فقال : يسقط « عرفة » . كان المراقب يقول كل هذا واحد الاستقلاليين قابض على اذنه !

كانت هذه الاحداث تتوالى وتتسرع الخطا ، والمسلحون في حدائق ضواحي المدينة يستأذنون في استعمال سلاحهم ومكتب الفرع يمانع في استعمال السلاح الى وقت الضرورة وبعد الاذن واثناء هذه الفترات الخطيرة حضرت من وجدة قوة عسكرية بالدبابات والمصفحات ، وبلغني من مصادر متعددة موثوق بها ، ان رئيس فرقة الدبابات والمصفحات كان المانيا وبمجرد ما فهم الحقيقة اسر الى بعض الاستقلاليين بانه يعاهدهم على عدم استعمال سلاح مصفحاته ودباباته ، وانه سيعصى أوامر رؤسائه في ذلك.

وفعلا ، اخذ الاستقلاليون يركبون متون المصفحات والدبابات والرئيس لا يبدي حراكا ، بل كان يضحك هو ورفقاؤه الذين كانوا يقودون المصفحات والدبابات ، وكان الرئيس يقول لبعض الاستقلاليين ، لقد ابحت لكم ركوب المصفحات والدبابات لامرين اثنين اولا ، ان ابرهن لكم عن وفاءي ، لانه في استطاعتكم اذا غدرت ان تقتلوا كل من على المصفحات والدبابات .

ثانيا لافهم رجال السلطة بانه لا فائدة في استعمال السلاح لان الناس قد ركبوا كل مصفحاتي ودباباتي . ومن عجيب امر فرقة المصفحات والدبابات، انه حينما اذن لاصحاب الافران بالاشتغال كان اصحاب المصفحات والدبابات يحملون الخبز على مصفحاتهم ودباباتهم الى الافران ثم يرجعونه ناضجا الى المنازل .

وبهذه المرونة العجيبة التي ابداها المراقب ابوير استطاع ان يهدئ الاعصاب وان يحصل من الجمهور على تفويض تام للسيد احمد ن الحاج مولاي محمد بن سعيد الورطاسي الذي كان يدير المظاهرات وكان على رأس مكتب الفرع .

وبعد ان عقد اجتماع بين السيد احمد المذكور والمراقب والقائد عاهد المراقب السيد احمد على عدم استعمال اي سلاح من بعد ، وعلى عدم اعتقال اي احد وان يبرق عاجلا للدوائر العليا باحتجاج بني يزناسن على كل مس بالسلطان جلالة المغفور له محمد الخامس ، على شريطة ان يرجع كل واحد الى منزله ، وكان المتظاهرون يقدرون باربعين الفا (1) وحينذاك ، قام السيد احمد المذكور المعروف بالسرجان والقى على الجماهير كلمة نوه فيها باخلاصهم ووفائهم للعرش وللعقيدة الاستقلالية ، وهتف ببطولة بني يزناسن وبتعلقهم ورزانتهم ، وطلب اليهم ان يتفرقوا فقد ادوا واجبهم في الاعراب عن تعلقهم بالعرش وبالجالس على العرش ، وبحزب الاستقلال .

واثناء كل هذه الاحداث كان المراقب ابوير يتلقى الاوامر من رئاسة الناحية باستعمال السلاح ، ولكنه كان يجيب بالرفض ويبدي تحمله لكل مسؤولية .

والغريب في الامر ان برونيل على رغم خطورته وحقده على بني يزناسن ، لم يستطع ان يتحدى المراقب ابوير الذي هو من جملة اعوانه ليستعمل السلاح .

وبينما كانت الاحداث تجري على ما وصفناه ، كانت فرقة من الجيش الفرنسي محاصرة جماعة من الاستقلاليين كانوا قد اعتقلوا قبل الحوادث المذكورة ووضعوا في معتقل عسكري بابركان ، وقد نصب الجيش مدافعه على ابواب المعتقل لتدميره بما ومن فيه بمجرد صدور الامر بذلك .

وروي لي الاخ عبد المومن بن ابراهيم العتيقي العبد الكريمي الذي كان من جملة اولئك المعتقلين انه حاول مع بعض المعتقلين فك الحصار بالاستشهاد في سبيل الله ، ولكن تغلبت آراء التريث والانتظار ، وانه بعد ذلك جاء اليهم احد الضباط وهو يصرخ : « عندكم الزهر يهرس الحجر » والا والله لو خرجت رصاصة في ابركان لدمرتكم تدميرا « اخرجوا الى الساحة لتتنفسوا من الضيق الذي انتم فيه » قال الراوي الاخ عبد المومن المذكور فخرجنا من المعتقل وان بعضنا ليأسف على عدم سنوح الفرصة لفك الحصار بالقوة : للاستشهاد في سبيل جلالة الملك محمد الخامس ، الذي هو في الحقيقة استشهاد في سبيل الله والوطن .

---

1) على حد رواية اذاعة باريز في ذلك الوقت

يوم الاربعـاء 19 غشت 1953

وفي هذا اليوم رجع رئيس المراقبة رامونة الى عمله قبل ان يتمم رخصته السنوية واستلم اعماله من نائبه ابوير الذي رجع الى دائـرة احواز وجـدة .

وكان رامونة المذكور على رغم ثقافته الواسعة ضعيفا حقودا طموحا الى الترقي ، وهذه هي الخلال التي يتعشقها ابرونيل في مساعديه لينفث ما في صدوره من غل وحقد على المغرب عامة وعلى بني يزناسن خاصة .

ولذلك ضاعف برونيل القوى العسكرية التي كانت بابركان واعطى أوامره الصارمة الى رامونة ليعتقل اكثر عدد ممكن من بني يزناسـن ، فوصل عدد المعتقلين الى اربعة آلاف وسبعمائة استقلالي .

ولقد اتت عملية الاعتقال في بعض الاحيان على جميع افراد العائلة .

وكمثال لذلك ، فلقد اعتقل والدي سيدي علي بن البشير ، واعتقل اخي الحسين وكان مريضا من سنة 1939 واجريت لهثلاث عشرة عملية جراحية ، وقطع منه احد عشر ضلعا ، وكان مقعدا في المنزل لا يستطيع حراكا ، ومع ذلك فقد اعتقل ، واعتقل ازواج اخواتي ، السادة بنعبد الله البكاوي ، واحمد بن البشير ، وأحمد بن يوسف ، كما كان صهري بوجدة السيد بنعبد الله الوكوتي قد اعتقل ، واجتمع بمنزل والدي ، ووالدتي ، وزوجتي ، اخواتي ، الوازنة ، وخضراء ، ورحمة ، والصافية ، ثم اعتقلت اختي الاخيرة الصافية ، وكانت موضوعة بزنزانة لدى الشرطة ووالـدي بزنزانة اخـرى .

ثم قررت الشرطة اعتقال والدتي وحينما استشيرت المراقبة حالت دون اعتقال والدتيوذلك بينما كنت انا في سجن تارودانت مبعدا من غشـت 1952 .

وليس هذا الامثال كما ذكرت لقساوة عمليات الاعتقالات التي بوشرت من يوم الاربعاء 19 غشت 1953 وقد كان حظ اعضاء مكتب فرع ابركان من العذاب في مكاتب الشرطة الشيء الذي لا ياتي عليه الوصف ، فليعتقـد القارئ ما شاء من انواع العذاب ، ولكنه لن يصل خياله بله فكره الى حقيقة ما قاساه اعضاء المكاتب والمجالس الجهوية من ضروب العـذاب وصنـوف الشقـاء .

واخص بالذكر وعلى رأس اللائحة السيد احمد السرجان الورطاسي ، والاخوان : جلول بن محمد بن جلول الوكلاني المنقوشي ، والسيد محمد بن الحاج المصطفى البكاوي ، وسليمان ماضران ، وكلاهما من بني عتيق . كما أخص بالذكر الاريحي الكبير والوطني المخلص السيد الحاج محمد الخلوفي اكبر تجار ابركان والشاب المخلص الوفي السيد بوعزة العبدلاوي الجروذي المعروف بالسيد بوعزة ولكدان « بفتح الواو وتشديد الدال ومحمد بن عمرو العامري ، ومحمد الصباني ، وبلقاسم الملوكي .

ان هؤلاء الاخوان وكثيرا غيرهم قد لاقوا في سبيل عقيدتهم مالا ياتي على الوصف من ضروب العذاب والوان الشقاء ، هنيئا لهم بهذه التضحيات التي ستخلدهم على مر العصور وتنيلهم عند الله مثوبة واجرا عظيما ان شاء اللـــه .

ولم يوقف تعذيب هؤلاء الاخوان حتى اخذ الفدائيون من اشاوش بني يزناسن يطيحون الرءوس في الشمس الواضحة ، ثم احيلوا على المحاكمة، وكانت الاحكام تتراوح ما بين السجن عامين والابعاد والغرامات الفادحة .

عــزل القائـد المنصـوري

وبعد ان انتهت عمليات الاعتقالات السياسية ، واحتل رصـــــاص الفدائيين ميدان العمل ، صدر الامر بعزل القائد المنصوري .

وقد عين محله قائدان ، الضابط منصور الوريمشي على بني وريمش الشماليين ، والقائد محمد التميمي الكومندار على ابركان وبني عتيـــق وبنـــي منقـــوش .

كما عزل خليفة القائد المنصوري : السيـــد عبد القـــادر بن المـــاحي ، وخلفه السيد بومدين بن الطيب اليقوبي .

عـزل القائـد الدخيسـي

سبق لي ان عرفت بعض الشيء بهذا القائد الحاتمي ، والان اسجل له هنا بمداد الفخر والخلود ، انه حينما امرته المراقبة باعتقال الاستقلاليين رفض اوامرها بكل اباء وخوطب في شأن مبايعة عرفة ومساعدة « فرقـــة الكلاوي » فرفض ذلك بكل اباء وشمم ، فصدر الامر بعزله .

وخلفـــه ابن أخيـــه وخليفتـــه وكاتبـــه واحـد شيـوخـه . السيد بن الشيخ بن عزوز ، وكـــان السيد عبد الله بن عمرو بن قـــدور الوشكرادي قد كلف بمساعدة السيد بن الشيخ المذكور كخليفة له ، ولكن أيامه لم تطل كثيرا ، فاقتصر عمله على مرافقة « القائد » السيد بن الشيخ ومساعدته زمنا قليلا ثم صدر الامر من السلطة الفرنسية بالتخلي عن ذلك .

في ميداني الفداء وجيش التحرير

لم تكد عمليات الاعتقالات السياسية تصل الى مرحلة الاحالة علـى المحاكمات حتى تحولت شعب حزب الاستقلال التي نجت من عمليـــات الاعتقالات السياسية ، الى خلايا الفداء ثم الى جيش التحرير فلقد كان اعضاء الحزب مزودين منذ سنة 1952 من طرف مكتب الفرع بابركان بتوصيات وتعاليم للقيام باعمال الفداء وجيش التحرير بمجرد ما تفرض الظروف حمل

السلاح ، ولميكن ينقصهم الا نوع العمليات ، هل يتجهـــون الى رءوس الخونة فقط ام يتجهون الى المستعمرين فقط ام اليهم معا فهذه النقطة لــم تكن حددت معهم بالضبط ، فلقد اوصوا باخذ التعاليم الخاصة بها مــن طرف « القيادة المسلحــة » التي ستخلف القيادة السياسية في الظـــروف المناسبـــة .

وروي لي احد الفدائيين اليزناسيين : انه بمجرد ما اعلنها علال بن عبد الله ، على الخائن « عرفة » اتضح لهم الطريق فلم يحتاجوا الى تلقـــي التعاليم لبيان ميدان العمليات الفدائية .

قلت : نظرا الى ان تفاصيل الحديث عن العمليات والفداء في هـــذا الكتاب من شأنها ان تبعث في النفاس ما يدميها ويسيء الى الاخوة التـــي يجب ان تسود في الظروف الراهنة لبناء الاستقلال ، وذلك بالالتفاف حول العرش وصاحب العرش جلالة الحسن الثاني .

فلقد رأيت ان لا فائدة في الاتيان على التفاصيل ، بل رأيت بحق ــ ان التفاصيل مضرة جدا بما يجب ان نكون عليه الان من كامل الاتحاد والروابط المتينة لتصفية رواسب الاستعمار وبناء مغرب جديد ، وعلى انقاضه نواكب مواكب الحضارة العالميـــة .

فاثارة الماضي المشكوك ــ والماضي القريب ــ ليس مما يدخل في نطاق الوطنية الصادقة التي اريد ان اعتز بها مدى حياتي .

فواجب الوطنية الصادقة التي هي من صميم العقيدة الاسلامية ، يحتم علي ان اسدل ستارا كثيفا على كل ما من شأنه ان يسيء الى علاقات الاخوة والمحبة والتصافي ما استطعت الى ذلك سبيلا . لان فيه خدمة دينـــي ووطني ، وعرشي ، ومصلحة الدين والوطن والعرش أخلد عقيدة اعتز بهـــا ما دمت دارجا على وجه الارض ، واعظم ذخيرة ادخرها لنفسي يوم اكــون بين يدي الله راجيا منها كفارة عن ذنوبي وستر الخطايا واخطائي ، وحصنا اتحصن بها من اهوال القبر ويوم الحساب والوقوف بين يدي الله .

على انني سأبذل كل جهودي لتدويـــن هذه المرحلة مرحلة الفـــداء وجيش التحرير ، في بني يزناسن وسيكون ذلك من حظ «مذكرتي الخاصة» التي سوف لا اطبعها في حياتي ، بل ساتركها الى من سيقدر له طبعهـــا بعد مماتي على ان هذا لا يمنعني من ان اقول كلمة مختصرة حول الفـــداء وجيش التحرير في بني يزناسن .

ان بني يزناسن استطاعوا بمظاهرتهم السلمية التي سبق القـــول عنها قريبا ان يبرهنوا على وفائهم لله وللوطن وللعرش .

وحينما ادت هذه المظاهرة مهمتها السياسية ، لم تقف تلك الاعتقالات السياسية دون القيام بالكفاح المسلح ولذلك تحولت شعب الحزب الــى فرق فدائية ، ثم الى فرق جيش التحرير .

وقد قامت بعمليات واسعة النطاق واقامت السلطة الفرنسيـــــة واقعدتها ، ولم تقتصر العمليات على دائرة بني يزناسن ، فلقد شـــارك

بنو يزناسن في عمليات « بورد » بناحية تازة ، وكان معظم الفدائيين في المغرب الشرقي اجمع من بني يزناسن ، وهم الذين كان لهم الاثر العميق بالضغط القوي على السلطة الاستعمارية ، كما انهم كانت منهم فرق تجوب اقاليم تازة ، وفاس ، ومكناس ، والرباط ، والدار البيضاء ، فقلما خلا ميدان عمليات الفداء وجيش التحرير من أبطال بني يزناسن .

وكان رصاصهم لا يخطيء الاهداف فاينما حلوا ، كانت حملاتهم صادقة .

وحينما يقدر (لمذكرتي) ان ترى الوجود ، فيسيطلع القاريء على اعظم آيات بطولة بني يزناسن في ميدان الفداء وجيش التحرير .

نعم ، مع كامل الاسف ان ثورة بني يزناسن هذه وان كانت أتت بما يستحق تخليدها فان اواخرها قد قضت على بعض الابرياء المخلصين الذين كافحوا في الميدانين السياسي والمسلح ، وقد ذهبوا ضحية غلو بعض من كان ينتسب الى ميداني الفداء وجيش التحرير وضحية الغيرة من نشاط أولئك الشهداء الابرار .

وفي مقدمتهم الشاب البطل الشهيد محمد بن بوعزة الورطاسي الطاهري .

وحماد بن محمد بن يوسف الورطاسي اليوسفي الطاهري .

كما ذهب ضحية الانتقامات الشخصية السيد عبد السلام بن الحاج مولاي محمد بن بنسعيد الورطاسي .

فرحم الله اولئك الشهداء الابرار واسكنهم فسيح جناته آمين .

الى اغبال نكردوس اقليم قصر السوق

الى هنا ارجع بالقاريء بعض الوقت الى اتمام حديثي عن منفاي ومنفى بعض اخواني من ابركان .

لقد وجدت في مذكرتي الخاصة ما يلي :

نقلت من قلعة مكونة في يوم الخميس على الساعة السادسة صباحا تاريخ سادس وعشري مايو سنة 1953 ، الموافق رابع شوال 1374 هـ ذلك الى معتقل اغبال نكردوس اقليم تافيلالت ، ووصلت الى المنفى الجديد على الساعة الواحدة ونصف من نفس اليوم .

وكان في قلعة مكونة الاخوان : عبد الكريم البرحيلي ، وعمرو بن الحسين الوكوتي ، وبوزيان الخالدي ولما وصلنا الى اغبالوا ، التحق بنا هناك من ابركان ، الاخوان .

الحاج بنعامر بن الحاج لخضر الهواري ، الحاج احمد شاطر ، الحسن ابن محمد بن الحاج علي الوكوتي ، عبد السلام بن محمد بن بولنوار الهبيل ، السيد احمد بن محمد بن معزوز المنقوسي الكعواشي ، محمد بن يحيى البصراوي الحاجي .

وهؤلاء نقلوا من تاوريرت الى اغبالوا .

وقد مكثنا هناك الى يوم الخميس ثالث عشر يوليوز 1955 ، حيث اطلق سراحنا على شريطة عدم دخولنا الى اقليم المغرب الشرقي .

ولم يكن في حياتنا بهذا المعتقل ما يؤلمنا غير الغربة ، فالمعتقل عبارة عن حجرات مجهزة بالاسرة والسلطة تهيء لنا وجبات الطعام كلها، ونحن بين عابث وجاد في المطالعة والدراسة .

وكان وصولنا الى مكناس زوال يوم الجمعة رابع عشر يوليوز المذكور، وهناك اتخذ كل سبيله .

اما فيما يتعلق بي فقد التحقت بمنزل شقيقي السيد الحسين ، وبعد اسبوع اكتريت محلا بجواره في مكان بالروامزيين ، حيث التحقت بي عائلتي .

واذكر جيدا انه لما وصلت عائلتي الى المنزل المشار اليه سألت عن فتاتين مع اولادي فقيل لي انهما ابنتاك رشيدة وحفيظة ، ومن الغريب انني نسيتهما تماما فلم يبق في ذهني الا اسماهما ، فتدفقت عيون الجميع بالبكاء لهذا المشهد الغريب .

وفي خامس عشر غشت 1955 انتقلت من مكناس الى الرباط حيث عينت كاتبا للجنة الادارية المركزية للحزب . وفي أوائل شتنبر 1956 أشرفت على انتخابات الفروع بالمغرب الشرقي .

وفي أوائل شتنبر 1956 ايضا بينما كنت اشرف على انتخابات فروع اقليم الناضور اذا استدعيت من طرف وزارة الداخلية لتحمل مسؤولية رئاسة دائرة ادركان .

وفي يوم الخميس ثاني عشر شتنبر 1956 تسلمت ظهير التولية للوظيفة المذكورة من المغفور له جلالة محمد الخامس قدس الله سره .

كما تسلم معي نفس الظهير بدائرة وجدة السيد بنعبد الله الوكوتي وكان عمه السيد عمر بن الحسين قائدا ورئيس دائرة مؤقتا بدائرة تاوريرت وبعد سبعين يوما من تولي السيد عمرو المذكور القيادة المذكورة عزل منها اما السيد بنعبد الله فقد نقل من وجدة بعد قرابة ستة شهور الى اقليم البيضاء حيث عزل بعد أيام قلائل .

وعقب هاتين الحادثتين اللتين وقعتا للسيد بنعبد الله وعمه السيد عمرو خرجا من حز بالاستقلال وانضما الى الحركة الشعبية التي كان على رأسها المرحوم السيد البكاي ، ولا زالا من اعضائها الى غاية كتابة هذه السطور سنة 1964 .

القسم الثالث

تراجم موجزة لطائفة من رجال الكفاح الوطني ببني يزناسن

احمد بن الحاج عبد القادر الوكوتي

مـولـده :

ولد المترجم تقريبا ـ سنة 1905 م في قرية وكوت .

نسبـه :

احمد بن الحاج عبد القادر شاطر اليزناسني المنقوشي الوكوتي مـن مشيخة بني عبد الله وقيادة ابركان ، ويتصل نسبه بالولي الشهير السيد الحاج لحسن دفين قرية ، والعائلة هذه تنتسب الى البيت الكريم .
ويذكر أبناء الولي المذكور أن جدهم هذا استوطن بني يزناسن فـي القرن الخامس الهجري وانه يجتمع في النسب مع جدي الاعلى لام الولـي الشهير سيدي محمد بن يعقوب . وحسب سلسلة ترجمتي ، فان سيـدي الحاج لحسن من أجداد سيدي محمد بن يعقوب المذكور ، وهذا هو الحق فيما اعتقد لان السلسلة نقلتها من وثيقة للسيد الحسين بن البشير اليعقوبي رحمه الله ، ويتوفر هؤلاء الشرفاء على عدة ظهائر التوقير والاحترام مـن مختلف الملوك العلويين ولا سيما الملك العظيم الحسن الاول .

نشـأتـه :

نشأ في قرية وكوت ، ودخل الى الكتاب حتى اجاد الكتابة والقراءة وقرأ ما شاء الله من كتاب الله وحفظ طائفة من سوره ، ولكن حالة عائلته المادية لم تساعده على اتمام حفظ كتـاب الله كله ، فخرج الى ميـدان الحيـاة العمـليـة .
وكان في أول امره يشتغل مع سائق سيارة البريد « م لاكزوا »
ثم استعمله السيد الحسن شاطر مشرفا على محطة لبيع البنزين وبيع قطع السيارات في حانوت كبيرة على شارع محمد الخامس الآن .
وبعد مدة قليلة استقل بهذه المحطة عن السيد الحسن شاطر بعـد اتفاقهما على ذلك .

انغماره في الميدان الوطنـي :

منذ سنة 1936 م ، انغمر في ميدان العمل الوطني ، وكان مشغوفـا بقراءة المجلات والصحف الشرقية ، وعلى الرغم من كونه لم يتلق مبادىء في العلوم ، فقد تدرب على قراءة المجلات والصحف وكان يتذوق كل ما كان منها خاصا بالمقالات السياسية .

وقد أدى به الامر الى أن صار متعهدا لبعض تلك المجلات والصحف وكثيرا ما كنت اشتريها منه .

كرمـــه الوطنـــي :

وكان رحمه اله كريما جوادا ، ولاسيما في سبيل القضية الوطنيـــة فينتهز كل فرصة للبذل والاكرام في سبيل الله والوطن .

الى حـزب الاستقـــلال :

وحينما تأسس حزب الاستقلال كان من الاولين الذين انضموا اليــه، وكان يسير شعبة خاصة من شعب الحزب ومن الذين يتطوعون باطعـــام الشعبة كلما اجتمعت بمنزله ونظرا لنشاطه المتواصل في سبيل القضية المغربية ، فقد تطوع بتسيير طائفة من شعب الحزب في بني وريمـــش الشماليين وكان يركب دراجة للتوجه الى تلك الشعب ويطوف عليها ليــلا وتصل المسافة الى أربعين كيلومترا في بعض الاحيان ، على الرغم من مرضه، « مرض ضعف القلب » الذي كان يفاجئه من مرة الى أخرى فيجمد فـــي مكانه وقد أصابه هذا المرض بسبب ما لقي من عذاب في مكاتب الشرطـة الاستعماريـــة .

واذا كانت الشرطة الاستعمارية قد انتحلت له سبب تزوجه أولا باروبية فانها في الحقيقة كانت تنتقم منه لمشاعره وأفكاره التحررية واشتهـــاره بالعمل في الحقل الوطني .

ولقد قلت له ، وقال له اخوان آخرون مرارا : ينبغي أن يتخلى عـــن توجهه لشعب الحزب في بني وريمش الشماليين لما في ذلك من ارهاق نفسه وخوفنا عليه من أن يقف قلبه عن النبض اثناء تأدية هذه المهمة ، فكـــان يجيبني ويجيب الاخرين : بأنه لا يمكنه أن ينقطع عن هذا العمل فـــي سبيل القضية المغربية ، وان لفظ نفسه اثناء الطريق وهو راكب على دراجته، ولما رأينا ان الالحاح عليه في ذلك لا يجدي فيه ، وسيما حينمـــا قال لنا : أتحسدونني على عمل لفائدة القضية الوطنية ؟ اتركوني — ،، واتركوني امت في سبيل الله . انه لا أحب الي من أن أموت وأنا أأدي واجبي في سبيــل الله ، انني أتعشق الموت في سبيل ذلك . قلت : حينما لمسنامنه هذا العزم الصارم ، تركناه وشأنه .

رئيس فرقة للكـــــرة :

وفي سنة 1948 عهدنا اليه بانشاء فرقة لكرة القدم ، وقد بذل مـــن جهوده وأمواله في سبيلها ما نرجو الله أن يجزل له عنها عظيم الاجــــر والثواب .

وعلى الرغم من مساومات المراقبة له في التخلي عن هذا العمل ، فانــه لم يرهب ، اذ انه واصل عملــه في سبيل ذلـــك الى أن منعتـــه السلطـة الاستعمارية منعا باتا من أي نشاط في سبيل هذه الفرقة ، وصـــــدرت الاوامر بحلهـــا .

مساعدته للتعليـم الحـــر :

وقد ساعد رحمه الله المدرسة الحرة مساعدة فعالة ، فكان في مقدمـة ذوي الاريحية لمساعدة التعليم الحر ، ولا يألو جهدا في سبيل ذلك .

أخـــــلاقـــه :

وكان رحمه الله ذا خلق طيب لينا بشوشا ، مشرق الطلعة لا تفارقه الابتسامات الحلوة يكرم السائل ولا يرده خائبا ، مضيافا لا يخلو منزلــه من الضيـــــوف .

وكان دكانه لا يفرغ من الاخوان : وهو يكرمهم بأحاديثه الطيبـــة ، وبأنواع المشروبات محافظا على أداء فرائضه الدينية ، متجنبا الكـــــذب شغوفا بالتقاط الاخبار المتعقة بأية قضية وطنية ســواء في الشـــرق أم في الغرب ، وعلى الاخص ما يتعلق بالقضية المغربية ، وكم كان يغادر دكانه ليبلغ الاخبار السارة الى الاخـــوان .

ونظرا لضعف ثقافته كان رحمه الله يخطىء في فهم بعض الإخبــار التي يلتقطها من محطات الاذاعة التي كان يتتبع الكثير منها ، ولاسيمـــا محطات : لندن والقاهرة وباكستان وموسكو وباريز والشرق الادنى .

وحدث ذات يوم أن زارني بدكاني واخبرني بخبر التقطه من نشرة محطة لندن الصباحية ، لانه كان يحافظ على أداء صلاة الصبح في وقتهـا المبكر ، فابتسمت وقلت له : انك مخطىء في فهم هذا النبأ ولعلك سمعته في فجر اليوم ؟ فأجاب نعم ، وزاد قائلا : ولم تبتسم ؟ قلت له : على جهة الفكاهة : ان بعض الناس لا يدققون في تفهم نشرات الاخبار ، ولهـم شغف بتبليغها مثلك ، ولذلك يلجئون الى التقاط انباء الفجـــر حتى لا يستطيع الذين لا ينهضون باكرا أن يصححوا لهم تلك الاخبار فيطلقون العنان لالسنتهم لتقول ما تشاء ترضية لشهوات عريزة اذاعة الانباء وتبليغ البشائر او المفاجاءات ثم قلت له : ان الخبر الذي سمعته ، وقد سمعتــه أنا أيضا في الفجر وهو هكذا ،، وصححته له واسمع ياسيدي احمد ، انصحك أن لا تتعجل باذاعة اخبار الفجر ، فهي من امثالكم كأحـــــلام الفجـــر .

وضحك رحمه الله وقال : من الآن امسك لساني عن اذاعة أخبــار الصباح حتى يطلع النهار واسمع ما يذيعه الذيـن يفهمـــون جيـــدا نشرات الاخبـــار .

وكان رحمه الله اذا أخبره أحد بخبر ما ، يقول لعلك سمعته في الفجر « ويرحم الله » السي قدور الذي يضحك منا نحن الذين لا نفهم حيدا نشرات الاخبار ويقول لنا : « هذه اخبار الصباح » .

وفاته :

في يوم الجمعة ، وفي اواخر سنة 1950 بالضبط ، بينما كان المترجم واقفا وراء الحاجز الخشبي بدكانة ، اذ سقط على الحاجز وفاضت روحه رحمه الله ، وذلك اثر سكتة قلبية ، وقد حمل الى قرية وكوت حيث ضم الى اجداث أقاربه .

وكانت جنازته مشهورة مشى فيها مئات الاخوان على الرغم من بعد منزله بابركان عن قرية وكوت بما يقارب العشر كيلومترات ، مع اعتبار رداءة الطريق ووعورة المسالك ، وبكاه الرجال والنساء والاطفال ، فرحمة الله عليه رحمة واسعة ، وأسعده الله بالتمتع بوجهه الكريم آمين .

الاخ عبد القادر اليعقوبي

مولده :

ولد مترجمنا يوم عاشر ذي القعدة عام 1332 هـ بقرية أولاد بنيعقوب .

نسبه :

عبد القادر بن الحاج احمد بن عبد القادر بن الحاج الطيب بن علي ابن الحسين بن محمد بن يعقوب ، ومحمد بن يعقوب ، المذكور هو الجد الاعلى لشرفاء اولاد بنيعقوب وله قبة بمساكن أولاد بنيعقوب ببني وكلان قسم بني منقوش ، كما أنه يعتبر جدي الاعلى لام، لان السيد عبد القادر المترجم ابن خالتي مباشرة .

شيوخه الذين تلقى عنهم كتاب الله :

كان المترجم يحفظ كتاب الله عن ظهر قلب بقراءة ورش ، وقد حفظه في سن مبكرة وشيوخه المرحومون السادة السيد احمد بن مالك الحباوي ، بضم الحاء » المالكي المنقوشي الضرير ، السيد ميمون المالكي ، السيد محمد الازعر البكاوي ، السيد عبد القادر بن الماحي البكاوي .

دروسه العلمية :

وحينما اتم حفظ كتاب الله واجادته تتلمذ في علوم الدين والنحو والعقائد على السادة : شقيقه الفقيه السيد محمد الكبير ، المرحوم السيد علي الكرزازي بقرية الابصارة ، الاستاذ العلامة السيد عبد المجيد الفاسي

حينما كان قاضيا بابركان منذ شتنبر سنة 1939 .
المرحوم السيد العربي السعودي الذي تولى قضاء أبركان في أواخر سنة 1943 .

شغفه بالمطالعة والتحصيل :

وكان رحمه الله على قلة مدى تعاطيه للدروس الدينية والنحوية والعقائدية شغوفا بالمطالعة والدراسة والتحصيل ، وكان ذا حافظة قوية مع ضعف في الذاكرة .

زواجه :

تزوج لاول مرة من الانسة زليخة ابنة السيد عبد القادر بن احمد بن عبد الله اليعقوبي ، ولكنه لم يوفق في هذا الزواج فطلقها .
ثم تزوج بئانسة أخرى من بني عبد الله ابنة أخ السيد احمد وعلي العبدلاوي اسمها عيشة وكان له معها عدة اولاد ذكورا واناثا ، وءالت على نفسها الا تتزوج بعده على الرغم من صغر سنها .
وبلغني انها لا تزال الى الآن « 1964 » تسكن في حجرة من منزل المترجم وحدها وان عضلاتها أصبحت شبيهة بعضلات الرجال ، واختفت منها كل آية للانوثة ، وقلما رئيت مبتسمة ، واكتسبت بجدها وعزلتها في هذا المنزل الموحش هبة لا يستطيع أحد أن يكلمها أو يطرق بابها . فحتى نظراتها أصبحت مخيفة لايجرؤ أحد على النظر اليها ، وهي تعيل نفسها وأولادها بوسائلها الخاصة ولا تشعر بأي شقاء تلاقيه في سبيل هذه الحياة الغريبة البائسة .
وانه لمن الالام البالغة في القساوة أن تصبح زوجة هذا الشهيد تصارع قساوة الدهر ولا تجد يدا رحيمة تمتد لمساعدتها ومساعدة أولادها .
ولولا هذه « الرجولة الغريبة » التي حولها الله اليها ، لذهبت وذهب أولادها طعمة لمخالب التشريد الذي لا يعلم نهاية الا الله وحده .

دخوله للمعترك السياسي :

في سنة 1944 بدأ مغامراته في الحقل السياسي الوطني ، وفي سنة 1945 كان عضوا في أول مكتب موقت لفرع حزب الاستقلال بابركان وكان خليفة لي بصفتي كاتبا ، الى أن توفي رحمه الله .
وفي سنة 1946 ، التحق كمعلم بمدرسة النهضة الحرة التي لا تزال قئمة الى الآن « 1964 » . وكان رحمه الله علاوة عى مهنة التعليم ومشاركته في نشاط مكتب الفرع وتشغيل شعب الحزب بابركان يقوم بتجولات في بني منقوش وبني بويعلي للاتصال بشعب الحزب وتشغيلها، ونشر الفكرة الاستقلالية ويتحمل في سبيل ذلك أتعابا مضنية .
وفي سنة 1948 ، أو في سنة 1949 شكامني ، حكم عليه بثلاثة أشهر سجنا بابركان ، وكنت نائبه هذه المدة في القسم الذي يعمل فيه

بالمدرسة ، على الرغم من أنه كان لي دكان أتجر فيه ، فقد كنت أغلق باب دكاني وأقوم بالقاء الدروس التي كان يلقيها .

ثم في أوائل سنة 1951 ، اعتقلته سلطة تافوغالت لنشاطه السياسي في بني بويعلي الراجعين الى سلطة تافوغالت وحكم عليه بثلاثة أشهر نافذة أيضا .

وقد كان معتقلا في سجن انفرادي وقطع عنه الاكل قرابة مدة خمسة عشر يوما .

وحينما أتم مدته خرج منهوك القوى الجسدية والفكرية ، وخصوصا الاخيرة ، فلقد اخذ يتصرف تصرفا غير طبيعي ، وان كان لا يؤذي أحدا ، ويسترجع بعض حالاته العادية من حين لآخر ، ولكن لم يستطع مزاولة اشغاله العادية .

وكان همه الاكثر تلاوة القرآن والاوراد والصيام ، ومع هذا فقد كان قليل الكلام في شؤون الحياة العادية ، وما زالت حالته تتطور من خطر لاخطر حتى لزم داره ، وانقطع عن حياة الناس وأخذ يجلس على سجادة جلد مستقبل القبلة يتلو كتاب الله ، أو الاوراد ، او يصلي . وبلغني من مصدر موثوق به أنه كان من حين لآخر يتوجه من منزله بقرية أولاد بنيعقوب الى ضريح سيدي ابراهيم المشهور ، فيقضي هناك من الوقت ما شاء الله ثم يرجع الى منزله حيث يجلس على سجادته ويمارس أنواع العبادة المشار اليها .

وفي يوم وفاته ، أي يوم الخميس 20 غشت 1953 ، الموافق لاوائل شهر محرم الحرام عام 1372 تقريبا ، توجه الى الضريح المذكور ولما رجع قصد سجادته واستدعى والدته المرحومة خالتي السيدة زينب وقال لها : الوداع يا أماه ، انني سأموت بعد لحظات وحبست الام الحنون دموعها في محاجرها ، وظنت أن قوله هذا من جملة هذيانه ، وقالت له : انك لن تموت ياولدي ، فلماذا تفزع قلبي ، أتظن ان كلامك هذا يسير أمره على كبدي ؟ فرد عليها في لهجة جادة قائلا : قلت لك : الوداع يا أماه : انني سأموت اليوم بدون شك ، ثم استقبل القبلة وفاضت روحه عليه رحمات الله .

وهكذا قضى هذا الشاب ولما يزل في ريعان شبابه ، وذهب ضحية التعسف الاستعماري وكتب في سجل شهداء بني يزناسن في سبيل العقيدة الاستقلالية .

فالله نسأل أن يجزل له الثواب ويجعله في صف الشهداء الصالحين ويعين زوجه على تربية أولادهما : فاتحة « 1949 » والحسن « 1951 » وصالحة « 1952 » ويغني أولاده برزقه الواسع عن الذين يتنكرون للشهداء والمجاهدين ، حتى يكبر اولاده على أساس عقيدة الاعتماد على الله آمين .

حمـــاد الورطاســـي

مـــولـــده :

ولد حوالي 1930 م في قرية ورطـاس .

وهو : حماد بن محمد بن يوسف الورطاسي الطاهري ، ينتسب الى الولي الصالح الشهير سيدي عبد المومن الذي يوجد ضريحه وعليه قبة بمدشر تيزي يخلف ، وهذا الولي الصالح قد استوطن بني يزناسن حوالي القـرن الخـامس أو السـادس حسبما تذكـره مختلـف الروايـات ، ونسبه يتصل بآل البيت وللشرفاء الورطاسيين ظهائر عدة من مختلف الملـوك العلويين بقصد التوقير والاحترام .

نشـــأتـــه :

نشأ في قرية ورطاس ، ودخل الكتاب واكمل حفظ كتاب الله باكر السن ، ونظرا الى أن والده كان ـ ولا يزال ـ تاجرا وكان يحبه حبا عظيما لانه بكره ، فقد حمله حبه له على تزوجه باكرا وشغله معه في دكانه .

أما والدته : فهي : حليمة ابنة السيد محمد بن بنطالب الورطاسي الطاهري الذي كان قيم المسجد الكبير ، ومن اخواله شيخي في كتاب الله المرحوم السيد علي وكان جده لام وخاله المذكور من المشهورين بطاعة الله والتزام الطريق السوي .

كما كان جده لاب من الفقهاء المقرئين ، ومن أولياء الله الصالحين ، ومن الذين كانوا يرفعون راية الدعوة الى محاربة « بوحمارة » تعلقا بالمرحوم المولى عبد العزيز .

وكان جده لاب هذا لا يفارق جدي لاب سيدي البشير ، حيث كانا يتسابقان الى طاعة الله وتلاوة القرآن وتعليمه لابناء المسلمين ، كما كانا يتضامنان ويعملان في سبيل القضاء على ثورة « بوحمرة » .

استقلاليتـــه :

وفي سنة 1946 انضم الى حزب الاستقلال ولم يقتصر على ذلك فقط ، بل أنه كان داعية لا يفتر لسانه عن الدعوة الى اعتنـاق الفكـرة الاستقلالية ، ولقوة نشاطه كان تاجرا ماهرا وداعية ماهرا ، وعاملا قويا لا يضعف ولا يهين ولا يرهب أية قوة .

وطالما التمس منه والده أن يعتدل في دعايته ، ولكنه كان « يسخر » منه ويقول له : عش أنت في هذه الحياة أما أنا فقد وهبت نفسي في سبيل الله فليحيى المغرب ، وليحيى الملك ، وليحيى حزب الاستقلال وليكـــن ما يكون فاني مستعد للموت في سبيل الله .

وبفضله رحمه الله ، انضم معنا دفعة واحدة عدد عظيم من الشبـــان الورطاسييــــن .

وحينما انشأت شعبة خاصة لتمرينها على دراسة نشرة الحـــزب السرية ثم دراستها مع الشعب كان في مقدمة أعضاء هذه الشعبة .

ثم انتخب كاتبا لشعبته ، ثم انتخب كاتبا لاحدى المجالس الجهوية .

وكانت أمه حليمة المذكورة اطـــال اللــه حياتها من « الرجـــالات » الاستقلاليات . تقـــوم الـــى جـانـــب ولدهـــا المتـــرجـــم بنشاط ملحوظ في الحقل النسوي الوطني وقد لقي في سبيل عقيدتـــه امتحانات مختلفة فما وهن ولا سكن .

وحينما تحولت شعب الحزب في ابركان الى فرق فدائية وفـــرق جيش التحرير كان من أكبر العاملين لمساعدة رجال الكفاح المسلح .

وفي أواخر سنة 1955 بينما كان يسير بين العشائين في ابركان قرب المحكمة الشرعية مع البطل المجاهد السيد محمد بن بوعزة الآتية ترجمته ، اذ حصده معه رصاص رشاشة من طرف بعض من كانوا ينتسبون الـــى جيش التحرير لاسباب يقول البعض انها شخصية ، ويقول الآخر انهـا كانت من أجل استبداد السيد ممحد بن بوعزة المذكور برأيه أثناء عمليات جيش التحرير .

وعلى أي حال فقد انفقت الروايات على أن مترجمنا قتل خطئا فقط ، أما السيد بوعزة فقد قتل عمدا لما ذكر سابقا .

وقد كان لموت مترجمنا اثر عميق في نفوس جميع بني يزناسن على الاطلاق ، لان مترجمنا رحمه الله كان محبوبا من لدن جميع الطبقات .

وكان يوم جنازته يوما مشهودا قلما سبق مثله ، وقد خلف رحمـــه الله زوجة وأولادا صغارا هم الان في حضن والديه حفظهما الله .

فرحمة الله رحمة واسعة على مترجمنا وأجزل الله له الثواب انه نعم المولى ، ونعم الكريم .

محمد بن محمد بن بوعزة

مولـــده :

ولد في قرية ورطاس حوالي سنة 1923 .

نسبـــه :

محمد بن محمد بن بوعزة الورطاسي الطاهري وفي هذا الاخير يجتمع مع المرحوم السيد حماد بن يوسف ووالدته ابنة المرحوم السيد عمرو بن يوسف اليوسفي الطاهري .

نشـأتـه :

نشأ في احضان والديه نشأة دينية ، حيث دخل كتاب المسجـد الكبير لتلقي كتاب الله .

زواجـــه :

تزوج في سن مبكرة وله عدة أولاد .

مهنتـــه :

امتهن التجارة منذ باكر شبابه ، وعلى الرغم من بساطة مواد تجارته فان مروءته واخلاقه الطيبة ساعدته على تنميتها لرفع مستوى حياتـــه الماديـــة .

وقد اكتسب شيئا ما من انقباض والده ، فكان جديا قليل الكلام الا لضرورة كثير العمل المتواصل الا لعائق قاهر ، يضحك قليلا ، ويبتسـم كثيـــرا .

كان طويل القامة متين البنية مفتول العضلات ، مهاب الطلعة على طراوة شبابه ، حديثه من جدية أبيه ، وقوة بنيته من قوة أبيه .

استقلاليتـــه :

اعتنق المبادىء الاستقلالية سنة 1946 ، وكان من خير اعضاء الحزب ومسيريه ، مشهورا ببراءة طويته ، ووفائه لكلمته ، وحسن الامانـــة ، وصادق القول ، صبورا متجلدا ، لا يسري الى عقيدته وهن ولا ضعـــف ولا ريب ، فكأنه خلق « للاستقلالية الصادقة » .

بطولتـــــه :

وحينما تحولت شعب الحزب بابركان الى شعب للفداء وجيش التحرير كان من ابطال قادة جيش التحرير ، وشارك في عدة هجومات على الجيش الفرنسي في الواجهة الريفية المجاورة لفاس ، واصيب بجروح بليغة ، وحمل الى احدى العائلات بفاس ، فاعتنت به ايما اعتناء وعالجته عـــلاج الانسان لولده الوحيد جزاها الله خيرا .

ولما عوفي من جروحه استأنف نشاطه في ميدان الكفاح المسلـــح ، وقام بعمليات متعددة ناجحة ولولا التزامي هنا في هذا الكتاب بالابتعاد عن تفاصيل عمليات المقاومة المسلحة لذكرت من نشاطه في ذلك الميـدان ما يستوجب الاعجاب والاكبار .

استشهـــاده :

وفي أواخر سنة 1955 ، اغتيل أمام المحكمة الشرعية بابركان مـع رفيقه المرحوم السيد حماد بن يوسف السابق الذكر ، وقد اغتيل لاسباب لم تتحقق بعد على العموم ، فقد قيل أن السبب كان غيرة من بطولته ، وقيل لتمرده عن القيادة العليا ، وقيل غير ذلك .

وعلى كل حال ، فسيأتي الوقت الذي تمحص فيه اعمال المقاومـــة المسلحة تمحيصا وتسجل الحقائق مرفوقة بالحجج الواقعة .

وكان يوم جنازته يوما مشهودا انفجرت فيه القلوب بالدماء بلـــه العيـون ، فرحمة الله عليه رحمة واسعة واجزل الله له عظيم الاجــــــر والثوابانه نعم المولى ونعم الكريم .

احمد بن اعمـارة الوشكرادي

مولـــده :

ولد في قرية بني وشكراد مشيخة ورطاس حوالي سنـــة 1870 م . وقرية بني وشكراد تبعد على ابركان جنوبا بنحو عشر كيلومترات جبليا.

نسبـــه :

احمد بن اعمارة الوشكرادي ، وبنو وشكراد هؤلاء تقع منازلهم في قسم بني عتيق ولكن عائلة مترجمنا تدعي انها من بني منقوش من فرقــة « امجنيون » بكسر الالف وفتح الميم وسكون الجيم وكسر النون الاولى وفتح الواو وسكون النون الثانية وتلقيت هذا الانتساب منه مباشرة رحمه اللــــه .

نشـــأتـــه :

تربى في القرية المذكورة ودخل الكتاب ولكنه كان يكتب ويقـــرأ بصعوبة ، فخطه لا يكاد يقرأه الا هو فلقد الجأته ضروريات الحيـــاة الى ممارسة اعمال حرة ، ولم يلبث ـ لنشاطه الحر ـ المتواصل أن خـــرج من قريته الى ارض له قرب بحيرة « ولوت » بفتح الواو وتشديد الـــلام وسكون التاء قرب قبة الولي الشهير سيدي عبد المومن جد آل ورطاس ، وبنى منزلا تقليديا تقريبا كثير الحجرات نظرا لكثرة ذريته تبارك الله ، ثم اعتنى بأرضه السقوية فغرس حديقة مهمة من البرتقال واشتـــرى اخرى بجوارهـــا .

كفاحه الوطنـــي :

كان رحمه الله من الذين قدر لهم الاسهام في الدفاع عن حوزة الوطن عهد الغزو الفرنسي لبني يزناسن سنة 1908 م فكتب في أوائل حياتـــه صفحة للمجد الوطني ، وشاهد كيف عذب الجيش الفرنسي بني يزناسن على العموم وكبراءهم على الخصوص ، وناله من ذلك ما نرجو مـــن الله أن يكتبه في صفحة مجده ومجد أمته .

ولم تفارقه أصلا ذكريات عهد الاحتلال الفرنسي ، فكان رحمه اللـــه يتأوه كثيرا كلما قص علينا قصة من مآسي الاحتلال الاجنبي .

كما كانت له مواقف طيبة ضد الثائر « بوحمارة » .

وكان من آثار هذه الذكريات أن اعتنى بتربية اولاده حسب استطاعته، ولكن لم يحفظ منهم كتاب الله عن ظهر قلب الا ولداه المرحوم بوزيـــان ، وبلقاســـم .

وبمجرد ما أتما حفظهما لكتاب الله ارسلهما الى جامعة القروييـــن ، محبة في العلم وأهله .

خلقـــه وخلقـــه :

كان رحمه الله ـ قوي البنية ـ مفتول العضلات ، تتقوس ظهـــره بعد تقدمه في السن ، اعين ذا حواجب بارزة ، ولحية مستطيلة ، غائـــر العينين ، أسمر .

شديد الاحتكاك بحفظة كتاب الله وأهل العلم والتقوى يكرمهم فـــي منزله وخارج منزله ، ويسأل أهل العلم عن شؤون دينه ، ويذرف الدموع للموعظة الحسنة يسمعها ، محافظا على أداء فرائضه ، ويتنفل صيامـــا وصلاة ، ويتلو الاذكار كثيرا ، واشتهر بحرصه على أداء فرائضه فـــي

أوقاتها ، كما اشتهر بحبه للخير وأهل الخير ، ضعيف الحافظة ، قوي الذاكرة ، فقد كان ـ اثناء حديثه ـ يشير الى آية أو حديث أو حكمة ، ولكنه لا يتذكر الفاظها فيساعده محدثه على ادكار الآية ، والحديث النبوي الكريم ، والحكمة السائرة .

عقيدته الدينية :

كان رحمه الله لشدة اتصاله بالعلماء والفقهاء متين العقيدة الاسلامية ، مستعدا كل الاستعداد لمحو أية خرافة أو اسطورة من ذهنه محافظة على طهارة عقيدته بل أنه كان في عهد حياته الاخير من دعاة العقيدة الاسلامية الطاهرة يحارب الخرافات والاساطير التي تمس بالعقيدة الاسلامية الطاهرة على الرغم من أميته ، ولكن مخالطة أهل العلم اكسبته عقيدة اسلامية نقية طاهرة .

عقيدته السياسية :

كان ـ رحمه الله ـ من المتطرفين في العقيدة الاستقلالية على الرغم من تقدم سنه مفرطا كل الافراط في محبة جلالة المغفور له محمد الخامس والعائلة المالكة .

لا يترك فرصة تمر دون أن يعرب عن ايمانه التام بكرامة بلاده وسيادتها ورمز كفاحها .

ففي سنة 1948 ، كانت له مواقف بارزة شهيرة في الحوادث التي تسببت المراقبة في خلقها بمناسبة حفلات عيد العرش .

وبسبب موقفه البارز قال لنا رئيس المراقبة ، « رامونة » حينما كنا جماعة نتذاكر معه في ايجاد حل لتلك الاحداث ، « كنت أظن أن الشبان وحدهم الذين انخرطوا في حزب الاستقلال أما الآن ، فان معكم شيوخا متقدمين في السن يعاضدونكم وينصرونكم » .

وكان المراقب يعني بذلك مترجما والمرحوم السيد ج مصطفى البكاوي، والسيد الحاج محمد الكدان ، وغيرهم من كبار بني يزناسن الكثيرين الذين كانوا يكافحون مع الشبان والكهول الاستقلاليين جنبا الى جنب .

كما كان ـ رحمه الله ـ في مقدمة اعضاء الوفد الذي كنا نشكله لتقديم التهاني الى جلالة المغفور له محمد الخامس في الاعياد الدينية والوطنية .

وسافر مرارا الى الرباط لاهداف سياسية كلف بها من طرف الفرع، وأخص بالذكر منها هنا سفره مع المرحوم السيد الحاج احمد اليعقوبي .

فلقد انتدبهما الفرع للاتصال بالاستاذ غازي في مهمة سياسية وادياها كما يجب أن تؤدى .

وأذكر جيدا أن الاستاذ محمد غازي اعرب لي عن سروره وسرور اعضاء اللجنة التنفيذية بوجود امثال مترجمنا في صفوف حزب الاستقلال .

كما كان ـ رحمه الله ـ من الشخصيات الذين ينتدبهم الفرع للاحتجاج او الاتصال بدوائر السلطة سواء المراقبة ، أم القيادة .

وكان ـ لقوة ايمانه وشجاعته ـ لا يرهب أحدا فيدافع عن الفكرة دفاع من لا يخشى العواقب .

كما كان ـ رحمه الله ـ شريف المواقف في الشؤون العادية حالما تقع حادثة تمس مصالح البلاد التعدية .

وفاتـــه :

توفي رحمه الله حوالي سنة 1953 ، بعد ان عمر طويلا ، فكانت حياته حافلة بالاعمال الطيبة ، رحم الله تلك الروح الطيبة وجعلها في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، آمين .

عبد القــادر الوجدي

مولـــده :

ولد بوجدة حوالي سنة 1907 م .

نسبـــه :

عبد القادر بن الحاج محمد بن البشير المنقوشي العبدلاوي استوطن والده مدينة وجدة بقصد الاتجار وهناك ولد له عدة أولاد ، كان منهم مترجمنا ولذلك اشتهر بالوجدي ، والا ، فهو يزناسني الاصل .

ثم ان والده رجع الى ابركان وفتح دكانا هناك ، واصطحب معه مترجمنا لصغر سنه ، وبقي اولاده الكبار بمدينة وجدة .

وقد دخل مترجمنا الى الكتاب واجاد القراءة والكتابة ، وكان وحده من بين اخوته الذي لا يحفظ كتاب الله كله ، ولكن يستظهر كثيرا من قصار سوره ، أما بقية اخوته ، محمد الكبير وبنيونس ، ومحمد الصغير فانهم يجيدون حفظ كتاب الله ، علاوة على أن محمد الصغير له المام بمبادئ النحو والدين .

عقيدتـــه الدينيـــة :

كانت عقيدته الدينية طاهرة من كل خرافة واسطورة ، فقد نشأ في عهد الوطنية السلفية ، وترعرع في احضانها محافظا على أداء فروض دينه ، يخشع قلبه لذكر الله ، وتنفجر عيناه بالدموع لموعظة يسمعها .

عقيدتـــه السياسيـــة :

انضم باكـــرا الـــى صفوف المجاهدين الوطنيين منذ عهد الوطنيـــة الاولى سنة 1936 غير أن نشاطه الاول كان بمدينة وجدة ، حيث كانـــت وجدة في ذلك العهد مركز الوطنية في المغرب الشرقي .

وفي سنة 1945 ، استأنف نشاطه الوطني كعضو مهم في حـــزب الاستقلال ولم يلبث نشاطه الوطني أن رفعه الى عضوية مكتب الفـــرع عن جدارة واستحقاق فلقد كانت عضوية المكتب من الصعوبة بمكان ، لا يرقى اليها عن طريق الانتخاب الا من كان ممتازا في ايمانه وأعماله .

فالبركانيون ذوو غيرة خاصة ، فلا يرفعون فوق رؤوسهم الا مـــن اثبت بالحجة الواقعة انه احق بذلك وكان منزله من المنازل التي تعقد فيه الاجتماعات المهمة في الظروف الحرجة اذ ان اجتماعات المكتب في اوقاتـــه الحرجة كانت لا تعقد الا بمنازل خاصة وفي مقدمتها ، منزل السيـــــد جلول ، ثم منزل السيد عزيزي احمد بن عبد الله البيعلاوي ، فمنـــزل مترجمنا ، ومنزل السيد القندوسي الهواري .

وكنا نخصص منزل مترجمنا لاجتماعات اعضاء مكتب الفرع مـــع أعضاء مكاتب الفروع الجهوية ، وخصوصا اعضاء مكتب بني ادرار .

وكانت للمترجم مواقف وطنية صادقة عديدة ، واوذي في سبيـــل عقيدته بمعظم انواع الاذاية ، وكان في خلقه هادئا رزينا شغوفا بالتقـــاط الانباء ، خبيرا باستطلاعها مرن الاتصال بمختلف الطبقات ، داعيـــة شهيرا ، لين الكلام ، سهل الانقياد في سبيل اداء واجبه الوطني ، يعرض نفسه للخطر مهما كان الخطر في سبيل اداء واجبه .

فكم من مرة سافر الى الرباط لاداء مهمات خطيرة في ظروف حرجة ، فما لاحظنا منه تقاعسا ولا وهنا ولا ضعفا .

وكان من ابرز المساعدين على تشجيع التعليم الحـــر ، فهو يعمل في مختلف الميادين الوطنية ، ولا يمل ولا يعتذر ، بل أنه كان من المتطوعيـــن للاعمال كلما احتجنا الى انجاز اعمال وطنية .

ومما يخلده ذكره استشهاد ولده مصطفى في حرب جيش التحريـــر بالريف اعني في حوادث 1954 ، وذلك على الرغم من صغر سنه فقـــد استشهد رحمه الله وهو لايزال في عهد ريعان شبابه وغير متزوج .

ويعد هذا الشهيد مفخرة لوالده وعائلته ، ومفخرة من مفاخر التعليم الحر بابركان .

وفاته :

توفي رحمه الله سنة 1957 م ، ودفن بمقبرة كدية مولاي الطيب الشهيرة ، وكانت جنازته مشهورة اذ مشى فيها جمهور غفير وشارك فيها عشرات الاخوان من وجدة .

وقد ابنته اذ ذاك بكلمة ارتجالية انفجرت لها القلوب دماء .

فالله نسأل أن يجزل عظيم الاجر والثواب لمترجمنا ويتفضل عليه بما هو أهل له من المغفرة والرحمة وأنواع النعيم ، آمين .



الحاج احمد اليعقوبي

مولده :

ولد مترجمنا بقرية أولاد بنيعقوب ببني منقوش حوالي سنة 1870 م.

نسبه :

الحاج احمد بن عبد القادر بن الحاج الطيب بن علي بن الحسين بن محمد بن يعقوب ، فهو والد المرحوم السيد عبد القادر الذي سبق لي أن عقدت له ترجمة خاصة في هذا القسم .

نشأته :

نشأ في بيت علم وقضاء وجاه عريض يحفظ كتاب الله ، وحافظ على استذكاره طول حياته ، التي كادت تشارف القرن 100 .

رحلته :

رحل في أول شبابه من قريته وكانت رحلته الاولى الى قبيلة بني يسنوس من القطر الجزائري وهي قريبة من الحدود المغربية الجزائرية ، حيث كان يقصد برحلته هذه اتقان حفظ كتاب الله ، وكان يعيش هناك عند بعض اقاربه الذين بروا به واحسنوا اليه غاية البر والاحسان ، ولما ركب في طبعه من طموح ، فارق اقاربه في بني يسنوس ، وتوغل في القطر الجزائري ثم الى القطر التونسي ، ثم الى القطر الليبي ، ثم الى البقاع المقدسة حيث أدى فريضة الحج ، وأثناء هذا العهد من حياته تلقى دروسه العلمية والدينية منها على الخصوص واكتسب خبرة مهمة وتجارب في الحياة ساعدته على ابراز مواهبه الفطرية .

خطـــة القضــــاء :

وفي أوائل عهد الاحتلال الفرنسي لبني يزناسن ، تولى خطة القضــاء بقرية تافوغالت ، ومارسها مايقرب من خمس سنوات .
وحدث – أثناء ممارسته للقضاء – أن اهانه أحد الضباط المراقبيـــن بكلمة ما ، فقام من مقعده وضربه بالكرسي الذي كان جالسا عليه ، فكــان مصير هذه الحادثة ان عزل من خطة القضاء .

خلقـــه وخلقـــه :

كان طويل القامة ، قوي البنية ، مهاب الطلعة ، شجاعا لا يعرف الخوف الى قلبه سبيلا .
وأثناء عهد القضاء كان يركب فرسا من تافوغالت الى منزله بقريــــة أولاد بنيعقوب ويضع بندقيته أمامه ولا يستطيع أحد أن يحاول مــــس كرامته بسوء ، وذلك على الرغم من أن المسافة بين تافوغالت وقريـــة أولاد بنيعقوب تقدر بثلاثين كيلومترا، ويمر وحده بغابات كثيفة، بينما كان الامن غير مستتب نهائيـــا .
وبعد ان عزل من خطة القضاء كان يعيل نفسه وعائلته باستغلال مــا كان له من عقار بوري وسقوي وقد كان أول من بني قصرا بالجبل على طريق الهندسة العصرية .

أولاده :

ولقد انجب ستة أولاد ذكورا ، الفقيه الديني محمد الكبير ، عبد القادر، أحمد ، محمد الصغير ، الطاهر الطيب ، وكلهم يحفظون كتاب الله ، وتلقـوا دروسا علمية ثانوية مع مراعاة أن محمد الكبير أفقههم ، وان الطيب وأحمد لم يتجاوزا حفظ كتاب الله ، أما الاناث فله بنتان ، الصافية زوجة الفقيــه السيد عمرو بن الحسين الوكوتي ، ومعزوزة زوجة السيد احمد بن الطيــب اليعقوبي .

تـــدينـــــه :

تعرفت عليه وهو متقدم في السن ، فعرفت انه محافظ على أداء فروضه الدينية ، يتعهد كتاب الله بالتلاوة ، علاوة على قراءته للحزبين في كـــل يوم ، تاليا للاوراد ، أخذ أوراده من المرحوم الشيخ محمد بن سليمـــــان صاحب زاوية قرية ندرومة بالقطر الجزائري وكان محترما لدى السلطـــة ، وخصوصا لدى القائد المنصوري الذي اكرمه طول عهده وقلما رد وساطته ، ويحضره في المآدب المهمة ويأنس به في أوقات فراغه ، ويجله ويحترمه .

كما انه لم يثبت أن يزناسيا ، شريفا أو غير شريف أهان مترجمنا بكلمة سوء فقد عاش محترما مهابا من الجميع .
ونظرا الى أنه زوج المرحومة خالتي زينب بنت جدي لام المرحوم سيدي علي بن عبد الله ، فقد كان لي به اتصال مستمر وكان رحمه الله يحبني حبا جما ، ويدعو ومعي بدعاء الخير حيث كنت اجله واحترمه واكرمه .
وكان رحمه الله يقول لي : والله اني لاعدك من جملة أولادي .

عقيدته الوطنية :

وكان رحمه الله على تقدم سنه له عطف على حزب الاستقلال ويدعو الله بنجاجه في كفاحه المقدس ، كما كان يحب صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس كل الحب ، ويحب ايضا العائلة الملكية .
وكثيرا ما قام بتأدية مهمات وطنية ، وسافر الى الرباط مع المرحوم السيد احمد بن اعمارة الوشكرادي المتقدم الترجمة لمهمة وطنية ، فنال احترام رجال المركز لحزب الاستقلال وتقديرهم له .

وفاته :

توفي رحمه الله بمدينة ابركان ، وفي منزل ابنته معزوزة بعد وفاة خالتي زوجه المذكورة سنة 1958 م فعليه رحمة الله الواسعة وتقبله الله قبولا حسنا .



الحاج مصطفى البكاوي

مولده :

ولد بقبيلة بني بويعلي بني عتيق ، اولاد البكاي حواليسنة 1870 م.

نسبه :

المصطفى بن الحاج ارشيد ، يتصل نسبه بالولي الصالح الشهير سيدي علي البكاي صاحب الضريح المقبب في اجدير بني وكلان بني منقوش .
وسيدي علي البكاي هذا رجل من الساقية الحمراء بصحراء الجنوب المغربي ، وهو ابن أخ السيد رابح الذي هو جدي لاب الاعلى المهاجر الى بني يزناسن ، فاولاد سيدي علي البكاي من ابنائه .

نشـــأتــــه :

نشأ مترجمنا في قرية بالجبل كما ينشأ أطفال بني يزناسن في ذلـك العهد ، فدخل الكتاب ولكن دون أن يتم حفظ كتاب الله .

وانتقل والده الذي ادركته مسنا هرما يكاد يتمم القرن من حياتــــه الى أبركان ، وقد وفقه الله في ترويج تجارة فكان من الاوائل الذين شيدوا عدة املاك في أبركان عندما خصصت السلطـــة الفرنسية هذه البقعــــة لتكــون مدينـــــة .

وعلاوة على اشرافه على املاك والده فقد كان يدير تجارة رابحة . فهو يعد من الملاكين القدماء بابركان ، ومن اعيانهم المشهورين .

تدينـــــــه :

كان رحمه الله ، مشهورا بالتدين مفرطا فيه ، وأداه ذلك الى اخـــــذ الاوراد عن الحاج محمد الهبري العزاوي الشهير صاحب زاوية درقــــاوة بالمحل المدعو « بالضريوة » وقد سبق التعرف بهذه الزاوية .

ودخل الى « الخلوة » التي عرفت بها قبلا ، وكان من المصابين بها في توازن عقله اذ كان من الذين يقفزون لاقل صيحة ، ولكنه استعاد تــــوازن عقله بعــــد .

وزاد ارتباطه بهذه الزاوية بتزوجه من احدى بنات الشيخ وكان من أبرز « المقدمين » لهذه الزاوية .

عقيدته السياسيــــة :

لقد كان مترجمنا من المتصلين بأهل العلم والجاه والسلطان ، اذكــــان معروفا بجديته ولسانه القوي الحجة ، وجرأته المهابة .

وكان مجلس القائد المنصوري لا يخلو غالبا من حضور مترجمنـــــا ، ومجلس القائد المنصوري كان كشكولا من الاشخاص والشخصيات ، ففيه الغني ، وفيه العالم ، وفيه السياسي ، فثقافته العامة « أي المنصـــــوري » ساعدته على الاتصال بمختلف النزعات والحيثيات ، وقد اشتهر القائــــد المنصوري ـ كما سلف القول بقراءة الصحف والمجلات في عهد مبكر وكــــان مجلسه لا يخلو من المذاكرة في الدين والسياسة .

فكان مترجمنا يستفيد من كل ذلك ، فكانت له معلومات صوفية واخرى وطنية وفي سنة 1946 نما وعيه فكان من أبرز انصار حزب الاستقلال.

كما كان من الذين يضمهم الفرع الى الوفد الذي كان يشكله في الاعياد الدينية والوطنية للتوجه الى الرباط بقصد تقديم التهاني لصاحب الجلالـــة المغفور له محمد الخامس ، ولاعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال .

ولمرور الزمان وتطور الاحداث تحول الى داعية للفكرة الاستقلاليـــة، ضدا على الزوايا .

اذكر جيدا انه في سنة 1949 م، شكل الفرع وفدا للهدف المشار اليه، وكان يتركب من مترجمنا ومن شيبة الحمد الفقيه السيد الحاج محمـــد ابن علي الكدان، والسيد التهامي بن احمد بن الطيب الوكوتي، والسيد بوعزة العبدلاوي المعروف ببوعزة ولكدان ، وذلك برئاسة كاتبه .

وتوجهنا في سيارة السيد الحاج محمد بن علي الكدان على طريـــق تافوغـالـت .

وأثناء عقبة سيدي عبد الله بتاكمة اعترضنا رجال الدرك وطلبوا منا الادلاء بأوراق التعريف ثم خلوا سبيلنا ، وبعد بضع كيلومترات وصلنـــا الى تافوغالت فطولبنا أيضا بأوراق التعريف ، وهكذا كنا نطالب بـأوراق التعريف الى ان وصلنا الى الرباط .

وكان مترجمنا رحمه الله يقول في اسلوب فكاهي وهو يبتسم، ما هذا ياولدي ؟ فأجيبه : هذا امتحان بسيط لعقيدتنا ، ودليل على قوتنا ، وعلــى ضعف معنوية خصومنا وفداحة ظلمهم حتى انهم يحاولون أن يحولوا بيننا وبين زيارة مليكنا ، فيقول لي ، قبحهم الله . فهل نحن نخـاف منهـــم ، فيعلق الحاج محمد الكدان فيقول : ياالحاج مصطفى ان هذا شيء خطيـــر ونحن شيوخ لا نستطيع تحمل الاتعاب والسيد قدور لا يزال شابا يتحمـل كل شيء ولقد غرر بنا وقادنا من آذاننا الى هوية لا يعلم نهايتها الا اللـــه، كان الحاج محمد يقول هذا في اسلوب ظاهره الجدية وباطنه فكاهة فقـــط فيجيبه الحاج مصطفى مترجمنا : اذا ما متنا في سبيل مليكنا فهو خيـــر عمل نقوم به ونقدمه الى الله ، وهكذا قضينا مسافة ستمائة كيلومترا لـم نذق فيها نوما وكانت تتخلل بمثل هذه الفكاهات .

ولما وصلنا الى الرباط ، واتصلنا باعضاء اللجنة التنفيذية الذيـــن رحبوا بنا أيما ترحيب ثم اقام لنا الوطني النبيل الشهير السيد عبد الرحيم فرج مأدبة فاخرة ، ثم توجهنا الى القصر حيث تشرفنا بالمثـول بيـــن يدي المغفور له صاحب الجلالة محمد الخامس .

قلت له بعد هذا قال لي مترجمنا : جزاك الله خيرا عن هذه الفرص التي اتحتها لنا ، فلقد تعرفنا على عالم كنا نجهله ، فانت من الآن والدي ولست ولـــدي .

وكان المقصود من تشكيل وفودنا بهؤلاء المتقدمين في السن ، ان نبرهن للسلطة الاستعمارية اننا بشبابنا وكهولنا وشيوخنا ملكيون استقلاليون .

والحقيقة أن مراقبية ابركان تأثرت ايما تأثر بهذا الوفد على الخصوص لانها وان كانت تعرف هوية مترجمنا وعطفه على الحزب فانها لم تكن تتخيل جرأته الى هذا الحد ، فقد كان ـ على رغم عطفه على الحزب ـ معتدلا ، ولكن هذه الحادثة كشفت كل نقاب عن عقيدته الوطنية الاستقلالية .

خصوصا انه كان من المتعارف أن لا يتصل بصاحب الجلالة محمـــد الخامس الا الاستقلاليون فلم يكن هناك فرق بين الملكية والاستقلاليـة ، فكلاهما يعبر عن معنى واحد ، وهي الواجهة الوحيدة التي كانت تنـــاوىء الاستعمار .

ومنذ هذا التاريخ أصبح مترجمنا أشد اعداء السلطة الاستعمارية .

حوادث غشـــت :

وفي حوادث غشت 1953 م كان مترجمنا من الذين أوذوا في سبيـل الله واعتقل ووضع في زنزانة عسكرية مع الاخوان الاستقلاليين .

وفاتـــه :

وفي سنة 1959 م ، توفي عليه رحمات الله ، وكتبه الله في سجـل المجاهدين والصالحين آمين .

الرئيـس البكـــاي

مولـــده :

ولد بابركان في تاريخ 18 ابريل سنة 1907 م .

نسبـــه :

البكاي بن مبارك بن المصطفى الهبيل ، وقد سبق القول بالتعريـــف بجده الاعلى القائد بولنوار.

سبب تسميته بهذا الاسم :

من العوائد المتعارفة عندنا أن بعض النساء اللواتي لا يلدن يتجهـن الى زيارة الولي الصالح الشهير سيدي علي البكاي الموجود ضريحه باجدير بني منقوش، ويروي الرواة ان والدته المرحومة طامة ابنة ابن العادل الصغيري من فرقة أولاد عبد الرحمن ، بقبيلة هوارة بسهول ابركان ، كانت تتشوق الى ان تنجب ، وطال أمد انتظارها لولد من لدن القائد مبارك والد المترجم، فاشير عليها بزيارة الضريح المذكور ، فصادفت هذه الزيارة توفيق اللـه فولد لها ولد دعته : البكاي تبركا بلقب الولي المذكور . والعامة يطلقون علـى هذا الولي : عبد البكاي .

والحقيقة انه سيدي على البكاي قد حرف اسمه عن : العبد البكاي ، الى عبد البكاي ، وقد لقب بالبكاي لكثرة بكائه من خـــوف الله كما تتحـــدث الروايـــات .

وان كان اسم : البكاي عندنا في بني يزناسن كثيرا .

نشـــأتـــه :

ومات والده ولما يزل طفلا ، فاحتضنته والدته وأخواله فأدخل مدرسة ابتدائية فرنسية وكان يعد من ابناء الاعيان .

ونظرا لما اشتهرت به عائلته من البطولة والمغامرات في سبيل المجـد من جهة ، ولاشتهار اخواله وأمه على الخصوص بالطموح المفرط الى المعالي فقد ارسلته والدته الى المدرسة العسكرية بمكناس ، فتخرج منها برتبـــة ضابط « فسيان » .

وفي الحرب العالمية الثانية شارك كضابط فيها الى جانب فرنســـا فاصيب في احدى رجليه فقطعت .

تعيينه قائدا على بني ادرار :

ولما عوفي من جروحه واستحالت ممارسته للجندية في صفوف الجيش رجع الى مسقط رأسه وعين قائدا على قبيلة بني ادرار واولاد الزعيم ، فكان خير مثال للاستقامة مع القبيلة ، فلم يعرف عنه انه تناول رشوة أو هدية ما.

فكان باستقامته هاته أول قائد دشن عهد التعفف عن أموال القبيلة فـــي هذه القيادة ولقد اعجب بنو ادرار ايما اعجاب بقائدهم الشـــاب الذي ادار شؤونهم وساسهم بكامل التعفف والاستقامـــة ، ولاسيمـــا اذا لاحظنـــا أن هذه القيادة فقيرة تتعيش بموارد قليلة العدد ضعيفة الانتاج .

ولقد رفعته هذه الاستقامة مع خلال الليونة الحازمة والبشاشة التـــي لا تفارق وجهه ، وسعة الصدر ، الى مقام مرموق فرض على مطلق النـــاس وخاصتهم محبته واحترامه ، كما تألم له بعض القواد الذين لم يستطيعوا ان يتحللوا من تقاليد « الهدايا » .

عضويته في القيادة العسكرية الاقليمية .

والى جانب ادارته للقيادة المذكورة كان عضوا في القيادة العسكريـــة الاقليمية الوجدية .

ومن جهة ثالثة فقد انتخبه قدماء المحاربين رئيسا أعلى عليهم للدفاع عن حقوقهم .

باشوينه بصفرو فــاس :

وحولي سنة 1945 عين باشا على مدينة صفــرو فكان ايضا مثــالا للاستقامة والنزاهة اذكر جيدا انني زرته في مدينة صفرو اثناء سنة 1948 فلما علم بوجودي في المدينة ارسل الي كاتبه الخاص اذ ذاك صديقي السيد محمد بن عبد الله الحافي فاستدعاني لتناول طعام العشاء على مائدتــــه ولما وصلت الى باب مكتبه نهض من مقعده وتلقاني بالباب . ورحب بــي أيما ترحيب وهو يبتسم كعادته ولاطفني باحلى ما تكون اللطافة فسررت أيما سرور بهذا اللقاء الاول معه الذي تحققت فيه بنفسي ما كان قد اشتهر به من حسن الخلق ولطافة الاستقبال ، وبعد هنيهة خيرني في التجول فــي سيارته بمدينة صفرو او التوجه الى المنزل، فاخترت الاول لاني كنت متشوقا الى اعادة نظراتي على مدينة صفرو التي كنت زرتها ايام دراستي بجامعــة القروييـــن .

وفي المساء ، بعد تناول الشاي ، وقبل تناول طعام العشاء ، اعتذر لي عن مشاركته لي في طعام العشاء بدعوة وجهت له من طرف رئيس بلديـــة صفرو لتناول طعام العشــاء ، وأكد لي أنه سوف لا يتغيب كثيرا .

وفعلا رجع بعد زمن قصير فسألني ما رأيك ؟ ان الفرنسيين يحترمون المغاربة ويستدعونهم لمنازلهم ويكرمونهم ، اليس هذا دليلا على « نبلهم ».

لقد كان المقصود من سؤاله هذا هو أن يختبر أفكاري السياسية ، لان صديقي الحافي كان يتحدث له كثيرا عني ، لذلك أجبته بقولي : ان طعــام عشائكم اليوم عند رئيس البلدية والطعام الذي تناولتموه قبل هذا عنــده أو عند غيره من المراقبين ، والذي ستتناولونه عندهم بعد ، هو طعامنــا في الحقيقة والواقع لانه من اعتماد ميزانية البلدية ، او اعتماد الميزانيـــة العامة ، فانتم في الحقيقة كنتم ضيفا على سكان مدينة صفرو اليــس كذلك ؟ فابتسم رحمه الله وقال : هكذا حدثني عنك الفقيه الحافي ، حدثني أنك ذو جرأة لا تبالي بأي شيء في سبيل قول الحقيقة .

ثم سألني ، هل هيأ حزب الاسقلال وسائل لممارسة هذا الاستقلال ؟

فأجبته : ان حق الشعوب في الاستقلال بشئون اوطانهم حق طبيعي لا يتوقف على أي شرط وان الاستعمار يعرف ذلك ، ولكنه يتعلل بعــدم وجود الاكفاء لادارة البلاد لاطالة المقام بها ريثما يقضي على كل قيمهــم فيخلفهم في تملك بلادهم .

ثم ان الذي يريد تملك وطن مالا يفكر اصلا في ايجاد المسيرين الاكفاء لان ذلك من شأنه أن يحرجه ويقصر حياته فيه .

على أن حزب الاستقلال يتوفر على كثيرين من المسيرين الاكفاء اذا ما تحقق استرجاع استقلال البلاد . وهذا زيادة على أن حزب الاستقــلال لا يعني بمطالبه طرد جميع الفنيين الاكفاء في المراحل الاولى للاستقلال

كما هو الشأن في كل أمة حديثة العهدباسترجاع حريتها واستقلالها . فقال: طيب . ولكن ما هي وسيلتكم للوصول الى استرجاع استقلال البلاد ؟

فقلت : ان مهمتنا هي التعبئة العامة ، وذلك بتنمية الوعي الوطني وتعميمه حسب الامكان من جهة ، وانتظار الفرصة السانحة للقيام بعمل حاسم من جهة ثانية ، فهمتم مرادي ؟ فابتسم وقال ، ولكن الفرنسيين اقوياء فأين القوة الموازية .

فقلت ان وسائل كفاح الشعوب المستعبدة ، هي غير وسائل الحروب العادية ، فالاستعمار لا يستطيع ان يقاومنا طويلا اذا ما جد جدنا ، فحينما يشق على الاوربي أن يخرج من منزله لقضاء ضرورياته ، تدعو الضرورة فرنسا الى التفكير الجدي في الحل الطبيعي أفهمتموني ؟

وقبل أن يجيب قلت له : عندنا من الضباط امثالكم ما نحول به المغرب الى « الهند الصينية » .

وهنا قال لي : شكرا لك فقد أوضحت لي فكرة الاستقلالية والخطوط العامة لوسائل استرجاع استقلال البلاد ، وانني أهنيء بني يزناسن بوجودك بينهم تنمي فيهم هذا الوعي الوطني ، وتلقنهم مثل هذه الافكار الحرة ، فطلبت منه أن يسمح لي بالرجوع الى فاس ، وبعد الحاح منه للمبيت عنده ، قال لي : ان سيارته رهن اشارتي ، فشكرته على ذلك واخبرته بأنني سأنقل سيارة رفيق لي ، وودعته وأنا متفائل خيرا بهذا الرجل الذي يبحث بجد عن ايضاح الفكرة الاستقلالية ويهنئني على ما دار بيني وبينه من احاديث حولها .

وعلمت في ذلك الوقت أنه كان يتصل بجلالة المغفور له محمد الخامس وان علاقته به طيبة للغاية ، وان دائرة فكره السياسية اخذت تتسع آفاقها.

وبمجرد رجوعي الى ابركان حررت تقريرا للحزب بهذا الاتصال وماكان فيه من فوائد فشكرني المركز على ذلك التقرير الذي لم أكتف فيه بنقل مجرد ما كان بيني وبين المترجم من حوار ، بل وصفت له ارتساماتي وملاحظاتي بكل تدقيق .

انغماره في الكفاح الوطني :

وفي حوادث العرش سنة 1953 م استقال من باشوية صفرو فاس، وسافر الى فرنسا. روى لي كاتبه السيد محمد بن عبد الله الحافي انه في سنة 1953. وفي ذات صباح يوم الاحد، انه: اي الراوي كان يشرب الشاي مع المرحومة السيدة طامة والدة المترجم ، وأثناء ذلك دخل عليهما المترجم وقال لوالدته : ـ ان رئيس المقاطعة قد استدعاني ، وانني متشائم من هذا الاستدعاء ، لان اليوم يوم الاحد وقد جربت ان الاستدعاء يوم الاحد لا يكون لخيــــر .

قال الراوي ، فقالت له والدته : **ان الرجل الذي يطلب الموت لا يجد الرجال الذين يقتلونه.** وأردفت قائلة : اذا كان الامر يتعلق بما يمس جلالة محمد الخامس وخذلانه ، فكل ما رضعته من ثدي طامة حرام عليك ، وان وقفت الى جانبه فهو عليك حلال ، وانني راض عنك في الدنيا والآرة . فسر على بركة الله .

قال الراوي : فلما رجع المترجم من عند رئيس المقاطعة قال لي : الفقيه ،،، ان الامر خطير جدا . لقد عرض علي رئيس المقاطعة أن أوقع على عريضة ضد سياسة جلالة الملك محمد الخامس فما رأيك ؟

قال الراوي فقلت له : ان مستوى تفكيري دون الجواب عن هذا السؤال . ولكن المترجم ألح عليه في اعطاء رأيه . قال الراوي . فقلت له : اذا كنت في استطاعتك ان يرجم طلاب « كليج » مولاي ادريس في فاس . أولادك وتورثهم العار الذي لا يمحى ابدا فوقع على العريضة ، فأجابه المترجم : لا، لا أريد ذلك أبدا ، ان رأي والدتي ورأيك يكفياني لمساندة عزمي على أن استميت من أجل ملكي جلالة محمد الخمس .

قال الراوي بعد كلام طويل : ان المترجم استغل فرصة رخصته في شهر يوليوز 1953 . فطار الى فرنسا . ومكث هناك الى أن وقعت حوادث 20 غشت من نفس السنة ، فأرسل اربع برقيات لمختلف المراجع باستقالته من باشوية « صفرو فاس » يرفض فيها الاعتراف بعرفة . ويصر على تعلقه بملكه الشرعي جلالة محمد الخامس ا هـ .

ومكث هناك قرابة عامين ، قام اثناءها بالقاء عدة محاضرات في مختلف مدن فرنسا وأوساطها واتصل بعدة شخصيات في سبيل ارجاع جلالة المغفور له محمد الخامس وأسرته امرائنا الكرام الى ارض الوطن وارجاع استقلال البلاد الى أهله .

ولا أنسى هنا أن أسجل ـ على العموم ـ المساعدات التي قدمها حزب الاستقلال من الناحية المادية بالخصوص للمترجم لمواصلة كفاحه هناك ، كما زوده بما احتاج اليه من ضروريات الوثائق الوطنية لتدعيم دعايته بالحجج الشرعية .

كما لا أنسى هنا المساعدات المختلفة التي قدمها اليه صديق الجميع الشاب عبد القادر بن احمد بن صالح الوريمشي الهفتي البخريصي ، الشهير بلقب : افرانكو .

والشاب المذكور طالب يحفظ القرآن قد وهبه الله ذكاء خارقا للعادة، وقد هيأته الظروف في فرنسا للاتصال بمترجمنا ومساعدته بمختلف المساعدات المادية والمعنوية .

فالى هذا الشاب الطيب تهاني الوطن ، وله مني على الخصوص ألف شكر .

عودته الى أرض الوطـــن :

وفي أواخر يوليوز 1955 عاد المترجم الى ارض الوطن بقصد الاطلاع على آخر تطورات الاحداث ، وكان ضيفا على حزب الاستقلال الذي خصص له منزلا فخما لاستقبال الزوار والاتصال بمختلف الاوساط .

وكان السيد الحاج احمد بناني الشهير هو الذي يشــرف على ذلك المنزل ويقدم اليه مختلف الزوار والشخصيات .

وقد اتيحت لي الفرصة لزيارته والاتصال به في هذه الظروف ، حيث سافرت من مكناس الى الرباط لهذا الغرض ، وكان يرافقني السيد عمــرو ابن الحسين الوكوتي والحاج بنعامر الهواري الذي اقلنا في سيارتـــــه الخاصـــــة .

رجوعه الى فرنسا ثم الى الرباط :

لم يطل مترجمنا لقامته في الرباط هذه المدة فلقد رجع الى فرنســـا

بعد اسبوع تقريبا من مقامه في الرباط كما وصفت .

وبعد شهر تقريبا رجع الى الرباط ، حيث عين عضوا في مجلس حفظة العرش مع العضوين السيدين : الفاطمي ابن اسليمان ، والطاهر اعسو.

مشاركته في محادثة ايكسليبان :

ثم انه استدعى الى ايكسليبان « فرنسا » حيث شارك في محادثات المائدة المستديرة التي جمعت مختلف « النزعات الشعبية » والتي كان مــن نتائجها الاتفاق بين المفاوضين المغاربة والمفاوضين الفرنسيين على ارجاع محمد الخامس الى عرشه واعلان استقلال البلاد .

رئاسته لاول حكومة وثاني حكومة بعد الاستقلال .

وبمجرد ما رجع جلالة المغفور له محمد الخامس وامراؤه الكرام فـــي صباح الاربعاء 16 نونبر 1955 ، تشكلت حكومة وطنية كان مترجمنا على رأسهـــــا .

وفي أواخر ابريل سنة 1956 سافر مع جلالة المغفور له محمد الخامس وطائفة من الوزراء الى فرنسا للمفاوضة في استقلال البلاد التام .

وفي ثاني مارس الموالي تم الاتفاق على استقلال البلاد ، وكان مترجمنا هو الذي أمضى وثيقة الاستقلال بصفته رئيس الحكومة الشرعية للبلاد .

وكان رحمه الله كثيرا ما يذكر هذا الحادث الخطير في تاريخ البلاد ويقول : « **بيدي هذه ويمدها ، أمضيت وثيقة الاستقلال ، واني لافتخر بذلك واعده مجدا خالدا شرفني به صاحب الجلالة محد الخامس نصره الله** » .

ثم استقالت هذه الحكومة الاولى وأعيد تشكيل حكومة اخرى بعدما مضى مايقرب من عام على تشكيل أول حكومة وطنية فاسندت اليه أيضا رئاستها.

وفي سنة 1958 استقال من هذه الرئاسة واشتغل بتكوين حزب سياسي ، اطلق عليه أول مرة التجمع الشعبي ، ثم اطلق عليه بعد شهور: حزب الحركة الشعبية واثناء رئاسته الاولى للحكومة وفي يوم الخميس تاريخ 12 شتنبر 1956 اسندت الى القيادة العليا لبني يزناسن ، وكان هو الذي قدمني الى الجمهور الذي غصت به رحاب رئاسة دائرة ابركان ومن جملة ما قالفي تقديمي الى الجمهور « انني لست بحاجة الى أن أقدم اليكم رئيسكم الجديد ، فهو منكم ، وعاش بين ظهرانكم واشرف على تربيتكم الوطنية ووجهكم الى الخير توجيها صالحا ، وكافح معكم كفاحا تعرفونه انتم اكثر مني وقد جئت به اليكم من مركز حزب الاستقلال لانكم كلكم استقلاليون ، وسوف لا أوصيه بأي شيء لانه يحبكم ويتفانى في حبكم وأنتم تحبونه ، وأنتم الذين طلبتم مني أن أعينه لكم ، فعليكم أن تتعاونوا معه والله يوفق الجميع الى طريق الخير تحت ظل جلالة الملك محمد الخامس نصره الله .

وكان حاضرا في حفلة التنصيب الاستاذ ادريس المحمدي الذي كان وزير الداخلية ، ومدير الشئون السياسية الاستاذ مولاي المصطفى العلوي، وعامل الاقليم السيد غريب محمد بن عمرو احميدو . وبمجرد انتهائه من حفلة التنصيب توجه الى منزل عمه القائد السابق الحاج محمد بن ميمون الهبيل واذكر انني بعثت في نفس ذلك اليوم : الجمعة 13 شتنبر 1956 كوكبة من رجال المخزن الى المنزل المشار اليه للقيام بواجب الحراسة والاحترام ، كما كلفت رجال الدرك بالقيام أيضا بحراسته خارج المدينة ، وكلفت رئيس الشرطة بحراسته في منطقة نفوذه، وكلفت رءيس ملحقة تافوغالت السيد علي بن الطاهر الوونوتي ، بتعهده وخدمته .

وبعد اسبوع أقمت له مأدبة غذاء حضرها مختلف الشخصيات ، وحينما ودعني شكرني شكرا حارا على اهتمامي بشخصه واعتنائي به كل الاعتناء.

وبعد خمسة عشر يوما قضاها في ابركان رجع الى مقر ماموريته أي رجع بتاريخ 28 شتنبر 1956 وفي نفس يوم وصوله اتصل بي تليفونيا على الساعة الحادية عشر ليلا وجدد لي شكره الحار على عنايتي واهتمامي به وقال لي :

لقد اطلعت الجناب العالي بالله على مظاهر نشاطك ومواهبك ، وانه سر بذلك سرورا عظيما ثم أردف قائلا انك في مقام دون مستواك وعما قريب سيكون لك خير كبير .

عضويته في الحكومة المشكلة في يوليوز سنة 1960 .

وفي هذا التاريخ تقلد منصب وزارة الداخلية ، وكانت علاقتي معه قد تغيرت بسبب الوشايات الكاذبة التي وصلته عني .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان يبلغني عنه كلام طيب في جانبي ، وان كان اصدر امره بايقافي من رئاسة دائرة احواز وجدة بتاريخ 30 غشت 1960 ، ولكن امر ايقافي كان يعتمد على ملف اقليمي ولم يكن ذلك انتقاما مني كما علمت ذلك بعد ايام من ايقافي ، وعلى الرغم من الوشايات التي كان يقوم بها بعض الواشين ضدي لديه كان يبلغني عنه أنه يقول : ومع هذا فاذا ثبتت براءته فاني مستعد لارجاعه الى منصبه لانه شخص مخلص لوطنه ومليكه .

على ان كلامه هذا لم يكن ليمنعه من اتخاذ اجراءات لعرضي على المحاكمة التي تبث لديها انني بريء ، فاصدر قاضي التحقيق حكمه بعدم متابعتي.

وعلى الرغم من ذلك فقد قدمت استقالتي واستلمت كل حقوقي بعد ايقافي الى أن عينت عضوا ملحقا بديوان وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية التي اسندت الى رئيس حزب الاستقلال السيد علال الفاسي بتاريخ ثاني يونيه 1961 .

وفاته :

وفي 12 ابريل سنة 1961 بعد اربعين يوما حسبما اذكر من وفاة بطل التحرير الخالد جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، توفي مترجمنا على اثر سكتة قلبية وهو وزير الداخلية وبرتبة كولونيل في الجيش .

وقد حمل الى أبركان حيث ووري عليه التراب في مقبرة كدية مولاي الطيب وكانت جنازته من أعظم الجنائز ، فعليه من الله الرحمات الواسعة وتقبله الله قبولا حسنا آمين .

نظرة عامة على خلقه واخلاقه :

كان مترجمنا طويل القامة، وسيم المحيا ، اعين ، جمع الى وسامه العمومة، وسامة الخؤلة والى عراقة العمومة ، عراقة الخؤلة ، لم ينل منه ما اعترضه من أهوال أثناء خوضه غمار الحرب العالمية الثانية التي افقدته احدى رجليه، كما أن سلامة سرائره كان لها النصيب الوفير في الابقاء على وسامته طول حياته .

وكان متخلقا مرنا ملاطفا مهادئا ، متحاشيا استعمال وسائل المكر والخداع والتغرير ، وكانت تنطبق عليه نظرية سلامة سرائره باتساع حدقتي عينيه وخلوص البياض في السواد ، ذا قدرة على اخفاء غضبه عن خصومه باظهار آيات اللياقة الضرورية لكل شخصية في مستواه حتى ولو كان بينه وبين خصومه سوء تفاهم . خلصته مختلف الاتصالات ومختلف البيئات ، التي عاشها من كثير من رواسب بيئته الضيقة ، فبمجرد

ما رجع من العمليات الحربية الاخيرة كان خير واسطة بين اسرته وأسـرة القائد المنصوري، فاستطاع أن يعمل ـ بلباقته ـ على طمس كثير من معالم رواسب الماضي التي كانت بين الاسرتين منذ عهد القائد بولنوار الهبيـل والقائد الحاج محمد بن البشير بن مسعود .

والحقيقة انه استطاع أن يعطي مظهرا طيبا لما حاولـه من قبلـه عمه القائد سعيد من اصلاح العلاقات بنسيان رواسب الماضي ، فكان خير متمم للرسالة التي بداها القائد سعيد المشهور بمرؤة اخلاقه ولطف مؤانسته .

فلكم سمعت من القائد المنصوري ثناء طيبا على مترجمنا لما قام بـه من محاولات ايجابية لازالة سوء التفاهم القديم والذي غذاه الاستعمار في مختلف الظروف وبوسائل مختلفة ويظهر لي انه لو قدر للقائد المنصـوري والقائد محمد بن ميمون الهبيل أن يكونا على وئام في عهـد الاسعمـار لكان لذلك اثر كبير على الوعي الوطني بانتشاره ونضوجه في أقل المـدة التي استغرقها لهذا الهدف ، فأولاد البشير ، وأولاد الهبيل كانوا ذوي النفوذ الاول في بني يزناسن .

مبدأ وعيه الوطنـــي :

نشأ مترجمنا في اسرة شهيرة بالشجاعة والبطولة تمجد القوة وتضعها فوق كل اعتبار ، وتطعمت هذه النشأة بالاجواء العسكرية التي عاش تحتهـا كل عهود شبابـــه .

وبمقتضيات هذه النشأة المزدوجة لم يستسغ ذوقه المطالبة باعـلان الاستقلال في سنة 1944 ومن عادة المجدين للبطولة والقوة ان لا يعيـــروا كبير الاهتمام للوسائل السلمية للحصول على شرف الانتصار .

وبالاضافة الى هذه النفسية البطولية المتطلعة لم يكن مترجمنـــا ذا خبرة بما قطعته التطورات الوطنية والسياسية في البلاد من مراحل خطيرة ولم يكن ذا علم ما بما تنطوي عليه نفسية بطل التحرير المغفور له محمـد الخامس ، من حب عميق لبلاده وارادة علوية جبارة لاسترجاع المجد الغابر، المجد الاسماعيلي على الخصوص الذي كان من اياته دعوة بعض ملوك اوروبا الى الاسلام ، كما لم يكن يعرف العلائق المتينة التي كانت بين بطل التحرير وحزب الاستقـــلال .

وهذه العوامل وما شاكلها مجتمعة هي التي جعلته يعارض مطلب سنة 1944 بصفته رءيس قدماء المحاربين .

وعندما عين باشا على مدينة صفرو فتحت له هذه المرحلة من حياتـــه آفاقا جديدة وأخذت تعمل جادة لتكييف آرائه في الحياة بواقع بلاده .

فبمجرد أول لقاء مع المغفور له صاحب الجلالة محمد الخامس بمناسبة تعيينه باشا بصفرو أضاء الله قلبه بالاشعاعات النورانية التي كانـــت تنطلق من عيون محمد الخامس فترغم ـ أول ما ترغم ـ الاصدقاء والخصوم على الاحترام والاكبار ثم على المحبة والوفاء في معظم الجزئيات .

فلقد روى لي بعض الثقات أن مترجمنا حينما قدر له أول لقاء مع المغفور له محمد الخامس خرج من قبة العرش وهو مخبول بآيات عظمة هذا الملك البطل ، وصرح لبعض اصدقائه العسكريين ،أنه لم يكن يعرف أن للمغرب ملكا ترغم نظراته الانسان على الاكبار والتقدير بمجرد أول لقاء .

وكانت مدة اقامته بصفرو « 9 سنوات » فيما أذكر ، كافية لنقله من عالمه القديم الى عالم جديد يستعيد فيه الشعب المغربي قوته تحت قيادة ملكه البطل لاصلاح عثرات التاريخ بارغام الاستعمار على ارجاع ما أغتصب منه من كرامة وحرية وسيادة واستقلال ، ثم ما اغتصبه من خيرات فوق الارض وتحت الارض ، فلم تكد سنة 1953 تطل على البلاد بظلام الاستعمار المدلهم حتى كان مترجمنا تام الوعي الوطني لا يبالي في سبيل المجد الوطني والوفاء لمليكه بأية عاقبة مهما كانت وخامتها ، فكانت محاولات الاكلاوي معه تساقط على قدميه تساقط أوراق الخريف تحت ضربات هوج الاعاصير في هذا العهد عهد انفجار الازمة سنة 1953 كنت بمعتقل قلعة مكونة ، وذات صباح وصلتنا بشائر استقالة مترجمنا من وظيفته الباشوية وهو في فرنسا يقضي رخصته السنوية ، وبلغنا من جهة أخرى أن اليد الحمراء تتلهف على اقتناص الفرصة لازالة اقدامه من رصيف الحياة .

وقد كان ذلك اليوم يوم سرور عظيم لدى جميع الاخوان .

أما فيما يخصني فيشهد الله ان سروري كان أعظم من كل احد بسبب انغمار مترجمنا في ميدان الكفاح وفي هذه الظروف بالخصوص .

ولا أكتم القاريء أنني على الرغم من محبة كل أبناء بلادي ، فاني لا أستطيع مقاومة ذلك النوع الخاص من المحبة لابناء مسقط رأسي وأعتقد أنني سواء في هذه الخصوصية مع جميع ابناء بلادي .

وفي هذا المعنى انشد هنا بيتا من احدى قصائدي بقلعة مكونة .

ان كان للوطن المحبوب مهجتنا   فمنبت المرء كم قد فاز بالشغف

قلت : انني كنت اعظم سرورا من أي احد هناك بانضمام مترجمنا الى صفوف المكافحين في سبيل استرجاع مشروعية البلاد ، وخصوصا ان الاخوان هناك كانوا يطلقون على حادثة انضمام المترجم الى صفوف المكافحين قنبلة خطيرة في قلب الاستعمار . ولم يكن في استطاعتي أن أحبس دموع الفرح في محاجري ومترجمنا المغربي البيزناسني العتيقي الهبيلي يطلق الاخوان على كفاحه الوطني المفاجيء قنبلة خطيرة في قلب الاستعمار لم يكن يعدل هذا الفرح الا فرحي يوم اخبرت بأن والدي المتقدم في السن وشقيقي الملازم للفراش وشقيقتي الصافية في السجن في سبيل العرش والاستقلال .

لقد قضيت أياما في منفى قلعة مكونة وأنا أكاد اطير فرحا بهاته البشائر ولقد كنت موضع استفسارات من لدن جميع الاخوان عن شخصية مترجمنا، فكنت أروي غليلهم بما كنت أمدهم به من معلومات مشرفة سواء من ناحية عراقة مجده ، أم من ناحية خلقه ، وقصصت عليهم قصتي معه يوم تناولت طعام العشاء عنده بمدينة صفرو اذ كان باشا عليها ، وصورت لهم ارتساماتي وملاحظاتي وماكنت اعلقه عليه من آمال غالية في سبيل انقاذ هذا الوطن المنكوب لاول مرة في تاريخ البشرية جمعاء بالغزو الاجنبي وكانت دقة عرضي لعراقة مجده ونبل خلقه ، ونبل طويته تضاعف من اقناع اخواني هناك ، ومما كان يلفت انظار الاخوان هناك ما حدثتهم عنه من أنه كان أول قائد في بني يزناسن زهد عما في أيدي الناس ، وسمي بأخلاقه هناك وسمي بأخلاقه عن استغلال نفوذه ومركزه عن كل ما اعتاد أن يقدم لامثاله من مساعدات تعارفت عليها الاوضاع بكل أسف .

ثم انتهز هذه الفرصة فاشيد بخلفه القائد محمد التميمي الادريسي الذي سار على نهجه واتلو حديث النبي صلى الله عليه وسلم : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الخ « الحديث » ومنذ هذه الحادثة عظم مترجمنا في عيني واحتل سويداء قلبي .

ولم يكن سوء التفاهم الذي طرأ على علاقتي معه بسبب الوشاية المتواصلة الى آخر حياته لتنتزع من قلبي تقديره واكباره على اختلافي معه في النزعة السياسية .

ولكن اختلاف النزعة السياسية كان من شأنه ان يفصل بيني وبينه في وسائل العمل لصالح البلاد ، وقد فصل بيني وبينه فعلا .

ومما احمد الله عليه أنني لا أحط من قيمة أي شخص مختلف معي في النزعة السياسية على شريطة ان تكون نزعته المختلفة عن نزعتي ربانية وعلى أساس عقائدي ، وهادفة الى تحقيق المصالح العليا للوطن وذلك من غير أن تمس في شيء أي عنصر من عناصر كياننا التاريخي ، اما اذا افتقد الشخص هذه الشريطة فانني اشفق عليه من تيه حياته في مفاوز الضياع وآسف على وطني من حرمانه من مثل هذا الشخص الضائع .

والمغامرون في سبيل مصالحهم الشخصية هم — في نظري حقا ضائعون ، وسوف يهملهم التاريخ أو يسجلهم على هامشه كاشخاص ضائعين .

ولو عقل هؤلاء الضائعون » لعلموا أن الكفاح العقائدي يفيدهم شخصيا بواسطة الفائدة الوطنية العليا حينما تنشر ظلالها على كامل ربوع الوطن .

ولكن قصر النظريات يفضي بهم الى مفاوز الضياع مع كامل الاسف الشديد ، نسأل الله تبارك وتعالى ان يحول بيننا وبين هذا الضياع المؤسف .

وانني استمد هذه النظرية من قوله عليه الصلاة والسلام ، انمـــا الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى اللــــه ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه .

فالنية على أساس كل عمل قيم، هي التي تحظى باعتبار المنطق والسماء. فرحم الله مترجمنا وجازاه بما هو اهله انه سميع مجيب .

واختتم هذه الترجمة بالتذكير بان لكل « جاهليته » الا من رحم الله ، وقليل ماهم .

بوزيـــان الوشكـــرادي

مولـــده :

ولد المترجم حوالي سنة 1916 م بقرية بني وشكراد بني عتيق .

نسبـــه :

هو بوزيان بن احمد بن اعمارة الوشكرادي ، وقد تقدم القول عن أصله في ترجمة والده .

نشـــأتـــه :

نشأ في القرية المذكورة ، وادخله والده كتاب القرية فحفظ كتاب الله في ريعان شبـــابـــه .

دروســـه العلميـــة :

تلقى أول دروسه العلمية في مسجد ابركان الاعظم على أول مدرس بهذا المسجد الفقيه السيد العربي السنوسي الجزائري ، كما درس عليـــه مبادىء النحو والصرف والتوحيد .

ثم التحق بجامعة القرويين حيث أجرى له امتحان أهله للسنة الاولى من المرحلة الثانوية ، ولم تتجاوز اقامتـــه بفاس للدراسة اكثر من أربـــع سنوات فتزوج ايم عمه الذي كان قد توفي بمدينة وزان ، ولم ينجب ولدا مدة حيـــاتـــه .

وكان طول حياته يشتغل بالتجارة .

وفي سنة 1946 م ، اعتنق مبادىء حزب الاستقلال ، وقد أهله نشاطه الوطني لعضوية مكتب فرع حزب الاستقلال بابركان .

وقد كان مكلفا بقريتي تيزي يخلف ، وتزغين ، القريبتين من منزله، ثم كلف بتعهد النشاط الوطني ودراسة النشرة السرية للحزب ببني وريمش الشماليين ، وكان يؤدي واجبه الوطني دون ملل أو فتور ، فغامر بنفســه في الظروف الحرجة .

وفي حوادث سنة 1953 م أبلى البلاء الحسن ثم فر الى الناضـــور حيث كانت الهيأة العليا لجيش التحرير مستقرة هنـــاك للاشـــراف علـــى العمليات التي كانت تباشر في الناحية الشرقية .

تغيير نزعتـه السياسيـة :

وفي سنة 1956 كان من الاعضاء المهمين لانشاء حزب الحركـــة الشعبية بزعامة السيد البكاي وبذلك انفصل عن مبادئه الاولى ، مبادىء حزب الاستقـــلال .

مرض عضـــال :

وقد اصيب رحمه الله بمرض الشلل فاقتعد منزله مدة طويلة قاسـى اثناءها من الوان الالام ما نرجو الله تبارك وتعالى أن يعوضه بهـا اجرا جـــزيـــلا .

وفاتـــه :

وقبل وفاته اعتنى به فرع حزب الاستقلال بابركان - على الرغم مـن تغيير نزعته الاولى ، غاية الاعتناء نظرا لما تفرضه الاخوة الوطنية العامة، ولما كان له من ماض مجيد ، وقد كان رحمه الله يمتلىء سرورا عندما يقال له : ان أعضاء من فرع الحزب أتوا لعيادتك ، فكان يشير اليهم بالثنـــاء والشكر على هذا الاعتناء الذي لم تؤثر فيه النزعة الجديدة .

وفي صيف سنة 1963 ، اشتد به الم مرضه فاسلم روحه الى مولاه تاركا اثرا طيبا في نفوس اخوانه الذين كافح معهم على الخصوص ما يقرب من عشـــر سنـــوات .

اثابه الله احسن الثواب ، وأجزل له من الاجر ما يسعده به في عالم البقاء والخلود آميـــن .

وبترجمة هذا الاخ الراحل الى عالم البقاء انهي هذا الكتاب المتواضع الذي أقصد به خدمة التاريخ للتقرب الى الله بما عسى أن يكون له من اثر على نفوس الجيل الصاعد الذي سيعلم من خلاله بعض ما قاساه أولئـــك المومنون الاولون في سبيل استرجاع حرية البلاد وسيادتها واستقلالهـــا من يد الغاصبين الفرنسيين والاسبانيين .

وكان الشروع في تأليف هذا الكتاب على الساعة التاسعة صباحـــا و 19 دقيقة ثاني وعشري ربيع الاول عام 1384 الموافق ثاني غشت 1964، وكان الفراغ منه مساء الاثنين تاسع شعبان عام 1384 الموافق رابع عشـــر دجنبـــر سنة 1964 .

ملحـــق

محمد بن المقدم الورطاسي

نسبـــه :

محمد بن محمد بن المقدم احمد القصير « بالتصغير » « المعــروف » بالشلحة : بـ « أقضاظ » بفتح الالف وضم القاف وسكون الضاذ الاخير الورطاسي الحاجي من فرقة أولاد الحاج ومنازل فرقته هي المجموعة التـي تواجه الانسان أول الامر بوادي ءال ورطاس ويدعى محل سكن فرقتـــه « تاحلوانت » بفتح الحاء وسكون اللام والنون والتاء .

وفرقته تنتسب الى الولي الصالح الشهير سيدي عبد المومن ، وهي تحتفظ بظهائر التوقير والاحترام من لدن الملوك العلويين ، وآخر ظهير من هذا النوع سلمه اليها المغفور له محمد الخامس رضوان الله عليه .

مولـــده :

كانت ولادته على سبيل الافتراض القريب من الحقيقة عام 1332 ﻫ الموافق سنة 1913 م ، وقد ولد بوادي آل ورطاس بمحل سكن فرقته المذكورة .

نشـــأتـــه :

لقد نشأ في بيت الفضل والتقوى والحياء والمروءة اذ ان والده « اطال الله حياته » من حفظة كتاب الله المجيدين لحفظه وقد عرف من والــده جميع انواع الفضائل . بقي يحافظ على واجباته الدينية لا يفتأ يتلوا كتاب الله في كل خطواته ، يعلم كتاب الله منذ شبابه ، حيبى الى حـــد الافراط . لايكاد يستطيع رفع بصره الى الناس . يتحدث اليهم وهــــو مطـــرق حيـــاء

أول تعرفي على المترجم : كان أول تعرفي على المترجم ـ فيما أذكـر ـ أواخر الحرب التحريرية الريفية ، اذ كنت وأياه في كتاب واحد في المسجد الموجود بمحل سكن فرقته نتلقى جميعا كتاب الله على والده رضي اللـــه عنه . وقد عرف منذ صغره بما عرف به والده بفرط الحياء والمروءة .

ولما أيس من حفظه لكتاب الله كله أخذ يمارس المهن الحرة المختلفة ، وصيانة لعفافه فقد تزوج باكرا واذا لم تخطيء ذاكرتي فقد تزوج للمـــرة الثانية . اذ أن الزوجة الاولى لم تستطع أن تسمو بنفسها الى سمـــــو اخلاقه . فصغر سنها ونضوج رجولته ، حالا دون العيش الهاديء الـــذي يلائم اخلاقه الفاضلة .

نعم ، نظرا الى أنني - عقب حفظي لكتاب الله - هاجرت لطلب العلم. ثم تعاطيت مهنة « العدالة » فان مستوى حياتي حال دون المخالطة مع المترجم الا ما تقتضيه به المصادفات التي نتبادل فيها التحيات والمصافحة، وليس غير ذلك .

في ميدان الكفاح :

وفي سنة 1945 م وبعد الافراج عني من السجن واحترافي للتجارة، ونزولي الى الميدان الشعبي بقصد القيام بواجب التوعية الوطنية مع أسس مبادىء ووسائل وأهداف حزب الاستقلال ، اكترى مترجمنا دكانا يواجه دكاني شارع طنجة بابركان لممارسة مهنة الحلاقة العصرية والتقليدية معا .

ونظرا لفرط خجله ، واحتياطاتي من جهة ثانية ، فانه لم يجرؤ أول الامر على مفاتحتي في موضوع انخراطه في الحزب ، رغم مواجهة دكانه لدكاني .

وكل ما في الامر كان - رحمه الله - يجلس الى قرب باب دكاني لما يخلو دكانه من الزبناء ، وكان ينصت الي بكامل مشاعره كلما اخذت في حديث وطني عام . وكنت الاحظ ان مشاعره تغلي غليان القدر أثناء احاديثي الوطنية ، ويظهر عليه اثر ذلك أحيانا في تسمات وجهه . وحينا في انسياب دموعه ، وكم كنت اشفق عليه من كثرة تصعد زفراته وذرف دموعه فاغير مجرى الحديث الى موضوعات عادية ونكاهية للتخفيف مما يعاني من شدة التأثر بالاحاديث الوطنية ، فكان رحمه الله يبتسم لذلك . بل أنه كان ينتزع الابتسامة انتزاعا . ثم يقول لي : « **ليتك واصلت الحديث في موضوع الوطنية ، ولكن اسمح لي في هذا الاقتراح** » .

ولقد انتظر رحمه اللهعدة شهور لافاتحه في موضوع الانخراط . ولكنني لم أفعل ، لا لريبة في مترجمنا ولكنني كنت افضل في المرتبة الاولى .أن يعيش المتصلون بي مدة التشويق الي حتى يعرضوا أنفسهم على الانخراط من تلقاء أنفسهم وبكل حرارة. وأن يكونو على بصيرة - في الجملة، - خيرا من أولئك الذين يندفعون كل الاندفاع لهدف من الاهداف بأقل سبب ، فهؤلاء كانوا عندي - ولا يزالون ، أخطر الناس مع أية هيأة سياسية او جماعية فهم يندفعون دفعة واحدة ، ولاول صدمة تنهار عزائمهم ويتأخرون الى أقصى الوراء ان لم ينقلبوا شرا ووبالا على هيأتهم .

وبالمناسبة : وعلى سبيل الاستطراد ، اذكر هنا : انني اثناء مقامي بسجن عين علي مومن سنة 1944 م ، بلغتني جملة جارحة اثرت في نفسي أيما تأثير . ولست هنا اكتم أبدا ان تلك الجملة لا تزال تعمل عملها في نفسي، وخلاصة ذلك ، انني كنت ـ اثناء مقامي بسجن عين علي مومن المشار اليه ، أقوم بالقاء دروس في السيرة النبوية على طريق الاملاء وكنت ـ اثناء ذلك احلل مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم ومواقف اصحابه رضوان الله عليهم ومواقف المشركين تحليلا مفصلا دقيقا وبأسلوب ترتفع بـه درجة الحماس الديني والوطني الى مستوى هائل وكنت استدرج الاخوان من ذلك الى الميدان الوطني بكيفية تنسيهم آلام السجون وتشوقهم الى مواصلة الكفاح حتى النهاية .

وكانت هذه الدروس باقتراح من اخواني قدماء الحركة الوطنية . وموجهة مباشرة الى الجدد من الاخوان وكان الاخوان القدامى يحمدون هذه الدروس ويكيلون الي الثناء بالمكيال الاوفى .

ونظرا الى أننا كنا اذ ذاك سبعة عشر أخا ومفرقين ما بين حجرة «8» و حجرة «7» فقد كنت من أجل هذه الدورس اتنقل ما بين الحجرتين بعد استيذان الحراس في ذلك طبعا .

وكان الاخ المناضل الاقدم الاستاذ السيد بناصر بن استاذي السيد الحاج العربي المعسكري الوجدي نشأة في الحجرة السابعة ، وكنت أنا في الحجرة الثامنة .

وحدث يوما في غيبتي أن أخذ بعض الاخوان في الحجرة السابعة يمتدحون دروسي ويثنون علي أجل الثناء ، فعلق الاخ الاستاذ السيد بناصر على ذلك بقوله (حقا ان دروس الاخ الورطاسي مفيدة جدا ولكن يجب أن تتذكروا انه يزناسني ، واليزناسيون يتوفرون على القسط الاوفر من الحرارة والاندفاع ولذلك يجب أن تنظروا الى الورطاسي بحذر ، فلتستفيدوا من دروسه ، واكتموا عنه اسراركم الوطنية فاني اخشى أن يفتر حماسه فيسيء الى الوطنية .

وبكل سرعة نقل الي ما قاله الاخ الاستاذ السيد بناصر .

وانني أستطيع أن أؤكد هنا ان ما قاله الاخ بناصر لم يكن يقصد الحط من قيمتي ازاء الاخوان وأن مقاله كان بايحاء من تجربة قاسية فعمم احتياطه لفائدة الحركة الوطنية ، ولاسيما اذا اعتبرنا أن العهد كان عهد احتياط وتكتم شديدين نظرا للظروف القاسية التي كانت تجتازها الحالة السياسية في البلاد من جهة ، ونظرا لظروف الحرب من جهة ثانية . وقد شاء الله أن تربطني بالاخ بناصر روابط صداقة متينة لم تؤثر عليها مئات الاحداث الى الان ، فضلا عن تلك « الكلمة » التي قالها في شأني عن حسن نية ولفائدة الحركة الوطنية قطعا .

غير أنني - وكما قلت قبلا - لم انس أن استفيد من ذلك ايما استفادة .

ولذلك كنت احتاط جدا في مفاتحة أي أحد من أجل الانخراط في الحزب الا بعد التثبت والتأكد، ولذلك ايضا ، لم أفاتح مترجمنا في الانخراط في الحزب .

وبعد التأكد من قوة عزمه ، قبلت انخراطه فكان خير مثال للاستقلالي المخلص الوفي .

في حلقات الحزب :

انضم مترجمنا الى حلقة من حلقات الحزب فكان خير مثال للاستقامة والنزاهة وطيب الخلق . فاختارته حلقته أمينا عليها لجمع الاشتراكات الشهرية ويسلمها الى أمين الفرع العام .

الى مهمة البريد :

كان الاخ جلول الوكلاني هو القائم بمهمة البريد مابين ابركان ووجدة، فيأخذ مني التقارير ويسلمها الى مندوب الحزب ، ويستلم النشرات ورسائل التعاليم من مندوب الحزب ويسلمها الي . وحينما اتسعت دائرة النشاط الوطني في ابركان وأخذت المراقبة الفرنسية تراقب سكناتنا وحركاتنا ، أعاد مكتب الفرع النظر في قضية البريد .

وبطبيعة الحال لم يكن اعضاء المكتب - ولا واحد منهم - يشك في رجولة الاخ جلول ، فقد كان - ولا يزال - من الرجولة بالمستوى الذي يقل نظيره في الاخوان ، وخصوصا اذا اعتبرنا أنه من قدماء المحاربين في الحرب العالمية الاولى ، وانه حصل على عدة أوسمة لمواقفه البطولية في مختلف ساحة القتال .

وحالما كان يشعر بقساوة الظروف يزين صدره بالاوسمة تضليلا لعيون الرقباء فيؤدي مهامه على أحسن الاحوال .

ومع ذلك فان تردده على منزل مندوب الحزب بوجدة من شأنه أن يلفت الانظار اليه ومن شأن ذلك أن يكشف سر مهامه .

ولذلك رأينا أن نعيد النظر من جديد في مهمة البريد . ولا سيما الجنرال اجوان ، يصول ويجول ويصرح ويكرر التصريح بأنه جاء الى المغرب ليطعم المغاربة التبن . فالحكمة كانت تقضي باعادة النظر في جهاز الفرع ووسائل عمله ملاءمة للظروف الجديدة .

وبعد دراسة الموضوع من مكتب الفرع تقرر تكليف مترجمنا بالمهمة وذلك على الرغم من معارضة الاخ جلول في انهاء مهمته . اذ رأى في هذا القرار . عن حسن نية - انه حط من رجولته . ولكننا أكدنا له بالاجماع ان

ذلك كان لمسايرة الظروف ليس الا ، فاقتنع أو رضخ على الاصح وعلى مضض وتنفيذا لهذا القرار استدعيت المترجم ، وابلغته المهمة المنوطة به . وكم كان سروره عظيما بهذه الثقة التي وضعها اعضاء المكتب فيه .

وفعلا كان يمارس تأدية هذا الواجب في صمت وهدوء ورضاء .

وحدث أن انتقل لمهنته الى وجدة ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد واصـل اداء مهمته على أحسن حال الى قرب انفجار الازمة المغربية انفجارها النهائي بابعاد المغفورله محمد الخامس قدس الله روحه وعائلته الملكية النبيلـة .

فأثناء حوادث 16 غشت بوجدة كان في مقدمة المشرفين عليها والمشاركين في اثارة حوادث 17 غشت بابركان التي تحدثت عنها بكثير من التفصيل في هذا الكتاب . وكان من امره أن اعتقل بوجدة وبعد الامتحانات القاسية في مكاتب الاستنطاق صدر عليه حكم عسكري بعشرين سنة ، ولم يتحرر الا بعد اعلان استقلال البلاد .

بعـد الاستقـلال :

وعقب الشهور الاولى عين « مقدما » باحدى حومات وجدة ، وأثناء ممارسته لهذه الوظيفة كان مثال الاستقامة والاخلاص والوفاء وقد حصل على شهادة المقاومـة .

وفاتـه :

وفي يوم الثلاثاء تاريخ 29 رجب الفرد الحرام عام 1385 هـ الموافق 23 نفامبر سنة 1965 م. نشرت جريدة «العلم» مراسلة تتضمن وفاته مرفوقة بصورته ورثاء من مراسلها بوجدة .

فرحمة الله عليه رحمة واسعة ومتعه اللـه بما يمتع به المومنين المجاهدين المخلصين من نعيم ورضوان آمين . هـ

الفقيه الحاج محمد الكدان المنقوشي الجديري

مولــــده :

احسبه ولد حوالي عام 1915 هجرية الذي يقرب أن يوافق سنـــــة 1895 . وكان مولده بقرية اجدير بقسم بني منقوش الثالث من قبيلة بني يزناســـن .

وقرية مولده جنوب ابركان بما يقرب من ثمان كيلومترات .

ووالده يسمى السيد على الكدان لقبا. وقد عرف بالتدين والبساطـة وحديدية العزم والارادة وحبه لآل البيت والفقهاء والطلبة وذوي الحاجة مع عفة الازار وصدق القول والترفع عن الدنيا وملازمة الصمت الا لضـرورة، بهذه الاوصاف عرفته ، ولاسيما وقد مكثت في قرية اجدير ما يقرب مـــن خمسة شهور سنة 1929 ميلادية حيث كنت أجيد حفظ كتاب الله العزيز على شيخي المرحوم سيدي ممحد الازعر البكاوي الذي هو من ذرية الشريــــف سيدي على الشهير بالبكاي .

والحق ان هذه الخصال التي عددتها وأشرت فقط الى بعضها هـــي الخصال العامة التي اشتهر بها سكان اجدير ببني منقوش اليزناسيين .

مترجمنا والقرءان الكريم :

وقد كان مترجمنا يحفظ كتاب الله حفظا جيدا ، ويتلـــوه ءاناء الليـل وأطراف النهار ، وكثيرا ما كان يرى ماشيا من جهة الى جهة ، أو راكبـــا وهو يتلو كتاب الله العزيز .

وكان متدينا يلازم الجماعة ويقرأ الحزب ، ويخشع لذكر الله .

وقد حج ثلاث مرات ، وكان يحب العلماء كثيرا ويكرمهم بالطعـــام والكسوة والمال ، ويسأل كثيرا عن شؤون دينه .

وقد أغناه الله بالمال الكثير تجارة ضخمة وفلاحة ، ومواش ، وأراض واسعة وجنات وسيارات ، وهو وان كان حديدي الطبع قوي المزاج شجاع لا يقترب منه مجترئ، فانه كان الى ذلك هشوشا بشوشا يستقبل معارفه بكثير من اللياقة والمجاملة واللطف وقد تزوج فيما احسب ثلاث أو أربـــع مرات ، ومات وله زوجتان ، ولم يرزق ذرية من زوجاته .

مترجمنّا وحزب الاستقلال :

من المحقق المؤكد الذي القى الله به أنه لم يكن أي مذهب سياسي وطني في بني يزناسن الا « حزب الاستقلال » عدى شخصين اثنين احدهمـــا وكوتي ، وثانيهما ورطاسي . وأعرفهما باسمهما ولاكن لا داعي لذكرهمـا الآن .

فلذلك فكل من كان من بني يزناسن وطنيا قبل الاستقلال ، كـــان عضوا في حزب الاستقلال . وكان مترجمنا من اعضائه المسنين كان رحمه الله يساعدنا بماله ومنزله وأثاثه وكل ما وصلت اليه يده .

وكان عضوا في وفد بركاني استقلالي قدم الى الرباط سنة 1951 م لتقديم التهاني لللجنة التنفيذية للحزب . وكنت أنا على رأس هذا الوفـد وكانت سيارته هي التي نقلتنا الى الرباط ثم الى ابركان . وكانت المناسبة عيد المولد النبوي الشريف وذلك قبل نفي جلالة الملك محمد الخامس بسنة أو سنة ونصف .

فتوفي رحمه الله عام 1969 م. موافق عام 1389 هجرية رحمه اللــــه ورضـــى عنه .

المحسن السيد الدخيسي

في ذمة الله

في يوم الاربعاء ذي القعدة الحرام 1387 هـ. 1968/2/13 ، كان القائد سابقا ـ المحسن السيد الدخيسي الهواري في ضيافة الله احسن الله ضيافته ، وصباح الخميس الموالي شيع الى مقره الاخير مودعا من آلاف المعجبين بمكارم اخلاقه .

والمرحوم من مواليد عام 1280 هجرية تقريبا ، فمن المحقق انه عمر أكثر من قرن واحد ، وينتسب الى قبيلة هوارة التي من بطونها : مليلية وفق ما ذكر ابن خلدون .

نشأ في بيت البطولة والكرم وحسن السلوك لذلك عاش مضرب الامثال في لين العريكة وطيب الاخلاق وقلده المولى الحسن الاول مسؤولية قيادة هوارة ولما يزل شابا .

وأبلى البلاء الحسن في عهد ثورة ابي حمارة ، وفي كل المواقف الوطنية كان موضع اعجاب واكبار وحينما تطور الوعي الوطني الى المطالبة باعلان الاستقلال وقف موقف المدافع عن حرية الافكار .

فانتشر الوعي الوطني في قيادته بصفة واسعة ، وذلك بفضل مرونته وحسن سلوكه وتقديره للوعي الوطني .

وفي ازمة 1953 ، خيرته السلطة الاستعمارية بين الاستمرار في قيادته والاعتراف بالوضع الجديد ومحاكمة الاستقلاليين ، فأبى عليه نبله ووفاؤه أن يخلع من ربقته ما طوق به من عهد العرش الشرعي . فأقيل من مسؤولية كقائد على قبيلة هوارة ، فالتزم سكنه الذي كان موئل رجال الفداء وجيش التحرير .

وهكذا سجل المرحوم صفحات من مختلف الامجاد وأصبح في ضيافة الله مدعوا له بالرحمة والغفران ممن اعجبوا بكرمه ونبله ووفائه .

أحسن الله ضيافته وأكرم مثواه ، وعزاء لجميع ذويه وأقاربه ، خصوصا ابنيه : محمد القائد حاليا بكرسيف والحبيب وصهره وابن عمه الوطني الغيور عضو المجلس الوطني الفاضل السيد الحاج بنعامر ، أمين انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير .

صور طائفة من رجال الكفاح

الوطني ببني يزناسن



السيد علي بن البشير الورطاسي ، والد المؤلف من مناضلي الاحتلال سنة 1907 م واعتقل في حوادث 1953 م ، ومعه في الزنزانة العسكرية ولده : شقيقي السيد الحسين مدير مدرسة النهضة ، بينما بنته الصافية عند الشرطة ، بينما المؤلف مبعد للصحراء من 17 غشت 1952 .

الاشقاء الثلاثة المناضلون : بوشتة ، الميلود ، عمرو ، أبناء المرحوم السيد صالح القراطي المتيقي .



ـ الاخ المناضل السيد الميلود القراطي



ـ الاخ الاريحي المناضل السيد بوشتة بن صالح القراطي



ـ المناضل السيد عمرو بن صالح القراطي



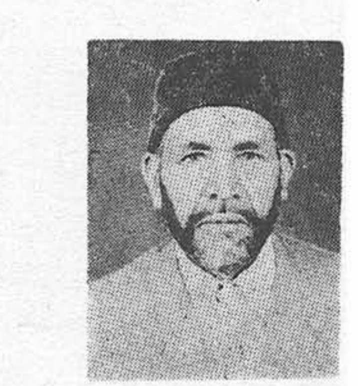
شيبة الحمد القائد الدخيسي ابن علي الهواري الذي آثر الاستقالة من قيادة اسندها اليه المولى الحسن الاول آثرها على مبايعة عرفة سنة 1953 م .



الاخ المرحوم المناضل رمضان ابن محمد بن سليمان العثماني



صاحب المواقف الوطنية الرائعة الاخ المنور اكراد



الاخ المناضل المتطرف الصبور السيد حماد ابن قدور الشني



المناضل المخلص السيد بنقدور ابن طالب الصغيري



موسى برياح سأله راموتة رئيس دائرة ابركان : هل تعرف معنى الاستقلال ؟
ج : نعم ، تقوم انت لاجلس مكانك .



المناضل الصدوق رمضان الكرض « مداغ »



المناضل النبيل الطيب بن سليمان « مداغ »



الاخ الاستقلالي المقاوم سياسة وسلاحا صالح شطو الحتيتي التغاسروتي



الاخ المناضل السيد محمد
الفسيري



المناضل محمد بن علي الدرقاوي
عضو المكتب الرئيسي لمدينة
أبركان ، والعضو الممثل
للفرع والقيادة العليا لجيش
التحرير بالناضور ، والذي انعم
عليه بعد برتبة «ملازم أول» .



الاخ المناضل السيد عبد السلام
ابن احمد الوسعيدي



الاخ المناضل السيد عبد القادر
ابن عمرو الوريمشي



الاخ المجاهد السيد عمرو بن
الكنار



الاخ محمد التميمي احد الفدائيين
في حوادث سنة 1953 م



الاخ المناضل السيد بوعبدلاوي
غلام

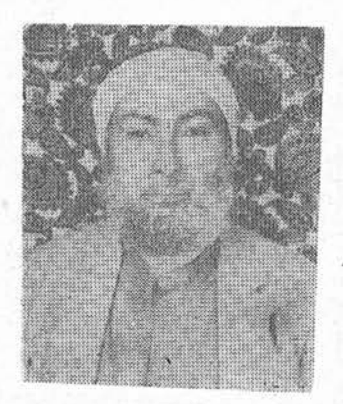
الاخ المناضل السيد المصطفى
الفسيري



السيد عبد القادر ابن أحمد بن
صالح الهفتي الذي قدم خدمات
للسيد البكاي مبارك لما لجأ
الى فرنسا عقب حوادث 1953م



الاخ المناضل السيد الميلـود بن المقدم



الاستقلالي المتطرف العنـود السيد محمد معافي

احد مراسلي العلم عهد البطولة الوطنية الاخ المناضل السيد امحمد معي الصفراوي



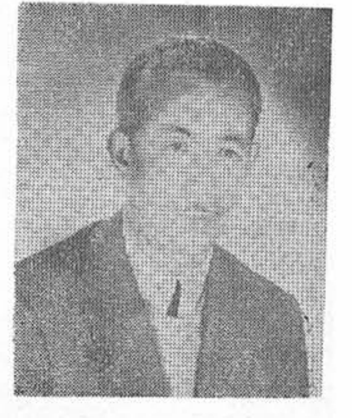
جكاني ابراهيم النـكوي عمو المعتقل في حـوادث 1944 ، وحكم عليه بعام منفذا قضاه في سجن عين علي مومن



السيـد بومـديـن. اليعقـوبـي البزناسني الذي كان أول من ابرق ضدا على الظهير البربري واول معتقل به



الاخ المناضل المرحوم السيد احمد بن الحاج عبد القادر شاطر الوكوتي .



الاخ المناضل السيـد المكـي بوشنافة الوكوتي



الاخ المناضل الحاج احمد بن مبارك الوريمشي



موسى العبدلاوي
الاخ المناضل السيد احمد بن



الاخ المناضل السيد الحاج
اسماعيل الرامي



الاخ المناضل السيد سليمان
ماذران



المناضل المرحوم مبارك بن
الاخضر صاحب الايادي البيضاء
على التعليم الحر



الاستقلالية الناضجة والعزم
الصارم والتضحية الصادقة
عبد السلام بن مبارك العتيقي



الاخ المناضل السيد الحاج
سعيد الورطاسي



المناضل السيد عبد القادر بن
محمد بن البشير الورطاسي



كاتب فرع الحزب باحفير عهد
البطولة الوطنية الاخ المناضل
السيد ادريس لهبيل



المناضل السيد بن الحاج عدة
المنقوش الوكلاي



المجاهد الشهيد السيد محمد
ابن بوعزة الورطاسي الطاهري

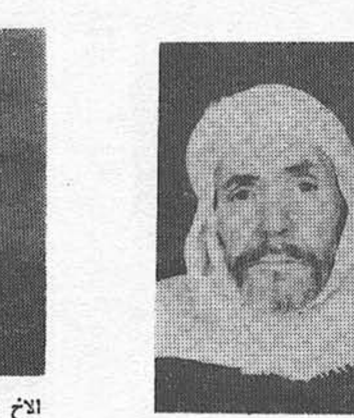


الاخ المناضل الصبور احمد ابن الحاج مولاي محمد بن بنسعيد الورطاسي «السرجان» عضو الفرع المركزي عهد البطولة الوطنية



برشيد محمد بـرج المصطفى عضو المكتب الرئيسي بفرع الحزب ، وخليفة الامين

الاخ المناضل المتطرف الحديدي عضو لجنة الاستعلامات عهد البطولة الوطنية السيد ج مبارك بن عمرو العامري



الاخ المناضل الفقيه السيد عبد العزيز بن عبد الله الموساوي



الاخ المناضل السيد موسى ابن الاشهب من بني موسى الروا العتيق

الاستقلالي المرح ذو النكـت اللاذعة والصدر الرحيب والصبر النادر الفقيه السيـد الطيب البيعلاوي



الشهيد السيد عبد السلام بن ج مولاي محمـد بن بنسعيـد الورطاسي



الاخ المناضـل المتطـرف ذو الاستقلالية الحديدية عبد المومن ابن ابراهيم العبد الكريمي



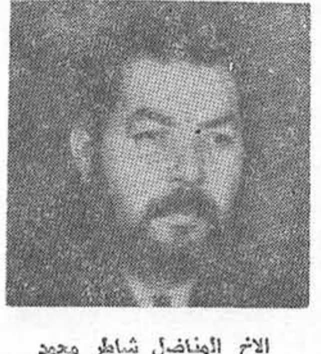
الاخ المناضل السيد احمد بن عبد الله البيعلاوي عضو الفرع المركزي عهد البطولة الوطنية



الاخ جلول الوكلاني الذي أوذى كثيرا ، وصبر كثير . والعضو الخطير في مكتب الفرع الرئيسي في ابركان



الاخ المناضل السيد حماد ابن الغثير



الاخ المناضل شاطر محمد



المجاهد الشهيد الشاب حماد ابن محمد بن يوسف الورطاسي

المجاهد الفقيه السيد العربي الورطاسي الذي حمل أذى كثيرا



المجاهد الصادق الفقيه السيد عزماني احمد بن مبارك العميري

الفقيه العلامة السيد ج العربي البوحميدي الزيانبي الخالدي الذي كان احد كبار دعاة الاستقلالية في عموم بني يزناسن وقبيلة احفير على الخصوص رحمة الله عليه ورضوانه



الاستاذ المحامي السيد ج محمد ابن الفقيه السيد ج العربي البوحميدي احد دعاة الاستقلالية في الظروف الصعبة وله تضحيات جسيمة خافية عن العموم فله من الله الجزاء الاوفى



الاخ الفقيه السيد عبد القادر الحسيني المقرىء بالمدرسة القرآنية الحرة سنة ١٩٣٦ م بابركان

فهرس

القسم الأول

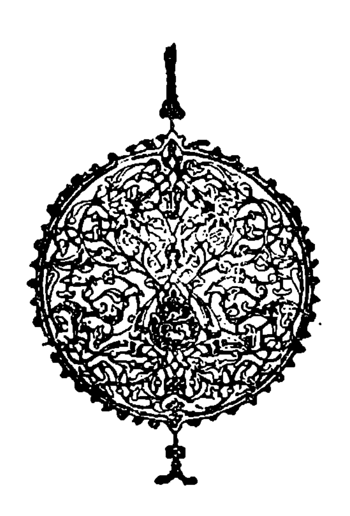
قبيلة بني يزناسن وأدوارها في التاريـخ

القسم الثاني

من الكفاح السياسي والمسلح الى رجوع محمد الخامس من منفاه الى أرض الوطن واعلان استقلال البلاد

القسم الثالث

تراجم موجزة لطائفة من رجال الكفاح الوطني ببني يزناسن



أخطـــاء مطبعيــة

صفحة	سطر	خطـأ	صــواب
4	34	السياسي	الوطني
5	28	فينفخ	فنفخ
6	تعليق	فببل	قبيل
8	8	استطيع	اسـطيع
15	4	اسم يزناسن	اسم بني يزناسن
17	7	المادسة	المدينة
22	1	بو عبد اليد	بوعبد السيد
22	22	البيتين	البشير
24	5	الحقيقي	للحقيقة
24	22	القيت فيها درسا	القيت غيه درسا
29	7	مدلة	مدله
29	29	لفوارط	لقوارط
42	20	اين مني بثارة	بثاره
42	20	مدى ثورابه	ثورانه
43	27	«خضادون»	« حصادون »
56	13	موسى بن رباح	موسى بن رياح
58	15	من هذا النوع	مع هذا النوع
60	11	ما ياكل ولا ينام	ما لا ياكل ولا ينام
61	22	عبد الرحمن العولي	العلوي
75	22	الجيوش الفنسية	الفرنسية
76	12	التنبيه في عزم	التنبيه ، عزم
76	13	استنفر القبائل	فاستنفر
80	20	الحقيقة والوقائع	والواقع
90	24	فاختبرت مع بعض	من بعض
98	الرقم المتتابع	89	98
99	22	ناهروه	ناصروه
109	7	«تباكروت»	تاكرورت
121	21	ومعهد على بأبركان	ومعهد ابركان

صفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
128	27	سكن القرى	سكان القرى
195	2	أعزي	أعني
195	28	الودلة	للدولة
196	5	علي تساؤله بعد أن صعدت	اجعلها في آخر السطر نفسه
197	18	وتعلق راسها	وتعلق على رأسها
206	30	في الداية	في البداية
217	6	والله اني لا أعتقد	لاعتقد « اثباتا »
226	7	مجريات الاحداث	ماجريات الاحداث بفتح الجيم وكسر الراء والاحداث زائدة لان معنى الماجريات الاحداث فلا يضاف الشيء الى نفسه ؟
237	11	ايه عليك يا زمان	ءاه ،، عليك يا زمان
244	20	يخفف من محاولات	من محاولاته
289	18	وكنه طلب مني	ولكنه طلب مني
289	32	فاجنح هلا	فاجنح لها
291	15	اي راية امروا بذلك	أي راية، وانامروا بذلك
305	20	الجالس	المجالس
306	6	السقاية	السقاينة
309	13	فليغطيا	فليغط
311	2	وان زنزانة لخ	وان اكون في زنزانة . ومن اعطيت الى : لي مكرر ،، وقع مزجه بالاصل

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر
بالرباط في متم ذي الحجة 1396 ـ 22 دجنبر 1976



صورة مؤلف الكتاب السيد قدور بن علي بن البشير
البزناسني العتيقي الورطاسي الحسني